شؤون فلسطينية

٣٢

نيسان (ابريل) ١٩٧٤

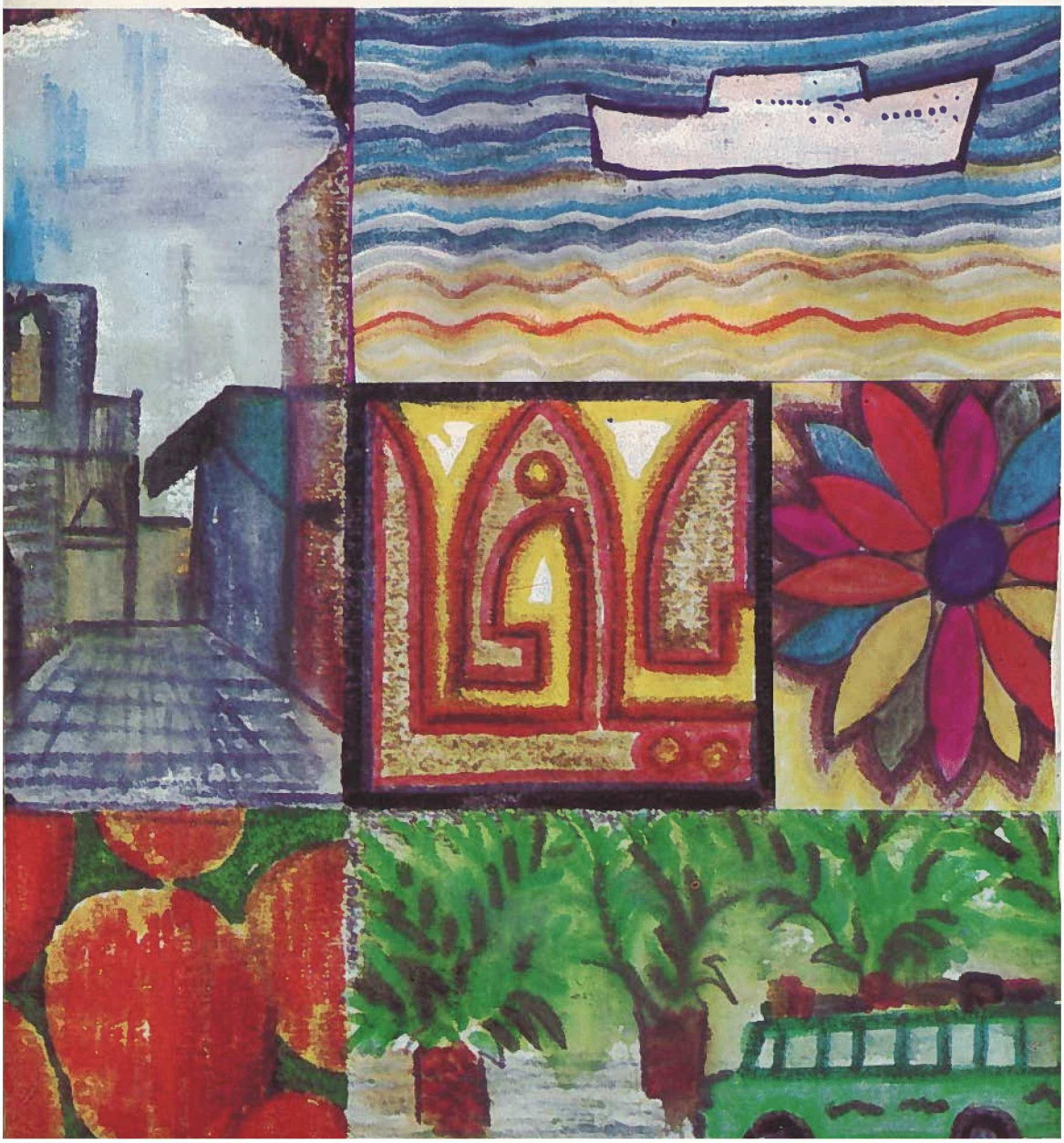

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٣٢ — نيسان (ابريل) ١٩٧٤

شهرية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد . **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٣١/٢ ل.ل. في لبنان ، ٤١/٢ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٤١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٤٠ ل.ل. في لبنان ، ٥٠ ل.س. في سوريا ، ٥٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ٩٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف : لوحة « طفولتي في يافا » .

المحتويات

صفحة ٤ **شؤون فلسطينية** ، الدكتور انيس صايغ .

٥ **الحضور المسيحي في لاهور** ، المطران جورج خضر .

٩ **المفاجأة العربية في الحرب الرابعة** ، المقدم الهيثم الايوبي .

٣٠ **الضفة الغربية : احتلال ، مقاومة ونظرة الى المستقبل** (ندوة) .

٥٦ **هم ... أكثر من الكلمات** ، محمود درويش .

٦٠ **حول كتابات الشهيد كمال عدوان** ، منير شفيق .

٧٠ **أراد ان يكون رجلا ... وشريفا** ، بيان نويهض الحوت .

٧٢ **الدكتور باسل الكبيسي : ذلك الفارس الذي لم يترجل** ، الدكتور اسعد عبد الرحمن .

٨٢ **ثلاث قصائد** ، عز الدين المناصرة .

٨٦ **النفط شريان الحياة في اسرائيل** ، سمير كتعاني .

١٠١ **الصناعة الجوية الاسرائيلية** ، الرائد الطيار حسين عويضة .

١١٥ **معتقل الجفر الصحراوي : صورة حية للصمود واصرار على متابعة النضال** ، غازي الخليلي .

١٣٣ **فردان ودير ياسين : الجريمتان والنتائج** ، الدكتور نبيل علي شعث .

١٤٢ **يسار المانيا الاتحادية وحركة تضامنه مع الثورة الفلسطينية** ، فاطمة ابو القاسم .

١٥٠ **مراجعات** : نظام دولة اسرائيل ـ اطار القرار السياسي ، محمد علي العويني . الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ٦ ـ ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ (عدد خاص من مجلة السياسة الدولية) ، الدكتور عدنان العمد . الصهيونيون غير اليهود ، ف. المنصور . جمهورية المانيا الاتحادية واسرائيل والفلسطينيون : دراسة في معاملة الاجانب ، أ. م. مراجعة أخرى لكتاب جذور القضية الفلسطينية ، محمد حافظ يعقوب .

١٦٣ **ثقافة** ، الياس خوري .

١٨١ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخنيني . (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، عباس مراد . (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، صادق جلال العظم . تقرير خاص : مؤتمر القمة الاسلامي الثاني والقضية الفلسطينية ، الدكتور نبيل الرملاوي . (٤) المناطق المحتلة ، عيسى الشعيبي . (٥) اسرائيليات ، عماد شقور وهاني عبدالله . (٦) القضية الفلسطينية عسكريا ، المقدم الهيثم الايوبي . جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٢/١٦ ـ ١٩٧٤/٣/١٥ ، غازي خورشيد .

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

لكل شعب يوم لشهدائه . ولكن الشعب الفلسطيني كل ايامه ، على مدار السنة ، ايام شهداء . لانه شعب شهيد ، من ارض شهيدة . ومسيرته نحو النصر ، تلك المسيرة الطويلة التي يزيد عمرها على ثلاثة ارباع القرن ، تحفل بالاستشهاد المتواصل — بل انها تستمر بفضل الاستشهاد المتواصل ، وبه تصمد وبه تتصاعد وبه ستبلغ الهدف .

شهداؤنا في كل عام وكل شهر وكل يوم على مدى السنين ، وفي كل بقعة من فلسطين ومن ارض العرب ، وفي عدد من بقاع الارض الاخرى : سقطوا وهم يستنكرون بناء المستعمرات الصهيونية على ارضهم العربية في مطلع القرن . وسقطوا وهم يقاومون الحكم التركي في محاولة رائدة للاستقلال الكامل . وسقطوا وهم يصطدمون مع الصهيونيين ومع البريطانيين في ثلاثين سنة من الحكم البريطاني المهد للغزو الصهيوني: في موسم النبي موسى ، وفي حوادث العشرينات التي بلغت ذروتها في نهاية العقد ، وفي حوادث الثلاثينات التي بلغت ذروتها الرائعة في ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ . وسقطوا في الدفاع عن عروبة بلدهم بعد أن قررت الامم المتحدة سلب البلد وتقديمه للاغرباء تكفيرا عن ذنوب الاخرين . وسقطوا امام العدوانات الاسرائيلية المتكررة ، في الخمسينات ، على غزة وخان يونس وغيرهما ، وسقطوا وهم يبدأون عملياتهم الفدائية ضد العدو ، منذ الخمسينات ، في جنوب فلسطين وفي شمالها وفي شرقها . وسقطوا في السموع . وسقطوا في حرب ١٩٦٧ ، متطوعين في قتال ابلوا به بشكل خاص . وسقطوا في عمليات فدائية مختلفة ، وفي بطولات جبارة منذ ١٩٦٥ ، داخل الارض المحتلة وخارجها، برصاص جنود اسرائيليين وبرصاص جنود عرب . وسقطوا في مذابح سبتمبر ٧٠ ويوليو ٧١ في عمان وجرش . وسقطوا في شوارع بيروت ، برصاص معروف ورصاص يهود ، في ابريل ومايو ١٩٧٣ . وسقطوا في اوروبه ، في فرنسه وروما وكوبنهاجن وامستردام وميونخ وغيرها من كبريات المدن . وسقطوا في اعالي الجو وفي اعماق البحار . وسقطوا في حرب رمضان ، في كل الجبهات وفي كل الخنادق والمواقع .

لقد زرع الشهيد الفلسطيني نفسه ، جسدا ودما وروحا ، في كل تربة وفي كل يوم ، وفي كل ظرف وحال ، لتستمر الثورة .

وفي ابريل الماضي ، عندما فقدنا قافلة جديدة من اخواننا ، اقسمنا في هذه المجلة ان نتذكر وان نتعلم وان نقتدي وان نحاول ان نتمم الرسالة ونواصل السعي . ولا تزال « شؤون فلسطينية » ، ولا يزال الشعب الفلسطيني كله ، تلتزم بهذا القسم. فالرسالة، الغالية اكثر من الحياة ، ناقصة بعد . والسعي ، الجهاد ، غير مكتمل بعد . وان كانت « شؤون فلسطينية » تخصص صفحات من هذا العدد لذكرى عدد من الشهداء ، فانها تتذكر شهداءنا ، كل شهدائنا ، في كل صفحة من كل عدد .

ان حبر كلماتنا ، الاسود ، يبدو باهتا امام الخطوط الحمراء من دم شهدائنا التي تلف المكان والزمان ، كل مكان وزمان .

الحضور المسيحي في لاهور

المطران جورج خضر

لم يغب ذكر المسيحيين ودورهم في الدفاع عن فلسطين كلما اجتمع المسلمون . ولكن الحضور الجسدي لن يعوض عنه شيء . وصار هذا ممكنا بسبب من جهود عربية مشتركة ودعوة من الحكومة الباكستانية كريمة احاطتنا بأنبل ما في شعبها من خلق ودماثة وتواضع غريبين . الترحيب بفكرة التمثيل المسيحي بلغ في أعلى مقامات العرب حد الحماس فذهبنا على رجاء تأدية الشهادة وكان زادنا وعد واضحى الوعد مسعى وجعل ابو عمار المسعى اقتراحا قبلته الهيئة العامة في جلسة الافتتاح فتكلم ، في اليوم التالي ، السيد الياس الرابع بطريرك انطاكية وسائر المشرق للروم الارثوذكس حاملا معه المسيحية المشرقية بأسرها .

رافقه كاتب هذه السطور وغسان تويني من كنيسته وكذلك المونسنيور اغناطيوس مارون امين السر لمجلس البطاركة والاساقفة الكاثوليك في لبنان والاستاذ شاكر ابو سليمان رئيس الرابطة المارونية . كلمة الحبر الانطاكي كانت تصوغ الهاما أبعد من أشخاصنا . والحضور بما فيه من وجد كان الشهادة . والاهم ان تنزل الكلمة في قلوب المؤمنين وان يكتشفوا ما تمليه عليهم من مسؤولية التزام . وبالحقيقة كنا حفنة من المسيحيين ، في غير اجتماع ، نتداول قضية القدس ونتقصى فكرة البابا عنها وما بين أيدينا سوى فتات من التصريحات وساعدنا على فهم مرماها اخوان مقربون من رومية ومزودون بوثائق ومقالات واطلاع شخصي جعلتنا نرى ان الفاتيكان لم يبق متمسكا بالتدويل وانه يبغي ضمانات دولية بما لا يتعارض وسيادة وطنية عليها .

ولما قررنا خوض مغامرة لاهور كنا نحمل أحلام الشرق القديم ، احلاما تموج بين الاسكندرية وانطاكية ، تعبر الصحارى والقدس واحتها الكبرى . كنا نتحرق لنقول أمام حفل من الاخوة ما يجيش في صدورنا منذ أن اودعت نفحات من الاباء اردناها للبنين ميراثا . « سجل أنا عربي » أردنا قولها في لاهور والصليب معلق في الاعناق . ففاقت الازاهير وعود البراعم في فترة من التاريخ مباركة . فاذا للاسلام والمسيحية في القدس

كلمة سواء واذا نحن ، امام حشد اسلامي مهيب،متطلعون من خلال فلسطين مستعادة، الى ذلك البهاء الذي سيكلل هاماتنا اذا عشنا معا في مشاركة الحياة النازلة الينا من الحريـــة .

هذه كانت خواطرنا في طريقنا الى لاهور . كيف نرفع قربان فلسطـــين في « أرض الاطهار »* ؟ أيهبنا القدوس نعمة التكلم عن مدينة الحبيب ؟ كان شوقنا الى ذلك مهددا ولكن الثورة الفلسطينية انقذت الشوق فدخل البطريق مدخل الملوك وحملنا العرب هدية للمسلمين فاقتبلونا أيما اقتبال وكأنهم جعلونا صفحة في تاريخهم او كأن المؤتمر نفســـه انقلب حدثا من أحداث النصرانية . وفي كل حال وجدنا انفسنا مع المسلمين حضارة شرقية واحدة قائمة على بساطة العيش ومواصلة القلب للقلب وجمعتنا الفطرة . ولعل المحلل الاجتماعي يقول بل انتماؤكم الى العالم الثالث كان قاسمكم المشترك . هـــذا صحيح ولكن في العالم الثالث بركات قد تكون صبغة الله الذي قالت الشعوب المجتمعة انه مبتغاها وذلك بتلاوة مقرىء باكستاني اداها بدون عجمة وبصلاة الجمعة حيـــث شهدت مئات الالوف من المصلين ان لا اله الا الله وان المستضعفين والاذلة انما الى الله ينتسبون . ومن قدر أن يرى الامور ببساطة كان لا ان يشهد ان انتماءنا للعروبة يعني بلا شك اننا بتماس والاسلام « فان لغتنا تدل علينا » . وهذه صلة ليس فقط لا ننكرها ولكنها اطلالتنا على عالم عظيم نتبادل واياه اعطيات من السماء . ولنـــا معه مواقف تحتاج الى نقد وله معنا مواقف سوف يتكشف له ، في صفاء المعرفة ، انـــه لا بد له ان ينقذها ايضا . ولكنا ما كنا ، في لاهور ، ذهنيين بقدر ما كنا نتقبل اشـــعاعا ونظهر حقيقة اخلاصنا لهذا العالم الاسلامي الكبير بعد ان تجاوزنا كل تحسب ولنا ملء الثقة ان رؤساء المسلمين ووفودهم قرأوا ذلك على وجوهنا مثلما سمعوه بآذانهم . وقد سألنا صحفي اميركي ان كانت لنا ازاء تجمع العالم الاسلامي من مخاوف فجاء وقع سؤاله هجينا ولا سيما ان نفوسنا كانت في حبور بل كنا نهال ليقظة هذه الامم وليس من يقظة لها ان تسمى كذلك ما لم تقترن بالحق وما لم تقم على ثقافة واسعة وتنعشها نفحة النبوة وتركزها القيم التي اضاءت الانسان منذ سقراط الى يومنا . ولا ريب ان الحضارة الاسلامية القديمة كانت كذلك وان فجوة قد باعدت بينها وبين مسلمي اليوم وهم لذلك واعون . ولا شك ايضا ان الحضارة المسيحية قد تواصلت وقيما خلقية وعقلية أمنت استمراريتها وفعلها وقد اتصلت دار الاسلام ببعض هذه القيم . ولكن الاســـتعمار والعنجهية الغربية وما زين للمسلمين انحلال خلق في اوربا والوضع الاجتماعي المتخلف حالت دون التفاعل الخلاق الكامل بين داري الاسلام والمسيحية . غير ان تجربة هذا التفاعل لا مهرب منها ولعل الخطر ان يكتفي العالم الثالث بالوجه الاستهلاكي مـــن الحضارة السائدة فيخسر نفسه كما خسرها الغرب ولعل العالم الاسلامي يجد لنفسه صيغة تخوله ان يقبل التقنية قبول الجد والا يغيب عنه وجه ربه . لست أعلم وهذه هي مخاوفي بالنسبة اليه ولا سيما انه انفعالي والمدنية براقة تبهره . ولكني أحيانا ارجو الاعجوبة للقسم الاسلامي من العالم الثالث لعل الله يقيه ، بسبب تأثير القرآن ، عثار « لهو وزينة وافتخار » .

وكنا في وسط تجربة النفط والتجربة تعني اننا تبنينا منطق القوة ، منطق الحضارة الصناعية ، اننا دخلنا في شكل العقل الغربي . قد يكون ذلك لونا من الوان الحتمية وكنت أتمنى لو وجد المسلمون لانفسهم نمط حياة لا يجعل التقنية تتأكلهم . ولعلها المشكلة

---

* هذا معنى اسم باكستان .

الكبرى التي تواجه الانسان المعاصر . اوربا نفسها ، بالنسبة الى اميركا ، اضحت وكأنها بدورها جزء من العالم الثالث . أعلى الغرب اعني الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي — وكلاهما غرب بالمعنى الحضاري — يبدو متفقا على أن يدمج العالم به او ان يسير العالم اليه انتاجا واستهلاكا وفلسفة معيشية . وفي هذا الافق يضيق الفرق بين نظام ونظام وقد باتت الحياة باعماقها الفلسفية واحدة ناهيك عن صور لها تتقارب . كان ، اذا ، تساؤلي كيف نعمل ليبقى بالاقل العالم الاسلامي عالما لله ليس فقط كما يتصور أحيانا بعض مفكريه او متأدبيه لمجرد تلاوته للقرآن او ادائه الصلاة والحج ولكن على صعيد الاعماق ، بروح وحق .

نحن في الدنيا الارثوذكسية بتنا جزءا من حضارة الغرب بعد أن حكمت الماركسية بلادنا الكبرى والماركسية ، في تصوري ، حدة الفكر الغربي . والذين يعودون الان الى أحضان الكنيسة في اوروبا الشرقية من الحاد وخبرة مريرة انما يعودون الى الانجيل وتراث الاباء في أبهى عبادة وينفصلون فكريا وثقافيا وعمليا عن المجتمع الشيوعي . والتساؤل الذي لا مفر منه هو هل تعني التقنية المتفاقمة في دنيا الاسلام اعراضا عن حياته الروحية كما حدث في المسيحية هذا وثمة امر ان المسلمين قادرون على احتواء التكنولوجيا وما يلازمها من فلسفة ومسلكية ولا سيما ان العلمنة التي يرفضها الاسلام جزء لا يتجزأ من الحياة التكنولوجية . من ينقذ الله في الاسلام ؟

مرت هذه الفكرة في خاطري وانا ارى التنظيم الاوربي يهيمن على المؤتمر وثقافة اوكسفورد وهارفرد تتخذ وجهها الاسلامي وتجلبب . بارك الله في المسلمين اذا نجحوا حيث اخفقنا .

في فترة بعد حرب تشرين فكرت ان عرب الجزيرة قد يحرقون آبار النفط انقاذا للقدس وانهم مستعدون للعودة الى بداوتهم . لا ازال بعد على هذا الشعور مع أن خوفا ورعدة قد أخذاني وانا أخشى أن نلاعب المال في أيدينا وان نستلذ صداقة الغرب الكبير وتصرعنا اهواؤنا . ولكن الانسان ، في صميم ارتعاده ، لا بد له ان يرجو لهذا العالم الاسلامي المذهل ما يرجوه لخير حبيب بعد ان سمعنا منه كلاما مقدسيا .

« نحن واياكم مقدسيون رجاء وعزما وبذلا » قالها البطريرك وكأنها شرعة بين المسلمين ومسيحيي الشرق جديدة تصوغ عهد عمر صياغة حديثة وفي الشرعة هذه يأتيك الامان من اخلاصك للقدس في مصيرها . صفرونيوس كان يتطلع الى حرية تأتي شعبه الى الابد من المسلمين ولم يطلب من عمر الا اجلاء اليهود عن القدس لانهم كانوا ، قبيل مجيء العرب ، قد ذبحوا عددا من المسيحيين . لجأ المسيحيون الوطنيون الى الفاتح العربي من اضطهاد . القدس ستكون المدينة التي ترمز الى الحرية الدينية واللاعنصرية . ما بعد القدس حرية العالم .

الوفد المسيحي في لاهور تخطى دفعة واحدة ما يسمى بمشكلة الاماكن المقدسة . هذه كانت مشكلة صليبية . « البشر لا الحجر هم الحضور » ذهبت تحولا — برنامجا . كل بحث الاماكن ، مبتورا عن المقادسة انفسهم ، حديث القرن التاسع عشر بما كان فيه من جو امتيازات للدول فيما كانت تنهش «الرجل المريض» . والاماكن قائمة وحدها ، انصاب والصهيونية تركز عليها لتفصلها عن البحث الشرعي في السكان ومآلهم . المهم

أن ينعتق تراب القدس « بالعدل وللعدل » . البطريرك لم يربط اورشليم بذكرى المسيح الا عبورا وتلميحا ولكنه رأى القدسية . ولا في عدالة القضية ، في فلسطينيتها . وهذا، في اعتقادي ، المساهمة المتميزة التي روادها بين المسيحيين مشارقتهم .

هؤلاء هم أبناء هذه الارض العربية في منبتهم وتراثهم وتطلعاتهم المستقبلية . الانسان اللاصق بالارض هو المعطية الاولى . واما الاماكن المقدسة فيتحدد وضعها اولا بالنسبة الى هذا الانسان الداني اليها من معايشة يومية ومودة . واما القاصي فهاجسه الاول حمايتها او ضمانتها . نبرتنا نحن هذه البشرية المقدسية المؤلفة قلوبها للمجيء بالانسان الجديد الحر . تتلاقى فيه حضاريا ، بصورة لا نستطيع تحديدها بعد ، روافد اليهودية والمسيحية والاسلام . وما يبهج النفس ان البابا بولس قد تجاوز ، في غير تصريح ، اشكالية الاماكن المقدسة حتى القول بحقوق الفلسطينيين . يبقى الرباط العضوي بين القدس وفلسطين الذي جعله الياس الرابع امرا مبينا بقوله : « فلسطينية القدس هي الوجه الانساني والكوني الذي به تطل على العالم » . القدس ، اذ ذاك ، تحمل معنى التجاوز للطابع العبري الحصري المستحدث والمنقطع عمليا الفي سنة . وقد وقف البطريرك الموقف الشمولي المستقبلي اذ الفلسطينية تحتوي اليهودية اذا خلعت الثوب الصهيوني ونهدت الى انسانية الانبياء وتراثها الصوفي . ولعل المؤتمر ، لما تحدث عن الطابع الاسلامي للمدينة ، قصد هذه الاحتوائية . أما الاسلام من حيث هو دين قائم بذاته (اليوم أكملت لكم دينكم ورضيت لكم الاسلام دينا) ، الاسلام بالمعنى الخاص فليس بالواقع — على الصعيد العمراني والاثري — الصبغة الغالبة على المدينة . اما على صعيد البنية السياسية فقد تجاوزت المقاومة المنظار المذهبي وهي — في كل فصائلها — لا طائفية .

نحن مع المسلمين في مخاطبة وجودية في كل الارض نرجو ان يخمرها الود تخميرا طيبا . في المعاصرة وذوق فلسطين يرتسم لهذه المخاطبة محور . وفي طمأنينة الحرية تحلو وتبتسم .

المفاجأة العربية في الحرب الرابعة

المقدم الهيثم الايوبي

« لقد فاجأونا ! لقد أمسكوا بنا ونحن في سراويلنا الداخلية ! لقد أمسكونا ونحن في قمة سعادتنا وثقتنا ، عندما كنا نثق بقوتنا اكثر مما ينبغي ، وعندما كنا نعتقد اننا نستطيع ضرب اي عدو في ستة أيام ».

(رغل بنكار — عل همشمار ٧٣/١٠/٩)

مقدمة

المفاجأة مبدأ اساسي من مبادىء الحرب ، ومحور ترتكز عليه الخطة العسكرية بجميع مستوياتها الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية . وليس في التاريخ العسكري قائد ناجح لم يحاول استغلال المفاجأة لقلب التوازن النفسي داخل معسكر الخصم ، لان قلب هذا التوازن يحدد بداية النصر . وتتحقق المفاجأة عادة بعدة اشكال ، فقد تكون مفاجأة في مكان الضربة الرئيسية (محور الجهد الرئيسي) ، او في زمان هذه الضربة (لحظة بدء العمل) ، او باستخدام سلاح جديد ، او باستخدام سلاح قديم بأسلوب جديد لا يتوقعه الخصم . واذا كان الالمان قد فاجأوا الاتحاد السوفياتي بتاريخ بدء عملية باربروسا في حزيران ١٩٤١ وفاجأوا الفرنسيين في ايار ١٩٤٠ بمكان الضربة الرئيسية في منطقة الاردين التي قدر الفرنسيون عدم صلاحيتها لهجوم مدرع كبير . فقد فاجأ اليابانيون الاسطول الاميركي في بيرل هاربور (كانون الاول ١٩٤٣) مفاجأة جمعت عاملي الزمان والمكان . واذا كان الحلفاء قد فاجأوا الالمان في الحرب العالمية الاولى باستخدام الدبابات لخرق الخطوط الدفاعية في معركة السوم (١٩١٦) ومعركة كامبري (١٩١٧) ، فقد رد الالمان المفاجأة في الحرب العالمية الثانية عندما استخدموا سلاحا معروفا (الدبابة) بأسلوب جديد هو أسلوب الكتل المدرعة الضخمة (فرق وفيالق) العاملة بتعاون وثيق مع القاذفات المنقضة من طراز شتوكا .

وتعتمد المفاجأة اكثر ما تعتمد على الخدعة ، والسرية ، وسرعة الحركة ، ودقة المعلومات ، ودراسة عقيدة الخصم العسكرية ، والقدرة على فهم عقلية واسلوب محاكمته وطبيعة ردود فعله . ويكمن جوهر كل مفاجأة في القيام بعمل حاسم غير متوقع، بعد دفع العدو الى اتخاذ تدابير يظنها جيدة وملائمة ، ثم يكتشف خلال القتال انها ليست غير ملائمة فحسب ، بل تعرقل القيام بالاعمال المضادة الملائمة ايضا .

وللمفاجأة في الصراع العربي — الاسرائيلي تاريخ حافل يستحق الدراسة . بكثير من العناية ، لانه يجسد في الحقيقة **تباين مفهومين ، وحضارتين ، واسلوبين في التفكير ،** ولقد استخدم الاسرائيليون المفاجأة على نطاق واسع في الحروب الثلاث الاولى (٤٨ — ٥٦ — ٦٧) وفي العمليات المحدودة الانتقامية التي جرت في الفترات الواقعة بين هذه الحروب ، على حين لم يلجأ العرب على المستوى الاستراتيجي الى هذا العامل الفعال اللازم لتحقيق النصر . ففي حرب ١٩٤٨ التي كانت العمليات العربية في بدايتها هجومية،

أعلنت الحكومات العربية بشكل مسبق بأن تاريخ بدء الهجوم سيكون في ١٥ ايـــار ، ففقدت بذلك المفاجأة بالزمان ثم قامت بالهجوم بشكل جبهي وعلى المحـــاور المتوقعة ففقدت المفاجأة بالمكان ، دون ان تعوض ذلك بمفاجآت اخرى بنوع السلاح او اساليب استخدامه التي كانت أساليب تقليدية يعرفها العدو . ومارس العدو في هذه الحرب ـــ حتى في مراحلها الدفاعية الاولى ـــ مختلف أساليب المفاجأة ، مستخدما الليل والحركة والمحاور غير المتوقعة لتسديد الضربات المعاكسة . ثم استخدم المفاجأة على نطـــاق أوسع بعد الهدنة الثانية عندما تحول الى الهجوم . وتمثلت مفاجآته باستخدام الطيران ومجموعات الدبابات (مفاجأة بالسلاح) وباستخدام الليل والمحاور غير المتوقعة وضرب المجنبات (مفاجأة باستخدام السلاح) . وفي حرب ١٩٥٦ انتقلت المفاجأة الى يد العدو الذي حقق المفاجأة بالزمان ، والمفاجأة بحجم القوات ، وساعده على ذلك تواطؤ فرنسا وبريطانيا معه بشكل جعل الجيش المصري يضطر لمجابهة قوات تفوق توقعاته . وعندما توتر الموقف في ايار ١٩٦٧ تصرفت مصر بشكل تظاهري ، واعلنت عن حشد قواتها فـــي سيناء وقطاع غزة ، وحركت القوافل العسكرية عبر القناة في وضح النهار ، على حين استخدم العدو الخدعة الدبلوماسية والعسكرية ، فتظاهر بالضعف والرغبة في الدفاع ليشن الهجوم في لحظة كان المصريون يستعدون خلالها لارسال زكريا محي الدين رئيس الجمهورية الى واشنطن لمقابلة المسؤولين الاميركيين والتباحث معهم حول شروط تخفيف حدة التوتر . واندفع الطيران الاسرائيلي كله لتدمير الطائرات العربية الجاثمة عـــلى الارض ، ثم طبق العدو في العمليات البرية في سيناء عددا من المفاجـــآت التكتيكيـــة (القتال ليلا ، تموين الدبابات المتقدمة بالمحروقات بواسطة الهليكوبتر ، انزال المظليين وراء مواقع المدفعية ، التقدم عبر مناطق رملية يعتبرها المصريون غير صالحة لعبـــور الاليات ، استخدام القنابل الانزلاقية لتدمير مدارج المطارات ... الخ) .

وفي ٦ تشرين الاول انطلقت القوات المصرية والسورية من مواقع حشدها ، واخترقت خطوط العدو الدفاعية ، محققة بذلك أول مفاجأة استراتيجية عربية في هـــذا الصراع الذي دام ٢٥ عاما .

وكانت المفاجأة العربية كبيرة أخذت داخل المجتمع والجيش الاسرائيليين حجم « هزة أرضية » مدمرة **وان لم تكن تتمتع بشمولية كشمولية مفاجأة ١٩٦٧** . ولقد زاد مـــن اهميتها أنها أصابت مجتمعا « اسبارطيا » متحفزا يقدم ضرورات الامن على كل مـــا عداها ، ويعيش كقلعة صليبية مزروعة بشكل مفتعل وسط منطقة معادية ترفضه وتكن له عداء صداميا مكشوفا . ويذكر البروفسور يعقوب تلمون استاذ التاريخ المعـــاصر في الجامعة العبرية وعضو الاكاديمية الاسرائيلية للعلوم : « تمثل امامنـــا معضلة خطيرة : منذ جيلين وثلاثة أجيال ، عشنا بايمان مشبع بالقلق بأننا محاطون بـــأعداء هدفهم القضاء علينا ، وأنهم لن يتوانوا عن تحقيق هذا الهدف ابدا . لقد كررنا علـــى مسامعنا الحقيقية المريعة لنا ، وهي أن خسارة في معركة واحدة تعني ، في وضعنـــا الخاص ، الدمار العام . وكانت اعتبارات الامن هديا لنا حيثما توجهنا وفي كل زمان . وكان كل شيء يخضع لقضية الحياة والموت . واذا ، كيف حدث أن وجدتنا حرب يـــوم الغفران غير مستعدين وغير متأهبين مع أن دلائل التحذير لم تنقص ؟ »(١) .

لقد كان هناك بالفعل تحذير من الاستخبارات الاسرائيلية والأميركية ، وكانت القوات الاسرائيلية النظامية مستنفرة منذ رأس السنة العبرية ومعركة ١٣ ايلول الجوية ، ومع هذا وقعت المفاجأة بشكل مذهل . وأخذت المواقع الاسرائيلية في سيناء وعلى هضبـــة الجولان على حين غرة ، وفوجئت باندلاع الحرب مفاجأة كاملة . فلقد ذكر الاسير شومي باروخ الذي سقط بيد القوات المصرية في يوم ٦ تشرين الاول عندما ظهر على شاشـــة

التلفزيون المصري في مساء ٧ تشرين الاول « لقد كانت مفاجأة لنا ان نجد المصريين فوق رؤوسنا » ... « أننا فوجئنا فعلا بالمعركة ولم يدر هذا في تفكيرنا أبدا »(٢).

ويذكر مراسل صحيفة الفيغارو « عند الظهر — يوم ٦ تشرين الاول — بدأ جنود اسرائيل عند جبهة قناة السويس يتململون بسبب قرار الطوارىء القصوى الذي صدر لهم ، فالهدوء كامل ، والصمت مطبق . ومن غير المعقول ان يبدأ الجيش المصري هجومه عند الظهيرة ... وبدأ الجنود والضباط يتخلون عن مواقعهم ، واخذت اصابعهم تخف عن زناد بنادقهم الموجهة فوهاتها الى... الى لاشيء يتحرك امامهم ! وترك بعضهم مدفعه وأخذ يغسل ملابسه. واستلقى البعض الآخر ليرتاح ، او ليكتب خطابا الى أسرته بمناسبة العيد الديني الكبير . اما جنود موقع « دورا » — جنوبي مدينة القنيطرة شرق — فانهم بدأوا مباراة في كرة القدم لتسلية أنفسهم ، وقتلا للوقت الذي يمر في هدوء وخمول ... وفي تمام الساعة الثانية بعد الظهر كان الجندي الثاني صموئيل يقفز قفزة عالية ليلتقط الكرة قبل أن تخترق شبكة المرمى الذي يحرسه ، واذا به يطلق صرخة غالية « طائرات ! طائرات ! »... وكانت تمر فوق ملعب كرة القدم ٤ مقاتلات مصرية من طراز ميغ ٢١ على ارتفاع بسيط جدا من سطح الارض ، قادمة من الضفة الغربية القناة ، متجهة الى أعماق سيناء . وقبل ان يعلق أحد من لاعبي الكرة كانت المدفعية المصرية تضرب ضربتها الاولى »(٣).

هكذا بدأت الحرب الشاملة وتمزقت حالة « اللاحرب واللاسلم » وانهارت خطوط وقف القتال الذي نادى وزير الدفاع موشي دايان قبل الحرب بشهرين فقط بضرورة تعزيزها والوقوف عندها « حتى يصبح العرب مستعدين للجلوس معنا الى طاولة السلام »(٤). والتي كان يشعياهو جافيتش قائد القوات الاسرائيلية في سيناء اثناء حرب ١٩٦٧ قد وصفها بأنها « أفضل مواقع على الخطوط الامامية تمتعت بها (اسرائيل) في أي وقت من الناحية العسكرية »(٥).

ويرجع تاريخ اتخاذ القرار العربي بالعودة الى القتال الى مطلع عام ١٩٧٣ . ومن المؤكد ان هذا القرار لم يغب عن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر منذ نهاية حرب الاستنزاف (١٩٧٠) ، كما لم يغب عن الرئيسين السادات والاسد منذ تسنمهما منصب رئاسة الجمهورية ، لكن المساعي الدبلوماسية والسياسية كانت تحتل المكانة الرئيسية في جدول افضليات الصراع . وكان انتقال قرار القتال الى المرتبة الاولى يتطلب اعادة بناء الجيشين المصري والسوري ورفع كفاءتهما القتالية ، وخلق الوضع العربي الملائم لحرب شاملة تستخدم فيها كافة الاسلحة العسكرية والاقتصادية ، وظهور وضع دولي ملائم لا يتعارض مع شن القتال لاستعادة الاراضي المحتلة في حرب ١٩٦٧ ، او خلق الضغط العسكري الذي يحرك الوضع السياسي المستنقع ، ويعيد الحياة الى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذي عطلت الولايات المتحدة واسرائيل تنفيذه . ويبدو ان الرئيس السادات اتخذ مثل هذا القرار في عام ١٩٧١ (عام الحسم) ، ثم عدل عنه بعد ظهور متغيرات جديدة . ولكن الفكرة بقيت كامنة تنتظر اللحظة المناسبة . وبقيت المساعي السياسية — الدبلوماسية « الوسيلة العربية الاولى » لاستعادة الاراضي المحتلة . ومهما قيل في تهديدات الرئيس السادات بخصوص عام الحسم ، فان من المعتقد ان المتغيرات الجديدة التي منعت الجيش المصري من بدء القتال في هذا العام كانت في الاساس متغيرات دولية ، أعطت الرئيس المصري شيئا من الامل بأمكانية الحصول على هدف الحرب عن طريق السياسة .

وكان الاسرائيليون يعرفون ان الضغط الشعبي العربي ، والرغبة في استعادة الاراضي المحتلة والكرامة المهدورة ، ورفع شعار « ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة »،

وتشدد السوفيات في مسألة احتلال اراضي الغير بالقوة وعدم استعدادهم للتساهل في هذه المسألة التي يمكن ان تخلق سابقة خطيرة في أماكن اخرى حساسة من العالم ، واتجاه العالم نحو تأييد مبدأ « اعادة الاراضي المحتلة مقابل السلام » عبارة عن عوامل ضاغطة ستدفع مصر وسورية الى الحرب ، **ولكن القادة الاسرائيليين كانوا يرحبون بهذه الحرب بتصريحات يمتزج فيها التبجح بالسخرية** ، فلقد صرح رابين وبارليف وجافيتش وحتى أبا ايبان ، بأن اتخاذ قرار الحرب من قبل العرب يعني « انتحار جيوشهم » ، ولن يؤدي الا الى تعرضهم « لهزيمة محققة » . وصرح ييجال آلون في نهاية عام ١٩٧١ « ان محاولة المصريين عبور القناة سوف تكلفهم خسارة ٧٥ ٪ من قواتهم ، على حين ستجبر باقي القوات على التراجع »(٦) ، ثم عاد بعد ذلك ليؤكد « أنه ليس في استطاعة الجيوش العربية الحصول على دونم واحد من الارض بقوة السلاح »(٧). ولم يكف دايان عن التهديد في هذا المجال ، حتى أنه انذر الجيش المصري في منتصف عام ١٩٧٢ بهزيمة كاملة وصرح بأن هذا الجيش « سيجد نفسه في مقبرة كبيرة تتناثر فيها معداته العسكرية في حالة محاولته عبور قناة السويس . وهذا أمر بعيد الاحتمال »(٨). وبقيت هذه الفكرة سائدة في الاوساط الاسرائيلية حتى عشية الحرب ، ويذكر زئيف شيف المحرر العسكري لصحيفة « هآرتس » : « ان الخوف من ان يفاجيء المصريون اسرائيل بهجوم شامل خوف ضعيف جدا . وعلى الرغم من أن معظم الجيش (المصري) محتشد في منطقة الجبهة ، فان عليه ان يقوم بعمليات مسبقة قبل شن هجوم شامل »(٩).

ومنذ مطلع عام ١٩٧٣ وصلت الاستعدادات العسكرية المصرية والسورية الى المستوى المطلوب ، وأنهت تدريباتها على الاسلحة والمعدات الحديثة التي زودها بها السوفيات ، وارتفع صوت القوات المسلحة مطالبا بالقتال بعد أن غدا الوضع « لا يحتمل » . ومع هذا تابعت القيادة المصرية المساعي الدبلوماسية . وكانت اخر هذه المحاولات قبل اتخاذ قرار القتال ، هي محاولة شباط ١٩٧٣ عندما قام حافظ اسماعيل مستشار الرئيس السادات للامن القومي بجولة شملت لندن وبون وموسكو وواشنطن. وكان اسماعيل يحمل معه تفاصيل خطة دبلوماسية يمكن ان تنهي الازمة بحل سلمي عادل . بيد أن خطاب رئيسة وزراء العدو في نادي الصحافة الامريكي بواشنطن ، واعلان واشنطن تزويد اسرائيل بـ ٤٨ طائرة فانتوم و٤٨ طائرة سكايهوك اكدا عدم جدوى الاستمرار في الخطة الدبلوماسية . وبعد عودة حافظ اسماعيل من جولته بدأ التحول الجذري في الموقف العربي ، واتخذ قرار القتال في مصر وسورية منذ شهر شباط ١٩٧٣(١٠).

وفي ١٩٧٣/٣/٢٦ صرح الرئيس السادات امام مجلس الشعب ان المعركة هي « الطريق الوحيد » وان الاعداد لها قد بدأ . وبعد أيام أعلن الرئيس السادات نفسه حاكما عسكريا . وفي اليوم الثاني من شهر نيسان عقد اجتماع عسكري موسع للقيادات المصرية . ثم زار الفريق أول احمد اسماعيل وزير الحربية المصري دمشق في ٨ ايار وتلا هذه الزيارة قيام الرئيس السادات بزيارة دمشق في يوم ١٩ من الشهر نفسه ثم في ١٢ من الشهر التالي . وكانت الوفود العسكرية والمبعوثون العسكريون يتنقلون بين القاهرة ودمشق . ولقد أبدت القيادة السورية موافقتها التامة على المشاركة في أية حرب تخوضها مصر . ولكن الخطة النهائية لم تحدد على ما يبدو الا في يوم ١٥ أيلول خلال اجتماع الرئيسين السادات والاسد . وبقيت الخطة سرية حتى الايام الاخيرة ، ولم يطلع عليها سوى القيادات العليا التي بدأت تعد الخطط التفصيلية تحت غطاء الاعداد لمناورات الخريف . وكان موعد بدء العمليات محددا في يوم ٢٦ ايلول ، ثم أجل

حتى الساعة السادسة من يوم ٦ تشرين الاول . وعندما اكتشفت الاستخبارات الاميركية في يوم ٥ تشرين الاول ان الحشود العربية على الحدود تتم بشكل غير عادي، ونقلت الانباء الى الدكتور هنري كيسنجر ، تطابقت المعلومات المتوفرة لدى وزير الخارجية الاميركية مع المعلومات التي وصلته من الحكومة الاسرائيلية بصدد الحشود، فاتصل بوزيري الخارجية المصري والاسرائيلي اللذين كانا في نيويورك ، وطلب منهما ابلاغ حكومتيهما ضرورة ضبط النفس وعدم خرق وقف اطلاق النار . ولقد روت الصائدي تلغراف على لسان كبير مراسليها في الشرق الاوسط ان الرئيس السادات قدم موعد الهجوم ٤ ساعات بعد أن تلقى رسالة وزير الخارجية الاميركي(١١). ولكن رئيس تحرير الاهرام السابق محمد حسنين هيكل اكد — وهو في موقع يسمح له بالاطلاع على المعلومات الصحيحة — ان تقديم موعد الهجوم من الساعة السادسة (آخر ضوء) في يوم ٦ تشرين الاول الى الساعة الثانية بعد الظهر تم في يوم ٣ تشرين الاول لا بعد ذلك التاريخ(١٢). ولقد أدى هذا التقديم دون شك الى حرمان القيادة الاسرائيلية من ٤ ساعات ثمينة في فترة حرجة يحسب فيها الوقت بالدقائق والثواني .

عوامل المفاجأة العربية

لم تقع المفاجأة في الحرب الرابعة عن طريق الصدفة ، بل كانت وليدة تدابير معدة بدقة وعناية . ويمكن أن نذكر هنا بعض هذه التدابير التي سيكشف المستقبل الكثير من خباياها التي تؤكد **ان العرب تعلموا الكثير من هزيمتهم في عام ١٩٦٧ .**

١ — اظهار النوايا السلمية : قدمت القيادة العربية قبيل اندلاع الحرب العديد من الشواهد التي تدل على رغبتها في حل الازمة سلميا ، وتبرهن على انها لم تقطع الامل بعد من امكانية نجاح المساعي الدبلوماسية عن طريق التعاون مع الولايات المتحدة الاميركية . فبالرغم من تصريحات الرئيس السادات المتكررة بضرورة استخدام القوة لاجبار اسرائيل على الانسحاب . وبالرغم من خطابه الحربي في ايار ١٩٧٣ قبيل اجتماع مجلس الامن بناء على طلب مصر لمناقشة الوضع في الشرق الاوسط والذي قال فيه أن مصر «ستكسر حالة اللاحرب واللاسلم...في اللحظة التي نجد فيها أنفسنا مستعدين»، فقد بعثت مصر وزير خارجيتها الى الولايات المتحدة في عشية الحرب بمهمة متابعة الجهود الدبلوماسية . وعقدت مع كونسورتيوم اميركي اتفاقا قيمته ٣٤٠ مليون دولار لمد خط انابيب النفط من السويس الى البحر الابيض المتوسط . وخلقت هذه التدابير انطباعا بأن القاهرة تفكر في تدعيم بنائها الاقتصادي بالتعاون مع الولايات المتحدة ، **وأنها لن تلجأ الى استخدام « الوسيلة العسكرية » لتحقيق أهدافها السياسية طالما أنها لا تزال مؤمنة بامكانات نجاح « الوسائل الاخرى » ، والسياسية بصورة خاصة .**

٢ — السرية الكاملة : حافظت القيادتان المصرية والسورية على سرية التوقيت والتكتيك المتبع حتى بالنسبة للزعماء العرب . ولم يعلم بهذين العاملين سوى الملك فيصل الذي أكد للرئيس السادات استعداد بلاده لوضع كل امكاناتها في خدمة المعركة عندما يبدأ الجيشان المصري والسوري القتال . ولم تبلغ القيادة العراقية بتوقيت المعركة وتكتيكها ، كما لم يبلغ الرئيس القذافي بهما ، رغم اطلاعه على الخطة وعدم موافقته على استراتيجيتها ، ورغم أن ليبيا مرتبطة مع مصر وسورية باتحاد ثلاثي ومرتبطة مع مصر بمشروع وحدة اندماجية . وعندما زار الملك حسين القاهرة في ١٠ ايلول احاطه الرئيس السادات علما بالخطة العامة دون أن يذكر له التوقيت او التكتيك المتبع . ولم تبلغ قيادة الثورة الفلسطينية الا قبل ٢٥ ساعة تقريبا من بدء القتال ، وكان التبليغ نفسه عاما دون تفصيلات .

أما على الصعيد العملياتي والتكتيكي ، فقد بقيت معلومات خطة « بدر » ـــ التي أعدت على أساس خطة مناورات ـــ محصورة في القيادات العليا ، ولم تصل الى قيادات القطعات الكبرى الا قبل ٤٨ ساعة من بدء القتال ، اما قادة القطعات فلم تصلهم المعلومات الا قبل ٢٤ ساعة ، واعطيت المعلومات الى قادة الوحدات الصغرى قبل ساعات من بدء القتال . ويذكر اريك رولو في صحيفة لوموند انه قابل احد عسكريي المدرعات المصريين على مسافة عشرة كيلومترات شرقي الفردان ، وان هذا العسكري اخبره بأنه « حتى اللحظة الاخيرة كان يعتقد انه يشترك في مناورات عادية . وكيف كان للامر أن يكون غير ذلك في عز صيام رمضان ؟ لقد حوفظ على السر تماما . ولم يكن يعرف ساعة الصفر حتى ٤ تشرين الاول سوى اربعة اشخاص : رئيسا مصر وسورية ووزيرا الحربية »(١٣) .

٣ ـــ اظهار البرود السياسي ازاء الاتحاد السوفياتي بعد خروج السوفيات من مصر في عام ١٩٧٢ ، رغم استمرار تدفق السلاح السوفياتي على مصر ، ورغم استمرار الخبراء السوفيات في مساعدة المصريين على بناء القوة العسكرية القادرة على الهجوم. ولقد ذهب حاييم هرتزوغ (رئيس الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية السابق والمعلق العسكري باذاعة العدو) الى اعتبار اخراج السوفيات من مصر والضجة الاعلامية التي أحاطت به جزءا من خطة مدبرة ، فلقد صرح في ١٧ تشرين الاول « ان انسحاب السوفيات من مصر قبل ١٥ شهرا لم يكن سوى عملية للتمويه وذر الرماد في عيون الغرب واسرائيل ، وقد نجحت هذه الخطة »(١٤). وقد يكون في قول هرتزوغ بعض المبالغة . ولكن من المؤكد ان تخفيف الوجود السوفياتي في مصر ساعد على انخفاض توتر العسكرية الاسرائيلية ، وجعل المراقبين الغربيين والاسرائيليين يعتقدون بأن القدرة الحربية المصرية قد انخفضت الى حد بعيد وخاصة في سلاح الطيران، ووحدات الرادار، ووحدات الصواريخ أرض ـــ جو المضادة للطائرات ، ووحدات العبور الهندسية .

٤ ـــ شن الهجوم في ذروة مرحلة الوفاق الدولي ، وفي الوقت الذي اعتقد فيه العدو أن العرب سيترددون كثيرا قبل القيام بأي عمل عسكري طالما ان حلفاءهم السوفيات سيحجمون عن دعمهم عند اللزوم **حفاظا على علاقاتهم المتوطدة مع الولايات المتحدة .** ولقد زاد من أهمية هذا الاعتقاد قيام السوفيات بنقل عائلات الخبراء عن طريق البحر والجو قبل ٤٨ ساعة من بدء العمليات ، وتفسير المعلقين الاسرائيليين والغربيين لهذا العمل بأنه اشارة من السوفيات للعرب بأنهم لا يودون التوسط في الشرق الاوسط ، ولا يوافقون على أية مغامرة هجومية غير مضمونة العواقب .

٥ ـــ اختيار يوم الهجوم في عيد الغفران ، حيث تكثر الاجازات في الوحدات النظامية ، وينخفض مستوى الاستنفار على جبهات القتال ، وتصعب التعبئة نظرا لوجود الاسرائيليين في المعابد او في بيوتهم وعدم استماع المتدينين منهم للاذاعة التي تبث عادة اشارة التعبئة . ولقد انتقد بعض المعلقين هذا الاختيار ، نظرا لان خلو الشوارع من السيارات بسبب العيد الديني الذي لا يستخدم فيه الاسرائيليون سياراتهم وبقاء معظم الناس في المعابد او في بيوتهم قد ساعد على حركة السيارات العسكرية والخاصة المستخدمة في عملية التعبئة . ولم يعرض القوافل العسكرية للعرقلة الناجمة عن ازدحام السير على الطرقات .

٦ ـــ اختيار يوم الهجوم في رمضان الذي يعتقد الاسرائيليون ان المصريين يلجأون فيه الى الراحة ، ولا يعقل ان يشنوا فيه قتالا هجوميا يتطلب طاقة بدنية عالية ، وجهدا شاقا لا يحتمله الصائمون .

٧ ــ الاعلان عن بدء تسجيل أسماء العسكريين المصريين الراغبين في اداء فريضة الحــج .

٨ ــ الاستمرار في اعطاء الاجازات للعسكريين العاملين على خطوط وقف القتال او في قطعات الداخل ، ضمن النسب المألوفة في حالات الاستنفار المماثلة .

٩ ــ استغلال حالة التوتر التي سادت على الجبهتــين بعد تهديدات الاسرائيليين لسوريا واتهامها بمساعدة الفدائيين الفلسطينيين الذين قاموا بعملية معسكر شناو في النمسا في آب ١٩٧٣ ، وتزويد الفدائيين الذين اعتقلتهم السلطات الايطالية في أيلول ١٩٧٣ بصواريخ فردية ارض ــ جو (ستريلا) . والعمل تحت غطاء هذه الحالة ومــا أعقبها من استنفار وخاصة بعد معركة ١٣ أيلول الجوية ، **والافادة من الغطاء الاعلامي** لتعبئة القطعات ، وتحريكها من مواقع تمركزها الى مناطق التجمع القريبة مــن خط الانتشار للهجوم . والانتقال بعد ذلك حتى خط الانتشار تحت سمع العدو وبصره .

١٠ ــ عدم اعلان التعبئة العامة قبل الهجوم اعتمادا على وجود قوات عاملة كبيرة العدد كافية لتحقيق التفوق العددي اللازم للهجوم .

١١ ــ عدم استخدام وسائط الدفاع أرض ــ جو الحديثة (صواريخ سام ــ ٦) في الرد على طائرات الاستطلاع الاسرائيلية التي كانت تخترق الاجواء السورية ، وعدم اشتراك هذه الصواريخ في معركة ١٣ أيلول الجوية التي افتعلها الاسرائيليون لمعرفة مستوى جهاز الدفاع الجوي السوري ضد الطائرات ، وتحديد نقاط ضعفه وقوته .

١٢ ــ اجراء الحشد بطريقة مخادعة وفي رابعة النهار . ويذكــر اريك رولو ان القوات المصرية كانت تتحرك نحو القناة في وضح النهار ثم تترك عند خط الهجوم جزءا من جنودها ووسائطها وتعود بجزء فقط لتعطي العدو انطباعا بأن جميع القوات التي تحركت نحو القناة قد عادت بالفعل الى مواقعها الاصلية(١٥) .

١٣ ــ نقل الجسور بقطع متفرقة ليلا ، واخفاؤها قرب مناطق العبور على الشاطىء الغربي للقناة .

١٤ ــ تبديل مواقع بطاريات الصواريخ أرض ــ جو في ليلة ٥ ــ ٦ بعد ان قام العدو بطلعات استطلاع جوية في يوم ٥ تشرين الاول . واعتقدت القيادة المصرية ان من المحتمل أن يكون هذا الاستطلاع قد كشف مواقع البطاريات .

١٥ ــ التصرف على جبهة القتال بشكل عادي لا يستثير انتباه رصاد العدو . ولقد كشف اللواء سعد مأمون مساعد وزير الحربية المصري النقاب عن ان القوات المصرية استخدمت ٦٥ خدعة لصرف انظار الاسرائيليين عن حشود مصر ومنها « جعل الجنود يسبحون في قناة السويس كما هي العادة كل يوم ، والتأكد من عــدم ارتداء الجنود لخوذاتهم حتى لحظة بدء المعركة »(١٦) .

١٦ ــ اختيار لحظة بدء الهجوم عند آخر ضوء ، ثم تعديل هذا الاختيار كما رأينا وتقديمها الى الساعة الثانية بعد الظهر بدلا من القيام بالهجوم عند أول ضوء او في ساعات الصباح الاولى كما تنص جميع انظمة الخدمة في الميدان . ويبدو أن هذا الاختيار قد خفف من يقظة العدو الى حد بعيد ، لان جنوده الذين أنذروا قبل فترة طويلة ، ومكثوا طوال ساعات الصباح ينتظرون الهجوم العربي ، تهاونوا بعد الظهر ، وانخفض مستوى حذرهم على اعتبار ان القوات العربية لا تهاجم الا مع أول ضوء .

١٧ ــ استخدام الاسلحة المضادة للدبابات (قاذفات الصواريخ ربج ــ ٧) بكثافة عالية داخل قطعات المشاة ، واستخدام مجموعات كبيرة من وحدات الصواريخ الموجهة

المضادة للدبابات والمحمولة على عربات مصفحة . ويذكر زئيف شيف في هذا المجال « ان اكبر المفاجآت في المجال التكتيكي والتقني في حرب يوم الغفران كانت دون أدنى شك الاسلحة المضادة للدبابات التي يملكها العدو . أو بشكل أدق : بأيدي مشاته ... والامر المذهل بصورة خاصة كان كميات الاسلحة هذه ، والكميات التي كانت بأيدي سلاح المشاة المصري بشكل خاص . ومن الواضح ان هذه غلطة فادحة عندما لا يعلم أحد الاطراف بأن عدوه قد أدخل الى وحداته قواذف « ربج ـ ٧ » بمعدل ٣ قواذف بدلا من قاذف واحد لكل جماعة . وينطبق القول نفسه عندما لا تعرف كميات الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات في وحدات المشاة العادية »(١٧).

١٨ ـ الاستطلاع الجيد : قام المصريون خلال مرحلة الاعداد للهجوم بعمليات استطلاع طويلة شملت خط بارليف ، وأعماق سيناء ، وقناة السويس نفسها . وكانت الغاية من هذه العمليات معرفة نقاط ضعف العدو ، ومحاور تحركاته المحتملة، وأسلوبه في حماية قناة السويس . ولقد اشتركت في الاستطلاع التكتيكي وحدات من الضفادع البشرية ووحدات صاعقة على حين قامت بالاستطلاع الاستراتيجي في عمق الارض المحتلة وحدات الاستطلاع الجوي المزودة بأجهزة كشف متقدمة ، واجهزة تصوير بالاشعة تحت الحمراء . ولقد استمر الرصد الاستراتيجي بطائرات ميغ ـ ٢١ حتى اللحظات الاخيرة ، وكانت آخر طلعاته تستهدف كشف تحركات العدو ، والتبديلات التي يحتمل ان يكون قد أدخلها على ترتيبه الدفاعي في الساعات الاخيرة .

وهكذا اجتمعت هذه العوامل كلها مع العوامل النفسية التي سنأتي على ذكرها ، وتحققت المفاجأة بزمان المعركة . كما تحققت الى حد ما بنوع السلاح ، **ولكن المفاجأة الاكبر كانت في الاساليب الجديدة لاستخدام السلاح ، والتطور الكبير الذي أصاب المقاتل العربي ، وتمثل في ارتفاع معنوياته ، وتنامي روحه الصدامية وقدراته القتالية في الهجوم والدفاع ، وقدرته الكاملة على استخدام الاسلحة والمعدات المعقدة بكفاءة جيدة ، ومهارته في تخطيط المعركة بشكل منهجي لا يخلو من الابداع** . ويذكر زئيف شيف انطباعه حول هذه المفاجأة النوعية بقوله « لقد ظننا أن الدبابة تلقي الرعب دائما في سلاح المشاة المواجه لها ، وكانت المفاجأة ان رأينا المصريين يجرؤون على مهاجمة الدبابات... وفجأة اتضح لنا ، كما قال أحد الزعماء الاسرائيليين ، ان فلاحي وادي النيل غدوا صيادي دبابات »(١٨). ولقد عبر ايريك شارون عن المفاجأة التي أصابته في اليوم الاول بأن صرح في حديث مع مراسل الاذاعة بتاريخ ٧ تشرين الاول « لقد فوجئت فعلا بالقدرة العسكرية المصرية . بصراحة لم أكن انتظر أن ينجحوا في عبور القناة » .

ولم تقتصر المفاجأة على القيادات العسكرية والسياسية ، بل شملت المجتمع الاسرائيلي كله ، وكان أثرها داخل المجتمع عنيفا مدمرا لان الانسان الاسرائيلي لم يعد مسبقا لتلقي الصدمة ولم يعبأ نفسيا كما عبىء في الحروب السابقة ، ولم تعمل السلطات الاسرائيلية على رفع التوتر النفسي داخل المجتمع كما فعلت في الاسابيع الثلاثة التي سبقت حرب ١٩٦٧ عندما كانت الاهداف الاسرائيلية الحيوية على مرمى المدفعية العربية . ويذكر مراسل لوموند في اسرائيل الحالة النفسية التي سادت الرأي العام في مساء يوم ٥ تشرين الاول ، عندما اتخذت القيادة الاسرائيلية بعض التدابير الخاصة بتعبئة القوات الاحتياطية عشية يوم الغفران فيقول : « لقد تساءل المواطنون الاسرائيليون : لماذا الغيت اجازات أبنائنا وبناتنا في مثل هذا اليوم ؟ ان قيام الجيش باتخاذ مثل هذا التدبير في يوم الغفران يعني ان هناك أسبابا جدية جدا . ولكن ما هي ؟ هل هي التهديدات السورية ؟ انها لا تبرر اتخاذ تدابير مفرطة . هل هي تحركات المصريين على طول القناة ؟ ان من المتعذر أخذ هذا الامر مأخذ الجد . اننا نعرف جيدا

ان المصريين غير مستعدين للاندفاع في مغامرة عسكرية »(١٩) ولم يكن الاسرائيليون قادرين على اعطاء الاجوبة لهذه الاسئلة التي بقيت معلقة على الشفاه . وعندما اندلعت الحرب في اليوم التالي ، وجاءت الانباء مغايرة للتوقعات ، **ظهر الشرخ داخل مجتمع العدو ، وكان شرخا خطيرا لانه أصاب قناعات وجدانية عميقة .**

جذور المفاجأة :

ان من التبسيط المفرط للامور الاعتقاد بأن التدابير التي اتخذتهـا القيادات العربية السياسية والاستراتيجية والميدانية كانت وحدها السبب في تحقيق مفاجأة ضخمة بهذا الحجم ، ضد عدو متحفز متعسكر كاسرائيل . ولقد أجمع المراقبون والمحللون في داخل الارض المحتلة وخارجها على **ان العامل الاول الذي ساعد العرب على تحقيق المفاجأة هو : المناخ النفسي الذي ساد اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ وتمثل بالغرور المفرط ، والثقة المطلقة بالنفس ، والتهاون الكامل بالعرب ، والاعتماد على عاملي القوة والزمن اللذين يعملان لمصلحة اسرائيل وحدها .**

والحقيقة ان انتصار ١٩٦٧ السهل الذي فاجأ الاسرائيليين انفسهم ، ووقوف القوات المسلحة الاسرائيلية عند حدود جيدة بعيدة عـن المناطق الحيوية ، وتوقف حـرب الاستنزاف في عام ١٩٧٠ ، وتناقص حدة عمليات الثورة الفلسطينية بعد التصفية المادية لقواعدها في الاردن (١٩٧٠ — ١٩٧١) ، وهبوط الزخم الثوري في غزة (١٩٧٢) ، وخروج السوفيات من مصر (١٩٧٢) ، والنجاح في عمليـات الردع والانتقام خارج الحدود الاسرائيلية ، وجمود حالة اللاحرب واللاسلم مدة ثلاث سنوات رغم التهديدات العربية باستعادة الاراضي المحتلة بالقوة ، واستمرار الاحتلال الاسرائيلـي مدة ست سنوات ، وعدم ظهور اية بادرة جدية للتعاون العـربي ، وتضاؤل اهتمام العـالم بالصراع العربي — الاسرائيلي الذي لم يعد يشكل بؤرة انفجار خطـرة وخاصة بعد سياسة الوفاق الاميركية — السوفياتية ، ووقوف الولايات المتحدة الى جانب اسرائيل القادرة على حماية المصالح الاميركية في الوطن العربي والشرق الاوسط كله ، والدعم الاميركي المطلق لتل أبيب في مجالات التسليح والاقتصاد والدبلوماسية ، كانت عبارة عن العوامل التي خلقت الانطباع بأن اسرائيل « القوية » قادرة على حماية أمنها وتكريس واقع « اللاحرب واللاسلم » الى أمد بعيد ، واستغلال عامـل الزمن الذي يعمـل لصالحها ، حتى يخضع العرب للسلم اليهودي ، ويقبلوا الجلوس الى طاولة المفاوضات والمسدس مصوب الى رؤوسهم .

وقبل الحرب بشهر واحد ذكر هلبروك في مجلة American Foreign Policy حديثا نقلته صحيفة لوموند قال فيه : « لم تكن اسرائيل من قبل خلال تاريخها المضطرب تحس بالامن والتفوق العسكري مثلما هي عليه اليوم . وبعد ست سنوات من حرب الايام الستة تبدو الحرب بين اسرائيل وجيرانها أقل احتمالا مما كانت عليه في أيـة لحظة من ماضيها »(٢٠) .

ووسط هذا الجو سيطر الجنرالات المكللون بأكاليل الغار على مقدرات البلاد ، **ونقلوا مفاهيمهم وأساليبهم الى الحكومة** ، وأصبح الامن محور كل نشاطات الحكومة . وظهر مفهوم « الحدود الامنة » لتبرير الاحتفاظ بالاراضي العربيـة وعرقلة الجهود السلمية **حتى لو قبل العرب بالمفاوضات المباشرة ووقعوا اتفاقية سلام مقابل الارض.** ولقد هاجم البروفيسور يعقوب تلمون هذه السياسة الهروبية أمام احتمالات السلام ، وقال في مقال « حساب النفس » : « هل كان الناطقون باسمنا متبجحين ، وعميانا ، وجهلة ؟ كلا . لقد أرادوا من العالم أن يمنحنا مهلة ، ويصرف نظره عنا ، ويسمح لنا بخلق الحقائق ،

وبوضع العرب والولايات المتحدة والعالم أمام حقائق جديدة » ... « كلما كانت الرغبة في الضم تزداد ، كان علينا اكثر فأكثر ان نؤمن بأنه لا خطر من الخارج . وكلما استمرت الهدنة ، برزت احتمالات الضم . أضف الى ذلك ان الاستيطان والضم صورا بأنهما أدوات لتدعيم الامن ، وبمفهوم معين بديل للحرب وضمان ضدها »(٢١). ثم يتحدث عن المسألة الامنية **التي سيطرت على كل ما عداها من مسائل وخلقت مناخ الاطمئنان الكاذب** فيقول : « بالامكان القول أن الطمأنينة الامنية أصبحت جزءا من عقيدة صوفية ، ومبدأ أساسيا لبرنامج سياسي ، وتحولت في النهاية الى مصلحة راسخة . وقد تغذت هذه الطمأنينة بنبوءة تكامل الوطن ، وكما سبق وأشرنا ، بالغطرسة ، وبنظرية التفوق المطلق للجيش الاسرائيلي وتخلف العرب الابدي ، وبالمسلمات حول حدود الامن المثالية التي أتيحت لنا . وغذت هذه الطمأنينة من جانبها تلك المسلمات . وكانت لهذه المجموعة من الآراء نتائج بعيدة المدى ومتناقضة ظاهريا ، ومضرة حتى بتطورات الاوضاع الداخلية »(٢٢).

ويذكر دانييل بلوخ في صحيفة دافار ان الاهتمام الاسرائيلي بوثيقة غاليلي ، والتمسك بها أديا الى **تحويل الانظار عن التطورات الاساسية التي تتم في المنطقة ، كما أديا الى تصلب العالم ضد اسرائيل** . ثم يهاجم الجو العام الذي ساد مناقشة الوثيقة بقوله ان الجميع من « حمائم » و« صقور » كانوا يعتقدون « ان الامور على ما يرام من الناحية العسكرية ، وأنه لا مكان للقلق . ان الجدل الرئيسي لم يكن حول ما اذا كان بامكاننا الاستمرار بالاحتفاظ بالمناطق ، بل حول ما اذا كان هذا ملائما من الناحية السكانية والاخلاقية والسياسية »(٢٣).

ولقد دعم مخططو السياسة الامنية الجديدة ، وأصحاب فكرة الضم الزاحف خارج حدود « الخط الاخضر » أفكارهم بالحجج التالية :

ـ ان الولايات المتحدة مضطرة لدعم اسرائيل لان استراتيجيتها في المنطقة مبنية على ضرورة الاستناد الى دولة قوية تضمن مصالحها وتقف في وجه التغلغل السوفياتي .

ـ ان من الممكن مجابهة الضغوط الاميركية بضغوط معاكسة تقوم بها الصهيونية المسيطرة في الولايات المتحدة ضد رئيس يحس بالارض تميل تحت قدميه . « وان اميركا لن تخدم مصلحتها اذا هي رأت في دعمها لاسرائيل دعما لمحتاج عليه ان يدفع ثمن المساعدة بالتنازل عن استقلاله وليس انفاقا مجديا للمحافظة على المصالح الحيوية للولايات المتحدة »(٢٤).

ـ ان من الممكن الضغط على الاتحاد السوفياتي ـ وخاصة بالنسبة لمسألتي الهجرة ودعم العرب ـ اذا ما استخدم النفوذ الصهيوني في أمريكا بغية جعل واشنطن تربط الاتفاقات الاقتصادية الاميركية ـ الروسية بالموقف السياسي السوفياتي من النزاع .

ـ ان الزمن يلعب لصالح اسرائيل ، فهو يساعد على التقارب مع عرب المناطق ، ويفتت المعسكر العربي ، ويبعده عن الاتحاد السوفياتي ، ويجعل العالم يعترف بالحقائق الجديدة التي يتم خلقها في المناطق المحتلة (بناء مستعمرات خارج الخط الاخضر) . وان مرور الزمن على الاحتلال دون اطلاق نار يعتبر « تسوية جزئية » عملية(٢٥).

ـ ان من المتعذر على العرب اتباع سياسة نفطية ضاغطة على الغرب ، وعلى الولايات المتحدة بصورة خاصة .

ـ ان أزمة الطاقة موهومة ولا وجود لها ويمكن للغرب أن يستغني بسهولة عن النفط العربي ، اذا ما قطع العرب نفطهم ـ وهذا أمر بعيد الاحتمال على كل حال .

ـــ ان الاحتفاظ بالمناطق المحتلة (الضفة وسيناء والجولان) ، واسكانها بمهاجرين جدد ، يضمن لاسرائيل مساحة استراتيجية تخدم أمنها أكثر من أي سلام أو ضمانات دولية . وان « شرم الشيخ بدون سلام أفضل من السلام بدون شرم الشيخ »(٢٦) ، وان من الافضل « ان تكون سيناء تحت سيطرة اسرائيل مع طائرات أقل ، مـــن ان تكون مخازننا مليئة بطائرات الفانتوم وسيناء تحت سيطرة مصر »(٢٧) .

ـــ ان العرب مصممون على تدمير اسرائيل مهما أبدوا من رغبة في السلام ، وان التساهل معهم يدفعهم الى الجشع والمطالبة بمزيد من التنازلات التي تهدد أمن اسرائيل ووجودها ، والرد الوحيد على جنونهم هو « الضربات المتلاحقة ومزيد من الضربات » لانهم أناس « لا يفهمون سوى لغة القوة » .

ـــ ان القوة العسكرية الاسرائيلية متفوقة بشكل مطلق على القوات المسلحة العربية، نظرا لارتفاع مستواها القيادي والمعنوي والتدريبي ، وامتياز معداتها ، وضخامة قوتها النارية ، واستنادها الى خطوط مثالية على القناة ونهر الاردن ومرتفعات الجولان ، وانه « اذا لم يطرأ تحول جذري في العلاقات مع الولايات المتحدة وبميزان القوى فان اسرائيل تستطيع الصمود في موقفها الحالي على الاقل لغاية نهايـــة السبعينات »(٢٨) ، كما ان « باستطاعة اسرائيل ان تدافع عن نفسها بنفسها ضد قوى العالم العربي مجتمعة ، لاية فترة ممكنة ـــ خمس او عشرين او خمسين سنة ـــ ما دمنا لا نحرم من المعدات اللازمة لدفاعنا »(٢٩) .

ـــ ان الثغرة في المستوى العلمي والتكنولوجي بين اسرائيل والدول العربية كبيرة جدا ، وآخذة في الاتساع ، و« ان العرب متأخرون عن اسرائيل في العلوم والتكنولوجيا مائة سنة »(٣٠) ، و« ان بقاء اسرائيل ناجم الى حد بعيد عن الفجوة التكنولوجية بين اسرائيل وجاراتها . ولكي نضمن بقاءنا في المستقبل يجب الا نسمح أبدا لهذه الفجوة بأن تصبح أصغر »(٣١) .

ـــ ان الخروج من مشكلة وجود الشعب الفلسطيني لا تحل بالاعتراف به كشعب له حقوقه ، بل تحل بتجاهله ، ونفي وجوده ، والمطالبة باندماجه داخل المجتمعات العربية المحيطة باسرائيل .

ـــ ان السياسة الامنية الجديدة حققت الهدوء على الحدود وفي الداخل ، وسمحت بتخفيض مدة الخدمة العسكرية وتخفيض مصروفات الامن والدفاع .

ولقد لاقت هذه الافكار معارضة داخل اسرائيل ، وهوجمت سياسة الاستيطان وراء « الخط الاخضر » ، كما انتقدت سياسة الغطرسة وعرض العضلات واستفزاز العرب والاستهتار بالعالم ، والاختفاء خلف « لاءات الخرطوم الثلاث » لعرقلة أي مسعى سلمي تقوم به الامم المتحدة أو أصدقاء اسرائيل في أوروبا وأفريقيا . وكانت حجج المعارضين تقول بأن هذه السياسة تستفز المسلمين الراغبين في تحرير القدس ، كما تستفز دول العالم كله . وان الولايات المتحدة والدول الصناعية بصورة عامة حساسة ازاء أزمة الطاقة التي تتطور بسرعة ، وان الضغط على العرب والاستهانة بمشاعرهم سيدفعانهم الى الوحدة وتقوية الذات لاسترداد الكرامة والارض ، وان ضم عرب المناطق سيضيف الى دولة اسرائيل شعبا معاديا يتزايد بسرعة بالغة ويشكل لغما قابلا للانفجار في كل لحظة ، وان تجاهل الشعب الفلسطيني لا ينفي وجوده بل يحفزه على متابعة النضال والتمسك بهويته، وان الدعم الاميركي المطلق لا يمكن أن يستمر اذا ما تعارضت المصالح الوطنية بشكل جذري مع مصالح اسرائيل ، وان الزمن يلعب لصالح العرب كما يلعب لصالح اسرائيل خاصة وان العرب مقدمون على امتلاك ثروة كبيرة يمكنهم تسخيرها

للتقدم وردم الهوة التكنولوجية والعلمية القائمة حاليا بشكل يحرم اسرائيل من أهم عوامل تفوقها العسكري على العرب ، وان الاحتفاظ بالمناطق والحدود الآمنة لا يضمن الامن في ظروف الحرب الحديثة والاسلحة المتطورة بعيدة المدى ، ولكنه يشكل على العكس دافعا لاندلاع حروب جديدة لا تنتهي .

ولكن هذه الانتقادات لم تلق أذنا صاغية ، وبقي تأثير الجنرالات واسعا ، وتابع الثلاثي مائير — غاليلي — دايان رسم خططهم العدوانية **متجاهلين مسار التطورات المحلية والعالمية** . ولقد أجاد يهوشفاط هركابي في تصوير خلفيات السياسة الاسرائيلية بقوله : « بعد حرب الايام الستة تولد في اسرائيل انطباع خاطىء ، وكأنه بدأت فترة جديدة يكون الصراع السياسي فيها بين الاطراف بمثابة مساومة على شروط تسوية النزاع وشروط التسوية السياسية ، وكان السجال في الواقع مباراة حول من ستلقى عليه مسؤولية استمرار النزاع ومن سيندد به بسببه »(٣٢) . وكان من الطبيعي ان ينجم عن هذه الخلفية ، وعن السياسة التي جسدتها وضع نفسي عام وصفه الجنرال أندريه بوفر بقوله : « عانت اسرائيل من داء ، هو داء طبيعي عانينا منه جميعا غداة الحرب العالمية الثانية ، وهو داء المنتصرين الذين يظنون ان الاقدار في صفهم ، وان كل شيء قد أصبح ميسرا لهم » ... « وقد ارتاح الاسرائيليون الى هذا الشعور فلم يحسنوا التمييز بين الوضع الحالي والوضع السابق »(٣٣) . **في هذا الوضع « المرضي » ، وبسبب هذا الوضع بالذات فوجيء الاسرائيليون — قيادة وشعبا — وهم في سراويلهم الداخلية .**

المسؤولية !

يقول المثل الفرنسي « الهزيمة يتيمة ولكن النصر له الف أب » . ولكن الشعب الاسرائيلي الذي دفن قتلاه الذين فاق عددهم كل تصوراته ، وبدأ يضمد جراحه النازفة اخذ يبحث خلال الحرب وبعد وقف القتال عن أب لهزيمة التدابير الامنية التي أدت الى وقوع المفاجأة . وأشارت أصابع الاتهام منذ البداية الى ثلاثة اتجاهات : دايان وهيئة أركانه ، الاستخبارات ، الدولة ككل . وتشكلت لجنة « أجرانات » لتحديد الخطأ والمسؤولية .

ولقد بدأ وزير خارجية العدو أبا ايبان الهجوم على دايان غداة اندلاع الحرب ، وأعلن في لوس انجلوس « ان دايان يتحمل مسؤولية فشل اسرائيل في سيناء ، واننا كنا نعيش في وهم الدولة القوية منذ عام ١٩٦٧ » . وما ان وضعت الحرب أوزارها حتى توالت الانتقادات الموجهة الى وزير الدفاع ، وكتب البروفيسور آمنون روبنشتاين عميد كلية الحقوق في جامعة تل أبيب : « ان وزير الدفاع يتحمل مسؤولية كبيرة عن اكبر فشل عرفته اسرائيل في تاريخها . ان كلمة تقصير — كلمة مخيفة ولا معنى لها — لا تلخص فشله . والكلمة الملائمة اكثر هي اهمال كبير ، فلقد أهمل المهمة التي كلف بها : تحمل مسؤولية أمن اسرائيل . لقد أهمل الجيش ولم يهتم بمشكلاته الحيوية . ان كل تنبؤاته المتكررة لم تنفعه وقت الضيق . وعلى العكس فقد أخطأ بصورة مستمرة ، وأدى خطؤه الاساسي — اعوام طويلة من الهدوء في الاوضاع العامة — الى تنويم الجيش والدولة بكاملها . انه لم يعد نفسه ولم يجهز الجيش للحرب . اما الثمن الذي دفعناه مقابل هذا الخطأ فهو اكبر من ان نستطيع وصفه »(٣٤) .

ولقد انبرى دايان للدفاع عن نفسه وتخفيف حجم الخطأ الذي ارتكبه في اليوم الرابع للحرب ، عندما صرح أمام رؤساء تحرير الصحف الاسرائيلية : « هناك أمر واحد مؤكد لم يتم كما كنت أعتقد : قدرتنا على وقف بناء الجسور على القناة . كانت لنا نظرية حول هذا الامر . ولعلي أقول ان نظريتي كانت تتمثل في أنهم سيضطرون الى العمل ليلة كاملة لاقامة جسور . ونستطيع منعهم بواسطة مدرعاتنا . واتضح انه بمساعدة جميع

المعدات التي يملكونها ، وفي الاساس السلاح الفردي ضد الدبابات الذي يعمل على مدى ثلاثة كيلومترات ، والذي يستخدمه آلاف الجنود ، وقد أصيب معظم دباباتنا بهذا الصاروخ الذي يطلقه مصري واحد ، وكانوا متمركزين وراء الحاجز الترابي ولم يتيحوا لدباباتنا المرور ، اتضح من كل هذا ان الامر ليس سهلا ، وقد يكلفنا الاقتراب بالدبابات من القناة لمنع اقامة الجسور ، ثمنا باهظا . قبل ان يتم هذا العمل كنا نفكر في طريقة واحدة ، وفي اثناء العمل اتضح ان الامر يختلف »(٢٥).

ثم أعلن دايان في محاضرة ألقاها في تل أبيب « انني كوزير دفاع لم أقوّم فعالية القدرة القتالية عند العرب ، على الرغم من معرفتي بنوعية الاسلحة التي يملكونها وكميتها والجسور التي جهزت لعبور القناة . ان انواع الاسلحة التي استخدمها العرب في القتال ، هي التي كونت فعاليتهم التي فاقت ما كنت قد قدرته على اساس المعطيات الاستخبارية وما كان لدينا من أرقام » ... « صحيح اننا لم نتوقع سلفا ، قبل اسبوع أو أسبوعين من يوم الغفران ، أن يشن العرب هجوما كبيرا علينا. ولكن شاهدنا الغيوم المتجمعة ، وزدنا القوات المدرعة في الجبهتين الشمالية والجنوبية ، بأحجام ، قدرت سلفا — أنا والجيش — بأنها لازمة للصمود حتى يتم تجنيد الاحتياط في جبهة القناة وهضبة الجولان . وافترضنا أن بامكان هذه القوات صد الهجوم العربي حتى تجنيد الاحتياط »(٢٦).

ولم يتوقف دايان أبدا عن محاولة تبرئة نفسه ، والدفاع عن تدابيره الامنية ، والخطط التي جابه بها خطر الحشود العربية ، وتوجيه الاتهامات للقادة المنفذين . ولقد قال في هذا المجال : « صدر امر الاستعداد قبل يوم الغفران — قبله بكثير . هذه مشكلة تنفيذ وليست مشكلة تقييم »(٢٧). وعندما سئل عن تجنيد الاحتياط أفاد : « تم تجنيد الاحتياط في اللحظة التي حصل فيها المسؤولون على معلومات بأن الحرب ستنشب ، لا قبل ذلك. لانهم لم يفترضوا بأن الحرب ستنشب »(٢٨). وتتناقض هذه الاقوال بعضها مع بعض ، وتكذب تصريح وزير الدفاع في يوم ٧٤/٢/٢٨ عندما خطب في مدافن جبل هرتسل في القدس بمناسبة مراسم ذكرى الجندي المجهول ، وقال أمام ٢٠ الفا من عائلات القتلى : « أيها العائلات الثكلى ، ان حرب يوم الغفران كانت أصعب حرب خاضتها دولتنا . وقد فوجئنا بهذه الحرب وهوجمنا بقوات هائلة »(٢٩). كما تكذب كل ما قيل في اسرائيل وفي الصحافة الغربية من ان اسرائيل فوجئت تماما بالهجوم . وهي تؤكد في الوقت نفسه **ان القيادة العسكرية الاسرائيلية فوجئت بطبيعة الهجوم المصري — السوري ، وحجمه، وأهدافه ، وامكانات القوات القائمة به ، أكثر من أن تفاجأ بالعملية الهجومية التي علمت بها في وقت متأخر ، فلم تصدق ان العرب يجرأون على شنها ، ولما تأكدت من جدية الامر اتخذت التدابير اللازمة بشكل متأخر .**

ومن الواضح هنا ان الامر الذي لم يثبت في الامتحان هو تقييم دايان وهيئة أركانه لقدرة الخصم ، ولقدرة القوات الاسرائيلية على صد الهجوم والرد عليه ، الامر الذي يعني ان دايان وقيادته **فوجئا جزئيا بالزمان ولكنهما فوجئا بشكل أكبر بطبيعة المهاجمين وأساليب قتالهم ومستوى تدريبهم . وكانت المفاجأة في هذا المجال كبيرة الى الحد الذي جعل أنعكاساتها استراتيجية لا تكتيكية ، وعرضت أمن اسرائيل كله للخطر .**

ويلقي زئيف شيف عبء المسؤولية على عاتق الاستخبارات التي عجزت عن فهم التحولات الجذرية داخل المعسكر العربي فيقول في « هآرتس » : « من الممكن جدا أن يكون الخطأ في تقويم الاستخبارات الاسرائيلية عشية حرب يوم الغفران ، ناجما عن استنتاج خاطىء بأن المصريين ما زالوا في الوضع الذي تركناهم عليه في نهاية حرب الاستنزاف ، أي غير مستعدين لحرب شاملة خوفا من أن يهزمهم سلاح الجو

الاسرائيلي . اعتقدنا ان المصريين لن يهاجموا لخوفهم من حـــرب شاملة ، على حين توصل السوريون والمصريون الى استنتاج انهم لن يحققوا أهدافهم في حرب محدودة ، ولذلك كان من الافضل لهم تحدي سلاح الجو الاسرائيلي »(٤٠). وكان زئيف شيف قد اتهم الاستخبارات في يوم ٦٧/٦/١١ ، يوم انتهت حرب الايام الستة . ان المفاجأة في علاقات القوى، ومستوى جندي المشاة المصري ، والفعالية المدمرة للسلاح المضاد للدبابات الموجود لدى سلاح المشاة ، لا تحدث فجأة بين رأس السنة ويوم الغفران . ان مثل هذه المفاجأة يمكن ان تحدث فقط نتيجة خطأ استمر زمنا طويلا »(٤١).

ولا ينسى زئيف شيف توجيه النقد نحو الفكرة التي شاعت في اسرائيل حول قدرة الجندي العربي على القتال، ويقول بأن الاسرائيليين ينسون ان العربي «حارب أكثر من مرة كما ينبغي »(٤٢). ويؤكد بعد ذلك على المفاجأة التي تحققت على صعيد تقدير الامكانات القتالية للقائد والمقاتل العربي بقوله « لقد لاحظنا تحسنا لدى المقاتل العربي في عـــدة امور . فقد أعطت المخططات الميدانية انطباعا بأنها جيدة واكثر تكاملا مع أنها اتخذت طابعا منهجيا متزمتا . ولوحظ لدى القوات اعداد اكثر عمقا ، ولوحظت التدريبـــات العديدة التي اجتازتها . واقتحمت ـــ هذه القوات ـــ مجالات لم تمارسها من قبل كالقتال الليلي ، واستخدام الدروع باعداد كبيرة في ساعات الظلام . ولم يعد الليل مجالا يخص المقاتل الاسرائيلي وحده » ... « هكذا كان بالامكان ان نلاحظ ان سيطرة العـــرب التقنية على الاسلحة والوسائل التي يمتلكونها أفضل من الماضي ، ابتداء بالصواريخ على أنواعها وانتهاء باستخدام وسائل اخرى . وكانت الروح القتالية أفضل حتى انهـــم اظهروا روح التضحية في عدة حالات »(٤٣).

ولقد هاجم رئيس الاركان دافيد اليعازار الاستخبارات في مقابلة تلفزيونية قال فيها « في هذه المرة كان الانذار قصيرا جدا وغير كاف »(٤٤)، ولكن شبتاي طيفت يرد عليه في هآرتس بقوله « ان جهاز الاستخبارات ما هو الا شريك ، ونظريا شريك صغير ، فـــي التقدير السياسي للوضع الامني . ذلك انه في البحث حول معلومات جهاز الاستخبارات واستنتاجاته تشترك القيادة العامة، ورئيس الاركان، ووزير الدفاع، ورئيس الحكومة، وبعض الوزراء ، واحيانا الحكومة كلها » ... « ان الدولة كلها ، الاحزاب ، اجهزة الاتصال ، ورجال الفكر على انواعهم يشتركون في تقدير الوضع السياسي ، كلنا بـــلا استثناء عرفنا انه منذ عدة سنين يعلن السادات ويقول بأنه سيشن حربا لاعادة المناطق التي اخذت بالقوة ، ومنذ سنين يقوم الاتحاد السوفياتي بتزويد مصر وسورية بأسلحة متطورة وبكميات كبيرة . ومنذ سنين يتدرب الجيش المصري على العبور »(٤٥). ثم ينتقل شبتاي طيفت الى تحديد المسؤولية واتهام وزير الدفاع ورئيس اركانه فيقول: «ان السبب ليس أنهم لم يقدروا المعلومات والحقائق تقديرا صحيحا ، بل لانهم اعتقدوا بأنها قليلة الاهمية بالنسبة لقوة جيش الدفاع الاسرائيلي الجبارة . وهكذا فكلهم بمن فيهم رئيسة الوزراء ووزير الدفاع اعتقدوا ان بدء الحرب من جانب العرب سيكون كـــارثة لهم (للعرب) وعملا جنونيا ، اذ لم يكن لدى أي رجل في اسرائيل شك في ان جيش الدفاع الاسرائيلي يستطيع ان يهزم العرب بأصبع واحد »... « ليس صحيحا اذن ان نقول ان جهاز الاستخبارات قد تلقى ضربة لانه لم ينذر في الوقت المناسب . فمن جانبه حصل على معلومات تعتبر انذارات كثيرة . الجميع يعرف الان بأنه لم يكن هناك نقص فـــي الانذارات ومن جميع الاطراف » ... « حقيقة ما حدث هو أن رئيس الاركان ووزير الدفاع اعتقدا ان القوة النظامية وحدها تستطيع صد هجوم عربي او على الاقل ايقافه. وان بمقدورها ان توفر وقتا كافيا لتعبئة الاحتياط . وان كان « الانذار قصيرا جدا وغير

كاف » فقد كان هذا على الاكثر نتيجة لعدم مقدرة القوات النظامية على تحقيق الامال التي علقت عليها . واليوم نعرف ان ذلك كان بسبب الثقة المفرطة بالنفس ، والارتياح الذي سببته هذه الثقة »(٤٦).

ويؤكد حاييم بارليف على الفرق بين المعلومات والتحليل في مقابلة خاصة مع دوف جولدشتان ، قال فيها ردا على سؤال عن سبب المفاجأة التي تعرض لهـــا الجيش الاسرائيلي في مطلع الحرب « اولا اريد أن أقول لك ، ان من الضروري في الاستخبارات التمييز بشكل واضح بين المعلومات التي تتدفق ، والتقدير المنبثق عن هذه المعلومات . أقول لك مع كامل المسؤولية بأننا قد عرفنا بتأهب مصر وسورية للقيام ضدنا بحرب ، والمعلومات عن ذلك كانت متوفرة لدينا بكثرة ، انا يقظ لذلك ، ان بين الجماهير اناسا كثيرين يعتقدون بأن هذه الحرب قد سقطت على الاستخبارات بصورة مفاجئة . وانه لم تكن لدينا أية معلومات عن نوايا جيشي مصر وسورية الحربية . هـــذا ليس صحيحـــا اطلاقا . كانت معلومات كافية تشير الى نية كهذه » ... « ان كل مكاسب السوريين والمصريين في المرحلة الاولى ناجمة عن عدم الانذار الكافي والمفاجأة »(٤٧). ويعود بارليف الى تأكيد هذه الافكار في مقال نشره في صحيفة معاريف تحت عنوان « العبرة مـــن الحرب » ووصف فيه الوضع الذي عاشه الجيش الاسرائيلي خلال الايام الاولى مـــن الحرب الرابعة **بأنه وضع « تعيس »** . ثم قال في تفسير ذلك « ومن الجدير ان نشير الى أن ما أدى الى هذا الوضع ليس عدم وجود معلومات موثوقة . فقد كان بين يدي جيش الدفاع الاسرائيلي كل المعلومات حول قوة العدو ، استعداده ، والوسائل الجديدة التي يمتلكها . أما الخطأ فكان في تقييم المعلومات الموجودة لدى الاستخبارات وليس في انعدام المعلومات الدقيقة والموثوقة » ... « ان نجاحات العدو المفاجئة سواء فـــي سيناء او في هضبة الجولان ، لم تنبع على كل حال من انعدام المعلومات ، او من وجود مفهوم عملياتي غير صحيح لدى جيش الدفاع الاسرائيلي ، او من خطأ في تقدير وتقييم نسبة القوى ، أو من استخدام اسلحة غير معروفة ، او من قدرات غير متوقعة لجيوش مصر وسورية . لقد نجمت هذه النجاحات من حقيقة كون نظام الدفاع لجيش الدفـــاع الاسرائيلي لم يكن في الساعة المصيرية لبداية الحرب بكامل الاستعداد الـــذي يتطلبه خطر حرب شاملة »(٤٨).

ولا تصمد اقوال بارليف أمام المحاكمة السليمة ـــ تماما كما لم يصمد خطه المحصن أمام الضربات الصحيحة ـــ فهي مليئة بالتناقض الداخلي . انه يقول بأن سبب المفاجأة هو أن نظام الدفاع لم يكن بكامل استعداده . ولكنه لا يعلمنا لماذا لم يكن هذا النظـــام بكامل استعداده . انه لم يكن كذلك ـــ وهذا ما يعرفه بارليف جيدا ـــ ناجم عن سوء المفهوم العملياتي ، وعن سوء تقدير القيمة القتالية للقوات والاسلحة العربية ، وعـــن سوء تقدير القيمة القتالية لجهاز الدفاع الاسرائيلي والقوات النظامية الاسرائيلية، وعدم تقييم قدرتها الحقيقية على الصد والرد ريثما يتم جمع الاحتياط اللازم لخوض الحرب الشاملة ، وفق المفهوم الاستراتيجي الاسرائيلي الذي يدافع بارليف عنه . **أن عـــدم الاستعداد ناجم عن الاعتقاد بأن الاستعداد الموجود كاف** وهذا الاعتقاد الذي لم يصمد للاختبار يؤكد أن المعطيات التي استند اليها لم تكن صحيحة . اي أن تقييـــم نسبـــة القوى ، ومعرفة قدرات الجيوش العربية ، وتقييم قدرات القوات النظاميـــة علـــى الجبهتين كانت كلها خاطئة ـــ على عكس ما يدعي ـــ الامر الذي جعل الاستنتاجـــات التي بني عليها (المفهوم الامني) غير صحيحة بدليل اندحار القوة النظامية امام الهجوم العربي ، رغم الاعتقاد بأنها قادرة على صده ، وعدم تمكن هذه القوة من اعطاء الاحتياط الوقت الكافي للحشد والانتشار وشن الهجوم المضاد . **أن النتائج الخاطئة لا تنجم الا عن**

مقدمات خاطئة . ولا يمكن اتهام النتائج واعطاء البراءة للمقدمات الا من قبل شخص مثل باراليف غارق حتى الاذنين في صياغة هذه المقدمات .

ويرد رفل بنكلر على ادعاءات باراليف بمعرفة امكانات القوات العربية مسبقا ، فيقول في صحيفة « عل همشمار » بأن الخطأ جاء من سوء تقدير قيمة الجندي العربي والقوات العربية « بالنسبة للقائد كما بالنسبة لاصغر جندي تقف صورة الجندي المصري على غرار ١٩٦٧ (ليس الجندي المصري الذي كان في جرادي وأم قطف بل الجندي الذي ترك حذاءه وهرب) وليس صورة الجندي المصري الذي كان في عام ١٩٤٨ (هذا الجندي الذي كان في المرتفع ٦٩ وفي الحولقات والعوجة) كنا واثقين أن رجل مدرعاتنا أفضل واكثر فاعلية من رجل مدرعات العدو ، وان طيارنا أفضل بلا مقارنة من الطيار المصري والسوري ، ونسينا أن الصواريخ المضادة للطائرات قد تعرقل عمله . لم نقدر تقديرات صحيحة النوعية الجديدة الكامنة في الكمية الكبيرة . لقد نسينا ان لقوة الدفع الجماعية نوعية خاصة بها »(٤٩) .

ويذكر رفل بنكلر ان السؤال الاساسي الذي جابهه الجنود والمدنيون في الجبهة وفي الداخل هو : « أين كانت الاستخبارات ؟ تعودنا على أن استخباراتنا هي من بين أفضل الاستخبارات في العالم . اذن ماذا حدث وحال دون ان تنقل الينا هذه الاستخبارات معلومات كاملة عن موعد البدء في الحرب ؟ وكانوا قد اسكتونا دائما بقولهم : بعد ساعات من بدء السادات التفكير بالحرب فاننا سوف نعرف ذلك . سوف نعرف حتى قبل أن تعطى تعليمات باعداد القوات (قبل اوامر التحرك) الى الوحدات . هل كان هذا أقصى حد من التبجح ؟ لماذا لم نكن مستعدين للحرب ؟ لماذا لم نكن مطلعين على خطر الصواريخ المضادة للدبابات التي يحملها الافراد ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ »(٥٠) . ويرد بنكلر على هذه التساؤلات بأن الاستخبارات علمت وأعلمت ، ولكن تقييم المعلومات كان خاطئا لان التقييم يتم من قبل بشر يخضعون لافكار قديمة ومفاهيم مسبقة . ولكن الا يحتمل أن يكون السبب كامنا في انشغال الاستخبارات بملاحقة عمليات الفدائيين داخل الارض المحتلة وخارجها ، وانشغال المسؤولين بالمشاكل السياسية الناجمة عن حرب اليهود ، وغرقهم في الهدوء والسعادة الزائفة التي جاءت كنتيجة لنصر عام ١٩٦٧؟ ولهذا كله « أعطت الاستخبارات معقولية منخفضة جدا للحرب »(٥١) . ولكن اذا كانت الاستخبارات العسكرية (الموديعين) قد وقعت في مثل هذا الخطأ الفادح فلماذا لم تصحح أجهزة الاستخبارات الاخرى (الموساد مثلا) هذا الخطأ ؟ ولماذا لم تقدم المعلومات والاستنتاجات الصحيحة ؟ ان الاجابة على ذلك هو أن المناخ النفسي والافكار المسبقة التي سيطرت على « الموديعين » سيطرت في الوقت نفسه على « الموساد » وعلى غيرها من المؤسسات الامنية . وعندما كانت بعض التحليلات تتعارض مع هذا المناخ النفسي كان الاخرون يتهمون اصحابها بالانهزامية والمبالغة ، ويردون عليهم بأن بوسع اسرائيل ان تربح الحرب بلوائين احتياطيين فقط(٥٢) .

ويدافع الجنرال (احتياط) حاييم هيرتسوغ عن الاستخبارات من زاوية نظر اخرى، ويلقي العبء كله على عدم وجود هيئة عليا للامن القومي على غرار مجلس الامن القومي في الولايات المتحدة . وهو يرى ان الاستخبارات غير مسؤولة « فمسؤولية التقدير هي في نهاية الامر مشتركة بين أعلى المراتب العسكرية والسياسية في الدولة »(٥٣) . ولقد وجه هيرتسوغ النقد الى ان عددا من كبار العسكريين (غالبا رئيس الاركان ورئيس شعبة الاستخبارات) كانوا يحضرون بصورة شبه دائمة في اجتماعات الحكومة « وتحول هؤلاء الضباط الى مقدمي تقارير دائمين في لجنة الخارجية والامن في الكنيست »(٥٤) . وأشار الى ان بن غوريون كان يرفض الاعتماد على مصدر استخبارات

واحد « فقد كان يعتقد ان قائد الدولة لا يستطيع الاعتماد على مصدر استخبارات واحد ، لانه مضطر في نهاية الامر الى اتخاذ القرار الحاسم بنفسه ، ولذلك يستحسن ان تكون لديه آراء مختلفة والا يؤمن ايمانا أعمى بأية جهة »(٥٥).

ومهما كانت فداحة خطأ الاستخبارات والقيادة العسكرية ووزير الدفاع ، فان من المستحيل فهم وقوع خطأ كبير بهذا الحجم دون البحث عن مسؤولية الحكومة بل والنظام بكل مؤسساته . ولا يتعلق التقصير هنا في البحث عن المعلومات او تفسيرها ، ولكنه يتعلق أساسا بالجو السياسي الذي خلقته الحكومة داخل البلاد ، والامان الزائف الذي أقنعت الجماهير ونفسها بوجوده ، والتصرف وسط هذا الجو بشكل تجاهل التحولات التي شهدتها المنطقة ، واستفزاز العرب والعالم ، وحرم السياسة الاسرائيلية من أي تعاطف عالمي ، وجعلها مضطرة للعمل ضمن هامش محدد ، هو هامش الدعم السياسي الاميركي وحده .

ويذكر أهارون كوهين أحد المستشرقين البارزين ان التقصير في المجال العسكري يعود أساسا الى خطأ في النظرة السياسية « فمنذ اكثر من ستة أعوام كانت السياسة الاسرائيلية محصنة وراء سور من انعدام المبادرة السياسية ، وغارقة في منطق «القرار بعدم اتخاذ قرار» ، وتناور أساسا « لكسب الوقت » . فقد كان من المسلمات ان « الوقت يعمل لمصلحتنا » وقوبلت مبادرات الاخرين السياسية مثل الدكتور يارينغ ، ورؤساء افريقيا ... وساسة كبار من أصدقاء اوروبا الغربية — برد حاسم « العرب يعرفون عنواننا »(٥٦).

وفي الوقت الذي عمل به العرب كل ما في وسعهم لبناء قوتهم الذاتية وكسب المناورة السياسية الخارجية وتدعيم التضامن الداخلي كانت الحكومة الاسرائيلية الغارقة في اوهامها ، تتصرف بشكل يضعف المناورة السياسية الخارجية ويزيد حدة الجدل الداخلي ، ويسلم مقاليد البلاد كلها لحفنة من الجنرالات . ويذكر البيان الذي أصدرته منظمة الفهود السود بعد حرب تشرين الاول : « وحتى نشوب الحرب الاخيرة انهمكنا في حربنا اليومية . حربنا لاجل التعليم والسكن والاجور المعقولة . أما الامن فتركناه في أيدي الجهاز . ووثقنا بتصريحاته ، حتى جاءت جيوش العرب فبرهنت — بدمائنا واشلائنا — ان الثقة كانت مخطئة . لذلك جئنا اليوم،بعد احصاء من بقوا ومن سقطوا، كي نطلب الحساب . » ... « اننا نتهم الجهاز الاسرائيلي ، انه باعماله واهماله قاد الشعب في اسرائيل الى هوة الجحيم . اننا نتهم الجهاز بالافلاس في المجال الذي باسمه وجد مبررا لكل جرائمه وفشله — الامن »(٥٧).

ويذهب البروفيسور يرمياهو يوفال الى أبعد من ذلك فهو يرى بأن كل اسرائيلي مذنب، وان وهم القوة شمل الجميع وخدر المجتمع كله ، وجعله يتصرف تصرف الواثق المطمئن. ولقد كتب البروفيسور يوفال في صحيفة هآرتس بعد الحرب مباشرة « ان التقصير عمليا أعمق وأوسع . تمتد جذوره الى تركيب المجتمع بأسره — أو على الاقل الى الصورة التي اضفاها على نفسه في الفترة الاخيرة — وتتبع مصادرها رأسا من القيادة . واذا كان الجمهور أيضا مذنبا ، فذلك لان القيادة اغرته فاتكل عليها ، ووافق طوال اعوام على أن يتوقف عن انتقادها »(٥٨).

ولقد أدت السياسة الحكومية الاسرائيلية ، وفشل المناورة السياسية الخارجية ، وتضاؤل عرض هامش المناورة الى عجز اسرائيل عن اتخاذ القرار بشن الهجوم الوقائي (الهجوم الاجهاضي المبكر) الذي تعتمد عليه الاستراتيجية الاسرائيلية ونظرية أمن العدو كلها . ولقد غدا من المعروف ان رئيسة الحكومة الاسرائيلية كلفت دايان في مساء

٥ تشرين الاول بالاعداد لهجوم اجهاضي ، وأن رئيس الاركان اليعازر طالب بشن مثل هذا الهجوم في الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم ٦ تشرين الاول . ولكن الحكومة استبعدت مثل هذا الامر « لاسباب سياسية » . ولقد حاولت المجموعة الحاكمة التبجح بأنها كانت على علم بالهجوم ، وكان بوسعها احباطه بهجوم اجهاضي ، ولكنها لم تفعل ذلك حتى لا تبدو امام العالم كمعتدية . وفي مساء ٦ تشرين الاول اعلنت مائير في خطابها الذي وجهته من التلفزيون : « نحن لم نفاجأ بالهجوم المصري والسوري . لقد كانت المخابرات الاسرائيلية تملك معلومات عن استعداد الدولتين للهجوم . ولذا فقد استعدت للقيام بهجوم مضاد . ولم تشغلها حفلات عيد الغفران عن الحيطة والحذر »(٥٩). ثم كتبت صحيفة عل همشمار في اليوم التالي : كنا على علم بالخطر ، لاننا كنا نعرف أهداف الحشود العسكرية الضخمة على جبهتي السويس والجولان ، ولكن القرار الاسرائيلي بعدم الضرب كان حاسما(٦٠). وذكرت صحيفة دافار ان اسرائيل « كانت تعلم قبل عشرة أيام ان هناك عدوانا مصريا ــ سوريا سيقع »(٦١). ولكن كل هذه المبررات ، وخاصة المبرر السياسي لا يبرىء الحكومة ولا يعفيها من المسؤولية ، لان عدم شن الهجوم الاجهاضي « لاسباب سياسية » هو في حد ذاته اعتراف بفشل السياسة الحكومية التي لم تستطع كسب المناورة الخارجية اللازمة لمثل هذا الهجوم مثلما فعلت في حرب ١٩٦٧ .

ويعيد زئيف شيف عدم قيام اسرائيل بالضربة الوقائية الى سبب اخر ، فهو يرى ان القرار بعدم شن الهجوم الاجهاضي يرجع الى«الشعور الاسرائيلي المعروف بالثقة»(٦٢). وباعتقادنا أن عدم البدء بالهجوم الاجهاضي الذي يتطلب الحشد والمباغتة والظروف الدولية الملائمة يرجع الى مجموعة اسباب : فهو يرجع **الى عدم توفر المناخ الدولي الملائم** ــ وهذا خطأ حكومي ، **والى التأخر في معرفة نوايا العرب الهجومية رغم كشف التحشدات** ــ وهذا خطأ استخبارات ، **والى الجهل بقوة العرب والتطورات التي عرفتها جيوشهم** ــ وهذا خطأ استخبارات ايضا ، **والى الاعتقاد بقدرة القوات الموجودة في الجبهة على صد أي هجوم ريثما تتم تعبئة الاحتياط** ــ وهذا خطأ وزير الدفاع وهيئة أركانه ، **والى الشعور المطلق بالثقة** ــ وهذا خطأ عام يشترك فيه الجميع .

دور الاستخبارات الاميركية :

يذكر جون فيني (نيويورك تايمز) ان اسرائيل حصلت قبل الحرب بعام ونصف على صور مفصلة لطرق جديدة تؤدي الى نقطة التقاء هامة على الضفة الغربية لقناة السويس وكشفت الصور معدات سوفياتية لبناء الجسور مجمعة قرب نقاط العبور المحتملة . وعندما عرضت الصور على الخبراء الاميركيين خرجت التقديرات الاميركية ــ الاسرائيلية بنتيجة واحدة هي « ان عبور القناة على نطاق واسع يمثل تحديا يفوق قدرة الجيش المصري »(٦٣).

ولقد أكد الخبير البريطاني ك. ا. س. تايلر « ان سبب الخطأ في التقدير الذي وقع فيه الخبراء الاستراتيجيون الغربيون يعود الى ضعف في الحساب لا الى ضعف في المعرفة الاستراتيجية . فقد اثبتت معارك الجولان وسيناء ان خطر صواريخ سام (أرض ــ جو) على الطيران الاسرائيلي فاق بكثير كل التقديرات السابقة التي بنيت على ضوء التجارب التي حدثت في فيتنام »(٦٤).

وتحاول الصحافة الغربية التأكيد على ان الاستخبارات الاميركية تعرضت لخطأ قاتل مماثل لخطأ الاستخبارات الاسرائيلية . ويذكر جورج شرمن « ان المخابرات الاميركية تلقت في شهر نيسان الخطة الكاملة للحرب التي تنوي مصر القيام بها . ولكنها وصلت

الى نتيجة ان الموعد المحدد للبدء بالحرب ليس له وجود . وقد أشارت الاوساط العليمة التي نشرت هذه الانباء أن الاستخبارات الاميركية حصلت أيضا على خطة سورية ولكن في شهر أيلول فقط ، قبل أسابيع من بدء الحرب . بيد ان اعتماد حكومة الولايات المتحدة على ملحقيها العسكريين ، واعتماد هؤلاء الملحقين من جانبهم على التقديرات المتشككة الاسرائيلية ، جعل الولايات المتحدة لا تنظر بجدية الى مشاريع الحرب المصرية والسورية(٦٥) . ولقد قدر الخبراء الاميركيون — حسب رأي شرمن — « ان مصداقية الهجوم المصري لم تكن في أية مرحلة اكثر من ٤٠ — ٦٠ ٪ » ... « ان النظرة الى الوراء تؤكد اننا لم نضلل فقط بالثقة المفرطة من قبل اسرائيل ، بل اننا لم نعرف ايضا كيف أجاد الروس في تعليم المصريين كيفية عدم لفت الانظار »(٦٦) .

وتتظاهر الولايات المتحدة بأن مفاجأة استخباراتها كانت كاملة ، حتى ان وزير الخارجية الاميركية كيسنجر صرح في مؤتمر صحفي عقده في ١٢ تشرين الاول بأنه قد فوجيء تماما بالحرب عندما أوقظ في السادسة صباحا ليعلم بأن الحرب قد اندلعت على نطاق واسع في الشرق الاوسط . وأشار الى انه قد طلب من الاستخبارات الاميركية ثلاث مرات في الاسبوع السابق للحرب مباشرة اجراء تقييم للموقف فكان ردها «مطمئنا» وان الحرب « غير محتملة » رغم جميع « الظواهر المثيرة للقلق » . وعندما سئلت الاستخبارات الاسرائيلية عن رأيها حول الموقف افادت بأنه « ليس هناك أي خطر » . ثم علق كيسنجر على ذلك بأن هذا الرأي « يعكس أفدح خطر يمكن ان تقع فيه تقديرات الاستخبارات حين تحاول ان تحشر الحقائق في قوالب من التصورات المسبقة ، وان تجعلها متفقة مع ما سبق توقعه »(٦٧) . ولكن هل يعقل ان تكون الاستخبارات بكل ما تملكه من معدات استطلاع ، ووسائل رصد وتجسس ، قد وقعت في مثل هذا الخطأ ؟ ان هناك من يؤكد هذا الاحتمال ، كما ان هناك من يفضل الاعتقاد **بأن الولايات المتحدة علمت بالاستعدادات الهجومية ، ولم تشأ اعلام اسرائيل عنها في الوقت المناسب ، حتى لا يقوم الجيش الاسرائيلي بضربة وقائية تعقد الموقف وتحرج موقف الولايات المتحدة المضطرة لدعم اسرائيل . « وأنا فضلت اعطاء الفرصة للعرب كيما يضربوا اولا ويحققوا بعض المنجزات التي تعيد اليهم كرامتهم ، وتساعد على خلق المناخ الملائم لبدء مباحثات سلام من موقف التعادل ، شريطة ان لا تكون الضربة قاصمة تؤدي الى انهيار دولة اسرائيل »** . ويملك أصحاب الرأيين الحجج التي تدعم أفكارهما ، فمن منهم على صواب ؟ ان الرد على هذا التساؤل مسألة ثانية .

. . .

والخلاصة ان اسرائيل تعرضت لمفاجأة لاكثر من سبب ، وهناك اكثر من مسؤول عن هذا الخطأ . ولقد جاءها الانذار فلم تصدقه وحرمتها مفاهيمها السابقة من وضوح الرؤية . وعندما ارادت تسديد الضربة الوقائية وجدت نفسها عاجزة عن ذلك لعدم توفر الشروط الملائمة لهذه الضربة ، فاكتفت برفع درجة الاستنفار وتعبئة الاحتياط بشكل متأخر ، ولكن معلوماتها عن الجيوش العربية وتسليحها لم يفدها كثيرا لانها كانت معلومات تتعلق بالمعدات والقطعات (المادة) لا بمستوى التدريب والمعنويات والقيادة (الروح) ، ونجم عن هذا كله مفاجأة مذهلة ، تشكلت لجنة « اغرانات » على أثرها لكشف التقصيرات وتحديد المسؤولية .

يقول شعار سلاح المهندسين « ان جندي الالغام يخطيء مرة واحدة » . ولكن يبدو من تطورات الاوضاع في اسرائيل ، والانتخابات التي أعادت الى السلطة معظم الحكام الذين فوجئوا بمن فيهم دايان ، ان تدخل السياسة في الجيش **تجعل بوسع القادة في المستويات العليا أن يخطئوا أكثر من مرة** ، حتى ولو كان في خطئهم دمار لشعبهم . ومن

هنا فاننا لا نستبعد ان نسمع في الايام القليلة المقبلة ان لجنة « اغرانات » أخفت ملفات تحقيقها السرية لتعلن ان المسؤول الوحيد عن المفاجأة هو « حرب ١٩٦٧ » و«البومات» الصور التي ظهرت في اسرائيل بعد هذه الحرب !

---

١ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/١١/٣٠ .
٢ — **الفيغارو** ، نقلته المحرر ، ١٩٧٣/١٠/٩ .
٣ — **أخبار اليوم** ، ١٩٧٣/١٠/١٠ .
٤ — **يديعوت أحرونوت** ، ١٩٧٣/٨/١٠ .
٥ — نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية (ر. أ. أ.) ، ١٩٧٢/١١/٢٢ .
٦ — « **رويتر** » ، ١٩٧١/١٢/٣ .
٧ — « **ر. أ. أ.** » ، ١٩٧٢/١٠/٢٠ .
٨ — « **ر. ا. ا.** » ، ١٩٧٢/٥/٢٦ .
٩ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/٥/١٨ .
١٠ — من خطاب وزير الدفاع السوري اللواء الركن مصطفى طلاس في حفلة تسليم الاوسمة للضباط والاعلام التي تمت بتاريخ ١٩٧٤/٣/١٠ في نادي الضباط بدمشق .
١١ — **الصانداي تلغراف** ، نقلته المحرر ، ١٧/ ١٩٧٣/١٠ .
١٢ — **الانوار** ، بصراحة ، ١٩٧٣/١٢/٧ .
١٣ — **لوموند** ، نقلته **النهار** ، ١٩٧٣/١٢/٢٨ .
١٤ — **النهار** ، ١٩٧٣/١٠/١٨ ، نقلا عن وكالة أ. ب..
١٥ — **لوموند** ، نقلته **النهار** ، ١٩٧٣/١٢/٢٨ .
١٦ — **الانوار** ، ١٩٧٣/١٢/١٢ .
١٧ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/١١/٤ .
١٨ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/١١/٤ .
١٩ — **لوموند** ، ١٩٧٣/١٠/٩ .
٢٠ — **لوموند** ، ١٩٧٣/١٠/١٧ .
٢١ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/١١/٣٠ .
٢٢ — **المرجع نفسه** .
٢٣ — **دافار** ، ١٩٧٣/١١/١٩ .
٢٤ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/١١/٢٣ .
٢٥ — من حديث موشي دايان مع اذاعة اسرائيل (ر. ا. ا.) ، ١٩٧٢/١٠/٤ .
٢٦ — من تصريح موشي دايان في ١٩٧١/٣/٩ ، نقلته وكالات الانباء .
٢٧ — **معاريف** ، ١٩٧١/٤/١٥ ، من تصريح قائد سلاح الطيران عيزر وايزمن .
٢٨ — من تصريح موشي دايان ، نقلته اذاعة اسرائيل (ر. ا. ا.) ، ١٩٧٣/٣/١٤ .
٢٩ — **نيو ايست ريبورت** ، ١٩٧٢/٥/٧ ، من خطاب اسحاق رابين في مؤتمر اللجنة الاميركية — الاسرائيلية للشؤون العامة .
٣٠ — **دافار** ، ٧١/٤/١١ ، البروفيسور ا. د. برغمان .
٣١ — **جويش اوبزرفر** ، ١٩٧١/١٠/٢٢ ، البروفيسور ا. د. برغمان .
٣٢ — **معاريف** ، ١٩٧٣/١١/٢ .
٣٣ — **ليست ريبوبليكان** ، ١٩٧٣/١٠/١٣ .
٣٤ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/١١/٣ .
٣٥ — **هآرتس** ، ١٩٧٤/٢/١٥ .
٣٦ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/١٢/٣٠ .
٣٧ — **معاريف** ، ١٩٧٣/١١/١١ .
٣٨ — **المرجع نفسه** .
٣٩ — **ر. ا. ا.** ، ١٩٧٤/٢/٢٨ .
٤٠ — **هآرتس** ، ١٩٧٤/٢/٤ .
٤١ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/١٠/٢٦ .
٤٢ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/١٠/٣٠ .
٤٣ — **المرجع نفسه** .
٤٤ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/١١/٢ .
٤٥ — **المرجع نفسه** .
٤٦ — **المرجع نفسه** .
٤٧ — **معاريف** ، ١٩٧٣/١١/٢ .
٤٨ — **معاريف** ، ١٩٧٣/١١/٩ .
٤٩ — **عل همشمار** ، ١٩٧٣/١١/١٢ .
٥٠ — **المرجع نفسه** .
٥١ — **المرجع نفسه** .
٥٢ — ذكر بنكلر في **عل همشمار** ١١/١٢ ان يتسحاق بن أهارون اكد ان تقديرات دافيد اليعازار كانت قبل الحرب صحيحة ١٠٠ ٪ وان غيره أكد بأن لواءين فقط يكفيان لكسب الحرب. ثم ذكر بنكلر في عل همشمار ١١/١٤ ان يتسحاق بن أهارون كشف في الولايات المتحدة ان دايان لم يسمح لاليعازار بأن يجند اكثر من لواءين احتياطيين . وان السبب في ذلك يرجع الى تقديرات دايان وبارليف واعتقادهما بأن القوات

الموجودة على الجبهة كافية لصد الهجوم .
٥٣ ــ **هآرتس** ، ١٩٧٣/١٢/٢١ .
٥٤ ــ **المرجع نفسه** .
٥٥ ــ **المرجع نفسه** .
٥٦ ــ **عل همشمار** ، ١٩٧٣/١١/٢٥ .
٥٧ ــ **الاتحاد** ، ١٩٧٣/١١/٢٧ .
٥٨ ــ **هآرتس** ، ١٩٧٣/١١/٢٨ .
٥٩ ــ ر. أ. أ. ، ١٩٧٣/١٠/٧ .
٦٠ ــ **عل همشمار** ، ١٩٧٣/١٠/٧ .
٦١ ــ **داڤار** ، ١٩٧٣/١٠/٧ .
٦٢ ــ **هآرتس** ، ١٩٧٣/١٠/٢٨ .
٦٣ ــ **نيويورك تايمز** ، نقلته الاهرام ، ١١/٤/ ٧٣ .
٦٤ ــ نقلته **الحوادث** ، ١٩٧٣/١٠/١٩ .
٦٥ ــ **هآرتس** ، ١٩٧٣/١٢/٥ .
٦٦ ــ **المرجع نفسه** .
٦٧ ــ **الاهرام** ، ١٩٧٣/١١/٤ .

صدر حديثا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير
الفلسطينية الكتب العسكرية الاربعة التالية :

١ــ **القوات الاسرائيلية المحمولة جوا**، لمحمود عزمي (١٧٦ ص، ٣ ل.ل.)

٢ــ **تمييز الطائرات والمدرعات (١٩٧٤)**، للمقدم الهيثم الايوبي وهشام عبدالله (١٤٦ ص ، ٣ ل.ل.)

٣ــ **ميزان القوى العربي ــ الاسرائيلي (١٩٧٤)** ، للمقدم الهيثم الايوبي وهشام عبدالله (٢٧٢ ص ، ٤ ل.ل.)

٤ــ **أسلحة الجيش الاسرائيلي** ، لهشام عبدالله (٣ ل.ل.)

يضاف الى ثمن كل نسخة بدل أجور البريد الجوي ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١ ل.ل. في اوروبة ، ٢١/٢ ل.ل. في سائر الدول .

اطلب نسختك من مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

قسم التوزيع ، ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت .

الضفة الغربية :
احتلال ، مقاومة ، ونظرة الى المستقبل
(ندوة)

تستضيف مجلة ((شؤون فلسطينية)) في هذه الندوة ، ثلاثة من قادة العمل الوطني الفلسطيني ، الذين أبعدتهم سلطات الاحتلال الاسرائيلي عن الضفة الغربية بعد حرب تشرين .

وهم : المحامي عبد المحسن ابو ميزر [عضو المجلس الاسلامي الاعلى] .

و : عبد الجواد الصالح [رئيس بلدية البيرة] .

و : عربي عواد [سكرتير اللجنة القيادية للحزب الشيوعي الاردني في الضفة الغربية] .

وقد تناولت الندوة كل جوانب الحياة والصراع في الضفة الغربية المحتلة في الفترة الواقعة ما بين حرب ١٩٦٧ وحرب تشرين ١٩٧٣ ، ونظرة الى المستقبل .

أدار الندوة وأعدها : عيسى الشعيبي .

عيسى الشعيبي : اسهاما من « شؤون فلسطينية » في اثراء الحوار الفلسطيني ، والتزاما منها بالتقاليد الديمقراطية للعمل الوطني الفلسطيني ، استقبلت في عددها الصادر في شباط (فبراير) الماضي عددا من القادة الفلسطينيين ، حيث جرى حوار ايجابي وديمقراطي كان شاهدا جديدا على صحة المناخ السياسي الذي يعيشه عملنا الوطني .

واليوم ، ونحن نستقبل عددا من قادة العمل السياسي الوطني ، الذين عاشوا تحت الاحتلال اكثر من ست سنوات ، وأبعدوا قسرا عن الوطن ، نود التأكيد مجددا على ان لقاءنا اليوم هو جزء هام من عملية الحوار الديمقراطي المستمرة التي شهدتها الساحة الفلسطينية . وان اهمية هذا اللقاء تنبع بدرجة أساسية من كونه يجري مع قيادات وطنية خبرت مرارة الاحتلال ، وعاشت عن قرب القضايا اليومية والسياسية لجماهير الضفة الغربية وقطاع غزة .

ونقترح تسهيلا للنقاش أن يندرج الحوار تحت العناوين الرئيسية الثلاثة التالية :

الاول : الاوضاع المعيشية لسكان الضفة والقطاع بكل تفرعاتها الاقتصادية والاجتماعية .

الثاني : المناخات السياسية السائدة في الضفة والقطاع منذ هزيمة حزيران (يونيه)

١٩٦٧ ، وتأثرها بالسياسات الاسرائيلية من جهة والسياسات الاردنية من جهة اخرى ، واثر ذلك على التوجه السياسي العام في الضفة والقطاع .

الثالث : في ضوء حرب تشرين ، كيف تتطلع جماهير الضفة والقطاع الى مستقبلها السياسي :

وتحت العنوان الاول ، فان الاسئلة الاساسية هي :

١ — الحقت اسرائيل بعد حرب حزيران ، اقتصاد الضفة الغربية وقطاع غزة بالاقتصاد الاسرائيلي . بعد أكثر من ست سنوات فرضت خلالها سلطات الاحتلال سياسات زراعية وصناعية وعمالية معينة . ما هو اثر ذلك على اقتصاد الضفة الغربية والقطاع ؟ وما هو تأثير سياسة « الجسور المفتوحة » مع الضفة الشرقية على اقتصاديات المناطق المحتلة ؟

٢ — لعبت بلديات الضفة والقطاع دورا متميزا وخاصا تحت ظروف الاحتلال القائمة. وكانت بمثابة المرجع الاعلى للسكان من جهة وهمزة الوصل الوحيدة بينهم وبين سلطات الاحتلال من جهة ثانية . فهل يمكن لنا الوقوف على دور هذه المؤسسات البلدية ، ما لها وما عليها ؟ وفي هذا المجال فان تقييم طبيعة ظروف الانتخابات التي جرت في بلديات الضفة خلال النصف الاول من عام ١٩٧٢ ، له جانب كبير من الاهمية .

٣ — كانت الضفة الغربية وقطاع غزة تصدر يوميا قبل حرب تشرين الاول ، الاف العمال الى المعامل والمصانع الاسرائيلية . ما هو تأثير ذلك على مستوى المعيشة في الضفة والقطاع اولا ، وهل اصاب هؤلاء العمال دخلا حقيقيا اكثر ارتفاعا في ظروف التضخم وهبوط قيمة الليرة الاسرائيلية ثانيا ، وما هي تأثيرات حرب تشرين ونداء منظمة التحرير للعمال بالامتناع عن العمل في مصانع ومزارع العدو على سير الحياة الاقتصادية في الضفة من جهة وفي اسرائيل من جهة ثانية ؟

٤ — ظهرت في الضفة الغربية منذ نحو عامين فكرة انشاء جامعة لابناء المناطق المحتلة . وقد سارت هذه الفكرة قدما في الفترة الاخيرة حيث تم شراء مساحات من الارض وجمعت لها الاموال . وقد انقسم الراي داخل الضفة والقطاع وخارجها على ضرورة او عدم ضرورة هذه الجامعة. وكانت معظم الاراء المؤيدة لانشائها تتناول مخاطر هجرة الشباب وتفريغ الضفة من المثقفين . اما معارضو انشائها فقد ربطوا بينها وبين السياسات التعليمية التي سيفرضها العدو على طلاب الجامعة هذه . ما هو رأيكم في كل ذلك وما هي حسنات ومثالب اقامة مثل هذه الجامعة .

عبد الجواد الصالح : لست في حاجة الى الحديث عن اهمية الاقتصاد في اي وضع لاي مجتمع . وقد وعت سلطات الاحتلال هذا العامل في توجيه حياة الناس ، وساعدها أيضا في تنفيذ سياستها الاقتصادية والاجتماعية الوضع الاجتماعي والسياسي لمجتمع الضفة الغربية من قبل ١٩٦٧ وعدم وجود حركات سياسية منظمة تستطيع ان تقف ضد هذا الاحتلال ، فباشرت في عملية تحييد العمال باتاحة مجالات واسعة جدا من العمل وفي نفس الوقت زيادة أجورهم . وكانت تهدف فيما تهدف اليه ، في رأيي ، تحويل شعبنا الى أقلية من العمال وخاصة غير المهرة . والهدف من وراء هذا التحويل هو أولا : ابعاد الفلاحين عن الارض ، وفك الارتباط العضوي الذي اشتهر به الفلاح الفلسطيني بأرضه ، وتسهيل عملية تفريغ الارض من أهلها . فعندما تصبح الجماهير مرتبطة بالعمل اليومي واذا ما توقفت مجالات العمل وخاصة اذا ما ارتبط هذا التوقف بايجاد فرص للعمل في مناطق عربية مجاورة للارض المحتلة ، وعلى ضوء غلاء المعيشة المرتفع الذي يعاني منه السكان ، يضطر هذا العامل الى الهجرة وترك البلد ، وخاصة ان سلطات

الاحتلال بدأت تمارس سياسات معينة في الزراعة . مثلا في مجال تسويق البرتقال الذي يشكل عنصرا هاما في الانتاج الزراعي في الضفة والقطاع ، لم تقم سلطات الاحتلال بتنظيم تسويقه وبالتالي بدأ المزارعون العرب بالفعل يضطرون الى بيع أجزاء من هذه البيارات لبعضهم البعض حتى يستطيعوا الاستمرار في ادارة هذه المزارع .

وكانت اسرائيل تدعي انها تقوم « بتطوير » الزراعة في المناطق المحتلة . وفي الحقيقة لم يكن دورها يستدعي أجراء تجارب يدفع ثمنها الفلاح الفلسطيني تحت الاحتلال ، على أساس ان الفلاح الاسرائيلي ليس على استعداد لممارسة أية تجارب وتضييع وقتـــه وجهده ، بينما الفلاح الفلسطيني يدفع من عرقه وجهده ثمنا لتطبيق مثل تلك التجارب ، اضافة الى ذلك عدم قيام الاحتلال بتطبيق سياسة تسويقية بالنسبة لانتـــاج المزارع العربية . فدخل المزارع أقل من متوسط الاجر الذي يحصل عليه العامل .

بالنسبة للصناعة فان اصحاب رؤوس الاموال في الضفة والقطاع انطلقوا في البدء بمشاريع اقتصادية بدون الرجوع الى السلطة لاخذ موافقتها على هـــذه المشاريع . واستطاعوا بالفعل انشاء صناعات معينة .

لم تنظر سلطات الاحتلال الى هذه الصناعات بشكل جدي ، فهي لم تعارض قيامها من جهة ولم توفر لها الاسواق من جهة اخرى . وعندما بدأت تنمو هذه الصناعات بدأت سلطات الاحتلال وخاصة بعد أيلول ١٩٧٠ تنظر اليها بمنظار آخر ومن زاوية أخرى . فكانت تحاول ان تحول دون تزويد هذه الصناعات بالمواد الخام كمـــا حدث في مصنع الاعلاف في مدينة البيرة ، ولدى المجلس البلدي عدة مذكرات حول هذا الموضوع . وكاد المصنع أن يتوقف عن الانتاج بالفعل وتدنت الطاقة التشغيلية في هذا المصنع من ثلاث ورديات الى وردية واحدة في اليوم لعدم وجود المواد الخام .

بالنسبة لمصانع الادوية أيضا كانت سلطات الاحتلال تحاول حصر استيراد المواد الخام بالتاجر اليهودي وهذا التاجر كان في بعض الاحيان يزود المصنع العربي للادوية بمواد مستحدثة لم تثبت فاعليتها او بمواد انتهت مدة فعاليتها وبالتالي كان يسيء الى الانتاج العربي .

ان عدم معارضة الاحتلال لقيام مثل تلك الصناعات نابعة بالاساس مـــن عدم قيام أصحاب هذه المصانع باستشارة السلطات لدى انشائهم لصناعاتهم تلك . هذا من جهة . ومن جهة ثانية فقد كان الاحتلال يؤمل نفسه بتهريب او تسريب الانتاج الاسرائيلي من خلال هذه الصناعات العربية الى الاسواق العربية في الدول المجاورة ولذلك نجد ان المحتل يحاول عرقلة بعض الصناعات التي ترفض تهريب الانتاج الاسرائيلي عن طريقها .

بالنسبة للعمال لي كلمة أخرى فبالرغم من ان اجور العمال كانت مرتفعة نسبيا الى ما كانت عليه قبل عام ١٩٦٧ ، ولكن ارتفاعها هذا بقي في حـــدود استغلال الطبقة العاملة العربية وخاصة ان الاحتلال كان يخصم من أجور العمال مبالغ كثيرة جدا لحساب التأمين الاجتماعي والضمان الصحي وغيره . غير ان العمال العرب لم يكونوا يستفيدون من مثل تلك الضمانات . ففي أحد الاجتماعات مع الجنرال ديان أثرت هذا الموضوع ، حيث سألته عن مصير ملايين الليرات التي حسمت من أجور العمال وطالبته باستثمارها في مدارس القرى والمستشفيات وغيرها . وقد وعد ديان بدراسة ذلـــك ، ولكنه في الحقيقة لم ينفذ اي شيء في هذا الخصوص ، وهكذا تسجل الحكومة الاسرائيلية على نفسها مرة اخرى ضمن آلاف المرات سرقة العامل العربي الفلسطيني واستغلاله .

اما بالنسبة لسياسة الجسور المفتوحة اقتصاديا ـــ اذ ان لي رأيا آخـــر يختلف ويتناقض من الناحية السياسية ـــ فهي من الناحية الاقتصادية البحتة، ساعدت الصناعات

العربية والانتاج الزراعي العربي في عملية البقاء والاستمرار ، خاصة وان اسرائيل قد حالت دون فتح أسواق لهذه الصناعات في المنطقة المحتلة عام ١٩٤٨ . فوجد الانتاج العربي في الجسور المفتوحة متنفسا اقتصاديا في الاسواق العربية المجاورة وخاصة في الضفة الشرقية .

بالنسبة للبلديات فان الدور الذي لعبته دور ليس من طبيعة ومهام البلديات قبل عام ١٩٦٧ غير ان ظروف الاحتلال فرضت على البلديات وغيرها من قطاعات شعبنا ان تكون ليس فقط مجرد واسطة بين الجماهير وسلطات الاحتلال بل مانعا لقيام العدو بتنفيذ سياساته التوسعية واجراءاته التعسفية الاخرى التي كان يقوم بها . ولم يكن لدينا القوة لوقف اجراءات العدو تلك ولكنا كنا نتخذ أساليب الاحتجاج السلمية وفضح الاجراءات التعسفية للاحتلال .

والحقيقة تقتضي القول ان المجالس البلدية لم تكن على مستوى الاحداث بشكل عام ، وذلك لطبيعة تكوينها الاجتماعي والعائلي . فتجد ان البعض لم يكن بقدرته ادارة البلدية في مثل هذه الظروف فاستطاعت سلطات الاحتلال بالتالي تمرير بعض السياسات على هؤلاء الرؤساء . غير انهم بشكل عام كانوا الصوت المناهض للاحتلال ، وكانوا يقومون بأدوار ايجابية اخرى . ففي بداية الاحتلال كانت البلديات تقوم بالاسهام المادي الايجابي في عملية تغطية تواجد بعض الوطنيين الذين عادوا الى الضفة الغربية بعد وقوعها تحت الاحتلال .

لقد كانت سلطات الاحتلال تحاول دوما أن تجد من يقوم بتنفيذ المخططات الاسرائيلية مثل حكم ذاتي او كيان فلسطيني مرتبط بالاحتلال وجزء منه يتمشى بسياسته .

عيسى الشعيبي : ارجو أن يتاح لي توضيح السؤال . فبعد وقوع الضفة الغربية تحت الاحتلال انهارت كافة المؤسسات الاردنية . بقيت وحدها المؤسسات البلدية قائمة ومتمتعة فيما بعد بصلاحيات ومهام ليست من طبيعة عملها . وفي المرحلة الماضية كثرت الاجتهادات وتضاربت الاراء حول الدور المناط بهذه البلديات . ونستطيع أن نلمس الكثير من الانجازات الايجابية التي قامت بها تلك المؤسسات من خلال المذكرات والعرائض وغيرها . غير انه يظل في الذهن الدور السياسي الذي كانت تريد سلطات الاحتلال لهذه المؤسسات . أولا من خلال تجربتكم كرئيس بلدية، هل يمكن القول ان رؤساء او اعضاء البلديات كانوا مرشحين من قبل الاحتلال لاي دور سياسي في المستقبل ؟ وهل كانوا مؤهلين للقيام بمثل هذا الدور السياسي ؟

عبدالجواد الصالح : مما لا شك فيه ان سلطات الاحتلال كانت دوما تعرض أدوارا سياسية وأحيانا تطرح حلولا سياسية ككيان مرتبط باسرائيل أو ما يسمى بالحكم الذاتي، ولا ادري أكان ذلك الطرح على مستوى جدي ام محاولة للضغط وتهديد الحكومة الاردنية حينا او المقاومة حينا آخر . ولكن يمكن القول بشكل عام ان رؤساء البلديات قد رفضوا القيام بأي دور في مشاريع الاحتلال السياسية . فقد كانت السلطات تعرض دائما القيام بمثل هذه المشاريع خاصة على رؤساء البلديات الكبيرة . وكان جواب رؤساء البلديات دائما هو اننا لم ننتخب للقيام بدور سياسي بل انتخبنا على أساس ان نقوم بواجبات معينة ينص عليها القانون . وكان البعض يرد بصراحة على ذلك باتهام سلطات الاحتلال بأن المشاريع المطروحة لا تتعدى كونها محاولة لتصفية القضية الفلسطينية .

وكانت السلطات المحتلة تضغط على رؤساء البلديات لتقوم مجالسها بتشكيل لجان شبه تمثيلية ، بحجة المشاركة في المسؤولية مع المجالس البلدية في ظل الاحتلال ، لتخريج

مجلس تمثيلي من كل الضفة والقطاع للتحدث سياسيا باسم جماهير شعبنا ، وكان رؤساء المجالس البلدية يرفضون هذا الطرح ، ويعللون رفضهم بأن قيـــادة الشعب الفلسطيني ككل هي منظمة التحرير الفلسطينية .

من ناحية أخرى كانت سلطات الاحتلال تطلب من رؤساء البلديات القيام باتصالات مع الدول العربية سواء لتحقيق اهداف اقتصادية او سياسية . وكان هذا الطلب مصيره الرفض كذلك . صحيح ان هناك شخصا واحدا فقط من رؤساء البلديات سمح لنفسه ان يقوم بدور ناطق سياسي معاد بطبيعته لاهداف شعبنا ، غير انه لم يستطع القيام بأي دور فعلي ، وذلك لان جماهيرنا في الداخل قاومت مثل تلك التوجهات ، الى جانب التأثير السياسي لحركة المقاومة في الخارج على المنحى السياسي العام لسكان الضفة والقطاع.

هناك أدوار لبعض البلديات مارستها منذ الاحتلال تمثلت في ايجاد عمل لعمال المناطق المحتلة . ففي مدينة البيرة على سبيل المثال لا يوجد اي عامل فني يعمل في اسرائيل منذ عام ١٩٦٧ وحتى الان ، والسبب اننا قمنا بايجاد عمل لهؤلاء العمال سواء أكانوا معلمي بناء او غيره . وكنا نعطيهم في البداية اجرا يوميا مقداره ٤٠ قرشا أردنيا ليضمن لهم الحد الادنى من ضرورات الحياة اليومية ثم زادت امكانياتنا فأخذنا نعطيهم أجورا تساوي أو تزيد عن أجور العمال الذين يعملون حاليا في اسرائيل . وقد خلق هذا الوضع لدى العمال جوا نفسيا يمنعهم من العمل لدى العدو حتى بأجور أعلى .

هناك أدوار أخرى أدتها المؤسسات البلدية تحت ظل الاحتلال منها ما تعلق بالمعتقلين وزياراتهم والدفاع عن حقوقهم ومصالحهم . وقد كنا في بلدية البيرة روادا في هذا المجال تبعتنا بعد ذلك بلديات الضفة الاخرى . لقد كنا باستمرار نفضح الاجراءات التعسفية التي كانت تقوم بها سلطات الاحتلال. واعتقد انكم كنتم تطلعون على مثل هذه النشاطات البلدية اثناء الحرب وبعدها . فسياسة العقاب الجماعي التي كانت تطبقها سلطات الاحتلال كانت تواجه احتجاجا مستمرا من قبل البلديات عن طريق الصحف والعرائض. كذلك في مسألة بيع الاراضي كان لنا دور خاص ايضا . وهناك تجربة شخصية لي مع أهالي قرية « بيت دقو » حيث أراد شخص غير قروي ومن خارج أهالي القرية يملك الف دونم ورثها عن جده من ايام الحكم التركي ويريد بيعها . فجاء سكان القرية ليأخذوا رأيي . وعلى الفور قمنا بجمع النقود من أهل القرية واستطعنا في اليوم التالي الحصول على ستة تراكتورات من ست قرى مجاورة حيث بدأوا في حراثة الارض واستصلاحها . وقد شارك جميع أهل القرية في حراثة الارض اطفالا ونساء ورجالا . فقاموا بجمع « النتش » وأشعلوا به الحرائق . وعندما جاء صاحب الارض رد عليه اهالي القرية بأن الارض ملكهم وانهم لا يقرونه في ادعاءاته . وطلب من المختار ان يتحدث معه على فنجان قهوة في البيت غير ان المختار رفض ذلك قائلا : لقد مضى العهد الذي كنا نشرب فيه القهوة معا . وطلب منه مغادرة الارض حفظا على سلامته الشخصية . وبعد أربع ساعات جاء ضابط المخابرات الاسرائيلية محتجا ومتوعدا أهالي القرية الذين أجابوا بأن الارض أرضنا ونحن نفلحها منذ مئات السنين . وهكذا استطاع الفلاحون ان يحرروا أنفسهم بأنفسهم من هذا الاقطاعي وان يحافظوا على الارض ومنع البيع عنها . وقد انتشرت بعد ذلك هذه الحادثة فأخذت القرى المجاورة تحذو حذو قرية « بيت دقو » في مثل هذه الحالات . ولقد وجهت لي السلطات الاسرائيلية المحتلة انذارا نتيجة لنشاطي هذا ، قبل ستة أشهر من ترحيلي وسمته « بالنشاط الاقليمي » ولكنني أجبتها ان هناك أشياء مصيرية لشعبنا لا أستطيع التخلي عن القيام بها وأعتقد ان هذا النشاط كان سببا من أسباب ترحيلي .

هناك أدوار أخرى كثيرة قامت بها البلديات فكان الاحتلال مثلا يضغط على الطلاب

وغيرهم للعمل في مزارعه ومصانعه . فكنا من جانبنا نقوم بالاحتجاج على ذلك ونفضح أساليب السلطة الاحتلالية أمام الصليب الاحمر الدولي وغيره من المؤسسات الانسانية والدولية . لقد انتدبت البلديات نفسها لادوار أخرى اجتماعيـــة ، مثل الخلافات بين القرى والحمائل والعائلات او حتى العائلة نفسها بين الزوج والزوجة . فقد كان رؤساء البلديات يتدخلون باصلاح ذات البين في مثل هذه الحالات .

عيسى الشعيبي : يبقى الجزء الثاني من السؤال والمتعلق بظروف وطبيعة الانتخابات البلدية التي أجرتها سلطات الاحتلال في النصف الاول من عام ١٩٧٢ . ما هو تقييمكم لنتائج تلك الانتخابات وكيف استطاع العدو ارغامكم عليها في تلـــك الفترة التاريخية المحددة وماذا كان يهدف العدو من ورائها ؟

عبد الجواد الصالح : كان هناك من حيث المبدأ اجماع لدى رؤساء واعضاء البلديات على عدم جواز اجراء الانتخابات البلدية في ظل الاحتلال على أساس ان اجراءها هو تكريس للاحتلال ذاته . وقد تصدى بعض رؤســـاء البلديات بالفعل لمقاومة اجـــراء الانتخابات . ففي احد الاجتماعات التي حدثت في بيت جالا وضم جميع رؤساء البلديات، أقررنا مبدأ معارضة الانتخابات وقررنا في حالة اصرار سلطات الاحتلال على اجرائها ان لا نرشح أنفسنا . غير ان اسرائيل تحاشيا منهـــا لمواجهة جماعية مع بلديات الضفة الغربية ، قامت باجراء الانتخابات على مرحلتين : الاولى ضمت بلديات المنطقة الشمالية من الضفة والثانية ضمت بلديات المنطقة الجنوبية منها .

شخصيا قمت بجولة شملت جميع بلديات المنطقة الشمالية قبل اجراء الانتخابات وكتبت لاول مرة في ظل الاحتلال مقالا في جريدة « القدس » أعارض فيه الاحتلال وعملية الانتخابات . وفي زياراتي لبلديات الشمال وجدت معارضة اجماعية لاجراء الانتخابات .

في ذلك الوقت كان مطلوبا من المقاومة الفلسطينية ان تتخذ الاجراءات الخاصة بها للحيلولة دون اجراء الانتخابات أي ان تقوم بالضغط مقابل الضغط الشرس الذي كانت تقوم به السلطات المحتلة . فلقد كانت تلك السلطات تحاول أن تثبت في ذهن الناس انها هي الموجودة فقط دون غيرها . فعلى اثـــر زياراتي لبلديات الشمال طلبنـــي الحاكم العسكري العام وقدم لي انذارا وقال انني لا أريد أن أراك هنا معارضا للانتخابات ، فاذا أردت القيام بذلك فيمكنك أن تذهب الى عمان وان تعارضها من خلال التلفزيون الاردني . اما هنا فنحن الموجودون فقط وما نريده هو الذي يجب ان يحصل .

على ضوء شعور سلطات الاحتلال بمعارضة جماهير الضفة للانتخابات قامت بعدة اجراءات قمعية ضد المواطنين وخاصة في مدينة نابلس اذ كانت ضمن المرحلة الاولى واذا ما نجحت في نابلس فان السلطة لن تجد صعوبة في اجرائها في مدن الضفة الاخرى. فقامت باحتلال مصنع الزيوت في نابلس بحجة ان للحكومة الاردنية حصة فيه كما منعوا السيارات من نقل منتوجات الزيت والصابون وغيرها الى الضفة الشرقية . واعتقلت السلطات حكمت المصري وغيره من المواطنين في عملية تركيز شديد على مدينة نابلس بالذات . لقد كان المطلوب من المقاومة في هذه الحالة أن تتخذ اجراء ما ضد العملاء الذين رشحوا أنفسهم ، أو ان تتخذ موقفا تكتيكيا مختلفا عن الموقف الذي اتخذته من عملية الانتخابات .

وعلى العموم لقد فشلنا في منع اجراء الانتخابات فتمت عملية الانتخابات في نابلس اولا ثم حذت البلديات الاخرى حذوها فيما بعد . وقد ساعد ايضا على فشل مقاطعة الانتخابات الوضع العربي العام ، ووضع المقاومة التي كانت تعاني من ضربة أيلول .

في البيرة ، ادراكا مني لمقاصد العدو السياسية من وراء اجـــراء هذه الانتخابات

عارضت محاولات اهالي البيرة لترشيح نفسي مجددا لرئاسة البلدية . غير انه عندما تم فتح باب الترشيح أرسلت سلطات الاحتلال بعض العملاء المعروفين لدى السكان بأنهم عملاء وسيئو الخلق . وعندما ادركت الناس أن أمثال هؤلاء هم من سيتولون شؤون بلدياتهم في المستقبل احتجوا بشدة عليّ شخصيا وتجمع في دار البلدية اكثر من خمسمائة شخص وتستغرب اذا قلت لك انهم بدأوا بالبكاء كالاطفال عندما حاولت الاصرار على موقفي . وحملوني مسؤولية موقفي قائلين ان الموقف السياسي لاي شخص يتجسد في سلوكه المستقبلي ولا يتوقف عند الدخول او عدم الدخول في عملية الانتخابات. وقد حصل هذا في البلديات الاخرى . وجرت الانتخابات .

كان الهدف السياسي الذي سعى اليه الاحتلال من وراء عملية الانتخابات ، ابراز « قيادات » جديدة تقوم بتنفيذ مخططاته التي كانت تتجسد باقامة كيان ذاتي مرتبط بالاحتلال . وكان العدو يواجه الممتنع عن القيام بترشيح نفسه للانتخابات اما بأنه تابع للاردن او انه تابع لحركة المقاومة الفلسطينية .

وبشكل عام فقد خيبت نتائج الانتخابات آمال المحتلين . فجاء معظم رؤساء البلديات ليسوا ممن ترشحوا ودفعوا من قبل الاحتلال . فبعد اجراء الانتخابات بثمانية اشهر تقريبا وبعد أن وضح للاحتلال انه لم يستطع ان يغير شيئا كبيرا في التركيبة البلدية دفع البعض للكتابة في الصحف مطالبين باعادة الانتخابات .

فيما يتعلق بموضوع الجامعة فانه لا بد من القول اولا ان القائمين على هذه الفكرة ليسوا أهلا للثقة ، وهم معروفون سياسيا بأن لهم ارتباطات مشبوهة مما أثار تخوف وحفيظة الوطنيين . اضافة الى ذلك فان التخوف من فرض سياسات تعليمية معينة من قبل سلطات الاحتلال — كما ورد في السؤال — قائم بالفعل . وكان رد الوطنيين على ذلك انه لدينا كلية « بير زيت » التي تقوم بدور ايجابي سواء على الصعيد العلمي او السياسي . وقد عرض المسؤولون في كلية « بير زيت » توسيع مجلس الامناء بضم عناصر أخرى تبعد عنها فكرة « العائلية » . وبالفعل فقد تم في الفترة الاخيرة توسيع مجلس الامناء . وأخذ مجلس الامناء على عاتقه ايجاد سبل مالية لتوسيع الكلية . وخطا المجلس هذا العام خطوة كبيرة بحيث أصبح أي طالب فرصة لان ينهي دراسته في « بير زيت » وان يحصل على بكالوريوس في العلوم . وهناك محاولة لتوسيع الكلية لكي تشمل بالاضافة الى فرع كلية الاداب فروع دراسات أخرى .

ومن المعروف ان كلية « بير زيت » شاركت في الانتفاضة الجماهيرية التي أعقبت عملية ابعادنا ، مما اضطر سلطات الاحتلال الى دخول حرم الكلية وقمع طلابها وأساتذتها ، وبالتالي فضحها لنفسها بنفسها ازاء ادعائها بالحرص على الحرية وعلى العلم والديمقراطية .

عبد المحسن أبو ميزر : اغناء للنقاش ، لي تعليق على موضوع الجامعة بالضفة الغربية . في الواقع كانت الضفة الغربية وما زالت تعاني ازمة كبيرة تجاه توفير المقاعد اللازمة للخريجين الثانويين من ابنائنا في الجامعات العربية . وفكرة وجود جامعة في الضفة الغربية لم تكن جديدة ولا طارئة وانما كان لها دعاتها حتى قبل الاحتلال . وكان الشعور الدائم هو انه يمكن انشاء جامعة في الضفة الغربية تستوعب الخريجين . وهنالك شعور شعبي ورغبة عامة بضرورة انشاء جامعة في الضفة الغربية .

عندما وقع الاحتلال ، وبطبيعة الحال نتيجة الظروف الخاصة التي أصبح يعيش فيها ابناء الضفة الغربية ونتيجة عدم توفر المقاعد الكافية واللازمة لابناء الضفة في الجامعات العربية ، برزت هذه المشكلة بشكل ملح أكثر من السابق. والاحتلال استغل هذا الوضع ولذلك عندما تقدم عدد من الاشخاص وشكلوا لجنة تحضيرية لجامعة تقام في الضفة

وافقت سلطات الاحتلال وراحت تستغل هذا الموضوع سياسيا ودعائيا . عالجت القوى الوطنية هذا الموضوع من خلال النظرة التالية :

لا أحد في الضفة الغربية ضد العلم والتعليم الجامعي . ولكن جميع القوى الوطنية تعارض معارضة شديدة تجيير رغبة الناس في تطوير مؤسساتها التعليمية والارتفاع بها الى المستوى الجامعي بأي شكل من الاشكال . لذلك فان جميع المهتمين بشؤون أبنائنا الخريجين أوصوا بضرورة تطوير المعاهد التعليمية القائمة والمنتشرة في جميع انحاء الضفة الغربية . فمثلا أوصوا بتطوير كلية النجاح في نابلس الى كلية للاداب . وأوصوا بتطوير كلية خضوري الزراعية الى كلية للزراعة . وأوصوا بتطوير مستشفى المقاصد الاسلامية في القدس الى كلية طب ، وأوصوا بتطوير مدرسة رابطة الجامعيين بالخليل الى كلية للاداب أيضا ، بالاضافة الى تطوير كل مؤسسة تعليمية قابلة لان تتطور الى مستوى جامعي . وبهذه الطريقة كان يمكن ان تترك قضية التعليم بيد أربابها .

وبالفعل عرضت هذه التوصيات ضمن مذكرة شاملة على مجلس اتحاد الجامعات العربية . وأقر اتحاد الجامعات هذه التوصيات وبدأ يبحث في الوسائل العملية لوضعها موضع التنفيذ العملي . على الاثر أراد الاحتلال ان يقطع خط الرجعة على طريق المحاولة العربية الوطنية لتطوير المؤسسات التعليمية في الضفة والقطاع والارتقاء بها الى المستوى الجامعي لتسد حاجة شعبنا وخريجينا الى التعليم الجامعي ، فبدأ يجدد استغلال فكرة الجامعة التي تحدث عنها الاخ عبد الجواد الصالح .

كان من اسباب الاعتراض سبب يتمثل في موضوع شهادة الجامعة المقترحة ، فالشرط الاساسي لاي شهادة جامعية لكي تضمن الخريجين من شبابنا وولاءهم لامتهم ووطنهم هو اعتراف الجامعات العربية والدول العربية بها . وحيث ان الجهود التي بذلت من أجل انشاء الجامعة في الضفة الغربية لم تكن بتنسيق مع اتحاد الجامعات العربية ولم تكن بالتنسيق حتى مع الجامعة الاردنية لذلك كان المحذور الكبير هو انه اذا استمر العمل لانشاء هذه الجامعة بمعزل عن الاطراف العربية سيعني ذلك وجود خريجين لا تعترف بشهاداتهم الا اسرائيل وبالتالي يربطون مصلحيا من خلال اعتراف سلطات الاحتلال بشهاداتهم ، بالاحتلال نفسه . وفي هذا خطورة كبيرة جدا على مستقبل شعبنا في الاراضي المحتلة ، السياسي منه وغير السياسي . هذا سبب من أسباب المعارضة . اما السبب الاخر فهو ان شبابنا بالفعل بحاجة الى تعليم جامعي ولكن الاحصاءات العملية والممارسة العملية للاحتلال كانت تتناقض مع الرغبة في انشاء الجامعة ، الامر الذي أكد لكل القوى الوطنية ان استعداد الاحتلال للموافقة على انشاء جامعة لا يراد منه الا الاستغلال السياسي . وأكبر دليل على ذلك هو أن أحد أعضاء اللجنة التحضيرية لمشروع الجامعة ومن أسرة التربية والتعليم القى محاضرة أوضح فيها انه من بين ٢٧٦ خريجا من الجامعات العربية تقدموا الى وزارة التربية والتعليم ، لم توافق سلطات الاحتلال الا على توظيف ٤٦ خريجا .

فما هو المقصود اذن من هذه السياسة ؟ المقصود من هذه السياسة هو ان الطالب عندما يتهيأ تعليميا ويحصل على المؤهل الجامعي لا يجد عملا في الضفة مما سيجعله يفكر بالرحيل . ولعل هذا هو الهدف البعيد الذي تسعى اليه سلطات الاحتلال وهو تفريغ الضفة من السكان عن طريق التحاق عائلات الخريجين بالخريجين انفسهم في الاقطار العربية .

في بادىء الامر كانوا يقدمون أذونات (تسهيلات) عمل ولكن مع الزمن يمكن ان تؤدي هذه الاعمال الى نوع من الاستقرار في الخارج .

وسبب آخر من أسباب المعارضة هو ان بعض من تولى الدعوة الى هذه الفكرة أراد

الاستفادة السياسية من ورائها كما ان بعضهم ، ليس من ارباب العلم والتعليم . كما اثيرت علامات استفهام حول طريقة تمويلها وحول طبيعة علاقاتها المستقبلية ومستقبل حامل الشهادة التي تمنحها خاصة وان اتحاد الجامعات العربية يقف منها موقفا سلبيا . وكذلك الاقطار العربية .

يضاف الى ذلك عامل آخر هو ان هذه المحاولة طرحت من قبل بعضهم كرد فعل اقليمي على الجامعة الاردنية في محاولة استغلت حماس بعض الناس في الضفة لخلق هذه الجامعة . ولكن شعبنا بطبعه غير اقليمي ولم تنطل عليه مثل هذه المحاولة وانما كان يقيمها من خلال معاييرها الحقيقية وهي علاقة هذه الجامعة والقائمين عليها في مؤسسات التربية والتعليم وعدم الاستغلال السياسي لرغبة الشعب في تطوير التعليم الى المستوى الجامعي، والحرص على مصادر تمويل هذه الجامعة والحرص على اعتراف الدول العربية بها. وحيث ان كل المقومات هذه لم تكن لتتوفر في مشروع الجامعة المقترح لذلك كان موقف جماهير شعبنا وقواها الوطنية منها سلبيا الامر الذي لم يجعل فكرة الجامعة توضع موضع التنفيذ العملي الى الان .

عربي عواد : ان من أبرز وأخطر مظاهر المخطط الصهيوني الذي مارسه المحتلون الصهاينة منذ الاحتلال الاسرائيلي بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ كان في مجال الاستيطان الصهيوني . اذ قام المحتلون بالاستيلاء على مساحات شاسعة من الارض الفلسطينية الواقعة تحت نير الاحتلال بالاضافة الى الارض العربية الاخرى التي وقعت تحت نير احتلالهم . وتركز هذا الهجوم الاستيطاني بالدرجة الاولى في مدينة القدس العربية حيث صادر المحتلون أكثر من عشرين الف دونم حول مدينـــة القدس وداخلها واقاموا عليها ضواحي سكنية جديدة سواء أكان في الشمال او الشرق أو الجنوب وكذلك في داخلها . وفي الخليل صادروا اكثر من ١٥ الف دونم وبنوا عليها مستوطنة جديدة اسمها « كريات اربع» تمهيدا لتوسيعها بحيث تصبح مدينة كبيرة أطلقوا عليها سلفا اسم «الخليل العليا» على غرار «الناصرة العليا» ـــ وهي المدينة اليهودية التي أقيمت بجوار الناصرة العربية ـــ وامتد هذا المخطط الاستيطاني ليشمل كافة الارض الفلسطينية كما ذكرنا ولا سيما في منطقة الغور حيث بلغت المساحة التي استولوا عليها اكثر من مليون دونم وضعت تحت اشراف شركة « الكرن كايمت » الاسرائيلية . وعمليات الاستيطان هذه كانت تقوم على نهب الارض وتدمير ما عليها من مزارع ومنشآت زراعية . فمثلا دمروا في منطقة الغور العديد من بيارات الحمضيات ومن ماتورات المياه ودور السكن واقاموا في هذه المنطقة أكثر من ست عشرة مستوطنة . وفي قطاع غزة طبق هذا المخطط الاستيطاني فصودرت عشرات الالاف من الدونمات ومن أبرزها الاراضي الواقعة في مشارف « رفح » حيث طرد أهلها ويزيد عددهم على ستة آلاف واستولى المحتلون الصهاينة على أراضيهم ودمروا ما عليها من منشآت واقاموا حولها الاسلاك الشائكة .

الى جانب المخطط الاستيطاني هذا هناك سياسة الالحاق الاقتصادي التي تحدث عنها الاخ عبد الجواد صالح . وبودي أن أضيف بعض النقاط حولها :

طيلة سنوات الاحتلال يمارس المحتلون سياسة الالحاق والدمج الاقتصادي بالنسبة لارضنا المحتلة في مختلف مجالات الصناعة والزراعة والتجارة وفي مجال النشاط البنكي وكذلك في مجال تشغيل الايدي العاملة. وساعد المحتلين الصهاينة في تنفيذ هذا المخطط، الضعف الكبير في المستوى الاقتصادي في أرضنا المحتلة وخاصة في الضفة الغربية . وهذا المستوى المتدني ناشىء عن السياسة التي كان يتبعها الحكم الرجعي في الاردن . هذا الحكم الذي يعتمد على المساعدات الاجنبية ويعيش في وضع طفيلي عليها وبالتالي فهو غير معني بأية تنمية اقتصادية في الاردن بوجه عام . يضاف الى ذلك سياسة التمييز

التي كانت تطبق على الضفة الغربية وتمثلت في وضع العراقيل والعقبات امام نشوء اية مؤسسات اقتصادية كالمشاريع او المؤسسات الانتاجية البسيطة . لذلك فقد سهل على المحتلين الصهاينة ان يطبقوا سياسة الدمج الاقتصادي خصوصا وان الاقتصاد الاسرائيلي يعتمد على صناعة حديثة ورؤوس أموال ضخمة تتدفق من الشركات الاحتكارية سواء من الولايات المتحدة الاميركية او اوروبا الغربية ، نتيجة للارتباط الوثيق بين الاقتصاد الاسرائيلي وشركات الاحتكار العالمية .

ومن هنا فقد سهل على الصناعة الاسرائيلية ان تمد نفوذها الى ارضنا المحتلة ولم تستطع صناعتنا البسيطة ان تقف في وجهها . لذلك نشأ العديد من الورشات البسيطة الملحقة بالشركات والمؤسسات الاسرائيلية وبشكل خاص في مجال البناء . مثلا معامل الطوب والبلاط والحجارة ، يضاف الى ذلك العديد من الورشات الملحقة بصناعات الملابس الاسرائيلية ، وكذلك الاحذية والموبيليا وكافة الصناعات الخفيفة التي سهل الحاقها بالشركات والمؤسسات الاسرائيلية . وحملة الالحاق هذه والتبعية، تهيىء المجال للشركات والمؤسسات الاسرائيلية بأن تجني أرباحا طائلة نتيجة رخص الايدي العاملة العربية بالنسبة لاجور الايدي العاملة اليهودية .

وفي مجال الزراعة طبقت نفس السياسة الالحاقية . فزراعتنا التي تستخدم أساليب بدائية بسيطة لم تستطع ان تزاحم الزراعة الاسرائيلية التي تعتمد على الاساليب الحديثة والتي تتمتع بحماية جمركية من سلطات الاحتلال ، الى جانب اساليب الدعم المتعددة التي تقدم لها . وهكذا فنتيجة لسياسة التمييز بالنسبة لزراعتنا ضربت المنتجات الزراعية في الارض المحتلة وهذا أدى الى تعطيل فلاحة مساحات واسعة من الارض المحتلة مما يهيء المجال امام المحتلين للاستيلاء على مساحات واسعة من الاراضي العربية .

وفي مجال التجارة ايضا ،فان الارض المحتلة اصبحت سوقا مفتوحة للبضائع الاسرائيلية . حتى الاستيراد من الخارج يتم عن طريق الوكلاء الاسرائيليين . والوكلاء العرب هم أيضا في حالة تبعية . ومن هنا فان المحتلين يجنون ارباحا كبيرة نتيجة للسوق التي فتح امامهم . وتقدر الاحصائيات خصوصا في السنوات السابقة لعام ١٩٧٠ ان ارباح التجار الاسرائيليين من الاسواق العربية تزيد على ٩٠ مليون دولار . والتجار العرب لا يترك لهم الا قسط بسيط من الربح لان حصة الاسد تذهب الى التجار الاسرائيليين .

وأخطر جانب في سياسة الالحاق والدمج الاقتصادي هو تشغيل عشرات الالوف من العمال العرب في المشاريع الاسرائيلية ، بسبب البطالة الواسعة النطاق في ارضنا المحتلة ونتيجة تدني المستوى الاقتصادي فقد استطاعت الصناعة والزراعة الاسرائيلية استيعاب أعداد كبيرة من الايدي العاملة العربية ، والاحصائيات الاسرائيلية الرسمية تقدر عدد العمال العرب الذين يشتغلون مباشرة في المؤسسات الاسرائيلية بما يزيد على ٦٠ — ٧٠ الف عامل . واذا اخذنا في الاعتبار العمال الذين يشتغلون في الورشات والمشاغل الملحقة بالاقتصاد الاسرائيلي فأن عدد العمال الذين يشتغلون لحساب الشركات الاسرائيلية يزيد على المئتي الف عامل ويتخذ المحتلون الصهاينة من هذه القضية ، قضية تشغيل العمال العرب في المؤسسات والشركات الاسرائيلية مادة خصبة لدعاياتهم ومزاعمهم بأنهم أمنوا لعمالنا فرص العمل ورفعوا مستوى حياتهم بحيث أصبحوا يعيشون في بحبوحة ! مما أدى ، حسب مزاعمهم ، الى تخدير العمال واضعاف مشاعرهم الوطنية وابعادهم عن ساحة النضال والمقاومة ضد الاحتلال .

ولكن الوقائع تكشف زيف هذه المزاعم وتظهر مدى الاستغلال والتمييز والحرمان

الذي يتعرض له عمالنا الذين تضطرهم الظروف القاسية للعمل في الشركات والمؤسسات الاسرائيليـــة .

ان هذه المسألة الهامة لا بد من التعرف على جوانبها المختلفة . فالعمال العـــرب يشتغلون بالفعل لمصلحة الاقتصاد الاسرائيلي ولكن يتعرضون لشتى انواع الاستغلال والتمييز والحرمان .

اولا : يشتغل العمال العرب في اعمال غير فنية . ويعمل معظمهم في الزراعة والبناء والصناعات الخفيفة والخدمة في الفنـــادق والمطـــاعم والمقاهي ، فحسب العقليـــة الصهيونية العنصرية المتغطرسة لا يصلح العرب للعمل الا سقائين وحطابين وعتالين وخدما .

ثانيا : يحرم عمالنا من الحقوق التي تنص عليها قوانين العمل المتعارف عليها في العالم كله ، مثل العطل الاسبوعية المدفوعة الاجر والعطل السنوية والتأمين الصحي والضمان الاجتماعي .

ثالثا : يحظر عليهم الانتساب الى النقابات العربية بدعوى أنهم يشتغلون في اسرائيل واختصاص وصلاحية النقابات العربية هو الارض العربية المحتلة .

رابعا :تظهر الاجور تمييزا واضحا بالنسبة للعمال العرب . فيتقاضى العامل العربي اجرا يقل عن ثلثي ما يتقاضاه العامل الاسرائيلي . وهنـــاك ارقام تؤكـــد علـــى هذه الحقيقـــة .

خامسا : يتم حسم نسبته ٣٣ ٪ من أجر العامل العربي لصالح الجيش الاسرائيلي والتأمينات الصحية والاجتماعية التي لا يستفيد منها العامل العربي بتاتا .

سادسا :يتعرض العمال العرب الى حالة من الارهاب وكثير من الاهانات علـــى أيدي ضباط المخابرات الاسرائيلية الذين ينتشرون في كل مؤسسة اسرائيلية لمراقبـــة العمال العرب والتجسس عليهم وارهابهم . وهكذا فأن عمالنا يرزحـــون تحت نـــير مزدوج : نير سلطات الاحتلال الاسرائيلي وما يمارسه من سياسة عدوانية توسعية استيطانية ضد شعبنا كله ، ونير أصحاب الشركات والمؤسسات الصهيونية ومـــا يمارسونه ضد عمالنا من نهب واستغلال وتمييز ، مما يضاعف من حقد عمالنـــا على المحتلين الصهاينة ويلهب مشاعرهم الوطنية .

وقد عبر عمالنا عن مواقفهم الوطنية ومقاومتهم للاحتلال في مناسبات كثيرة وشاركوا بنشاط في النضالات التي خاضها شعبنا ، ولكن تبقى امام الحركة الوطنية الفلسطينية في ارضنا المحتلة بقيادة الجبهة الوطنية الفلسطينية رغم تعبئة الطاقات النضالية لعمالنا وتنظيمها وتوحيدها مع باقي فئات شعبنا ، والتصدي لمحاولات الصهاينة التي تستهدف تخدير عمالنا ونشر الميوعة والانحلال بين اوساط الشباب منهم .

بالنسبة لسياسة الجسور المفتوحة فانه لا بد من التعرف على الاسباب التي تدفع سلطات الاحتلال لدعمها وتشجيعها .

عمليا فان سياسة الجسور المفتوحة تمكن البضائع الاسرائيلية من ان تتسرب الى الاسواق العربية . يضاف الى ذلك ان الصهاينة يجنون منها فوائد سياسية لانها عمليا تفسح المجال للصناعات العربية بالذهاب الى الاسواق العربية وهذا يؤدي الى تخدير اصحاب الصناعات العربية وعدم تحريكهم ودفعهم للنضال ضد الاحتلال . كما أن ذلك يترك السوق العربية مفتوحة امام البضائع الاسرائيلية . وهناك احصائيات تبين ان

الانتاج الذي توزعه شركة الزيوت النباتية في الضفة الغربية هو ثلثا ما كانت توزعه قبل الاحتلال في الضفة . وهذا مظهر من مظاهر تطبيق سياسة الدمج الاقتصادي وجعل السوق العربية ملحقا للصناعة الاسرائيلية .

أما في المجال الثقافي — ما دمنا في معرض الحديث عن الجامعة — فان سياسة الاحتلال تقوم على ضرب التطور الثقافي لشعبنا ودفعه الى مهاوي الجهل . وهذه السياسة تتمثل في أشكال متعددة منها على سبيل المثال ان الابنية المدرسية التي انشأتها سلطات الاحتلال في هذه السنوات قليلة جدا . وهناك العديد من الابنية القديمة التي لا تزال في وضع يهدد سلامة الطلاب. وانهيار جدار مدرسة «عطاره» للبنات في منطقة رام الله على رؤوس الطالبات خير دليل على ذلك . وهناك مدارس عديدة على هذا الوضع في مختلف انحاء الضفة المحتلة .

يضاف الى ذلك ان الرواتب التي تدفع الى المعلمين هي رواتب هزيلة وادنى من الرواتب التي يتقاضاها العمال غير الفنيين . مثلا فان معدل الراتب الذي يتقاضاه المعلم لا يزيد على ٤٠٠ ليرة اسرائيلية شهريا بينما متوسط الاجر الذي يتقاضاه العامل ٦٠٠ ليرة شهريا . هذا الى جانب الصعوبات التي يجدها الخريجون في العمل وضآلة الفرص المتاحة لهم كلها تدفع العديد من الشباب والفتيان الى ترك المقاعد الدراسية في المرحلة الاعدادية والذهاب الى المصانع والورشات الاسرائيلية ضمن السياسة التي تهدف الى تحويل شعبنا كله الى مجموعة من الاجراء والايدي العاملة الجاهلة . وفي الواقع فان احصائيات العديد من المدارس الاعدادية والثانوية تثبت هذه النتيجة .

الى جانب ذلك يسعى المحتلون الى تشويه ثقافتنا . ويظهر ذلك بوضوح في المناهج المدرسية التي يعملون على افراغها من أي محتوى وطني او تقدمي ، ولذلك شطبت والغيت العديد من المواضيع منها على سبيل المثال موضوع القضية الفلسطينية والثورة الجزائرية حيث الغيتا نهائيا . كذلك شطبت القصائد الوطنية حتى بلغ بهم الامر الى شطب بعض الامثلة التي تبرز المشاعر الوطنية . ففي كتب القواعد نجد ان مثالا كـ « الخائن محتقر » وضع مكانه « اللص محتقر » لانهم لا يريدون التشهير بالخونة والعملاء .

يضاف الى ذلك منعهم اي اتصال ثقافي مع البلاد العربية ، فيحظر دخول المجلات والصحف والكتب الثقافية العربية الى أرضنا المحتلة . ويسمح فقط بدخول المجلات الفنية .

فيما يتعلق بالسياسة البلدية فقد تحدث عنها الاخ عبد الجواد باسهاب ، الا انه يجب الذكر ان المحتلين حرصوا على تطبيق سياسة معينة منذ أيام الاحتلال الاولى . وهذه السياسة تسعى الى احتواء شعبنا في الارض المحتلة وتدجين وامتصاص نقمته . ولذلك فانهم اعطوا البلديات بالفعل صلاحيات لم تكن لها قبل الاحتلال وذلك من اجل الادعاء بأن الاحتلال يعطي الحرية للمؤسسات المنتخبة من قبل الشعب مع بقاء مصير شعبنا كله في ايديهم سواء على الصعيد الامني او على صعيد السياسة الخارجية . فالمحتلون يريدون ان يشغلوا شعبنا بالامور الثانوية مثل فتح الطرقات والمجاري والكهرباء والتعليم وادارة الشؤون الصحية وحرمانه من ممارسة القضايا الاساسية المتعلقة بمصيره السياسي وكيانه وحياته . هذه هي السياسة التي دأب المحتلون على ممارستها وهذا ما يفسر سبب اعطائهم البلديات صلاحيات لم تكن لها من قبل . وكانوا يسعون الى تطوير البلديات لتصبح هيئات ضمن ما يسمى بالحكم الذاتي . وهذه هي احدى الوسائل لربط شعبنا بالاحتلال واضفاء صورة شرعية للتعامل مع الاحتلال . والواقع

ان هذه السياسة فشلت فشلا ذريعا . وعلى سبيل المثال فقد جرت محاولة في صيف عام ١٩٧١ لعقد مؤتمر لرؤساء البلديات في الضفة الغربية ولكن رفضت هذه الفكرة رفضا قاطعا . وعلى هذا الاساس قام الاحتلال باجراء الانتخابات في عام ١٩٧٢ : اولا لاعطاء صورة عن وضع شعبنا في الارض المحتلة بأنه يعيش في ظروف طبيعية وعادية وانه يمارس الانتخابات كأنه لم يكن هناك احتلال . وثانيا عسى ان تكون هذه الانتخابات خطوة الى الحكم الذاتي في ظل الاحتلال الاسرائيلي . لقد جندت ضد الانتخابات البلدية حملة جماهيرية واسعة شاركت فيها مختلف الفئات والهيئات الوطنية وتمثلت في اصدار العديد من المنشورات المناوئة للانتخابات وكتابة الشعارات على الجدران وعقد الاجتماعات وكتابة المقالات في الصحف العلنية .

ومع ان شعبنا لم يتمكن من احباط الانتخابات ومنعها ، نظرا للصعوبة الكبيرة التي كانت قائمة انذاك لضرب حركة المقاومة الفلسطينية واخراجها من الاردن واشتداد السلبيات في الوضع العربي ، الا ان مقاصد المحتلين لتزييف ارادة شعبنا واظهاره بمظهر المستسلم لمشيئتهم المنساق مع مخططاتهم قد فشلت امام نضال شعبنا ومقاومته مما اضطر الصهاينة الى اللجوء لوسائل القمع والارهاب واجراء الانتخابات بقوة السلاح .

وفي المرحلة الثانية من الانتخابات البلدية التي جرت في المنطقة الجنوبية ، وبعدما تبين أن الظروف لا تساعد على مقاطعة الانتخابات واحباطها ، قررت القوى الوطنية المساهمة فيها لانجاح عناصر وطنية ، وتمكنت القوائم الوطنية ان تحرز نجاحا ملموسا في عدد من المجالس البلدية .

عيسى الشعيبي : السؤال الثاني يتعلق بالمناخ السياسي العام في الضفة الغربية وقطاع غزة بين حربي عام ١٩٦٧ وعام ١٩٧٣ ، وتأثره بالسياسات الاسرائيلية من جهة والسياسات الاردنية من جهة ثانية وفعالية القوى الوطنية ومساهمتها في بلورته ودفعه الى الامام متلائما مع رغبات وامانى شعبنا الوطنية .

وفي هذا المجال فانه يمكن طرح الاسئلة التالية :

١ ــ في الفترة التي تلت حرب حزيران مباشرة ، وبعد ضم القطاع العربي من مدينة القدس الى اسرائيل ، قامت حالة جماهيرية احتجاجية على اجراءات الضم عمت سائر مدن الضفة والقطاع اقتربت من حالة العصيان المدني . كيف ساهمت القوى الوطنية في ذلك وما هي الاسباب التي حالت دون تكرار مثل تلك الحالة الوطنية فيما بعد ؟

٢ ــ لجأت اسرائيل الى ممارسة سياسة العقوبات الجماعية وهدم المنازل والاعتقال بالجملة والابعادات ، ردا على عمليات المقاومة في الضفة الغربية وقطاع غزة . فما هو حجم التأثير الذي تركته هذه العمليات على سكان المناطق المحتلة في عملية مواصلة النضال باشكاله المختلفة ضد الاحتلال .

٣ ــ خلقت مجازر ايلول الدموية عام ١٩٧٠ ردة فعل عميقة تجاه نظام الحكم الاردني في الضفة الغربية وقطاع غزة . وتبع ذلك وقف صرف رواتب موظفي المؤسسة الاردنية السابقة في الضفة الغربية . فما هي المظاهر التي يعالج بها نظام الحكم الاردني اثار ردة الفعل تلك في ظل توجهه نحو اعادة سيطرته على الضفة الغربية وقطاع غزة كذلك، وما هي اثار النتائج التي رتبتها مجازر ايلول على العلاقات السياسية وغير السياسية بين الضفتين ؟

عبد المحسن ابو ميزر : فيما يتعلق بالموضوع الثاني المطروح في هذه الندوة ، وفي مجال الاجابة على الاسئلة المقترحة حول هذا الموضوع يمكن الاجابة عليها على النحو التالي :

ان الصهيونية كفكرة وعقيدة تؤمن ان الغزو والفتح سبب من الاسباب التي تؤمن لها النمو والتطور ،ومن اسباب كسب الملكية .. ولعل ذلك ينبع من مفاهيم المرحلة التاريخية التي رافقت الفكرة الصهيونية وهي مرحلة الاستعمار الاستيطاني والالحاقي ومرحلة الحاق المستعمرة بالدولة الفاتحة او الغازية . بالاضافة الى شعور الصهيونية والقادة الصهيونيين بأن الحرب والضم والالحاق هي الوسائل الوحيدة لانشاء وطن صهيوني وايمانهم بأن هذا الوطن لا يمكن ان ينشأ الا بالاستيلاء على ارض الغير . والعقيدة الصهيونية لم تنشأ في وطن لها وانما قام بعض اليهود بنسج هذه العقيدة ومن ثم اخذوا يبحثون لهذه العقيدة عن وطن . وكلنا نعرف المراحل التي مرت بها الفكرة الصهيونية ومراحل الاختيارات والمحاولات التي قاموا بها لشراء وطن لهذه العقيدة .

ان الصهيونية لا تؤمن بالشرعية القانونية لانها لو اعتمدت الشرعية القانونية لما استطاعت انشاء دولة او وطن . وفلسطين هي من الناحية الشرعية والقانونية ملك لاهلها العرب في فلسطين . وعلى ذلك فان تنكر الصهيونية للشرعية القانونية والشرعية الدولية امر ينسجم مع طبيعة هذه الفكرة ومع طبيعة هذه العقيدة ، لاستحالة تنفيذ اهداف الصهيونية من خلال الشرعية القانونية او الشرعية الدولية .

من خلال وعينا لهذه الحقيقة التي تقوم عليها الصهيونية كفكرة وكممارسة يمكن ان نفهم مبادرة اسرائيل الى ضم القدس ، كما يمكننا ان نفهم عمليات الضم والالحاق التي مارستها اسرائيل عام ١٩٤٧ للاراضي العربية التي خصصت بموجب قرار التقسيم الى الدولة العربية التي اقترح اقامتها القرار المذكور .

ان ضم القدس بالنسبة لاسرائيل كان يستهدف : اولا السيطرة والحاق المدينة ذاتها . وثانيا السيطرة على موقع المدينة جغرافيا مما يمكنها من السيطرة الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية على اكثر من مدينة القدس . وكلنا يعلم الارتباط العضوي — سواء من الناحية الاقتصادية او الناحية الاجتماعية او الناحية الدينية والسياحية ، بين مدينة القدس ومدينة بيت لحم ومدينة اريحا . وقد شجع اسرائيل على اجراء هذا الضم قلة الكثافة السكانية العربية في المدينة المقدسة . لان عدد العرب بعد أن وقع الاحتلال لم يكن يتعدى ٨٥ الفا . اذ كان قسم من ابناء المدينة في الخارج لطبيعة عمله كما ان وقوع الاحتلال حرم قسما كبيرا اخر من العودة الى المدينة . اضافة الى عملية الهجرة الجزئية من المدينة التي رافقت الحرب .

ان الكثافة السكانية العربية كما لمسنا من خلال تجربتنا في ظل الاحتلال ووعينا على السياسة الصهيونية الاستيطانية ، تشكل رادعا من اهم الروادع للتوسع الاسرائيلي . فلو كان في القدس مثلا عدد من السكان العرب بمئات الالوف لما تجرأت اسرائيل على اعلان ضمها . واسرائيل تحرص على تنفيذ المقولة الصهيونية الرئيسية وهي انها تريد « وطنا بلا شعب » . ولذلك جاء ضم القدس للارض دون السكان ، وحتى الآن لا تعتبر اسرائيل السكان العرب في القدس مواطنين اسرائيليين . ومرارا كانت تعلن على لسان وزير الدفاع موشي ديان وغيره ان وضع السكان العرب في مدينة القدس كوضع الاسبان في فرنسا ... لان اسرائيل لا تريد سكانا عربا ولا تريد تواجدا عربيا في داخلها يتنامى مع الايام ويتكاثر ليفرض عليها اوضاعا سياسية داخلية تعصف بالمفاهيم الصهيونية التي تسعى الى اقامة دولة يهودية صرفة .

ان القدس تحتل مكانة خاصة في نفوس الشعب العربي والامة العربية والعالم اجمع . وشعبنا في المناطق المحتلة ،وعيا منه على حقه في وطنه وعلى مكانة القدس التاريخية والحضارية والدينية في هذا الوطن ، ووعيا منه على مرامي الضم والالحاق ، اعلن رفضه لضم القدس وجاء رفضه ليسجل اول رد فعل علني تجاه الاحتلال وسياسة الضم

الاسرائيلية. لان اسرائيل خلال الشهر الاول من الاحتلال أعلنت ضم القدس. وكان شعبنا في ذلك الوقت يعيش مرحلة ذهول كنتيجة لما أسفرت عنه حرب حزيران وحجم الاراضي التي تم احتلالها من قبل اسرائيل على مختلف الجبهات . وكان من اسباب هذا التحرك انه بعد اعلان اسرائيل لضمها القدس ، طلبها من دائرة الاوقاف الاسلامية كدائرة قائمة في مدينة القدس قبل الاحتلال ان تعتبر نفسها دائرة تابعة للحكومة الاسرائيلية . ووعيا من المسؤولين على دائرة الاوقاف على خطورة هذا الطلب ، تداعى من تواجد في المدينة المقدسة في ذلك الحين من العناصر القيادية والاجتماعية المسؤولة في ذلك البلد الى اجتماع لدراسة هذا الموضوع . وكان من نتيجة هذه الدراسة ان أعلن رفض هذا الطلب والاحتجاج على ضم المدينة المقدسة العربية وعلى رفض اي اعتراف بهذا الضم. وصدر بيان أعلن تشكيل المجلس الاسلامي الاعلى مستندا الى الشرعية الدولية التي تقضي بأنه لا ولاية لاسرائيل على المدينة المقدسة من زاوية القانون الدولي ، ومن الناحية الدينية لا ولاية لغير المسلم على المسلم . وعليه فان المجلس الاسلامي الاعلى الذي تشكل نتيجة هذا الاجتماع يعتبر نفسه مسؤولا عن دائرة الاوقاف والمحاكم الشرعية وشؤون المقدسات الاسلامية . حسب الفتاوى الشرعية التي تنص على مثل هذه الحالات عبر التاريخ الاسلامي الطويل .

على الاثر ، وبعد تشكيل المجلس الاسلامي الاعلى وصدور بيانه الذي كان اول بيان علني يعلن شجبه للاحتلال وضم القدس ، توالت برقيات التأييد لهذا المجلس من مختلف المؤسسات والهيئات ذات الصفة التمثيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، واعلنت تأييدها لهذا المجلس وللوثيقة التي صدرت عنه والمتضمنة تشكيله ورفضه للاحتلال وضم مدينة القدس .

كان لتشكيل هذا المجلس كمبادرة شعبية جماعية تحدث في الشهر الاول من الاحتلال ، اثر كبير حيث تجاوبت معها الجماهير تجاوبا كاملا تجلى كما ذكرنا في برقيات التأييد وتجلى ايضا بامتناع جميع موظفي الاوقاف والمحاكم الشرعية في القدس والضفة الغربية عن التعامل مع الاحتلال كسلطة شرعية ، ورفضوا اعتبار انفسهم موظفين لدى سلطات الاحتلال ، واعلنوا ارتباطهم الوظيفي بالمجلس الاسلامي الاعلى الذي عرف فيما بعد بالهيئة الاسلامية في القدس . وبذلك استطاع المجلس الاسلامي الاعلى ان يصون دوائر الاوقاف وعقارات الاوقاف ومؤسسات الاوقاف الاسلامية وموظفي الاوقاف وموظفي المحاكم الشرعية في القدس وكافة مدن الضفة الغربية من الخضوع المباشر الى سلطات الاحتلال او الحكم الاسرائيلي . وكان هذا نصرا كبيرا سجله شعبنا لاهميته من الناحية السياسية والعقائدية . فكلنا يعلم ان معظم اراضي فلسطين اراض وقفية وان استيلاء السلطات الاسرائيلية على هذه الاراضي الوقفية يعني استيلاءها على تراب الوطن .

على اثر الضم وعلى اثر صدور هذه الوثيقة بدأ تحرك جماهيري حاولت سلطات الاحتلال ان تخنقه بالارهاب والضغط ، فقامت بنفي اربعة من اعضاء المجلس الاسلامي الاعلى عن القدس وهم : المحامي ابراهيم بكر حيث كان يعمل مستشارا قانونيا لدائرة الاوقاف في القدس والذي نفي الى مدينة اريحا . والدكتور داوود الحسيني عضو المجلس الذي نفي الى مدينة الخضيرة ، ومحافظ القدس السيد انور الخطيب الذي نفي الى صفد ، وانا شخصيا نفيت الى طبريا . واستمر النفي المقرون بالاقامة الجبرية واثبات الوجود ثلاث مرات يوميا مدة ثلاث أشهر . وقد قات سلطات الاحتلال بهذا الاجراء في محاولة منها لارهاب الجماهير العربية في القدس ولارهاب اعضاء المجلس الاسلامي الاعلى والحيلولة دون مواصلتهم الاحتجاج والاعتراض على الضم . غير أن

هذه المحاولات لم تثن شعبنا عن رفض الضم ولم تثنه عن القيام بشتى المحاولات التي قام بها للتعبير عن رأيه وشعوره تجاه الاحتلال وسياسته الالحاقية والاستيطانية . واخذت مقاومته ازاء تلك السياسة اشكالا شتى . ففي الجانب العسكري كانت المنظمات الفدائية بطبيعة الحال تقوم باعمال ضد الاحتلال . اما الجماهير العربية في القدس والمناطق العربية المحتلة فقد واجهت بعد الاحتلال واقعا يتسم بطبيعة الحال بالظروف التي كانت تحيط بالجماهير العربية قبل الاحتلال . وهذه السمة تنبع بالاساس من انه لم يكن الشعب مدربا على استعمال السلاح ، وانه لا توجد تنظيمات حزبية او شعبية سياسية في المناطق المحتلة . لذلك وجدنا من واجبنا في الضفة الغربية ان نحاول انشاء نواة بناء حركة سياسية وطنية في داخل المناطق المحتلة تقوم على رفض الاحتلال ومقاومته بالطرق والاساليب السياسية ، فتأسست في كل مدينة من مدن الضفة الغربية لجان للتوجيه الوطني ، وكان الاساس الذي بنيت عليه هذه اللجان هو تجميع أوسع قاعدة لجماهير شعبنا التي ترفض الاحتلال ولا مصلحة لها باستمراره او بقائه . واخذنا بالنشاط كمقاومة سلبية من خلال الاحتجاجات والمظاهرات والاضرابات والاعتصامات الجماهيرية والنسائية والطلابية . واعلنت البيانات التي تدعو الى محاولة عرقلة مهمة الاحتلال في القدس والاراضي المحتلة عن طريق عدم تيسير وسائل وأدوات بيد الاحتلال تمكنه من ممارسة سلطاته . فأعلن الطلاب اضرابهم عن المدارس ، وأعلن المعلمون اضرابهم عن التدريس ، والمحامون اضرابهم عن مزاولة مهنة المحاماة . وكنا نعتقد ان هذه المقاومة السلبية يمكن أن تتطور مع الزمن ويمكن ان تشيع من خلال المعارك النضالية التي يخوضها شعبنا جوا من الثقة والتلاحم يمكن من ميلاد حركة سياسية تقوم بنشاط سياسي منظم على مستوى عال يخلق المتاعب للاحتلال ويؤدي دورا سياسيا في خدمة تحرير المناطق المحتلة . الا أنه لم يقدر لهذه المقاومة السلبية ان تأخذ مداها الكامل لعدة اسباب أهمها ان اضراب المعلمين واضراب المدارس قد نجحت سلطات الاحتلال نتيجة استغلالها الظروف التي نشأت عن تعطيل المدارس وتواجد الطلاب في الشوارع والطرقات وعدم وجود حركات سياسية تستوعب هذه العناصر من الطلاب في صفوفها ونتيجة ممارسات ضغط قام بها الاحتلال على بعض المؤسسات في المناطق المحتلة سواء أكانت بلدية او غرف تجارية ، الامر الذي أدى الى عودة التدريس وعودة الطلاب الى المدارس . واستمر اضراب المحامين من جهة اخرى حتى الان كمظهر من مظاهر المقاومة السلبية التي بدأت على اثر الاحتلال مباشرة . وبالرغم من ان المرحلة قد تجاوزت هذا الاضراب الا ان القسم الاعظم من المحامين لا زال يرفض العمل أمام المحاكم الاسرائيلية سواء في القدس او في المناطق المحتلة .

ان الانتفاضة الجماهيرية التي أعقبت ضم القدس كانت تعبيرا واستفتاء على رفض سكان القدس والمناطق المحتلة لضم المدينة المقدسة. ولا يترك شعبنا في القدس والمناطق المحتلة مناسبة هامة تمر دون ان يعلن رفضه لسياسة الضم والالحاق ، فهنالك اكثر من اضراب حصل احتجاجا على القوانين الاسرائيلية المتعلقة بالضرائب والمتعلقة بسياسة الضم . وهنالك اضراب حصل عندما حضر مندوب الامين العام للامم المتحدة يحقق في أوضاع المدينة المقدسة . والمجلس الاسلامي لا يترك مناسبة تمر دون ان يندد بالاجراءات التي تقوم بها السلطات الاسرائيلية المحتلة تجاه المقدسات والاعتداء عليها ، وفي كل بياناته يعلن تمسكه بعروبة القدس ورفضه لالحاقها او ضمها لاسرائيل .

ولانعدام الشروط الموضوعية اللازمة لاستمرار هذه الانتفاضة بشكل متواصل ، كان من الطبيعي أن تفتر ثم تشتد . وجميع المحاولات التي كانت اسرائيل تحرص من خلالها على التعبير عن نجاح التعايش السلمي بين العرب والاسرائيليين في القدس لاستغلالها دعائيا ، كان شعبنا لها بالمرصاد وكان يشارك في تحركاته الاحتجاجية التي تفند هذه

المزاعم الاسرائيلية جميع قوى الشعب من طلاب ومحامين ومعلمين وعمال ورجال دين وتجار وملاكين . وكانت كل هذه التحركات تعلن رفضها لضم القدس وسياسة الالحاق التي تمارسها اسرائيل تجاه القدس العربية .

وقبل أن أنهي حديثي حول ما جاء في السؤال الاول أود أن أنوه بأن عدم الاهتمام بالتنظيم السياسي من جانب المقاومة الفلسطينية في داخل المناطق المحتلة ، وضعف ان لم يكن انعدام الدعم العربي لاوضاع شعبنا داخل المناطق المحتلة على نطاق واسع تمكنه من انشاء مؤسسات عربية تعينه في الصمود في وجه الاحتلال والضم ، أيضا كان له أثر على عدم استمرارية الانتفاضة التي نشأت بعد اعلان الضم .

اما في مجال الاجابة على السؤال الثاني والمتعلق بممارسة سياسات العقوبات الجماعية وهدم المنازل واثر ذلك على شعبنا في المناطق المحتلة ، أود القول بأن المقاومة الجماهيرية بأشكالها المختلفة، سواء العسكرية من خلال المنظمات الفدائية أو السياسية من خلال القوى والعناصر الوطنية في داخل المناطق المحتلة ، بدأت كما أشرت منذ اليوم الاول لوقوع الاحتلال . وشعبنا بذلك سجل موقفا رائدا بين الشعوب المناضلة ضد الاحتلال عبر التاريخ ، خاصة اذا ما قورن بالشعوب الاوروبية ابان الغزو الهتلري . فكلنا نعلم أن المقاومة الشعبية أو المقاومة المسلحة لم تبدأ في أوروبا فور وقوع الاحتلال مباشرة وانما بعد مرور فترة ليست قصيرة على وقوعه ، وربما بدأت في اوروبا قبيل غزو النورماندي ، بينما شعبنا في داخل المناطق المحتلة ، مستلهما تاريخه النضالي الطويل ومستلهما تجاربه النضالية الطويلة أيضا وتجارب الامة العربية بأسرها ، تصدى للاحتلال مكافحا بجميع الوسائل التي يملكها منذ اليوم الاول لوقوعه .

واجهت سلطات الاحتلال الاسرائيلي مقاومة شعبنا لوجود الاحتلال واستمراره ، بعقوبات جماعية منها هدم المنازل والاعتقالات بالجملة وسياسات الابعاد الى الضفة الشرقية . ويكفي للتدليل على نوعية هذه العقوبات التعسفية ان اشير الى نموذج وهو أنه اذ ما ألقي القبض مثلا على مواطن يملك قطعة سلاح في بيت لا يملكه هذا المواطن أو أن والد هذا المواطن مستأجره من مالك آخر ، تكون العقوبة هدم هذا المنزل ، دون ان يكون للمالك علم ودون أن يكون لولي أمر هذا المواطن علم بذلك وهو رب الاسرة . وبذلك تؤدي هذه العقوبة الى تشريد الاسرة بالاضافة الى اعتقاله وهدم البيت الذي لا يملكه وانما يملكه مالك لا علم له بكل ما يجري . هذا نوع من العقوبات التعسفية التي كانت تمارس على شعبنا في المناطق المحتلة . ولا شك ان احصائيات كثيرة جدا صدرت في هذا الخصوص تعدد البيوت التي تم هدمها نتيجة لتطبيق مثل هذه العقوبات وهي تعد بالالاف .

اثرت العقوبات الجماعية على المقاومة التي كان يبديها شعبنا ولكنها لم تمنع هذه المقاومة من الاستمرار كما لم تمنع استمرار شعبنا في رفضه للاحتلال ، غير اننا لا نستطيع أن نتجاهل الاثر الذي أحدثته هذه العقوبات في الاضعاف من تنامي النهوض الجماهيري ، وخاصة لعدم توفر التنظيمات الشعبية السياسية المدعومة قوميا لمواجهة متطلبات النضال الذي كان يبديه شعبنا في مواجهة المحتل . والى جانب هذه العقوبات لجأت سلطات الاحتلال الى شتى الوسائل التي يمكن أن تنال من معنويات الشعب ومن فاعلية المناضلين مثل التعذيب والاعتقالات الكيفية حتى للابرياء أحيانا في محاولة لخنق هذه المقاومة . ويمكننا ان نقول تلخيصا في معرض الاجابة على السؤال الثاني ، ان اسرائيل لم تنجح في سياستها هذه في الحيلولة دون شعبنا وممارسة رفضه للاحتلال ، لان شعبنا متسلح بماض نضالي طويل وبتاريخ كفاحي عريق ومقاومته للاحتلال الصهيوني والغزوة الصهيونية لم تكن وليدة احتلال عام ١٩٦٧ فقط وانما تمتد عبر

سنين طويلة ، وهو في كل ذلك كان يستلهم الى جانب تجربته النضالية تجارب شعوب الامة العربية التي ينتسب اليها وينتمي اليها وكان يعيش معها ظروفا نضالية ووحدة شعور ومصير نضالي على مر السنين الماضية .

اما فيما يتعلق بالسؤال الثالث فيمكن الاشارة الى ما تركت مجازر أيلول عام ١٩٧٠ من ردة فعل بما يلي :

لا شك ان مجازر أيلول كان لها رد فعل عنيف في الضفة الغربيـــة وقطاع غزة لان شعبنا يشعر بأن ما تعرض له اخوتنا في الضفة الشرقية قد أصابه في الصميم . فكلنا يعلم ان عائلات كثيرة أصيب لها أفراد في الضفة الشرقية ، كما ان ضرب حركة المقاومة قد اثر على معنويات شعبنا في الضفة الغربية وبدأنا نشعر في الضفة الغربية بالمحاولات المستميتة من قبل سلطات الاحتلال لاستغلال ضرب المقاومة في الضفة الشرقية . فأخذ الاحتلال يقارن بين نفسه وبين السلطات في الضفة الشرقية التي قامت بعملية القمع في أيلول ، محاولا الاستفادة واحتواء عواطف جماهير شعبنا في الضفة الغربية . ومجازر أيلول تردنا الى طبيعة الاسباب التي أدت اليها . وفي هذا المجال يمكن ان نقول أن كل مفكر في الضفة الغربية كان يتوقع هذا الصدام في الضفة الشرقية ولم يكن مفاجئا ، وان كان الحجم الذي أخذه الاسلوب المستخدم أكثر مما كان يدور بخلد أي انسان . والسبب في عدم هذه المفاجأة هو ان جميع المفكرين في الضفة الغربية الذين كانوا يراقبون أسلوب الحكم في عمان بعد حزيران كانوا يتوقعون هذا الصدام . فالحكم في عمان لم يتصرف تصرف الحكم الذي ضاع جزء منه او وقع جزء منه تحت الاحتلال وانما ترك المجال في بادىء الامر للفدائيين الفلسطينيين للتواجد والعمل واكتفى الحكم بالاستئثار بعملية الحكم ذاته . وكان من الطبيعي ان وجود سلطتين مسلحتين داخل البلد ، وعدم شمول الحكم وعدم اعتناقه للعمل الفدائي والالتحام والتنسيق معه تنسيقا والتحاما عضويا ان يحدث تناقضا ، خاصة بعد ان تواجدت سلطتان مسلحتان على ارض واحدة ، وكان من الطبيعي ان تحدث بعض السلبيات لدى المقاومة ولكن هذه السلبيات جرى استغلالها على نطاق واسع ، ولكن من الاسباب التي أدت الى ظهور السلبيات هو الاسلوب الذي انتهجه الحكم بعد حرب حزيران . فلو ان الحكم تبنى اسلوب الالتحام مع المقاومة وتجنيد جماهير الشعب في الضفتين وتدريبها على المقاومة ورعايـــة ودعم عمليات المقاومـــة الفلسطينية في الاراضي المحتلة سواء السياسية منهـــا أو العسكرية ، لنشأت رفقة نضالية عميقة واخوة نضالية حالت دون وقوع مجازر أيلول .

ورغم ان الحكم الاردني حـــاول أن يبرر مجازر ايلول بأنهـــا جاءت نتيجة لسلبيات المقاومة ، الا أن شعبنا كان يعي أن ضرب المقاومة وخاصة بالشكل والحجم الذي تما فيه لا يمكن تبريره مهما كانت السلبيات . وشعبنا الذي يعاني من الاحتلال وممارساته القمعية يعي بحسه وممارسته ما كان لتلك المجازر من أثر على نضاله ومعنوياته . وكان لتلك الاعمال أثرها السلبي على الضفتين وعلاقتهما . غير انـــه مهما كانت الظروف والحوادث المؤلمة لا يجوز أن نتجاهل ونحـــن نتحسس طريقنا وتصورنا للمستقبـــل العلاقات الخاصة التي تربط شعبنا في الضفة الغربية مع شعبنـــا في الضفة الشرقية سواء من الناحية الانسانية السكانية أو من الناحية الاقتصادية والاجتماعية .

لذلك علينا ان ننطلق من تصورنا الى المستقبل من مبدأ توفـــير الارادة الفلسطينية الحرة على التراب الفلسطيني . وهذه الحرية يجب أن يكون منطلقها تحريريا وليس اقليميا وباتجاه تحرير تراب الوطن المحتل وليس هروبا من سلبيات نظام او حكم . ان من علامات الوعي والمسؤولية لتحديد ملامح المستقبل ان يكون تصور هذه الملامح فعلا وليس رد فعل لكي نصون تصرفاتنا وقراراتنا من أي عملية ابتزاز يستفيد منها العدو

المحتل لترابنا المتنكر لحقوقنا وفي مقدمتها حقنا في العودة الى ترابنـــا الوطني وتقرير مصيرنا عليه وليس خارجه ، وتصحيح الاخطاء التي لا تنسجم مع تيار التاريخ والتطور التي فرضت على فلسطين والوطن العربي من قبل القوى الامبريالية والصهيونية في العالم .

عربي عواد : كانت مجازر أيلول التي ارتكبها النظام الرجعي في الاردن ضد حركة المقاومة الفلسطينية وضد شعبنا الفلسطيني طعنة في الظهر لنضال شعبنا الفلسطيني في أرضه المحتلة ، لان هذه المجازر الرهيبة واخراج حركة المقاومة من الضفة الشرقية ، كان لها تأثير سلبي كبير على نضال شعبنا في الارض المحتلة وبالتالي فان مجازر أيلول كانت نقطة تفصل بين مرحلتين في نضال شعبنا في الارض المحتلة .

المرحلة الاولى التي تمد عبر السنوات الثلاث من ٦٧ ــ ١٩٧٠ كانت تتميز بحالة من النهوض والمقاومة المتعددة الاشكال سواء من المقاومة المسلحة أو النضالات السياسية والجماهيرية التي شاركت فيها مختلف الفئات والطبقات الشعبية .

المرحلة الثانية تمتد من عام ٧٠ ــ ١٩٧٣ حيث حل الجزر محل النهوض الجماهيري وظلت هذه الحالة قائمة حتى حرب تشرين الاول الوطنية التحررية . في هذه المرحلة انتقل شعبنا من حالة الهجوم ضد الاحتلال الى حالة الدفاع . لان المحتلين الصهاينة استغلوا مجازر أيلول وآثارها السلبية السيئة على حماس شعبنا واستعداده للنضال وتمادوا في تنفيذ مخططاتهم التوسعية العدوانية ضد شعبنا في جميع المجالات .

من هنا تصدى شعبنا للرد عليهم والدفاع عن نفسه في حدود الامكانات المتاحة . ومن هنا فان شعبنا يدين مجازر أيلول باعتبارها أدت خدمـــة كبيرة للمحتلين الصهاينـــة وساعدتهم على التغطية على جرائمهم المنكرة التي يرتكبونها ضد شعبنا والتظاهر بمظهر الليبرالية بالمقارنة مع اجراءات النظام الوحشية في الاردن . وكان المحتلون الصهاينة يستثمرون مجازر أيلول للابقاء على احتلالهم وترسيخه .

عيسى الشعيبي : تحت العنوان الثالث والاخير يمكن ادراج الاسئلة التالية :

١ ــ كيف استقبلت جماهير الضفة والقطاع اخبار حرب تشرين في مراحلها المتعاقبة وكيف تصرفت ازاء ذلك ؟

٢ ــ ما هي أبرز المظاهر العامة التي تركتها حرب تشرين علـــى الضفة والقطاع ، سياسيا واقتصاديا .

٣ ــ كيف يرى سكان الضفة والقطاع مستقبلهـــم السياسي ومستقبـــل الشعب الفلسطيني بشكل عام ؟

٤ ــ ما هي الوسائل التي يلجأ اليها النظام الاردني لاعـــادة سيطرته على الضفة الغربية ، وهل العلاقات الاقتصادية عبر الجسور احدى هذه الوسائل ؟ وما هي الحدود العامة لتأثيرات الموقف الاردني المعلن تجاه الضفة الغربية في عملية تشكل المناخ السياسي الراهن هناك ؟

٥ ــ كيف تنظر جماهير الضفة والقطاع الى مستقبل علاقاتها السياسية والاقتصادية، أردنيا وعربيا ، في ضوء مواقف الجبهة الوطنية المؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية من جهة ، وكافة المعطيات الجغرافية والسكانية والاقتصادية من جهـــة اخرى . وبهذه المناسبة ، ما هي الاسس التي اعتمدتها القوى الوطنية في عملية تشكيل الجبهة الوطنية وما هي ظروف تشكيلها والقوى المنضوية تحت لوائها ؟

عربي عواد : كانت حرب تشرين مفاجئة بالنسبة لجماهيرنا الفلسطينية لانها جاءت

في ظرف سادت فيه السلبيات في البلاد العربية . ومن هنا فان شعبنا بعد انفجار الحرب أخذ يتابعها باهتمام كبير ولم يستطع ان يستوعب نتائجها بسرعة مع انه قام ضمن امكانياته في المساهمة بالنضال ضد الاحتلال الصهيوني . وتجلى ذلك في انقطاع العمال انقطاعا كاملا عن العمل في المؤسسات الاسرائيلية وكذلك في عدد من اعمال المقاومة الاخرى مثل القاء بعض قنابل المولوتوف على البنوك الاسرائيلية وتعطيل حركة مرور السيارات الاسرائيلية بالقاء المسامير والحجارة في بعض الطرق .

غير ان آثار الحرب في الضفة الغربية برزت بعد نهايتها . فتشكل وضع جديد في أرضنا المحتلة يتميز بحالة من النهوض لان شعبنا لمس نتائج هذه الحرب على الجانب العربي وعلى الجانب الاسرائيلي . فعلى الجانب العربي ثمن شعبنا شجاعة المقاتلين العرب ومقدرتهم القتالية التي وجهت ضربات قاسية للجيش الصهيوني وحطمت اسطورة تفوقه . كما تجلى التضامن العربي اثناء الحرب اذ ساهمت البلدان العربية بأشكال مختلفة فيها .

وفي الجانب الاسرائيلي لمس شعبنا الضربة الكبيرة التي زلزلت الكيان الصهيوني في مختلف المجالات . فضربت فكرة الحدود الآمنة التي كان يتصور الاسرائيليون انها حصن حصين تحميهم وتحمي احتلالهم وتساعد على تنفيذ مشاريع التوسع الصهيوني في الاستيطان والتهويد . هذا الى جانب الضربة السياسية التي حلت بهم والتي تمثلت بالعزلة الخانقة على النطاق العالمي واشتدت بعد الحرب . كذلك الازمة الاقتصادية التي أمسكت بخناق اسرائيل وتعطل قطاع هام من الحياة الاقتصادية وكذلك موجة الغلاء الفاحشة التي يتحمل الآن نتائجها المواطنون اليهود والتي تنسف كل الدعايات الصهيونية عن البحبوحة والرفاهية التي كانوا يتصورون انها ستوفر لهم عن طريق سياسة التوسع والاحتلال والعدوان .

كل ذلك كان له تأثير كبير على موقف جماهيرنا الفلسطينية في الارض المحتلة وحفزهم الى النضال وشحنهم بالثقة والامل لامكانية دحر الاحتلال عن أرضنا المحتلة والحصول على انجاز لشعبنا الفلسطيني . ومن هنا جاء النهوض الوطني الذي تمثل في العديد من اعمال المقاومة المسلحة التي تميزت بالجرأة والاقدام وفي التأييد الجماهيري الواسع لها، وكذلك في النضالات الجماهيرية المتنوعة .

رافق هذا النهوض الوطني الذي شهدته أرضنا المحتلة بعد حرب تشرين ، موقف سياسي تميز في تلاحم شعبنا كله والتفافه حول منظمة التحرير الفلسطينية . وقد تجلى ذلك بعد مؤتمر القمة العربي الذي عقد بالجزائر ، بحملة تأييد لمقررات المؤتمر وبوجه خاص القرار الذي يؤكد اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني. فعلى الاثر أصدرت الجبهة الوطنية الفلسطينية بيانا وزع في الارض المحتلة كلها يدعو الى التفاف شعبنا كله حول منظمة التحرير الفلسطينية . كما أصدر الحزب الشيوعي في الضفة الغربية بيانا مشابها ، وتتابعت البيانات من المنظمات والهيئات الشعبية وفي مقدمتها الهيئة العلمية الاسلامية وتجمع النقابات المهنية الذي يضم نقابات الاطباء والمهندسين والصيادلة والمحامين واطباء الاسنان واتحاد نقابات العمال واتحاد الطلبة الفلسطيني في الارض المحتلة والهيئات النسائية .

هذا الوضع الجديد نسف كل حسابات المحتلين التي اقاموها في الماضي وكانوا يتصورون انهم خلال سنوات الاحتلال قد روضوا شعبنا الفلسطيني واحتووه ضمن سياستهم وعزلوه عن الشعب الفلسطيني في الخارج ودفعوه وراء قيادات تسير في طريق المساومة والانهزام . ولذلك فقد طار صوابهم بعد هذا النهوض وكشفوا مرة أخرى عن وجههم الارهابي الاسود الذي حاولوا في السنوات الماضية تغطيته بغلالة زائفة من

المزاعم عن الحرية والمعاملة الانسانية لشعبنا في الارض المحتلة . فلجأوا الى سلسلة من الاجراءات الارهابية مثل نسف البيوت والتطويقات في المدن والقرى وتسيير الدوريات العسكرية في شوارع المدن والطرقات والاعتداء على المواطنين في الشوارع . ومن جملة هذه الاجراءات كانت عملية ابعاد المناضلين الثمانية . وكان المحتلون يقصدون من وراء ذلك كله ان يوقفوا هذه الموجة من النهوض التي اجتاحت ارضنا المحتلة بعد الحرب ، ولكن خابت حساباتهم مرة أخرى ، لان هذه الاجراءات ولا سيما ابعاد المناضلين الثمانية كانت بمثابة الشرارة التي الهبت نار المقاومة . ومن هنا فقد اجتاحت الارض المحتلة موجة عارمة من النضالات الجماهيرية التي تجلت في الاعتصامات النسائية والطلابية والاعتصامات والمظاهرات والمذكرات والوفود التي نددت كلها بالاحتلال وأكدت كلها على اصرار شعبنا على الخلاص من نير الاحتلال وممارسة حقه في تقرير مصيره .

هذا الوضع الجديد كان من نتائجه ازدياد التفاف شعبنا حول قيادته الممثلة في منظمة التحرير الفلسطينية والتفافه حول الجبهة الوطنية الفلسطينية التي كانت قد نشأت قبل الحرب بقليل ، فازداد انجذاب القوى الوطنية لها مما أدى الى انتشار نفوذها في مختلف أرجاء الارض المحتلة .

وبهذه المناسبة فاننا نلاحظ ان أجهزة الاعلام العربية بوجه عام لم تعط هذا النهوض الوطني الذي اجتاح ارضنا المحتلة حقه من الاهتمام . كما ان بعض منابر المقاومة الفلسطينية لم توله الاهتمام الكافي . وقد لفت نظرنا ان مجلة « شؤون فلسطينية » لم تغط هذا النهوض التغطية المناسبة واقتصر اهتمامها على مجال ضيق جدا لا يتعدى بضعة سطور . وهذا لا يساعد شعبنا الفلسطيني خارج الوطن بالتعرف على ما يجري في الداخل وبالتالي فانه لا يساعد على تلاحم شعبنا الفلسطيني . فمن واجب اجهزة الاعلام التابعة للثورة الفلسطينية كوسيلة لدعم نضال جماهيرنا في الارض المحتلة ان تلقي عليه الاضواء الكافية لان هذا من شأنه أن يقدم خدمة لنضالنا الفلسطيني في البلاد العربية والخارج ويعطي صورة حقيقية مشرقة عن موقف شعبنا ضد الاحتلال رغم مرور سنوات طويلة تميزت بمختلف اساليب القمع والارهاب والرشوة والخداع من جانب الاحتلال .

من ناحية اقتصادية فان الحرب قد زلزلت كافة جوانب المخطط التوسعي الاحتلالي ومنها الجانب الاقتصادي . فأدت اولا الى اضعاف الصلة الاقتصادية بين اسرائيل والارض المحتلة فألغيت الكثير من الصفقات التجارية التي كانت قد تعاقدت عليها المؤسسات الاسرائيلية مع تجار المناطق المحتلة . كما ان الصهاينة انفسهم اخذوا بالتوقف عن الاستمرار في عملية تطبيق الدمج الاقتصادي خاصة فيما يتعلق بانشاء مؤسسات وشركات اسرائيلية على الارض المحتلة . فمن المعروف انه في اوائل العام ١٩٧٣ ، أصدرت الحكومة الاسرائيلية قرارا سمحت بموجبه للشركات والمؤسسات الاسرائيلية ان تقيم لها فروعا على الارض المحتلة ولكنها بعد الحرب لم تقم بتنفيذ هذا القرار لانها أدركت ان الاحتلال مصيره الى الزوال .

وترتبت على الحرب من ناحية أخرى صعوبات كبيرة للحياة الاقتصادية لشعبنا وبرز هذا في الغلاء الفاحش الذي يطحن جماهيرنا الفلسطينية مما ساعد في كشف الوجه الحقيقي للاحتلال وبدد الانطباعات الزائفة عن البحبوحة الاقتصادية والرفاه الذي كان يدعيه الصهاينة في المناطق المحتلة . وتأكد لجماهيرنا ان هذا الاحتلال بالاضافة الى أنه ينهب الارض ويهين الكرامة العربية ، يجعل من الحصول على لقمة العيش أمرا صعبا في ظله .

وكان من نتائج الحرب ان طرح المستقبل لجماهيرنا الفلسطينية في الارض المحتلة على

بساط البحث . فبدا واضحا للعيان ان الاحتلال الاسرائيلي زائل لا محالة ومن هنا فقد طرح للبحث مصير شعبنا الفلسطيني في الارض المحتلة ومصير شعبنا الفلسطيني بوجه عام . فقد بحثت هذه القضية على نطاق واسع من خلال الندوات واللقاءات والمحاضرات في مختلف أرجاء الارض المحتلة . ومن خلال ذلك تبلور موقف شعبنا الفلسطيني كله ، جسدته الجبهة الوطنية الفلسطينية في رسائلها المتعددة التي وجهتها الى منظمة التحرير الفلسطينية . ومن الضروري ان يكون واضحا ان شعبنا في الارض المحتلة عندما يتحدث عن مستقبله فهو لا ينظر الى هذا المستقبل بمعزل عن مستقبل الشعب الفلسطيني كله لانه في الحقيقة ، اكد بعد الحرب انه جزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني كله . ولذلك فانه ينظر الى المستقبل من زاوية مـا يخص الشعب الفلسطيني كلـه . وعلى هذا الاساس فهو يرى ان نتائج الحرب وما أدت اليه جملة المعطيات الايجابية على النطاق العربي والعالمي كله ، قد أوجدت له امكانية موضوعية لانهاء الاحتلال وممارسة السيادة الوطنية الفلسطينية على الارض التي ينحسر عنها ظل الاحتلال . أي بوضوح امكانية قيام كيان وطني مستقل للشعب الفلسطيني وبالتحديد انشاء دولـة وطنية فلسطينية مستقلة .

ان هذا الهدف الذي يدرك شعبنا انه قد تهيأت الامكانيات لتحقيقه في الظروف الراهنة ليس نهاية المطاف ، بل انه يرى ان انشاء دولة وطنية فلسطينية على الارض الفلسطينية التي ينحسر عنها ظل الاحتلال الاسرائيلي سيهيىء له قاعدة ومنطلقا لمواصلة نضاله من أجل نيل حقوقه الكاملة التي يغتصبها الصهاينة ، لان شعبنا يعـرف ان الحرب قدمت نتائج ايجابية هامة ولكنها رغم ذلك لم تؤد الى توجيه ضربة قاصمة للعدو تمكن شعبنا من نيل حقوقه كاملة . ومن هنا فهو يرى ان لا ضير عليه بل من الواجب ان يستفيد شعبنا الفلسطيني كله من هذه النتائج التي أفرزتها حرب تشرين . وكخطوة على طريقه اللاحقة من اجل نيل حقه الكامل . وشعبنا في الواقع يرى ويلمس من خلال موقف أعدائه الصهاينة كيف ان انجاز هذا الهدف هو ضربة لكل مخططهم الذي تقـوم عليه الحركة الصهيونية . ويظهر هذا في العداء الضاري من جانب الصهيونية لاقامة دولة وطنية فلسطينية . كما تجلى في سيل التصريحات التي أطلقها زعماء الصهاينة وعبروا فيها عن رفضهم القاطع لقيام دولة وطنية فلسطينية ، وتضمن البرنامج الانتخابي لحزب العمل الاسرائيلي الحاكم في الانتخابات الاخيرة بندا خاصا يعلن معارضة الدولة الفلسطينية المستقلة على الارض الفلسطينية .

ويرى شعبنا ان تحقيق هذا الهدف لا يمكن أن يأتي بسهولة وانه ليس نتيجة ميكانيكية لنتائج حرب تشرين ، لان هناك تآمرا متواصلا ومقاومة عنيفة من جانب معسكر الاعداء لمنع شعبنا من انجاز هذين الهدفين وهمـا انهاء الاحتلال واقامـة الدولة الوطنية الفلسطينية ، سواء من جانب الصهاينة او من جانب حكـام الاردن الذيـن لا يزالون مستمرين في تآمرهم لمنع شعبنا من ممارسة حقه في السيادة الوطنية ، ومع هؤلاء وأولئك يقف كذلك المستعمرون الاميركيون نفس الموقف .

ان تحقيق هذين الهدفين يتطلب نضالا متواصلا مليئا بالتضحيات ومن خلال وحدة وطنية فلسطينية تشمل شعبنا الفلسطيني داخل ارضنا المحتلـة وخارجها وتتمثل في اجماع القوى الوطنية الفلسطينية من خلال منظمة التحرير الفلسطينية على تحقيق هذه الاهداف والنضال من أجلها .

وكذلك فان شعبنا يرى اهمية وضرورة استمرار التضامن العربي لتحقيق هـذه الاهداف . وبوجه خاص وحدة الموقف الفلسطيني السوري المصري ومعه بقية الدول

العربية ، والى جانب ذلك استمرار التأييد العالمي وبالدرجة الاولى البلدان الاشتراكية والاتحاد السوفياتي .

ان شعبنا وهو يرى ان مصلحته الوطنية تقتضي في الوقت الحاضر اقامة سيادته الوطنية على ارضه التي يتم تحريرها من نير الاحتلال فان ذلك لا يعني انه قد نفض يديه من الشعب الاردني او انه يسعى الى فصم كل علاقة له بالاردن . ان شعبنا يدرك العلاقة الخاصة التي تربطه بالاردن ، هذه العلاقة التي تتمثل في تواجد قسم كبير من شعبنا على ارض الضفة الشرقية وفي العلاقات الاقتصادية والعلاقات النضالية التي ربطت بين شعبينا خلال العشرات من السنين . ومن هنا فان شعبنا يعمل من اجل صياغة هذه العلاقة على اساس جديد ، على اساس وطني ديمقراطي ، على اساس الاختيار الحر للشعبين الفلسطيني والاردني . ومن اجل ان تتحقق هذه الاهداف فنحن نرى ضرورة اقامة جبهة وطنية في الضفة الشرقية تضم بين صفوفها الفلسطينيين والشرق أردنيين وحدة نضال الشعبين الفلسطيني والاردني ، وتتفق على برنامج وطني يعبر عن مصالح الشعبين الفلسطيني والاردني .

ولا يمكننا ان نغفل وضع نظام الحكم الاردني بعد الحرب ، فمن المعروف ان موقفه المتخاذل خلال الحرب قد عراه وعزله عزلة كبيرة في المجالين العربي والعالمي ، ومع ذلك فان هذا الحكم لا يزال يواصل نهجه في التآمر على شعبنا بأساليب مختلفة منها الرشوات التي يوزعها في الضفة الغربية وكذلك محاولات التآمر مع المحتلين الصهاينة والمستعمرين الاميركيين تحت ستار « فك الارتباط » بين القوات الاسرائيلية والاردنية ، وهذا لا يعدو كونه عملية تسليم واستلام تتم على حساب شعبنا الفلسطيني وتمكن الصهاينة من ابتلاع أجزاء كبيرة من الارض الفلسطينية التي احتلوها بعد ١٩٦٧ وتؤدي الى تصفية قضية شعبنا الفلسطيني تصفية نهائية وطمس وجوده وشخصيته الوطنية المستقلة . ولذلك فان مصلحة شعبنا الفلسطيني في الوقت الراهن أن يبلور موقفا واضحا محددا تلتقي حوله كافة القوى الوطنية الفلسطينية داخل الارض المحتلة وخارجها ومسؤولية تحديد هذا الموقف تقع على عاتق منظمة التحرير الفلسطينية ، باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد لشعبنا الفلسطيني ، وتحديد هذا الموقف يساعد على تعبئة شعبنا كله من حوله وضمان التأييد العربي والعالمي له ، وتطرحه على شعبنا الفلسطيني كله من اجل تعبئته حول هذا الهدف ومن اجل ان تضمن له التأييد العربي والعالمي المطلوب .

ان قيام الجبهة الوطنية الفلسطينية في الارض المحتلة يعتبر نقطة تحول في نضال شعبنا الفلسطيني ضد الاحتلال، لان الجبهة الوطنية بوصفها الاطار التنظيمي والسياسي الذي يضم كل القوى والمنظمات الوطنية ويمثل كافة فئات شعبنا وطبقاته الوطنية ، تمكن شعبنا من تعبئة جميع طاقاته النضالية ضد الاحتلال الاسرائيلي .

وقيام الجبهة الوطنية الفلسطينية في الارض المحتلة ليس وليد الصدفة او نتيجة الرغبات والتمنيات ، لان الجبهة تعتمد على أسس موضوعية ، فمفهوم الجبهة الوطنية بوجه عام يقوم على اساس وحدة العمل بين طبقات اجتماعية متعددة وما يمثلها من تنظيمات وقوى سياسية وجماهيرية ، تلتقي كلها بحكم مصالحها على تحقيق هدف واحد يخدم مصلحتها كلها .

والنضال ضد الاحتلال الاسرائيلي في سبيل التحرر من نيره ونيل شعبنا الفلسطيني حقه في تقرير مصيره على ارضه هو الهدف الذي تلتقي حوله كل طبقات شعبنا وهيئاته وتنظيماته واحزابه الوطنية ، لان الاحتلال الاسرائيلي عدو لشعبنا كله بكل طبقاته وفئاته ، فهو ينهب الارض العربية ويصادرها ويدمر ما عليها من مزروعات واشجار

وابنية ومنشآت دون ان يميز بين اصحاب الارض فلا يهم اذا كان اصحابها ملاكين كبارا او فلاحين صغارا او متوسطين او اغنياء فالمهم بالنسبة له هو الاستيلاء على الارض العربية وتهويدها وطمس عروبتها وبناء المستوطنات الصهيونية فوقها ، وينطبق نفس الوضع على التجار وأصحاب الصناعات والمؤسسات العربية والعمال والفلاحين والمثقفين ، لانهم جميعا يعانون في ظل الاحتلال من الاستثمار والاستغلال ، هذا بالاضافة الى العامل القومي الذي يحرك شعبنا كله ضمن نير الاحتلال الاجنبي وضد غطرسة الصهاينة وعنصريتهم وتماديهم في امتهان كرامتنا العربية والاعتراض على مقدساتنا .

كل ذلك يدفع شعبنا الى تلاحم صفوفه ، وقد تجسد هذا التلاحم عبر النضالات والمعارك المتعددة التي خاضها شعبنا وساهمت فيها مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية والسياسية ، وتلاقي كبار الملاكين مع الشيوعيين والتجار ونقابات العمال في الدفاع عن الارض العربية التي امتدت اليها يد النهب الصهيونية ، كما جرى في اعتصامات ونضالات أصحاب الارض في منطقة نابلس وفي بلدة السواحرة بجوار القدس وغيرها . كما التقى الشيوعيون مع الهيئة العلمية الاسلامية وباقي قوى شعبنا في الدفاع عن المسجد الاقصى والحرم الابراهيمي، امام اعتداءات الصهاينة على هذه المقدسات ومحاولاتهم السيطرة عليها .

ان كابوس الاحتلال الرابض على صدر شعبنا كله وخطره الذي يتهدد وجودنا ومصيرنا قد أذاب كل الحساسيات وادى الى تلاحم شعبنا بمختلف طبقاته وفئاته الوطنية رغم تباين اتجاهاتها السياسية وانتماءاتها التنظيمية والفكرية . وهذا هو الاساس القوي الثابت الذي تعتمد عليه الجبهة الوطنية الفلسطينية في الارض المحتلة.

واذا كان قيام الجبهة الوطنية الفلسطينية في الارض المحتلة قد تأخر حتى منتصف شهر آب سنة ١٩٧٣ فأن ذلك يرجع لعدة أسباب من ابرزها النهج الذي كانت تسير عليه حركة المقاومة الفلسطينية في حصر النضال الوطني الفلسطيني في الكفاح المسلح والاستخفاف بالنضالات السياسية والجماهيرية واعتبارها مجرد ثرثرة وترف ثوري وكذلك عدم الاهتمام الكافي بوحدة الصف الوطني الفلسطيني ، ولكن حركة المقاومة تعلمت من خلال تجاربها وتضحياتها وتوصلت الى الاستنتاج الصحيح بضرورة استخدام كل أشكال النضال ضد اعدائنا الصهاينة وتوحيد كل قوى شعبنا في هذا النضال . وانعكس ذلك في القرار الذي اتخذه المجلس الوطني الذي انعقد في مطلع سنة ١٩٧٣ والذي دعا الى قيام جبهة وطنية فلسطينية في الارض المحتلة .

وعلى الاثر نشطت القوى الوطنية في الضفة الغربية وقطاع غزة لانشاء هذه الجبهة فوضع مشروع برنامج لها عرض على مختلف القوى الوطنية والشخصيات وممثلي الهيئات والتنظيمات الجماهيرية وجرت مناقشة طوال ستة شهور ، ثم آخر ونشر في منتصف شهر آب ، وقد ورد في البرنامج التأكيد بأن الجبهة الوطنية الفلسطينية جزء لا يتجزأ من منظمة التحرير الفلسطينية لان شعبنا الفلسطيني في الارض المحتلة هو جزء من شعبنا الفلسطيني كله .

وقد جاءت الجبهة الوطنية حصيلة لتجارب شعبنا في السنوات الماضية منذ أيام الاحتلال الاولى ، ففي اعقاب عدوان حزيران سنة ١٩٦٧ تشكلت لجان ثورية ضيقة ضمت الشيوعيين والبعثيين والقوميين العرب وبعض القوى الثورية الاولى ثم اتسعت هذه اللجان لتضم ممثلين عن النقابات العمالية والمهنية والهيئات النسائية والغرف التجارية والمجالس البلدية وانضم لها عدد من رجال الملك حسين واصبحت تدعى لجان التوجيه الوطني ، وكانت هذه اللجان علنية او شبه علنية ، واقتصرت في نشاطها على

النضالات المحدودة مثل كتابة المذكرات التي تعلن رفض الاحتلال وتنظيم العرائض والوفود الاجتماعية ضد اجراءات المحتلين التعسفية .

ومع تصاعد موجة النضال ضد الاحتلال تفككت هذه اللجان اذ انسحب من الميدان اعوان الملك ومن على شاكلتهم ، كما ابعد وسجن العديد من العناصر الوطنية المناضلة. واصبح من الواضح ان مثل هذه اللجان غير صالحة لقيادة النضال الوطني المتصاعد . وهكذا تشكلت جبهة المقاومة الشعبية في الضفة الغربية واخذت بالتعاون مع الجبهة الوطنية المتحدة في قطاع غزة تقود النضالات السياسية والجماهيرية ، ولكن هاتين الجبهتين ظل نطاقهما ضيقا .

وقد استفادت الجبهة الوطنية الفلسطينية من كل هذه التجارب . فجعلت تنظيما سريا مع توسيع نطاقه بحيث يشمل مختلف القوى الوطنية ويقيم له صلات مع المنظمات الجماهيرية والهيئات والشخصيات الوطنية .

وتضم الجبهة الوطنية الفلسطينية في الارض المحتلة الحزب الشيوعي في الضفة الغربية الذي قام بدور اساسي في بناء الجبهة وفي نضالاتها اللاحقة ، وممثلين عن النقابات والمنظمات الجماهيرية والشخصيات الوطنية وبعض فصائل حركة المقاومة ، وقد أقامت الجبهة لها تنظيمات في المناطق والمدن وهي ماضية في توسيع نطاقها بحيث تشمل كل القوى الوطنية لشعبنا وفي نشر تنظيماتها لتشمل الأرض المحتلة كلها .

عبد المحسن ابو ميزر : لا شك ان لحرب تشرين نتائج عديدة وآثارا بالغة الاهمية تستوجب وعيها من حيث قيمتها او من حيث مدلولاتها واستقصاء آثارها سواء على الجبهة العربية او الجبهة المعادية او الساحة الدولية بوجه عام .

وقد يكون الوقت مبكرا لحصر نتائج حرب تشرين على جبهة العدو لان بعض هذه النتائج ما زال في دور التبلور وبعضها الاخر لم يتم الوعي عليه بالدرجة الكافية والكفيلة بترتيب نتائج محددة واستخلاص استنتاجات تخالف المعتقدات السياسية التي كانت تسود المجتمع الاسرائيلي قبل حرب تشرين المذكورة .

فبالاضافة للنتائج والاثار التي ذكرت هنالك آثار اساسية لا يجوز اهمالها لما لها من أثر على العوامل الفاعلة في النزاع العربي الصهيوني وفي هذا المجال يمكن اضافة الاثار التالية :

اولا ــ ان حرب تشرين قد قضت والى غير رجعة على التفوق العسكري الاسرائيلي ذلك التفوق الذي خلق قناعات لدى الاسرائيليين قبل حرب تشرين بأن العرب لن تقوم لهم قائمة قبل مرور وقت طويل يمتد الى عشرات السنوات بعد هزيمة ٥ حزيران . وهذه القناعات كانت تنعكس على نظرتهم لانفسهم وللعرب فكانوا يشعرون بفارق حضاري وقتالي بينهم وبين العرب وكانوا يتصرفون بعربدة وغرور من وحي هذه القناعات الخرافية فجاءت حرب تشرين لتهز هذه القناعات من جذورها وبرهنت في جملة ما برهنت عليه ان المقاتل العربي يتمتع بروح وقدرة قتالية عالية لا تقل كفاءة عن القدرة القتالية لدى جيش العدو كما كشفت عن استطاعة المقاتل العربي على استيعاب واستخدام أشد أنواع الاسلحة الحديثة تعقيدا . ومن هنا نشأت معادلة جديدة في الصراع مبنية على تعادل في الكيف وتفوق عربي بالكم . وهذا يطرح مفاهيم جديدة على المجتمع الاسرائيلي تتجلى بأزمة الحجم الحقيقي لاسرائيل بعد أن كانت القناعات السابقة على الحرب تصوره بأكثر من الحجم الحقيقي بعشرات المرات .. فاسرائيل اليوم تعيش ازمة حجم وقدرة كما تعيش أزمة نظرة سوداء الى المستقبل . وهذا يفرض على المسؤولين العرب مضاعفة الوعي والانطلاق في تعاملهم مع الصراع من منطلق

الزام اسرائيل بدفع ثمن السلام للعرب وليس الانطلاق من منطلق دفع ثمن الانسحاب لاسرائيل .

ثانيا : ان حرب تشرين ولاول مرة كسرت طوق الاحتكار الامريكي لقضية الشرق الاوسط واصبحت القوتان الاعظم على قدم المساواة من حيث علاقتهما باستمرار او توقف الحرب في الشرق الاوسط ولا شك ان دخول الاتحاد السوفياتي بعد حرب تشرين بهذا الحجم يجب علينا الاستفادة منه وعدم تمكين امريكا من تطويق نتائج حرب تشرين وآثارها على الصعيد الدولي، في ضوء وعي شعبنا في المناطق المحتلة هذه النتائج وفي ضوء وعيه استراتيجية العدو المرحلية وفي ضوء حرصه على الاستفادة من ايجابيات حرب تشرين يرى شعبنا ملامح المستقبل في اطار المبادىء التالية :

١ ــ الايمان بوحدة الشعب الفلسطيني في داخل المناطق المحتلة وخارجها ، وان هذه الوحدة تفرض وحدة تمثيله ومن هنا أعلن وأكد اعتباره منظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا لـه .

٢ ــ الوعي بأن حل التناقض العربي الصهيوني جذريا لم تتوفر بعد معطياته فلسطينيا وعربيا ودوليا . وان جو التسوية الذي فرض على المنطقة من خلال تبني الدولتين الاعظم لمبدأ التسوية السلمية يفرض على الفلسطينيين مضاعفة وعيهم للضوابط التي تميز الحل المرحلي عن الحل التصفوي ، فاذا كانت الظروف الدولية تفرض مناخا معينا لا يساعد على استكمال معركة التحرير فعلى القوى الفلسطينية ان تتبنى برنامجا مرحليا يستوعب ايجابيات حرب تشرين ونضال الشعب الفلسطيني خلال السنوات العشر الماضية دون تفريط بالحق التاريخي ودون انزلاق في الاعتراف والصلح النهائي .

٣ ــ ان اي حل مرحلي يجب ان يتضمن انسحابا اسرائيليا فعليا من الاراضي المحتلة وان تكون الارادة الفلسطينية على التراب الفلسطيني حرة غير مكبلة او مشلولة والارادة الفلسطينية الحرة هي وحدها صاحبة الحق في تقرير مصيرها وصياغة علاقاتها بالضفة الشرقية صياغة جديدة آخذة بعين الاعتبار جميع الايجابيات في هذه العلاقات ومبتعدة عن كل المظاهر السلبية .

٤ ــ الاصرار على حق كل اللاجئين في العودة الى مدنهم وقراهم وحقهم في املاكهم وتقرير مصيرهم على ترابطهم الوطني وليس خارجه .

٥ ــ ضمان استمرار النضال لتحرير الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٤٧ .

٦ ــ الحرص على وحدة القوى في الساحة الفلسطينية وضرورة تكريس البرنامج المرحلي من جميع هذه القوى والعناصر الفاعلة او اغلبيتها الساحقة في اطار المجلس الوطني الفلسطيني .

٧ ــ ضرورة توفير تأييد عربي ملتزم بالبرنامج المرحلي الفلسطيني وبصورة خاصة من دولتي التماس مصر وسوريا من خلال الحرص على وحدة القضية العربية .

٨ ــ ضرورة توفير اكبر تأييد دولي للبرنامج المرحلي الفلسطيني وبصورة خاصة من الاتحاد السوفياتي ودول عدم الانحياز والدول الاسلامية والدول الافريقية وغيرها من الدول الاسيوية والاميركية .

٩ ــ العمل في مختلف الساحات وعلى جميع المستويات بهدي هذه المبادىء والالتزام بها .

هذه ملامح المستقبل كما يتصورها شعبنا في المناطق المحتلة في ضوء ما لمسه ووعاه من نتائج حرب تشرين وآثارها عليه وعلى المجتمع الاسرائيلي والدولي .

هم .. اكثر من الكلمات

محمود درويش

● تلك اللحظة ، لم يكن الشارع شارعا في مدينة . وهذه محاولة وصف :
كان كل شيء ونقيضه .
كان فاصلة تدل على الماء ، وعلى الدم .
وكان ذبابة تأكل الحرف الفاصل بين الموت والحياة ، وبين الموطن والمنفى .
كان مذبحة وحفل زفاف . ولم يكن لوركا عربيا تماما :
« اذا مت
فدعوا الشرفة مفتوحة .
الطفل يأكل البرتقال .
(من شرفتي أراه)
الفلاح يحصد القمح .
(من شرفتي أسمعه .)
اذا مت
فدعوا الشرفة مفتوحة » .

كنا نسهر ، ونحسبها قصيدة جميلة . وكان الرصاص يمشي في الشارع الآخر . يفتح باب كمال ناصر ، يقتل العصافير في قلبه . ويعود من الباب ذاته ، والشارع ذاته ، والمدينة ذاتها . وكنا نسهر ، ونعتبرها مجرد قصيدة جميلة ، لان لوركا لم يكن عربيا تمامـــا .

● أخيرا فعلها ومات . صدّقه الموت لان الموت لا يمزح .

وكان كمال ناصر يبني تابوته مازحا ، ويستكتب مراثيه ضاحكا . وفي أوج الفرح يمضي الى الحسرة .

من أين جاءه هذا الموت قطرة قطرة حتى طفح وغطاه ! . كيف سكنه كل هذه المدة ولم نصدق !.

الموت لا يليق بك يا كمال ، كما لا يليق بفراشة .

كان يصر على انه حامل بالموت . كيف نمت فيه هذه الحاسة ولم نشعر . وهل مات ليقنعنا بأن الحدس ، فيه ، لا يخطىء ! .

● يقفز ، كعادته ، من الدمعة الى الابتسامة . ولا يجد مكانا يربّي فيه قلبه. خلقوا التوتر أولا ، ثم صبوا فيه جسد كمال ناصر .

كان مليئا بالشعر ، وخاليا من القصيدة .

كان طافحا بالوطن ، وخاليا من الارض .

ولو كتب الملاحم الشعرية لانصرف عنها ، لان رياحه لا تتسع لها الحروف .

ولو وصل الى فلسطين لمزقها ، لان الخارطة بموظفيها لا تستوعب هـذا الطائر الجامح .

مندفع .. مندفع الى أين ؟

ضيّق هذا الجسد المليء بالرخام والعصافير . والارض أضيق من مسام الجلد الغاضب .

وهو أول من لا يعرف .

حين تفاجئه بسؤال : ماذا تريد ؟ يتوتر التوتر في قبضة يده . ويتحول الى خصلة شعر في ريح . ويقول كلاما غامضا كأنه فلسطين التي ، من شدة ما علموها اللغات ، لم تعد تتقن أية لغة .

● ليست القصيدة بديلا لاي شيء في الكون .

هذا ما يعرفه كل الشعراء . وهذا ما يجهله كل الشعراء .

سأعود الى الشعر ، يقول حين يجلس على كرسي التعب . ولكن ، من يضع المساء على مكتب ويأمره بالذبول !. كان حزينا ومرا لهذا السبب « ضُيّعتُ زمان الشعر » . ولم يكن يعرف انه صار عاجزا عن كتابة القصيدة ، لانه تحول كله الى قصيدة ، فكيف يقلّد جماله ! .

● من حدد له هذا الموعد مع الموت ، فراح ينظّم الجنازة ، والمراثي ، ويختبر حزن الاصدقاء ، ويسجل صمته على شريط طويل خوفا من الصوت ؟

هو .. هو الذي حدد هذا الموعد .

حجز مكانا في مركبة الرحيل العائد .

أعد الحقائب والشهادة الصحية والهدايا ، وسافر في الدرجة الاولى .

كان الموت مطرا ، طيلة ذلك العام . وصل الفلسطيني الى كل المواسم الدامية ، ولم يصل الى الحصاد . من يجفف هذا الماء الاحمر لتعرف السنبلة أنها نضجت ! .

وكمال ، كعادته ، يبشر ويفجّر . حيوي كشظايا في أوج الانفجار . ورقيق كفراشة تداعب شفة ناعمة .

كيف يتزوج الواقع والحلم على يد هذا الكاهن الثائر ؟. ضيّق المسافة فتلاشت ، ورأى ان فلسطين على أهبة الرحيل من القضية الى الوصول ، ومن البندقية الى المحراث .

كان يسكن تفاصيل الواقع وجوهر الحلم ، ويرى البشاعة زائلة .

يقولون : ضحى بالشعر من أجل الواقع . لا . لم يضح بالشعر . كان يمارسه ، يمشيه ، وكان يطبقه .

كيف يطبق الشعر ؟

مر كمال ناصر من هنا .

ليس الشعر نقيض الواقع . هذا ما يعرفه كل الشعراء ، ويجهله كل الشعراء . فلماذا يضيع كمال ناصر في هذه الثغرة الوهمية بين الشعر والواقع . فيها وجد ذاته ، لانها منطقة التوتر والتمرد والتوحد والتجدد .

● دائم الاحساس بالخسارة والاحباط ، ودائم القناعة بالوصول والتجلي .

هذه العتبة بين الحاضر الطاحن والمطحون ، وبين اليوم الذي يتلوه هي التي كانت تهدم كمال ناصر وتبنيه ، تكسره وتحييه . وهذه هي حيوية الشاعر وصلابة الثائر .

لم أنجز شيئا .. لم أنجز شيئا — هكذا كان يصرخ في ليله الشخصي .

ان هذا الاحساس بخسارة اليوم هو مصدر طاقة الثوري من أجل ابداع الغد . وهو الذي يدفعه الى المزيد من المحاولة والتجربة والاندفاع . هذه هي خلية الابداع .

لم تكن فلسطين بعيدة عنه . كانت تتسرب فيه وتتشعب من أخمص قدميه الـــى خصلات شعره .

ولم تكن فلسطين غريبة فيه ، لان الحالة الفلسطينية الجديدة بين يديه . كان ناطقا باسم هذه الحالة الجديدة . وما تنشره التفاصيل اليومية من انقباض وارتباك ، أحيانا ، كان يزيد من غنى المذاق الفلسطيني المتصاعد من عملية ابداع فلسطين الجديدة .

كان يشتبك بالقناعات المختلفة او المعادية ليبلور قناعته الفلسطينية .

وكان يخرج من كوابيس الليل الفلسطيني بحلم مصفى .

ومن هنا ، كان ناطقا باسم الحلم الفلسطيني الجديد .

● يسبح في التفاصيل ولا يغرق .

يعرف كل مسامير الصليب ، ولكنه يراه في وحدته وكليته .. حديقة فلسطينية .

كان أحد صانعي الاسم الجميل للوطن ، والصورة الودودة للاشياء .

كان يرسم الشعار ويغنيه ، ويفرح به كطفل .

كبر ، ولم يودّع طفولته ، كان يحملها ويسافر ، فلا يتعب ولا يصدأ .

وهل رأيتم حمامة تحمل مسدسا ؟

كمال ناصر مر من هنا .

وكما كان يربّي طفولته ويدللها ، كان يربي استشهاده ويداعبه .

ذهب الموت الى البحر .. وظل البحر أزرق .

وكان كمال يمشي على حبل غسيل معلق على شرفة بعيدة . سقط الحبل ، وظل كمال يمشي على تلك المسافة .

ولم يكن لوركا عربيا تماما ، ولكنه قال :

« اذا مت

فدعوا الشرفة مفتوحة
الطفل يأكل البرتقاله
(من شرفتي أراه)
الفلاح يحصد القمح
(من شرفتي أراه)
اذا مت
فدعوا الشرفة مفتوحة »

ذهب الموت الى البحر . وظل البحر أزرق .

فتشوا الموجة ، لا تجدوا شيئا .

فتشوا بيوتكم تجدوا كمال ناصر يلعب .

فتشوا قلوبكم تجدوا فيها الفرح الذي ترك .

وتزحزحوا ، قليلا ، عن الوراء تجدوه امامكم يلعب . بماذا يلعب ؟ بدمه يلعب .

ذهب الموت الى البحر ، وظل البحر أزرق .

بلغ الموت سن الرشد في كمال ، فحمله وطار . وكان الرخام والمطر ينهمران بلا سبب . صار الموت هو الذي يلعب . وبقي كمال ناصر فينا ، كما هو .

هو .. من ؟ .

ما مر من هنا . انه يمر من هنا . فتشوا عيونكم تجدوا ظله البرتقالي . وافتحوا بطن فلسطين تجدوه يتأهب للولادة .

صار جزءا من الوقت . انظروا الى ساعاتكم تعرفوا ان لكم موعدا معه . وانظروا الى أبوابكم ، او الى أي شارع ، تروه يأتي بلا موعد .

لكن ، هذه المرة ، لا يأتي وحده .

نحن من أمامه ، والقتلة من ورائه .

ولا يعود وحده . نحن من ورائه والقتلة من أمامه .

الى أين يعودون ؟

كان واضحا ان القتلة يعودون الى بيوتنا القديمة ـ الجديدة . ولم يكن واضحا ان شهداءنا يعودون . لقد ظلوا فينا ، يسكنوننا ، لنعود معا .

ولم نكن نعرف أن حرب العودة ، وحرب الدفاع عن العناوين والبحر ستندلع الان ، من هذا الدم الذي جعل الشارع غير الشارع ، والمدينة غير المدينة .

ولكننا كنا نعرف ان دم كمال ناصر ومحمد يوسف النجار وكمال عدوان ورفاقهم لن يذهب الى البحر . سيصب فينا لنحترق . وكنا نعرف ان المدينة تحولت ، بصمتهم ، الى وقت . الان تبدأ حدود فلسطين . من كل بيت تبدأ . من كل صدر تبدأ . من كل صرخة ، ومن كل قطرة دم . ليس شهداؤنا اكبر من الكلمات . ولكنهم اكثر من الكلمات .

ما أجملنا شهداء .

وما أقبحنا لاجئين ! .

حول كتابات الشهيد كمال عدوان

منير شفيق

لقد كتب الكثير عن مزايا الشهيد كمال عدوان : الثائر والقائد . ولكنني في هـذه الدراسة سأستعرض فكره من خلال كتاباته*. ان دراسة ما كتب مسألة هامة يجب أن تولى كل عناية . فالاطروحات التي تناولتها كتاباته ، هي في الجوهر فكر حركـة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » ، معادة صياغته كموضوعات نظرية ، ولهذا فان كتابات كمال عدوان جزء رئيسي في تراث فتح الفكري ، ولا يمكن لاحد ان يدرس فكر فتح ان لم يدرس كتابات كمال عدوان .

كان كمال عدوان مقلا في الكتابة . ولكن كان حين يكتب يقدم بحثا مكثفا ، غنيـا بالموضوعات ، مطروحا بايجاز، وبتعبيرات واضحة عليها بصماته الخاصة . فهو ذو عقل رياضي يحول دراسته للواقع والظروف الى موضوعات تأخذ شكل معادلات رياضية يبلغ فيها التجريد حدا قريبا من التجريد في الرياضيات ولكنه تجريد يمس مسائل عينية ملموسة على صورة شعارات سياسية .

اعتمد كمال عدوان في منهجه على رصد الواقع المعطى مباشرة ، ثم الدخول مع من حوله بنقاشات طويلة ، قبل أن يحدد رأيا نهائيا . وكان في اثناء ذلك يقلب ، بصدق ، كل الفكَر ، وكل المواقف ، مصمما على الا يحمل أفكارا مسبقة ضد اي موقف او رأي ، حتى ولو بدا ، في نقاشه ، عكس ذلك . فقد كان يحرص على ان يكون فكره متوقدا جديدا طازجا عند بحث اي موضوع . ومن هنا فان رجلا يحمل مثل هذا المنهج في البحث والتفكير يجب الا يسجل عليه ما كان يطرح من آراء في اثناء مناقشاته وهو في مرحلة استقصاء حالة مستجدة ، وانما يجب ان يسجل عليه ما كتب فقط . لانه كان يفـكر ويناقش ، في مجالسه الخاصة ، بصوت عال فعلا . ولكنه ما كان يكتب ، او يطرح في ندوة معدة للنشر ، الا قناعاته الحقيقية التي تكون قد استقرت وتبلورت في ذهنه . ولهذا فانني اعتبر ان فكر كمال عدوان هو ما طرح في كتاباته ، فهي تراثه الفكري . وهي مواقفه وآراؤه .

قبل تناول الموضوعات التي طرقها الشهيد كمال عدوان لا بد من لفت الانتباه الى ان ما بين ايدينا من اعماله لا يغطيها جميعا ، وربما لا يغطي الا بعضا متواضعا منها . لان معظم ما كتب نشر خلوا من توقيعه ، وباسم حركة فتح ، فضلا عن مقالات لم تنشر ، لسبب او لاخر . كما ان هنالك مجموعة كبيرة من رسائله لم تنشر ولم تجمع ، فضلا عن قصة طويلة (٦٠٠ صفحة بخط يده) لم تنشر ايضا . ولكن ، من ناحية اخرى ، ان ما بين أيدينا من نتاجه الفكري يشكل نماذج يمكن أن يسحب عليها ما بقي من نتاجه غـير المعروف ، ولا المنشور .

---

* أعد هذا المقال أساسا كمقدمة لكتاب يحتوي على مجموعة كتابات للشهيد كمال عدوان ، سيصدر عن الاعلام الفلسطيني الموحد والاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين .

تاريخ مرحلة ١٩٤٨ ــ ١٩٧٠

كتب كمال عدوان بمناسبة الذكرى الخامسة لانطلاقة الثورة الفلسطينية ، مقالة في مجلة « الثورة الفلسطينية » عدد ٢٢ ــ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ ، أرخ فيها للفترة التاريخية الممتدة بين ١٩٤٨ ــ ١٩٧٠ . واتجه تأريخه لتلك الفترة الى تناول الاوضاع من زاوية ارتباطها بالوعي الفلسطيني ومراحل تطور النضال الفلسطيني . لان ما كان يهم كمال من دراسة التاريخ ليس حشد المعلومات وتسلسل الاحداث من ناحية تغطيتها تغطية شاملة ، وانما كان همه تعميم تجارب مرحلة تاريخية تعميما يصل الى حد التجريد النظري المكثف جدا . وهو بهذا يعطي نموذجا لمنهجه ، ويعطي من جهة اخرى صورة دقيقة لرؤية رجال حركة فتح الاوائل للوضع العربي والفلسطيني خلال الفترة التاريخية المذكورة . كما يؤرخ فيها لمولد حركة فتح ومسيرتها محددا الاهداف العامة والشعارات والاجراءات العملية التي طرحت في كل مرحلة من مراحل تطور الوضع . ولهذا فان هذه الوثيقة تعتبر من الوثائق الهامة في ادبيات الثورة الفلسطينية ستظل مرجعا ومادة للتثقيف لاعضاء حركة فتح وابناء الشعب الفلسطيني الذين يريدون الاستمرار في الكفاح المسلح حتى تحرير كامل التراب الفلسطيني .

قسم كمال عدوان ، في مقالته آنفة الذكر ، تلك الفترة التاريخية الى ثلاث مراحل رئيسية : (١) مرحلة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٦ ، وقد رآها تتميز بادىء الامر بشيوع « الذهول والحيرة » بين صفوف الجماهير ، ثم بانخراط الشباب العربي الفلسطيني في العمل السياسي والحزبي والعقائدي . ويصف وعي الشباب الفلسطيني في تلك المرحلة قائلا « ولو ان وعيها السياسي لم يصل الى مستوى تتحمل فيه مسؤولية تخطيط وافٍ ومكتمل يشكل الكفاح الفلسطيني في سبيل معركة التحرير ، الا انها تفاعلت مع كل الاحداث والتطورات في الارض العربية على طول الوطن العربي ، وشاركت في كثير منها باندفاع على اعتقاد منها أنها جزء من معركتنا في فلسطين الى درجة جعل التزامها العربي الواسع يشغلها عن التزامها الفلسطيني المحدد . حتى اصبح كل تطور او تغيير تصنعه العناصر النشطة في الوطن العربي محطة انتظار تقف عليها تتطلع الى الامل القادم بعدها » . ولكن الشباب العربي الفلسطيني عاد فاكتشف ان ذلك الطريق لم يحقق اغراضه فبدأت ترتسم علامات استفهام كبيرة تتساءل ... الى أين ؟ وهنا وقعت حرب العدوان الثلاثي وبسقوط غزة في أيدي الاحتلال في اكتوبر ١٩٥٦ بدأت المرحلة الثانية : (٢) حيث خيّم الاحتلال ، وتوجه رصاص العدو الى صدور الشباب السياسي العقائدي بلا تمييز « فولدت من خلال وحدة الرصاص المرحلة الجديدة في التفكير الفلسطيني وارتفعت شعاراتها تنادي بلقاء فلسطيني عريض ... في وحدة وطنية قوية ... من أجل ثورة مسلحة تحرر الارض » .

ويعتبر كمال عدوان هذه المرحلة بداية مسيرة حركة فتح حيث شاهد عام ١٩٥٨ ولادتها من أجل تحقيق الاهداف التالية :

« ١ ــ تحريك الوجود الفلسطيني ... وبعث الشخصية الفلسطينية محليا ودوليا من خلال المقاتل الفلسطيني الصلب العنيد القادر على تحطيم اسطورة المناعة الاسرائيلية .

« ٢ ــ استقطاب الجماهير الفلسطينية ومن خلفها كل الجماهير العربية في طريق الثورة المسلحة وحشدها فيها لتكون قادرة على : (أ) تجميد حركة نمو الوجود الاسرائيلي الصهيوني (ب) تقطيع هذا الوجود (ج) تصفية الدولة رمز الوجود الصهيوني .

« ٣ ــ اعادة بناء الدولة الفلسطينية على الارض الفلسطينية (حرة وديمقراطية) » .

بيد أن كمال عدوان يرى أن ثمة حدثين تاليين هما انفصال الوحدة بين مصر وسوريا

وانتصار ثورة الجزائر اديا الى تكوين اجماع فلسطيني على سلامة الخط الذي طرحته حركة فتح . وهنا تعددت المنظمات بهذا الاتجاه . ورأت فتح في ذلك اتجاها ايجابيا ، غير ان التعدد سرعان ما اصبح اغراقا للساحة بالتنظيمات . الامر الذي دفع حركة فتح من أجل الخروج من هذا المأزق الى العمل باتجاهين :

« (أ) ان تركز جهدا أكبر في تكثيف قواعدها العسكرية لبدء العمليات بأقرب وقت ممكن .

« (ب) أن تحاول تجميع الجهد الفلسطيني في اطار واحد » . (ولهذا ذهبت حركة فتح الى مؤتمر القدس على أمل ان يؤدي ميلاد منظمة التحرير الفلسطينية الى تحقيق الوحدة العريضة) .

ويتابع كمال عدوان تقييمه التاريخي فيرى ان المنظمة كان مقررا لها ان تنحرف عن اهدافها . الامر الذي ابرز خطورة أشد من اغراق الساحة بالتنظيمات . فقررت فتح الاسراع في انطلاقة الكفاح المسلح من أجل الخروج من هذا المأزق الجديد . « أي ان تتصدى لمسؤوليتها باستعادة زمام الموقف وان تقفز من مرحلة التنظيم من أجل الثورة الى مرحلة التنظيم من خلال الثورة ، رغم كل الظروف القاسية والصعبة التي تعيشها الحركة ». وبهذا دخلت المرحلة الثالثة : (٣) مرحلة انطلاقة الكفاح المسلح في الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥ . وقوبل ذلك من أطراف عديدة بحملات تشكيك واتهام ضد المقاتلين من رجال العاصفة ، وبحملات مطاردة وملاحقة واعتقالات لابناء حركة فتح ، اشتركت فيها عدة دول عربية . ويقول كمال عدوان « استطاعت فتح من خلال قتالها اليومي ان تحطم كل التساؤلات الحائرة والعاجزة والمشككة .. وتقفز عنها .. وتثبت أن العمل داخل الارض المحتلة ممكن ... وان اسطورة المناعة الاسرائيلية ما هي الا خرافة تحطمت تحت ضربات العزم الفلسطيني ، واصبح التمرد المسلح واقعا اكبر من ان يحجز عليه » .

وعندئذ بدأت الساحة تشهد اغراقا شديدا بالتنظيمات التي ترفع شعارات القتال وتصدر البلاغات العسكرية ، وتهدد الوضع من جديد بالتشوش والبلبلة . الامر الذي حدا بفتح الى رفع شعار « اللقاء فوق ارض المعركة » . وانتهى الفصل الاول من هذه المرحلة باندلاعة حرب حزيران واحتلال العدو بقية اجزاء الارض الفلسطينية وسيناء والمرتفعات السورية (الجولان) .

ويتابع كمال عدوان في تحديد سمات المرحلة التي تلت حرب حزيران ١٩٦٧ فيرى الثورة تدخل مرحلة بناء القواعد المقاتلة تحت الاحتلال لاعلان المقاومة المسلحة وتأجيج المقاومة الشعبية . وبعد ان ارسيت الدعائم الاولى لهذا الاتجاه اصبح من الضروري للثورة ان تعمل باتجاه مواز خارج الارض المحتلة لتنتقل « من قاعدة الحماية في سوريا الى قاعدة الارتكاز في الضفة الشرقية حيث المناعة الطبيعية والجماهير المؤيدة لنا ، وقوانا المسلحة الكافية للدفاع والمواجهة ». ولكن ذلك أدى الى اتساع تحرك القوى المضادة للثورة في الاردن حيث شنت اول هجوم لها على قواعد الارتكاز في مخيم الكرامة في شباط ١٩٦٨ . اما في المقابل فقد أخذ التأييد الجماهيري يتعاظم ، وتتوطد قواعد الارتكاز . الامر الذي دفع العدو الصهيوني ان يقرر تصفية قواعد الارتكاز بنفسه فشن هجوما على مخيم الكرامة في اذار ١٩٦٨ ، حيث باء بالفشل ، خاصة من ناحية تحقيق الهدف السياسي من الهجوم . وكانت النتيجة نصر الكرامة ، ويؤرخ لها كمال عدوان قائلا : « فكانت معركة الكرامة التي هزم فيها العدو بداية مرحلة جديدة من مراحل حربنا الثورية اي انتقلنا من مرحلة اضرب واهرب الى حرب المواجهة المحدودة » .

يمكن اكمال هذا التحليل التاريخي من وجهة نظر كمال عدوان من خلال مقابلة جرت معه تحت عنوان : « فتح : الميلاد والمسيرة ». حديث مع كمال عدوان منشورة في مجلة شؤون فلسطينية — عدد ١٧ — يناير ١٩٧٣ — ص ٤٥ — ٥٧ ، حيث يحدد فترة ١٩٦٨ — ١٩٧٠ في الاردن كما يلي : « في عام ١٩٦٨ واجهنا اول هجوم اردني علينا في الكرامة وفي ٤ تشرين الثاني ١٩٦٨ واجهنا هجوما اردنيا ثانيا في عمان . كان النظام الاردني يرى في الثورة تناقضه الرئيسي ... وان لم يكن هو تناقض الثورة الرئيسي . لهذا كان تحليلنا ان الصدام حتمي ولكن متى ومن يبداه ؟ وما هي العوامل التي تحدد متى . وكان رأينا ان كون الصدام حتميا لا يبيح ان يتم الان . ولا بد من تأجيله بأي ثمن . من اجل هذا أصبح الهدف المرحلي في الاردن هو اقامة حالة توازن بيننا وبين النظام المعادي لنا ، أو وضع النظام في موضع المتردد بحيث لا يستطيع ان يتخذ قرار الصدام . وقد نجح هذا التكتيك حتى صدام يونيو ١٩٧٠ الذي عكس حالة التوازن بوضوح . الدليل انه في ١٩٦٨ فرض علينا النظام شروطه ، ١٤ شرطا ، وقبلناها ، في ٧٠/٢/١٠ لم يستطع النظام ان يملي علينا شروطه ، ولم نستطع نحن ان نملي عليه شروطنا ، وفي يونيو ١٩٧٠ أملينا نحن شروطنا » . أما بعد يونيو ١٩٧٠ فيحدد كمال عدوان الصورة قائلا : بعد يونيو ومشروع روجرز حدث ارباك كبير للمسيرة ، اذ دخلت عوامل جديدة : فقد انشقت الساحة الاردنية الفلسطينية ... انشقت الساحة الوطنية من حول عبد الناصر وليس من حول حسين ، لان الخلاف لم يكن حول موقف الملك حسين من مشروع روجرز ، ولكن الخلاف كان حول موقف عبد الناصر . فهل تستطيع ان تقول أننا نستطيع تغيير النظام وقد اختلت معادلة القوة بحيث لم نعد نضمن ان التنظيم الناصري في الجيش سيقف معنا ؟ موازين القوة التي اعدت سلفا لتشكل حالة التوازن، والتي هي بدورها مرحلة للقفز الى مرحلة جديدة، قد اختلت . كان لا بد اذن من مراجعة للحسابات ولا بد من وضع اي تخطيط مقبل ضمن هذا الاطار . بعد تغيير معادلة القوة كنا في حاجة الى وقت لاعادة ترتيب الامور . ولكن اندفاع النظام المهووس لتفجير الموقف بأي شكل ، وضغط المنظمات الاخرى لمواجهة هذا التفجير بالتحدي والمبارزة ، او الحرج من المنظمات الاخرى ، جعل حجم القرار اكبر من حجم القدرة ، وحال دون استثمار اي عامل زمني وجعل المبارزة تتم ضمن ظروف ومعادلة قوى ما بعد مشروع روجرز » .

قد تكون هنالك ملحوظات على هذا التحليل التاريخي للفترة ١٩٤٨ — ١٩٧٠ ، وقد تكون هذه الفترة التاريخية ، وهي كذلك ، بحاجة الى دراسة تفصيلية مدققة . ولكن موضوعات كمال عدوان حولها تحظى على اهمية كبيرة ، ولا بد من أن تكون في جوهرها دعامة رئيسية لتلك الدراسة التفصيلية المدققة . فكمال عدوان لم يهدف الى أن يكون مؤرخا وانما كان يريد ان يطرح تأريخ تلك المرحلة باتجاه تكوين وعي ثوري للمقاتلين من أجل تحرير فلسطين مدعوما بتنظير تجربة تاريخية لا يمكن الاستغناء عنها سواء بالنسبة للوعي او بالنسبة للثورة الفلسطينية والعربية .

حتمية الثـــورة

كان كمال عدوان في حياته العملية ، وكتاباته ، يعطي اهمية عظيمة لدور العامل الذاتي في الثورة ، للقرار السياسي ، للمبادرة ، الى حد قد يتوهم المرء معه انه ينظر الى الثورة كفعل ارادي فقط ، ولا يعطي اهمية للعوامل الموضوعية. ولكن هذه المسألة كانت واضحة له ، وقد عبر عنها ، بشكل لا يقود الى مثل ذلك الوهم . ففي المقـالة المنشورة في مجلة الثورة الفلسطينية (العدد ٢٢ ، يناير ١٩٧٠) ، كتب يقول : « نحن نعرف ان البعض كان يرى في الثورة نوعا من المغامرة ولا يستطيع ان يتصور دور هذه

خلاق ، وبين المنهج الذي يطبقه المقلدون الجامدون . وفي هذا المجال يقول كمال عدوان: « كثيرون يخلطون بين اداة التحليل ونظرية العمل ، هذا الخلط يقودهم الى ادعاء موقف عقائدي دون أن تكون لديهم القدرة على الربط بين اداة التحليل والواقع الخاص ، هذا الربط الذي يشكل في النتيجة نظرية العمل . هناك فارق كبير بين الذي يستخدم اداة التحليل للوصول الى نظرية عمل ، والذي يناضل من أجل اداة التحليل نفسها كهدف بحد ذاته ، ان الاغراق الثقافي الذي شهدته الساحة الفلسطينية ــ العربية منذ عام ١٩٦٨ في اتجاه خاص في شكل نقاش لسلسلة ثورات عالمية ناجحة يمكن أن يشكل بالنسبة لنا دليل تجربة تعاوننا على تفادي اخطاء وتوضيح رؤية ، ولكنها لا يجوز ان تكون بالنسبة لنا وصفة طبيب او معادلة جاهزة للنسخ لا يمكن مناقشتها . كما قال لنا رفاقنا الفياتناميون في لقائنا معهم : « نحن لنا واقع ،ومن خلال هذا الواقع نحن لنا خط » . وفي فلسطين نحن لنا واقع ، ولهذا الواقع خصوصيات لا يمكن الا ان تفرض نفسها على مسيرتنا ، وعلى طبيعة خطنا » . (المصدر السابق ص ٤٨) .

منطلقات الثورة الفلسطينية

ان كل ما كتبه كمال عدوان جاء متماسكا يركز على تكثيف واغناء خمسة منطلقات حددها كقواعد اساسية تنطلق منها الثورة الفلسطينية في مواقفها ومؤسساتها ، وهي ، في الاساس ، منطلقات حركة فتح . وقد صاغها كما يلي :

« اولا : ان اسرائيل قاعدة للاستعمار في المنطقة ، تستنزف جهدها وطاقتها ، وتهدد مستقبل التطور والتغيير فيها ، ولهذا فان الامن القومي يفرض تصفية وجود هذه القاعدة من المنطقة نهائيا لطبيعتها الاستعمارية والعدوانية .

ثانيا : ان الكفاح المسلح من خلال حرب الشعب طويلة الامد هو اسلوب المواجهة الوحيد ، الذي يستطيع ان يستثمر المزايا والخصائص المتوفرة في المنطقة العربية ، وتعبئة الجماهير وحشدها وتمليكها القوة من خلال القتال لتحقيق الانتصار . وهذا يعني اعادة صياغة الانسان العربي .

ثالثا : ان بروز الشخصية الفلسطينية من خلال المقاتل الفلسطيني ، باعتبار الشعب الفلسطيني يمثل حدية التناقض على ساحة الصراع مع الاحتلال الصهيوني ، يشكل ضرورة اساسية لمواجهة الجهد المكثف المضاد الذي يحاول تغييب الشعب الفلسطيني من ساحات الصراع المحلي والدولي . ولهذا فان ابراز الشخصية الفلسطينية من خلال المقاتل الفلسطيني يعيد للقضية ، في الاطار الدولي ، حجمها ووجهها الحقيقي .

رابعا : الشعب الفلسطيني يظل الطليعة لحركة التحرير العربية من اجل تحرير فلسطين .

خامسا : استقلالية الثورة الفلسطينية ، ورفض الوصاية العربية الرسمية شرطان اساسيان للاحتفاظ بالهوية المميزة للثورة عن واقع الانظمة الرسمي مع كل ما يقوده هذا التمايز من حركة التغيير في المنطقة » . (شؤون فلسطينية ، عدد ٢١ ، ص ٣٢) .

لكي ندرك منطلقات الثورة الفلسطينية كما عبر عنها كمال عدوان لا بد من مرور سريع بالخلفية التي تقف وراء الطرح .. انها مسألة اولوية التركيز على قضية تحرير فلسطين ، فهو لا يراها مسألة فلسطينية اقليمية وانما يراها قضية قومية عربية تشكل الطريق الى تحقيق اهداف الثورة العربية ، يقول « قضية النضال العربي من اجل تحرير فلسطين هذه النقطة التي يلومنا بها البعض هي نقطة قوتنا . هذه النقطة هي بداية المدخل القومي للثورة الفلسطينية . كيف ؟ نحن نعتقد بضرورة توظيف كل الجهد العربي لحساب التحرير . كيف يتم هذا ؟ نحن ننادي بالتغيير ننادي بالوحدة . **ولكن لا بد لاية حركة تحرير ولا بد لاية وحدة من قضية ، قضية واحدة ، ولا بد لهذه القضية من طليعة تتبناها** . لو استعرضنا كافة قضايا الوطن العربي المرشحة للنضال من حولها ،

فسنجد هناك قضايا كثيرة متعددة ، في العراق ، في سوريا ، في عدن ، في الخليج ، في مصر ، في الجزائر ، في لبنان . **ولكن ما هي القضية الحدية التي تمثل حدية الصراع ، والقضية المؤهلة لاستقطاب الجميع ؟** » ويجيب « ان قضية فلسطين هي قضية التناقض الحدي مع الاستعمار ومع اسرائيل ، وهي المرشحة لاستقطاب كافة القوى المناضلة ، وكافة الطلائع العربية المناضلة ، وكذلك فان اي عمل ، اي تحرك ، اي بناء ، اي اداة، لا بد لها من بداية ، ولا تستطيع ان تنتظر لتنادي وتستنجد وتستحث اطرافا اخرى لتبدأ بدلا منها . لا بد من جهة ما معينة تقوم بالتصدي لهذه المسؤولية ، وتقود النضال من اجلها ، وتشكل محور الاستقطاب . **الجهة المرشحة لهذا هي الجهة ذات التماس المباشر مع هذه القضية بداية . ولكن هذا لا يوقف العمل عندها . ولا يحصر اطاره فيها . ولكنه يعطيها وضع الملزم بحكم تماسه المباشر مع القضية الحدية .** من هنا تتوفر القضية ، تتوفر الطليعة ، وتدور حركة النضال ، وتنعكس اثارها على الجماهير العربية ، فتفرز حالة جماهيرية تتطلع الى التغيير من خلال الطلائع المحلية في كل قطر . ويتم لقاء كافة هذه الطلائع ، حول قضية واحدة ، في **معركة واحدة . فيتم من خلال توحيد للجهد في شكل توحيد للاداة ، بداية من أجل ما نطمح اليه جميعا ،** الوحدة العربية » (شؤون فلسطينية عدد ٢١ ص ٣٨) .

ان هذا الطرح يشكل في جوهره اساسا لكل خلاف نظري وسياسي دار ويدور ، وسيدور في الساحة الفلسطينية ، وفي الوطن العربي، بين النظرية الثورية في بلادنا وبين النظرية الاصلاحية في المجال الاقتصادي والاقليمي من جهة ، وكذلك بين نظرية التسوية في المجال السياسي والقومي من جهة اخرى . ان الاتجاه الذي يعمل له العدو الصهيوني والامبرياليات العالمية وتلتقي معهما ، بصورة مباشرة او غير مباشرة ، كل القوى التي لها مصلحة في ابقاء التجزئة العربية ، هو القضاء على هذه النظرية الثورية من خلال انهاء حالة الصراع المسلح مع العدو الصهيوني ، وتكريس عقلية التسوية معه ، بأي شكل كانت .

وهنا نجد أنفسنا مع كمال عدوان وهو يحدد وجود نظريتين في تناول موضوع « التناقض الحدي ، بين اطراف الصراع في المنطقة ». وهما « نظرية المجابهة الرسمية، ونظرية المجابهة الجماهيرية التي تطرحها الثورة الفلسطينية » . ويتقدم في مناقشة النظريتين قائلا : « فمن جانبنا أن الوجود الاسرائيلي بالنسبة لنا يشكل حالتين : حالة احتلال استيطاني : انتزاع الارض واقراغها ، والحالة الثانية هي : حالة القاعدة . القاعدة لقوى الاستعمار في المنطقة التي تريد ان تستهلك امكانيات المنطقة ، ان تستنزف امكانيات المنطقة ، وان تشل امكانيات الفعل في اتجاه التطور والتغيير »،... « ومن هنا طرحت النظريتان المختلفتان في المنطقة العربية النظرية التي تقول بتنفيذ قرارات ١٩٤٨ والنظرية التي تقول تصفية الوجود الصهيوني . النظرية الاولى تمثل نظرية الامن الاقليمي ، أي كل دولة عربية تبحث عن أمنها ضمن حدودها ، وترفع فلسطين من الحساب . المهم ان تصل للاتفاق مع الوجود الصهيوني على ترتيبات أمنية لحدودها ، في الاطار الاقليمي . أما النظرية الثانية فتمثل نظرية الامن القومي ، والتي تتبناها الثورة الفلسطينية ، والتي تقول : ان الوجود الاسرائيلي على الارض العربية مهما تضاءل حجمه ، لا يقاس بالكيلومترات ، ولكنه يقاس بوجود القاعدة على أي حجم كان . أي تظل قاعدة مؤهلة لاستنفاذ جهد المنطقة ، وقاعدة لتهديدها ، وللاستعمال ضدها عند الحاجة . من هنا ، حتى تستطيع ان توفر الامن القومي للمواطن العربي لا بد ان يصفى هذا الوجود . هنا نقطة البداية في الخلاف بين نظريتي المجابهة . نظرية الامن القومي التي تدعو لتحرير كامل الارض الفلسطينية بتصفية هذه القاعدة ، ونظرية الامن

الاقليمي التي تدعو للتفاهم مع الاحتلال ، مهما أخذ هذا التفاهم من تسميات، «تسوية»، « قرار ١٩٤٨ » ، « مشروع روجرز » ، « قرارات الامم المتحدة » ، « قرار مجلس الامن ٢٤٢ » ، « قرار التقسيم » ، ليس المهم التسمية . النتيجة التفاهم مع الاحتلال ، ونعني الاعتراف به » . (شؤون فلسطينية ، عدد ٢١ ، ص ٢٩ ، آخر حديث للشهيد كمال عدوان) .

ان كمال عدوان حين يطرح كل ذلك يدعمه بتحليل مسهب للسمات الخاصة على جانبي الجبهتين اللتين تمثلان حدية الصراع بين طرفي التناقض ، ليؤكد صحة استراتيجية وتكتيك حرب الشعب طويلة الامد في مواجهة العدو (راجع المقالات : « فتح : الميلاد والمسيرة » ، « آخر حديث للشهيد كمال عدوان » ، « فتح في عيدها الخامس ») . وليؤكد على ضرورة محاربة كل الحلول المطروحة التي لا تتضمن تصفية الكيان الصهيوني ، واقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية على كامل التراب الفلسطيني . أي انه كان ضد التسويات السياسية ، فقد كتب قائلا : « الثورة الفلسطينية تضع معادلة : استمرار الثورة يعني لا تسوية ، تمرير التسوية يعني تصفية الثورة الفلسطينية » . وكان يرى في اتجاهات التسويات المطروحة خطرا محدقا بالشعب العربي الفلسطيني : « قرار الحرب لا يكفي ولكن المطلوب تحديد هوية الحرب . في حزيران اسرائيل احتلت الارض ولكن ولدت ارادة شعبنا . واليوم يريدون ان يعيدوا ارضا ليعيدوا شعبنا الى الموت . هذا هو الهدف » . (شؤون فلسطينية ، عدد ٢١ ، ص ٣٤) . وقد رد الشهيد كمال عدوان على الذين هاجموه لرفضه التسويات السياسية واصراره على الكفاح المسلح لتصفية الكيان الصهيوني لاقامة الدولة الديمقراطية ، قائلا : « يرون في ذلك بعدا عن الواقعية ؟ لا .. ان الوجود الصهيوني برغم تفوقه الان جزء من ظاهرة قديمة تحتضر ، ظاهرة الامبريالية والاستعمار .. مشروعنا للدولة الديمقراطية هو جزء من ظاهرة نامية ، جزء من المستقبل .. المستقبل كحتمية تاريخية هو لحركة التحرر العربي .. ودولتنا المتحررة الديمقراطية هي جزء من حركة التحرر العربي .. لذلك نحن نربطها بالنضال المتنامي للجماهير العربية ، ولا يمكن ابدا ان نربطها بأية عملية تسوية آنية فمثل هذه التسوية ستكون ولا شك لصالح من يملك فرض شروطها » . (شؤون فلسطينية ، عدد ١٧ ، ص ٥٦) .

في الواقع ، ان الذي يميز كمال عدوان ، بصورة خاصة ، بالنسبة لرفض التسويات، لا يتأتى من مهاجمته لمختلف أشكال الحلول التي لا تتضمن تصفية الكيان الصهيوني فحسب ، وانما أيضا ، لكونه ، اول من ركز ، على ضرورة اسقاط عقل التسوية ، او عقلية التسوية ، وهذه مسألة لم يكن الكثيرون يلتفتون اليها . أما كمال فقد كان يعتبر ان جذر الخطر كامن في عقلية البحث عن تسوية اكثر مما هو كامن في ما هو مطروح من تسويات . لماذا ؟ لانه كان يرى ان اخطار تلك المشاريع (التسويات) قابلة للدحر او هي غير ممكنة التطبيق في تلك الظروف المعطاة . ولهذا كان خوفه من عقلية التسوية لانها الاساس الذي يدفع الى الترامي على التسويات السياسية . الامر الذي يجعل اسقاط تسوية ما ، ابعادا لخطر محدد ، ولكنه لا يعني اسقاطا لاساس العلة وهي عقلية التسوية . في حين اذا تم التركيز على اسقاط عقلية التسوية يصبح من تحصيل الحاصل سقوط التسويات ليس المطروحة في ذلك الوقت ، فحسب ، وانما ايضا ، ما يمكن ان يتولد عنها ، خاصة ، عند تبدل بعض الظروف التي قد تكون اكثر مؤاتاة . لذا كتب في الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ ، في مجلة « فتح » الداخلية مقالا تحت عنوان « لا بد من اسقاط عقل التسوية » ختمها قائلا : « ان الجهد الرئيسي للثورة الفلسطينية يجب ان يتركز الان في العمل لاسقاط العقل العربي الذي يقول بتصفية

الاحتلال بالتفاهم او الاتفاق معه ، والعودة بالعقل العربي من اطار التسوية الى اجواء القتال . ولا بد من خلق سلسلة الحقائق القتالية التي تقود الى هذا ، وتجعله واقعا لا خيار منه ». ووضع في المقال نفسه شعارا قال فيه « لقد حاول اعداء الثورة الفلسطينية وما زالوا ، العمل على اخراج العقل الفلسطيني من اطار الثورة الى متاهات البدائل». ولهذا كان يرى في القتال المسلح جوهرا لا يجوز بأي شكل من الاشكال التخلي عنه ، ويكفي ان تخنق ارادة القتال عند الانسان الفلسطيني حتى يكون ذلك هو الطريق لتصفية الوجود الفلسطيني : يقول : « الوجود الفلسطيني يعني قدرة الفعل الفلسطيني، وقدرة الفعل هي ارادة القتال ، ارادة الرفض والتغييرات عند الانسان الفلسطيني . ومن هنا فان الذين يقفون في الصف المعادي يدركون ان تصفية الوجود الفلسطيني مرهون بخنق ارادة القتال عند الانسان الفلسطيني » .

وبعد ، فان هذا المرور السريع باستعراض افكار الشهيد كمال عدوان من خلال كتاباته ، يشعرنا كم نحن بحاجة ، في هذه الظروف ، ولامد غير قصير قادم ، الى دراسة هذه الكتابات والتعلم منها. من أجل المحافظة على اتجاه الثورة الفلسطينية حتى التحرير الكامل . هذه الثورة التي عاش كمال عدوان من أجلها واستشهد في سبيلها .

صدر حديثا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

كتـــاب

العمل والعمال في المخيم الفلسطيني

بحث ميداني عن مخيم تل الزعتر

بقـــلم

هـــاني منـــدس

والكتاب عبارة عن جهد ميداني قام به المؤلف في نحو السنتين في المخيم وخارجه حتى خرج بمعلومات وافية تعطينا صورة واضحة عن وضع الفلسطينيين في مخيم تل الزعتر (والذي بدوره يعتبر عينة عن وضع جميع المخيمات في لبنان) . وقد قسم الكاتب مادة الكتاب الى ستة فصول تناولت بالعرض والتحليل (١) السكان والاوضاع الاجتماعية العامة في المخيم . (٢) حجم المؤسسات (٣) توزع العمال الفلسطينيين حسب القطاعات والمهن (٤) القوى العاملة . (٥) قوانين معاملة الفلسطينيين « كأجانب » في لبنان . (٦) السمات العامة لمفهوم واقع العمل النقابي الفلسطيني .

٢١٥ صفحة من القطع الكبير بثماني ليرات لبنانية .

تضاف اليها أجور البريد الجوي : ١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢٥٠ ق.ل. في اوروبة ، ٥ ل.ل. في سائر الدول .

اطلبه من مركز الابحاث ــ قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ ــ بـــيروت

اراد ان يكون رجلا ... وشريفا

بيان نويهض الحوت

ما أكثر ما كان يحب ، وما أقل ما كان لا يحب .

وقد كان مما لا يحب ... المواعيد .

كان حقا لا يحبها ، ان اعطى صديقا موعدا ، ربما أخلف. كان يحب الزيارات المفاجئة الخاطفة ، وكان لا يترك بيت صديق ، الا ويترك وراءه اطياف ابتسامات على الوجوه .

ولما كان موعده الاكبر ، كان الموعد كما هو يحب المواعيد ، من غير موعد ، فقد جاؤوه في منتصف الليل ، وفي زيارة مفاجئة خاطفة وتركوا رصاصا ودخانا ودماء .

واخذ الهاتف في منزله يرن بالحاح . حتى الثالثة صباحا والهاتف يزعق . اكثر من صديق اتصل بالرقم السري الجديد ليطمئن عليه ، وما أجاب . فقال كل صديق لنفسه — والمدينة متشحة بالظلام وأصداء الرصاص والرعب — لم ينم كمال ناصر في بيته الليلة .

ما مر في بال واحد منهم انه ملقى على أرض بيته ، ما مر في بال واحد منهم انه ما عاد يسمع الهاتف ، وما عاد يبتسم .

خيالات الشر تتراءى للانسان دوما في لحظات القلق العادي ، فكيف يحدث — والقلق عظيم — عكس ما يمكن ان يحدث .

كيف يهدىء كل صديق من روع نفسه — وهو قابع في ركن بيته — ويقول : الحمد لله لم ينم في بيته الليلة .

الرصاص ووجهه ... الصمت المطبق وعيناه ... النهاية المرعبة وابتسامته ... الفوضى الدامية وجسده ... أبعد من كل خيال .

كثيرا ما سمعنا اناسا تقول ، لا نصدق **ان فلانا قد** مات . ثم يمر الزمن ويصدق الناس .

أما هو ، فما من أحد يصدق حتى اليوم — انه مات .

يمر ببالنا في لحظات كثيرة عندما يقرع الباب على غير ميعاد ، ربما كان كمال ناصر . يمر ببالنا في ساعات جدل كثيرة ، لو كان كمال ناصر معنا ، لكان يقول كذا .. لكان يسخر هكذا .

اقوال واقوال اخترعناها ونسبناها اليه منذ أن قالوا لنا انه مات .

نحن كبشر ، نعجز عن تفسير الموت . كل ما نستطيعه ان نحاول الابتعاد عن الكفر، ان نحاول أن نصدق ، وان نهز رؤوسنا مؤمنين او مدعين الايمان .

ولكننا — وامامنا ذكراه الغالية — كيف لا نحبه بعد أن مات اكثر . كيف لا ، وهو لم يدعنا لانفسنا بعد ، لم يتركنا وحدنا بعد ، لنشعر حقا انه مات ، لنحزن حقا .

كان روحا غنية لم نزل نشعر بدفئها من حولنا .

كان حبا للحياة عظيما . كان اخلاصا للانسان عميقا .

كان ايمانا بشعبه وامته لا يتزعزع . كانت ابتسامته ، كان وجوده صورة من صور الوطن .

كثيرون يحدثونك عن الوطن . كثيرون يذكرونك احيانا بالوطن ، بالوطن الدامي المعذب ، بالوطن المشرد الذي نعشقه ، وكلما طال التشرد كلما عشقناه اكثر .

واما هو ، فقد كان حديثه عن التشرد واللجوء والالم والضياع ، يقودك من حيث لا تدري الى ان تحلم بالربيع ، ربيع الليمون ، ربيع فلسطين .

وهذا هو كمال ناصر .

قمة في نفسه على جبل من المعاناة والتمزق .

وقمة اخرى من الامل والايمان العظيم بوطن يستعاد ، بامة عربية واحدة ، تزول فيها الحدود ، تزول قبعة الشرطي المستبد ، ترتفع الهامات المحنية ، ويعبق الافق بنسائم الحرية .

وهذا هو كمال ناصر .

شاعر اصيل ، يتدفق من الاحساس شاعرية فياضة ، فيعشق القلم لفترة من فترات تشرده ، ثم ينسى شعره ، ينسى حبه ، امام جبال الهموم ، امام شعبه المعذب ، فيقتحم العمل السياسي ، يقتحم الغرف المقفلة .

منذ أن كان شابا يافعا وهو يقتحم الغرف المقفلة ، يقتحمها كما يعرف ويشعر ويريد ، متخطيا اصول المقترحات السياسية ، واصول الغرف المقفلة .

هو يعرف تلك الاصول ، ولكنه لا يعترف بها ولا يستطيع مجاراتها .

هو يغرق في المبادىء والشعارات ، بينما غيره يغرق في الاحداث اليومية ، وفي الاحاديث اليومية ، فيشعر احيانا بشيء من الغربة ، ويشعرون هم بالدهشة ، ويقولون : لا يمكن لكمال ناصر ان يكون سياسيا . وبعضهم يتساءل : اما يكفيه ان يكون شاعرا .

وحده كان يملك الحق ليقرر ماذا يريد ، وماذا كان يمكن ان يكون .

ما اراد كمال ناصر يوما ان يكون المتنبي او شبه المتنبي ، ما اراد ان يكون شاعر العصر .

وما اراد يوما أن يكون غيفارا . قالها بصدق ولكل الناس ، انا لست غيفارا ، انا كمال بطرس ناصر .

لقد أراد شيئا واحدا .

أراد ان يكون رجلا يناضل في سبيل امته وفي سبيل مبادئه بمقدار ما يستطيع . واراد ان يكون شريفا .

لا يدعي النبوءة ولا البطولة .

لا يخوض اوحالا ومستنقعات كي يصل الى ارتفاع هضبة .

حقا ، لقد اراد شيئا واحدا ، ان يكون رجلا مناضلا بمقدار ما يستطيع . وقد برهن حقا على ما أراد . فانتهى الجدال من حول الشاعر والسياسي ، او السياسي والشاعر .

وحكم الموت سيد الاحكام .

مات الرجل كمال ناصر .

مات كما يموت الرجال ، اغلى الرجال ... أصدق الرجال ... واندر الرجال .

الدكتور باسل الكبيسي :

ذلك الفارس الذي لم يترجل

الدكتور أسعد عبد الرحمن

الاذاعة ووكالات الانباء في ١٩٧٤/٤/٦ : « أطلق مجهولان اليوم النار في أحد شوارع باريس على استاذ عراقي هو الدكتور باسل الكبيسي فاردياه قتيلا ... ويعتقد ان للحادث دوافع سياسية » .

وعرفت كيف يكون عليه طعم الموت في الربيع . كيف يطحن ألم الوعي بموت الاعزاء خلايا الدماغ وهي تدرك ، مع نعيق بومة معششة في وكالة انباء او مذياع ، أن من دوما شمّت عيناه بحب لا متناه للحياة قد قضى بعد ان مزقت جسده تسع رصاصات أطلقت ... في الظلام ... ومن الخلف !

وينتصب السؤال ، بعد مضي عام كامل ، عملاقا متهقها : أيهما أكثر مرارة ... الموت ... أم طعمه في حلق الصديق ؟

والى ان نلتقي رصاصة الرحمة ، او تلتقينا ، سنبقى نتساءل :

لماذا الحديث ... بالذات ... عن طعم الموت في الربيع ؟

اله نكهة مختلفة عن مذاقه عندما جاء متسربلا في ثياب لص من الليل فنهش صدر طفل نازح ؟

أم لانه يثير التقزز أكثر من وفادته على شكل صاروخ أسقطته طائرة اسرائيلية (أم عربية ، لا فرق) فهبط ... فجاة ... على رأس امرأة وهي تسير في مخيم للنازحين ؟

أم تراه أقل عذوبة من الموت الذي أتى ... متبرجا ... يعتمر عمامة خضراء ... او يرتدي بلوزة سوداء ... أو يتوشح راية حمراء ؟

ولماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

لماذا طالما ان الموت واحد وان تعددت الاسباب ...

ولماذا طالما ان قيمة الشهيد ، في كل زمان ومكان ، واحدة ...

... لماذا الحديث ... بالذات ... عن باسل ؟

لســـببين :

... نقطة ضعف تتعلق بي : ـــ

كونه ، حيا وشهيدا ، أعز الاصدقاء .

... ونقطة قوة تتعلق به : ـــ

كونه واحدا من اولئك الفرسان ... النادرين ... الذين امتطوا الجواد ... وثبتوا عليه ... ولم يترجلوا .

* * *

كان على جواد العمل الوطني الذي امتطى باســـل صهوته ان يقفز فـــوق حواجز **اضافية** زادت من الاعباء التي تثقل عادة اكتاف العاملين في الحقل الوطني . ولعل احد اكثر هذه الحواجز ارتفاعا وصعوبة ذلك الممتدة جذوره ، بعيدا ، في أعماق أصـــول المنشأ الاجتماعي ــ الاقتصادي المنحدر منه باسل :

فمحمد سعيد ، عميد آل الكبيسي ، واولاده السبعة (باستثناء خامسهم رؤوف) شكلوا القاعدة الصلبة التي استند اليها البناء الاجتماعي ــ الاقتصادي لقرية «كبيسه» (وتقع في الشمال الغربي من مدينة بغداد في لواء الرمادي) . في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر . وهم بانتمائهم لقبيلة « بو حيدر » (علاوة على كونهم أخوال قبيـــلة « البو دريع ») ضمنوا لانفسهم مركز الصدارة الاجتماعية في القرية . ومن الصدارة الاجتماعية الى الصدارة الاقتصادية ، او بالعكس ، تربع جد باسل واعمامه ، وهم المسكون الرئيسيون بخيوط النشاط التجاري ، على قمة الهرم الاقتصادي ــ الاجتماعي في المنطقة .

ومن ناحية ثانية ، كان عميد آل الكبيسي وابناؤه ، حافظين امناء لتراث القبيلة . ويبدو ان دورة النشاط الاقتصادي التجاري ، التي كانت « كبيسه » احدى حلقاتها البارزة ، نجحت في عزل المثالب القبلية من عدم استقرار وعوز مادي وغزو ، تماما مثلما استطاعت تدعيم مناقبها من فروسية وشجاعة ، استجارة واستخارة بالاضافة الى ديموقراطية « الدواوين » وكرمها*

وفي هذا كله ورود الى أحد ينابيع المؤثرات التي ، طوعا او كرها ، سلبا او ايجابا ، شعوريا او لا شعوريا ، شرب منها باسل . وهذا هو الينبوع البعيد ــ القريب اذ لم تتمزق ، حتى الان ، الوشائج التي تربط بين السلف في قرية « كبيسه » والخلف حيثما كان في بلاد الرافدين .

أما الينبوع الرئيسي الثاني الذي نهل باسل من تأثيراته فهو والده رؤوف الكبيسي الذي كان أول الجسور المتينة الثابتة التي وصلت ما بين فرع العائلة القبلي ــ التجـــاري وفرعها الحضري ــ الوظائفي . ففي بغداد ولد رؤوف في العام ١٨٨٦ وانضم ، متأثرا بروح أحداث ١٩٠٨ ، الى « جماعة العربية الفتاة » . ثم عمل ، بعد ان تخرج من الكلية الحربية في اسطنبول ، في العام ١٩١١ ، ضابطا في «جندرمة بغداد»** . وبعدما حارب القوات البريطانية الغازية في العام ١٩١٧ ، التجأ الى سورية والتحق بالحكومة العربية الى جانب الملك فيصل وأصبح قائدا لدرك حلب . وعندما عاد مع الملك الوافد الى العراق في العـــام ١٩٢١ ، ارتقى السلم الاداري حتى عين محافظا لمدينـــــة « البصرة » . واثر هجومه على بريطانية واتهامها علنا*** بمعاملة العراق « كبقرة حلوب » ، أعيد الى بغداد حيث عين ، بعد فترة ، مديرا عاما لسجونها . وكان رؤوف ، من ناحية الانتماء السياسي ، أحد أبرز انصار ياسين الهاشمي ــ « بسمارك العرب » والقطب الرافض لاية معاهدة من شأنها ربط العراق بالدول الاجنبية .

ضمن اطار هذه الخلفية من التأثيرات ، ولد باسل رؤوف الكبيسي في شباط (فبراير)

---

* وفي هذا المجال لا زال فتح المطعم او المخبز او الفندق على رأس قائمة « المحرمات » في تقاليد قريـــة « كبيسه » لما في ذلك من « حرمان » لاهل القرية من استضافة الوافدين ــ الزائرين لها .

** تزوج رؤوف من نظمية صبري ، وهي من عائلة بغدادية عريقة ، في العام ١٩١٣ .

*** كان ذلك في حفل افتتاح ميناء البصرة (١٩٢٩) بحضور الملك فيصل الاول والكولونيل وارد ، مدير الموانىء البريطاني .

١٩٣٣ فجاء ترتيبه الاصغر بعد ثلاث شقيقات وشقيقين . وكان اول ما تفتح عليه وعي باسل ، بحبوحة عيش واضحة والتزام وطني اوضح ووالد شرقي أميل الى الصرامة منه الى الليونة والدة تعوض من الحنان ما قد ينقص ... وتفيض. ومن يعرف الاحياء من افراد عائلة رؤوف الكبيسي ، يلاحظ المزيج الخاص من « التقاليد » المحافظة ــ المحدثة ، الارستقراطية ــ المتواضعة ، العريقة ــ الشعبية التي تؤطر سلوك العائلة ومستلكيتها .

وفي هذا كله ورود لينبوع ثان من المؤثرات التي كان باسل أقرب اليها وأشد التصاقا بها وأكثر عرضة لتأثيراتها .

أما الينبوع الرئيسي الثالث الذي شرب منه باسل ، حتى الثمالة ، وارتوى ، بل وسبح فيه حتى تعبت الحياة ذاتها من حيويته فتخلت عنه ، فهو ينبوع المناخ السياسي العام الذي عايشه ، والهواء السياسي الخاص الذي تنفسه :

فمن جهة ، بدأ باسل رحلة الاربعين عاما التي عاشها من نقطة تقع تقريبا عند منتصف المسافة الزمنية بين حدثين بارزين في تاريخ العراق المعاصر ــ انضمام المملكة العراقية الى « عصبة الامم » في ٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٢ ، ووفاة مؤسسها الملك فيصل الاول في ٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٣ واعتلاء الملك غازي سدة العرش . واذا كان الحدث الاول قد ثبت صورة العراق دوليا ، فان الحدث الثاني قطع خيوط الوفاق بين الريف والمدينة وعكر صفاء « الميزان المتوازن » الذي حكم علاقات أقطاب السياسيين التقليديين طوال فترة طويلة .

ومن جهة ثانية ، ترافق بدء باسل لدراسته في المرحلة الابتدائية (في « المدرسة المأمونية » الحكومية في العام ١٩٣٩ / ١٩٤٠ ، مع مقتل الملك غازي في نيسان ــ ابريل ١٩٣٩ ومع اندلاع نار الحرب الكونية الثانية في ايلول ــ سبتمبر من العام ذاته . كما بلغت موجة المد القومي العربي ، آنذاك ، احدى اعلى قممها . وكان كل هذا ضمن اطار هيمنة الجيش على مجريات السياسة في البلاد بعد ان بدأ مسلسل الانقلابات العسكرية منذ تشرين الاول ــ اكتوبر ١٩٣٦ وما اعقبه من وفاة ياسين الهاشمي واغتيال جعفر العسكري وتمحور الصراع حول اتجاهين متصادمين : التيار المعادي للاستعمارين البريطاني والافرنسي من جهة والتيار الداعي الى التعاون مع الانجليز من جهة ثانية .

في « المدرسة المأمونية » تلك ، ومنذ سنته الابتدائية الاولى ، ارتدى باسل ، ضمن « نظام الفتوة » ، الثوب الخاكي وانشد ، قبل ان يتقن فك الاحرف ، اناشيد : « نحن الشباب » ، و « موطني يا موطني » ، و « هيا فتوة للجهاد » . وفي احدى الصور الفريدة ، يظهر باسل وقد اشترك في اول مظاهرة له ، وهو في الصف الثاني الابتدائي ، اثناء حركة الكيلاني في العام ١٩٤١ .

وفي سنوات دراسة باسل الابتدائية ، كانت الخارطة السياسية في البلاد ترسم من جديد تحت وطأة التمخضات التي عاشتها الحركة الوطنية . ففي تلك الفترة صعدت الطبقة المتوسطة الى مسرح الاحداث ــ متأخرة ــ بعد ان افاقت من تنويم مقصود سببته ابرة تخدير قديمة كانت سلطة الانتداب البريطاني قد غرزتها ، على شكل اجراءات اقتصادية ، في جسد الشعب العراقي . وهكذا ظهرت « القوة الجديدة » بشقيها القومي والشيوعي وأجبرت الامير عبد الاله ، « الوصي على العرش » ، على الاعتراف بها والانحناء أمام عاصفتها في العام ١٩٤٥ .

في ذلك العام بالذات ، دوخت باسل دوامة الوضع الطبقي الذي وجد نفسه فيه فخاض احدى معاركه المبكرة مع القوى السلبية الفاعلة في ذلك الوضع ... وكانت ساح القتال على ارض مصر .

اذ بعد ان انهى باسل مرحلة الدراسة الابتدائية ، أبعدته بحبوحة العيش ، في العام ١٩٤٥/١٩٤٦ الى « كلية فكتوريا » في الاسكندرية لمتابعة دراسته. وفي «الغربة»، في السن المبكرة تلك ، بدأت صراعات باسل مع باسل ... وكان لا بد من ايجاد اجوبة لأسئلة كثيرة حائرة ومحيرة :

أيسمح لرياح موقعه الطبقي ان تقود سفينة تحصيله العلمي الى شاطىء المؤسسات الاكاديمية الخاصة بابناء النخبة وعلية القوم ؟ أيسلم صفحة دماغه البيضاء لتلك المؤسسات كي تمسح عنها ما حفرته التأثيرات الوطنية في عائلته وتنقش عليها وشما من الثقافة الاستعمارية الغربية يلازمه الى الابد ويغدو معه « اجنبيا » وسط افراد عائلته وعشيرته وفي وطنه ؟ ثم والمسألة — كما شرحها باسل نفسه في جلسة حميمية — مسألة شعور وليست مسألة قرار فحسب . اذ كيف يستطيع ان يتجاهل حالة الاحتقان التي بدأ يعاني منها ولا يهرب من خطر الاختناق الداهم الذي كان يراه مندفعا — وبسرعة بالغة — باتجاهه ؟ ولماذا يبقى أسير السرب « النخبوي » والقفص «الفكتوري» اللذين « اعتقل » فيهما على يدي « شرطة » المترتبات الناجمة عن الموقع الطبقي الذي لم يختره هو ؟

وكان قرار باسل — وهو في سن لم تكن تؤهله لاتخاذ قرارات — حاسما بوضوحه : لا للعودة الى « كلية فكتوريا » ونعم للمدارس الحكومية ... **وهكذا قطع باسل بعض خيوط شبكة « العنكبوت الطبقي » المنسوجة حوله ... ومضى ، معتليا صهوة « مهر » عمله الوطني ، سائرا في الاتجاه الصحيح .**

باشر باسل دراسته المتوسطة في « كلية بغداد » في مناخ انفراج اشاعته حكومة توفيق السويدي (١٩٤٦) تحت ضغط « القوة الجديدة الصاعدة » . وقد كان قرار الحكومة في السماح بتشكيل الاحزاب بمثابة نزع سدادة « قمقم » العمل السياسي الشعبي واطلاق سراح « مارد » الطبقات الشعبية بصدارة الطبقة المتوسطة المسيسة. أما فظاظة حكومة أرشد العمري (التي جاءت في حزيران — يونيو ١٩٤٦) فلم تفشل في كسر « زنبرك » العمل السياسي الشعبي فحسب ، بل تورطت في ضغط ذلك « الزنبرك » — مضيفة الى زخمه زخما جديدا — ساعده ، لاحقا ، في الارتداد على السلطة الحاكمة بقوة أشد .

ومنذ نهاية العام ١٩٤٦ ، غدا باسل يتيما . فقد وافت المنية رؤوف الكبيسي في الثامن من كانون الاول (ديسمبر) ولم يكد يطرق باب الستين عاما . ومع ذلك لم يخلف الوالد الراحل وراءه طفلا . فباسل اليافع ، ابن الاربعة عشر ربيعا ، كان قد تخطى مرحلة « الطفل الجاد » (الجاد لدرجة انه لا يذكر — كما ان كل من عرفوه آنذاك لا يذكرون — مروره « بفترة طفولة » واضحة المعالم) الى مرحلة الشاب الرزين الذي لفتت رصانته المبكرة الانظار اليه واثارت الفضول من حوله وكانت محط تندره هو وتفكه مريديه الاقربين في وقت لاحق . كما اصبح واضحا ان شخصية باسل الآخذة بالتشكل النهائي كانت قد مالت بشكل حاسم ، بعد أن نجح في القفز من فوق مرحلة المراهقة ، نحو التأدب الشديد والحياء المرهف والتحلي ، اولا وقبل كل ميزة اخرى ، باخلاق « الفارس العصري » من شجاعة وكرم وشهامة . واما عيوبه البارزة فكانت في حدية هذه

الصفات عنده وفي عبوره ، احيانا ، ذلك الخط الرفيع الذي تتحول وراءه هذه المناقب ، من شدة الافراط فيها ، الى مثالب . هذا على الصعيد الخاص .

أما على الصعيد العام ، فقد كاد العراقيون ان ينسوا ، في الفترة ما بين ١٩٤٦ ــ ١٩٤٨ ، معنى عبارة « الاستقرار السياسي » . فمع غياب الهدوء من قاموس الحياة اليومية ، اشتدت قوة حضور الاضرابات والمظاهرات وبخاصة في الكليات والمدارس . وكان طبيعيا ومتوقعا ان لا يفوت باسلا ، الطالب في « الثانوية المركزية » ذا الحماس المتفجر ، أي من هذه النشاطات . وفي « الوثبة » (الانتفاضة الشعبية ضد اتفاقية بورتسموث ، في كانون الثاني ــ يناير ١٩٤٨) اضطر باسل لان يبتعد ، مددا وجيزة ، عن صخب الشارع الى سكون المستشفى حيث كان الاطباء ينتزعون من جسد شقيقه (ياسين) رصاصة من رصاصات السلطة التي مزقت كبده وكادت ان تجفف مـــاء الحياة فيه .

واثناء ورود باسل المستمر الى ينبوع العمل السياسي العام ، استطاب مذاق ماء أحد روافده بشكل خاص ... فبدأت رحلة التزامه التنظيمي .

ففي ظل الاجواء السياسية المتقلبة التي تلبدت بها سماء العراق في نهاية الاربعينات ، أنهى باسل دراسته الثانوية وغادر الى الجامعة في لندن . وبعد عام من التمزق الداخلي، تقاذفته فيه تيارات متناقضة ، وبعثت في ذهنه ذكريات معاناته الخاصة في « كليـــة فكتوريا » ، عاد الى الوطن والتحق ، في العام ١٩٥١/١٩٥٢ ، بدائرة العلوم السياسية في الجامعة الاميركية في بيروت . وكانت تلك الخطوة منعطفا حاسما اتخذت حيـــاة باسل بعده مجراها الجديد :

ففي الجامعة الاميركية ، حيث ازدهرت التجمعات والاحزاب القومية في أعقاب سقوط فلسطين في العام ١٩٤٨ ، التقى باسل مع جورج حبش وأصبح ضمن اوائل المنتظمين معه . وبالعمل الدؤوب والانضباط الدقيق ــ المعروفين عن باسل ــ أصبح مثالا للملتزم الذي يحتذى ... كما ولمع نجمه ، كقائد طلابي ، بسرعة بالغة .

كانت الازمة الداخلية في العراق ، في هذه الاثناء ، تتفاقم نتيجة لازدياد اســـتفراد « الوصي على العرش » بمقدرات السلطة . وسرعان ما بلغ تدهور الاوضاع نقطـــة الانفجار . فكانت « انتفاضة ١٩٥٢ » وما رافقها من دعوة السلطة للجيش لادارة دفة البلاد . وبالفعل شكل رئيس الاركان العراقي ، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٢ ، حكومة تمكنت من اعادة الامساك بمقاليد الامور لصالح الفئة الحاكمة بعد ان كادت تفلت نهائيا من يدها اثناء الانتفاضة . وبذلك أتيح « للغزل » البريطاني ــ العراقي ، القائم على قدم وساق ، ان يستمر تمهيدا « لزواجهما » المرتقب وفقا « لعقد » معاهدة الدفاع المشترك التي كانت قيد الاعداد آنذاك .

وضمن موجة المظاهرات الصاخبة التي عمت عددا من البلدان العربية قطعا للطريق على عودة الاستعمار البريطاني « من النافذة بعد ان خرج من الباب » ، اشترك باسل في قيادة المظاهرات العنيفة التي ملأت شوارع بيروت . وقد كانت حصيلة « مكاسبه » الشخصية من تلك الاحداث وافية : جراح في رأسه ، واعتقال في « سجن الرمل » في بيروت ، وانذار بالطرد الفوري من الجامعة اذا ما تكرر « سوء سلوكه » . وقد تبلور الانذار ، اثناء عطلة الصيف ، فطرد باسل وطالبان آخران ، قبل ان تتاح لـــه فرصـــة الحصول على شهادة جامعية*.

---

* ومما هو جدير بالذكر ان مجموعة باسل هذه كانت اول مجموعة من الطلاب تطرد منذ تأسيس الجامعة .

وبالرغم من «الحصار الاكاديمي» الذي فرض عليه من قبل عدد من مؤسسات التعليم في الولايات المتحدة بسبب « تاريخه السياسي » ، نجح باسل في الالتحاق بجامعة « آدامز ستيت كولدج اوف كولورادو » ، حيث تخرج منها في نهاية ايار (مايو) ١٩٥٦ وتعين في وزارة الخارجية العراقية في تشرين الثاني (نوفمبر) من العام ذاته .

وفي الفترة ما بين قرار الطرد من الجامعة والعودة الى بغداد ، جوبه باسل بالدوامة القديمة الجديدة : ضرورة المفاضلة ، من جديد وبقرار حاسم ، بين ان « يستمتع » — خاصة وانه لم يزل في ربيع عمره ومقتبل صباه — بما يمكن ان توفره له اوضاعه الطبقية من حياة مخملية (وشرط ذلك الاوحد ان يدوس على ضميره ومثاليته فيؤثر الخاص على العام) أو ان يدير ظهره — على صعوبة ذلك — لشلال من الاغراءات المادية والمعنوية التي كانت رهن اشارته . **ولم يكن القرار — المطلوب من باسل اتخاذه — قرارا سهلا .**

اذ عندما يقوم الكادح باختيار طريق الثورة — أساسا تحت تأثير العسف الاقتصادي والسياسي — فانه « ليس لديه ما يخسره غير قيوده » . اما عندما يختار ابن الطبقة البرجوازية **الطريق ذاته** — أساسا تحت تأثير الاحساس بالمسؤولية الانسانية والاندفاع المثالي — فان لديه الكثير ليخسره . ولان استبدال وسادة الحرير بوسادة من الصخر ليس بالامر السهل ، **لم يكن القرار — المطلوب من باسل اتخاذه — قرارا سهلا .**

كذلك فان الصعود من طبقة الى طبقة ، والكثير منا — هذه الايام — يعرف ذلك ، ليس بالمسألة الصعبة . فعندما يفتح الاستعمار — القديم والحديث على حد سواء — خزائنه ، بشكل مباشر او غير مباشر ، يصعب على الكثيرين (« والانسان ، اولا وقبل كل شيء ، انسان » — كما يقولون) « مقاومة » اغراءات الصعود . كما ان مسألة الصعود تبدو أكثر سهولة عندما لا يصبح التعامل مع العدو ضد الوطن « ثمنا » لها . « فالمصاعد » — ذات الاتجاه الواحد ، من اسفل الى أعلى **وفقط** من أسفل الى أعلى — كثيرة . فمن « مصعد » الانتهاز الى « مصعد » مسح الجوخ والتزلف الى « مصعد » لحس المواقف والارتداد عنها ... القائمة طويلة . أما النزول من طبقة الى طبقة فمسألة مختلفة . مسألة فيها ، وبالمعنى الحرفي ، لون من التعجيز وألوان من الاعجاز . **لذلك لم يكن القرار — المطلوب من باسل اتخاذه — قرارا سهلا .**

ولكن فيض المثالية الانسانية والالتزام بالقضية الوطنية العامة عند باسل كان كافيا لجعل الصعب سهلا ... فكان قراره بالعودة الى العراق من أجل الاسهام في تأسيس فرع سري للقوميين العرب (« حركة القوميين العرب » — لاحقا) ... **وبهذا قطع باسل ، للمرة الثانية ، خيوطا جديدة من شبكة «العنكبوت الطبقي» المنسوجة حوله... واندفع معتليا صهوة جواد العمل الوطني ... فارسا عصريا مقاتلا بسيف التنظيم الملتزم ... وساعيا من اجل « الوحدة ، والتحرر ، والثأر » .**

ومنذ اللحظة الاولى التي بدأ فيها باسل رحلة تشكيل التنظيم الجديد ، لازمته صفتان بارزتان : السرية الشديدة والنشاط الدؤوب . وفي حين اقتضت الصفة الاولى تصديه شخصيا لتأدية بعض المهمات الخطرة للغاية ، أستوجبت الصفة الثانية الغاء تاما لاية « حياة خاصة » به .

وعندما قامت الوحدة بين مصر وسورية في العام ١٩٥٨ ، تمحور الصراع العربي بشكل حاد فاصبحت الجمهورية العربية المتحدة قطبا في النزاع في حين شكل العراق والاردن قطبه الثاني . واثناء زيارة « الوفد الاردني » للعراق بهدف اقامة دولة وحدة

مضادة ، تحطمت سيارة باسل (يوم الثامن عشر من آذار — مارس ١٩٥٨) وهي في باحة « قصر الزهور » بمتفجرات كانت معدة « لترافق » الوفدين الاردني والعراقي في طائرتهما المسافرة الى عمان في اليوم ذاته *.

اتجهت الانظار ، خاصة انظار نوري السعيد ، بشك وريبة الى باسل الذي تظاهر ، برباطة جأش خيالية طالما ظهرت في اللحظات الحرجة ، بان لا علم له بالمتفجرات وانه نفسه — « كما يبدو » — كان مستهدفا بها . وكي يزيل كل شك من ذهن المحققين معه وكي يضلل « كلاب الاثر البشرية » التي أطلقت وراءه ولازمته كظله ، موه باسل تحركاته ، بمساعدة أحد أعز اصدقائه ، بالتصرف وكأنه من الرواد الدائمين للبارات وما شابهها . وكانت تلك هي المرة الاولى التي « عرف » فيها باسل ذلك النمط من « حياة الشباب » . على ان ثورة الرابع عشر من تموز (يوليو) ١٩٥٨ ، قصرت من عمر « اجازة » باسل الاضطرارية . وبدأ عهد جديد .

وما ان شرعت الثورة تأكل ابناءها واشتد الصراع بين عبد الكريم قاسم ومؤيديه من جهة والتيار القومي من جهة ثانية ، حتى اعتقل باسل ضمن حملة الاعتقالات التي شملت مختلف العناصر القومية في طول العراق وعرضه . وفي وقت لاحق ، اقترن الحكم على باسل « بالسجن لمدة عام واحد » بقرار فصله من وزارة الخارجية منذ نهاية كانون الثاني — شباط ١٩٥٩ .

وقد كان السجن « صومعة » للاستذكار والمراجعة ومناسبة للاجابة على بعض الاسئلة المهمة ولاتخاذ قرارات جديدة . وكان السؤال الاهم : ماذا بعد السجن ؟

مجددا جاء الجواب قاطعا ومتناسبا مع مضاء سكين مثالية باسل وقوة التزامه بالقضية العامة . وبالسكين ذاته قطع باسل مزيدا من خيوط شبكة «العنكبوت الطبقي» المنسوجة حوله . وقرر ، بجرأة وتضحية ، ضرورة التوقف عن مزاولة أي عمل أو وظيفة خاصة والتفرغ كليا للعمل القومي الثوري . وهكذا كان :

ففي الفترة ما بين اطلاق سراحه (في نيسان — ابريل ١٩٦٠) وسقوط نظام قاسم (في شباط — فبراير ١٩٦٣) نجح باسل ، ومعه عدد من الرفاق ، في الاستفادة من موجة المد القومي — الناصري التي غمرت العراق ، نجاحا فاق كل تصور سابق . ففي أقل من ثلاثة أعوام ، أصبحت « حركة القوميين العرب » — خاصة بامتداداتها العسكرية في الجيش** — واحدة من القوى الرئيسية في ساحة العمل الوطني وطرفا بارزا من أطراف جبهة « التجمع القومي » التي تم تشكيلها لمقاومة النظام والعمل على اسقاطه . وعندما باشر حزب البعث في محاولة القضاء على حكم قاسم يوم ١٩٦٣/٢/٨ لعب باسل دورا كبيرا في دفع باقي أطراف « التجمع القومي » للمشاركة ، خاصة بعد ان استمرت مقاومة قاسم ومؤيديه حتى مساء اليوم التالي . ولا يزال الكثير من البعثيين والقوميين يذكرون ذلك الدور التحريضي الهام الذي لعبه باسل وأثر في الاسراع

---

* كان باسل قد ادخل تلك المتفجرات بنفسه عندما عاد من رحلته الاخيرة لبيروت ودمشق كما نجح في ايصالها الى باحة القصر بحكم عمله في تشريفات الخارجية العراقية .

** ويعود الفضل الاساسي في توسيع شبكة الامتدادات هذه الى باسل بالذات حيث نجح في الاستفادة من علاقات القربى والصداقة التي ربطته بعدد من الضباط القوميين .

في حسم المعركة عند مبنى وزارة الدفاع في التاسع من شباط (فبراير) ١٩٦٣*.

بدأت ، في أعقاب سقوط نظام قاسم ، مرحلة العمل العلني بالنسبة للتيار القومي ومن ضمنه « حركة القوميين العرب » وقد أصدرت الحركة ، آنذاك ، صحيفة «الوحدة» وأوكلت مهمة رئاسة تحريرها لباسل .

واثناء قضائه فترة « شهر العسل » في القاهرة ، بعد ان وفق في الزواج من رفيقة قديمة — جديدة ، اتهم ، في نهاية ايار (مايو) ١٩٦٣ ، بمحاولة قلب نظام الحكم الجديد**. وبالاضافة الى الحملة التي شنت عليه وعلى رفاقه ، في الاذاعة والصحف، أعلنت الحكومة العراقية وضع يدها على ممتلكات عائلة الكبيسي المنقولة وغير المنقولة. وتعرضت العائلة ، التي طالما جندها باسل لخدمة الخط القومي الذي كان يدعو اليه ، لظروف غاية في القسوة . واستمر ذلك الى ان اطاح عبد السلام عارف بحكم حزب البعث في ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) من العام ذاته فرفع الحجز عن ممتلكات العائلة وعاد باسل الى العراق من « منفاه » الاضطراري .

ومع عودته ، بدأ الشهر الاقسى في حياة باسل السياسية بله والاكثر ايلاما في حياته كلها . اذ ان حالة « الاسترخاء » التي تلت نجاح انقلاب عبد السلام عارف دفعت « قيادة اقليم العراق » ، في غياب الصراعات الخارجية ، الى « التفرغ » لتصفية « الحسابات الداخلية » .

ومن لا يعرف كره باسل للكذب ولمختلف الاساليب الملتوية والمناورات التنظيمية ، ومن لا يعرف تمسك باسل بقضايا الضبط والربط التنظيميين ، لن يستطيع ان يفهم قراره الخاص بتجميد نشاطه في التنظيم الى ان يصحح الخطأ .

وعندما اثبتت القيادة عجزها عن فعل ذلك عجز باسل ذاته عن التراجع فتكرس قرار التجميد الذاتي وغادر باسل الى الولايات المتحدة لمتابعة رحلته الاكاديمية التي توقف عند احدى مراحلها ، متفرغا للعمل النضالي القومي ، مدة ثماني سنوات . وجاء قراره هذا في وقت انهالت فيه العروض عليه (من عبد السلام عارف بالذات) لتولي منصب وزير الخارجية أو أي منصب آخر غيره .

وطول السنوات الثماني اللاحقة ، حمل باسل على كتفيه صليب آلامه العامة حيثما ذهب . ولم « يساعده » نجاحه الاكاديمي وحصوله على اجازة الماجستير ، من جامعة هوارد — واشنطن في العام ١٩٦٦ ، في اطفاء جذوة حنينه الى حياة النضال السابقة . تماما مثلما لم ينجح نشاطه في « منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة وكندا » وغيرها في التعويض عما يفتقده . **وجاءت الحرب — الهزيمة في حزيران — يونيو ١٩٦٧ . ولم يبق دخان حرائقها ، في الجو الخانق الذي ساد ، أيا من فقاقيع الاكسجين الضروري**

---

* وفي هذا المجال ، تجدر الاشارة الى الاسى والحزن الشديدين اللذين كانا يعتريان باسل كلما مرت في خاطره ، في وقت لاحق ، صورة اقتتال فصائل الحركة الديمقراطية الوطنية (بجناحيها القومي والشيوعي). ذلك الاقتتال الذي كان يصب الماء ، بالمحصلة ، في طاحونة الاعداء المشتركين . وفي أساه وحزنه كان باسل يقف في خندق واحد مع كثير من أعضاء وانصار الطرف الاخر المنافس آنذاك والذين كانوا ، كباسل ورفاقه ، ضحية من ضحايا المرحلة ومفاهيمها .

** ومما يجدر ذكره في هذا المجال ، ان الانفجار في علاقات الاطراف القومية المختلفة (ومن ضمنها جناح حزب البعث الحاكم) كان مرحلة من مراحل تردي العلاقات بين اعضاء جبهة « التجمع القومي » ذلك التردي الذي كان قد بدأ حتى قبل اسقاط قاسم في شباط (فبراير) ١٩٦٣ .

لتنفس باسل في الغربة . فعاد الى الوطن ، تاركا جامعته حيث كان يحضر لنيل شهادة الدكتوراة ، والنار من تحت مرجل حماسه الفوار ، متوقدة .

ولكن حالة الصراع الداخلي التي كانت تعاني منها حركة القوميين العرب — بعد ان شاخت مفاهيمها الفكرية والسياسية وتثلمت أسلحتها التنظيمية وتجاوزت المرحلة أساليبها النضالية — لم تمكنها من استيعاب طموحات باسل الجديدة . كما ان « التوجه الفلسطيني » لدى معظم من لم يصب « بالتعب الثوري » من قيادات الحركة ، لم يمكنهم ، في ظل اوضاعهم الحرجة ، من الاسهام في وضع المشاريع النضالية الخاصة بباسل موضع التنفيذ . ولما تأكد له — خاصة بعد أن عاد البعث للسلطة في العراق — ان حصان العمل الوطني الذي كان يراهن عليه يمر في فترة نقاهة تمنعه من الحركة الواسعة النشطة ، قرر ان العام والنصف المنصرمين منذ عودته للوطن يجب ان لا يطولا أكثر . وهكذا عاد ادراجه الى الولايات المتحدة في مطلع العام ١٩٦٩ لمتابعة التحضير للدكتوراة ثم انتقل ، مع بداية العام ١٩٧٠ ، ليحاضر في احدى جامعات كندا تحت ضغط اعتبارات تتعلق بأوضاع مالية غير مريحة كان وعائلته يمران بها .

وكان واضحا ، عندما تجدد لقاؤنا في البرته — كندا منذ آب (أغسطس) ١٩٧٠ ، انكباب باسل على مراجعة تجارب الماضي وتنمية قدراته الذاتية تمهيدا لدور ما يلعبه في المستقبل . كما كان واضحا ايضا ان باسلا قد نجح في تطوير وتجديد بعض منطلقاته الفكرية ومفاهيمه السياسية باتجاه اليسار الملتزم بحيثيات الاشتراكية العلمية وبمضامينها والنتائج المترتبة عليها نظريا ونضاليا . وقد ترافق ذلك مع تولي باسل لمسؤوليات تنظيمية قيادية ضمن اطار العمل الخارجي الخاص « بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » في امريكا الشمالية .

ولحظة وصل « قطاره » الاكاديمي الى آخر « محطاته » ، قفل باسل عائدا الى الوطن بعد ان أجيز ، في اواخر العام ١٩٧١ ، دكتورا في العلوم السياسية من الجامعة الاميركية في واشنطن . ومنذئذ بدأ باسل يحضر نفسه للقفز من فوق الحاجز الاخير .

وصل باسل الى الوطن والجو السياسي العام يعبق برائحة دخان الهزيمة الذي انعقد ، في غياب حرارة الانتصار وحضور برودة التراجع الثوري ، غيوما وسحبا حجبت شمس الثورة ولبدت سماء المنطقة وانهمرت مطرا من اليأس جرف في اندفاعه الكثيرين . ففي العام ١٩٧٢ ، نجحت معظم النظم العربية في تمزيق تحالفاتها الدولية وتفتيت تضامن معسكرها العربي وتشتيت جبهاتها الداخلية . وكان ذلك كله في اعقاب انزال الستارة على مسرحية « عام الحسم » .

وأما حركة المقاومة الفلسطينية — أمل الثوريين العرب ومن ضمنهم باسل — فكانت مطرودة وجريحة ومطاردة . وكان جواد « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » — وهو موضع رهان باسل المحدد — منهكا ومدمى بفعل السياط الذاتية والموضوعية التي انهالت عليه بالضرب المبرح .

وكان الرعب قد ساد وهيمن . فقارب النجاة الذي احتمت فيه بقايا الثورة الفلسطينية غدا عرضة لامواج الهجمة الامبريالية — الاسرائيلية — الرجعية ، العاتية . وحرب الابادة — غير المتكافئة — ما عادت خفية . فقد أعلن عنها دق أجراس الاغتيال السياسي طوال المسيرة الجنائزية الموحدة التي حملت اشلاء غسان كنفاني ووائل زعيتر ومحمود الهمشري انطلاقا من بيروت ، مرورا بروما ، وانتهاء بباريس . وغالبا ما كانت جوارح الموت الواغد في الرسائل المتفجرة او الطرود الملغومة تكتفي بتمزيق الوجوه وقضم الاصابع ونقر الاذان وفقء العيون او اقتلاعها .

وكان باسل، بحكم اقترابه من دائرة الموت، يرى كل ذلك فيخشاه، وفي الوقت ذاته، يستمد الشجاعة منه . وكان يتلفت حواليه فيرى تلك الثنائية ــ المتناقضة تحاصره :

ففي اطار عائلته الكبيرة ، رأى القلق على حياته في جميع العيون . وأصر ــ مع ذلك ــ على ان تراث التضحيات الذي تملكه العائلة سيأتي دوما لعونها ومواساتها اذا ما اقتضت الضرورة تضحيات جديدة .

وفي دائرة العائلة الصغيرة ، حقن زوجته بمصل « الوعد الذي قطعته على نفسها عند زواجهما بمساعدته دوما على اعطاء الاولوية للقضية العامة » ليشكل عندها « المناعة » اللازمة ضد هجمات « فيروس الضعف الانساني » الذي قد يدفعها ــ كأي امرأة تحب زوجها حبا شديدا ــ لتطالبه بالالتفات الى تناقض الخاص بالعام .

واذا ما سئل : وماذا عن أحمد ويعرب وياسر (أطفاله الثلاثة) ؟ يأتي صوته خفيضا، متقطعا ، ومتهدجا وان قاطعا : وماذا عن فايز وليلى (طفلا الشهيد غسان كنفاني) .

واذا قيل له : الحصان الذي تراهن عليه جامح وخطر !

أجاب ــ ومن أقدر على ترويضه منا ؟

* وماذا عن رفاقك المغامرين ؟

ــ لانهم رفاقي ... لا يجوز تركهم وحدهم .

* سيقتلون أنفسهم بروح المغامرة عندهم .

ــ مهمتي ان أمنعهم من قتل أنفسهم . ان أحميهم من مغامرتهم .

* وماذا ان قتلت اثناء ذلك ؟

ــ وماذا اذا قتلوا وانا مقتنع بأنه كان بامكاني ان أمنع ذلك ؟ أليس الموت أهون ؟

* ولكنها مرحلة هزيمة وتراجع . والعمل الوطني أساسه الاقتناع بجدوى العمل وأدواته وليس استحضارا لعنترة بن شداد .

ــ بل لانها مرحلة هزيمة وتراجع ، نحن بحاجة الى نوع خاص من الفروسية . نحن بحاجة الى الفارس العصري الذي يساهم في درء خطر وقوع الجماهير في مستنقع اليأس او يضيف ، على الاقل ، قطرة الى زيت مشعل أملها ... كي لا ينطفىء . يرصف الطريق ، حصوة حصوة ، من أجل أن يمر الموكب القادم . تماما كمن يزرع اليوم ... ويعرف انه لن يأكل غدا . انه ليس تضحية جيل من أجل جيل قادم . انه مجرد هدية متواضعة من أفراد في جيل الى جيل آخر قادم .

وأرفق باسل الكلمة بالفعل . فاعتذر ، بعد ان حسم الثنائية المتناقضة تلك ، عن عرض جاءه من جامعة الجزائر ليدرس في كلية الحقوق والعلوم السياسية فيها بدءا من ايلول ــ سبتمبر ١٩٧٢ . وهكذا قطع باسل آخر خيوط شبكة « العنكبوت الطبقي » المنسوجة من حوله ومضى ، مرة اخرى جديدة ، معطيا صهوة الجواد الوطني ، فارسا عصريا مقاتلا ، هادفا انتزاع الفجر المضيء ... من رحم الهزيمة المعتم .

وفي التاسع من آذار ــ مارس ١٩٧٣ أوفدت « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » باسلا الى باريس في « مهمة خاصة ». وفي السادس من نيسان ــ ابريل ، وبينما كان باسل عائدا ليلا الى فندقه في العاصمة الافرنسية ، أطلق اثنان من عملاء المخابرات الاسرائيلية النار عليه ، في الظلام ، ومن الخلف . فانزرع في جسده تسع من الرصاصات ــ الاوسمة .

... ولحظة هوى الفارس مجندلا على اسفلت ذلك الشارع الباريسي ... نكست قلاع عديدة أعلامها ... وطأطأت جياد كثيرة رؤوسها . وعندما جاءت سيارة الاسعاف لنقل جثة الفارس ، **سمع الكثيرون شهقة أحد المرضين اذ رأى ، تحت حذاء قدم باسل اليسرى ، بقايا أشلاء أشبه ما تكون بأشلاء ... عنكبوت .**

***

وينتصب السؤال، بعد مضي عام كامل، عملاقا متهقها: أيهما اكثر مرارة: الموت أم طعمه في حلق الصديق؟ وما هم ، الان ، طالما ان الموت ــ الحقيقة المطلقة الاولى ــ قد وقع ... ومرارته ، في حلق من لا زال ينتظر ، مقيمة . ذلك انه يصبح ممكنا الغاء الموت في حالة واحدة ... عندما يكون ممكنا للحقيقة ان تغدو وهما . والى ان يحدث ذلك ، سيبقى طعم الموت في حلق الصديق جرحا دائم التفتح... ينز علقما وحنظلا... الى لحظة يجف معها الجرح ... بفعل « مرهم » الموت ... الاني .

ثلاث قصائد

عز الدين المناصرة

١ – مرثية سيّدة فلسطينية :

تظل القبيلة تبكيك حتى الشروقْ
وانت على الرمل ضائعة كالرحيق
ومن أين في الصَحَراء سنأتي لكل الأحبّة...
بالماء والرمل . كل القبور هنا تطلب الماء والرمل ...
كل القبور هنا تشتهي ذرّة من تراب الخليل ...
ويافا وتشتاق أن يرحل القبر من هذه ...
المدن الساكتهْ
ألا تعرفين « سدوم » وضحكتها الباهته
لقد قتلوكِ وان نشرت نعيك الصحف الميّته
فقد قتلوكِ أمام العيون وقالوا بأنّ الحريقْ
يذيب الحديد وتصفرّ منه العروق
لقد كذبوا إنما النار حزنٌ توهج من وردةٍ ...
فانطفت في انتظار الشروق .

* * *

رفرفت كالفراشة حنّت كسرب القطا
زهّرت كالربيعْ
صلبوا أهلها فوق كل الجذوعْ
طفلة انت يا اخت في خاطري والمنافي
هنا تكره الياسمينْ
سوف أرسم فوق ذراعاً سهاماً مثلّمةَ ...

الرأس حتى يجيء حبيبي ... تجفّ الدموعْ
صلبوا أهلها فوق كل الجذوعْ
سوف أسأل كل القبائل قبل الرجوعْ
كم تكون المسافة بين دمشق وباب الخليلْ
كم تكون المسافة بين صراخ الوليد وبين ...
اصفرار العروقْ
كم تكون المسافة بين حلول الظلام وبين الشروقْ
كم تكون المسافة بين المناشير بين الخلايا
وبين أزيز الرصاصْ
كم تكون المسافة بين الرحيل وبين القصاصْ
كم تكون المسافة بين بطاقة « غوث الوكالة » ...
وبين جواز السفر
كم تكون المسافة بين مذابح أهلي وقتل « نيرودا »
ودفن القمر
كم تكون المسافة ... من منكم سيقول الحقيقة للأهل ...
قبل الرجوعْ
كم تكون المسافة من « كفرقاسم » حتى « السموعْ »
آه يا طفلة الموت ... هذا زمان فظيعْ
يجرح الطفل يمتص من دمنا خضرة النهر والسفح ...
يرتع في ساحل الفقراء يبيع الرضيع لأهل الرضيعْ

* * *

يا عروس البحار على كل شطّ بكت طفلةٌ لرحيل ...
السفائن صاح غريقْ
وسقوك لتنبت صحراؤهم شجراً وبريقْ
نحن من نركل الرمل — لا عاش فينا النعام —
نحن من نشرب الدمع قبل الطعام وبعد الطعامْ

نحن يا طفلة الموت من يمنحون الردى للعدو
ونطرح للعاشقين السلام .

* * *

غير أنّ لصوص الطريقْ
غضبوا حين صار لنا مطر وبروق
حملوا سيفهم في الظلام وقصّوا شفاهك ...
حتى يكون لهم وحدهم ثمر ورحيقْ
آه يا وردة في الرمال تموت وتبكيك كل القبيلة ...
حتى الشروق .

٢ – اعتذار الى مدينة الزرقاء :

في قلبي آلاف الأشياء
لا أحكيها
إلّا للحيطان الصمّاءْ
أرفض ان احكيها للسيف المسلولْ
أحكيها لحمام مدينتنا
أرفض ان أحكيها للغول
في قلبي آلاف الأشياءْ
لا أحكيها
ذلك ان لساني – يا أحبابي – مشلولْ

* * *

جئت اليكم مرّة
اتذكركم ، اعرفكم وجهاً وجها
في وجهي – من منكم يذكر وجهي –
في وجهي كان الفرح وفي عينيْ
واليوم أجيء اليكم والصمت القاتل في شفتيْ
جئت اليكم مرّه

كان الطوفان الأخضر يملؤكم زهوا
والريح تهب على بستان الأجداد
واليوم أجيء إليكم
والبسمة تنقلب رماد
في قلبي آلاف الأشياء
لا احكيها الا للحيطان الصمّاء .

٣ – وحيدا ذات مساء :

أعيدوا إليّ شفاهي
أعيدوا انتظاراتنا في المحطّات عبر اللهيب
أعيدوا إليّ الحبيب الحبيب
مناديلنا مزّقتها الرياح وأعلامنا في الذرى
أقول وقد سرقوا اللون منها
وناموا على تلّة من صحارى بلادي
أقول وقد صار وجهي حذاءً لهم
ولساني لساني الذي كان أمضى من ...
السيف صار جبالا من الصمت ... دادا
أراك فتوحش تلك الدروب
أعيدوا إليّ المقاهي التي عرفتني فتىً
ضائعـاً
أعيدوا إليّ بلادي أريد القرى شارعاً
شارعـا
أعيدوا إليّ السماء التي حضنتني
ألوب شوارع كل المدائن – قد طردتني –
وأعبر كل مَدى
فأرجع نحوك ليس بقلبي غير المدى
أنا الشوق دادا ، أنا الحب دادا
أنا الحزن ... من يحتويني ؟
أنا الصدق ... من يشتريني ؟

النفط
شريان الحياة في اسرائيل

سمير كنعاني

في اسرائيل أيضا قلق على امدادات البلاد من النفط واجراءات احتياطية وترتيبات طوارىء لمواجهة الازمة النفطية التي تعم شتى اقطار المعسكر الغربي هذه الايام ... « فقد أوصت اللجنة الوزارية الاسرائيلية المختصة بموضوع الاقتصاد في استهلاك الوقود بتقديم الساعة في اسرائيل ساعة واحدة ابتداء من ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤ وذلك للاستفادة من ضوء النهار في توفير الوقود . وقد تبنت اللجنة بعض التدابير الاخرى لتوفير الوقود ، وتشمل هذه فرض نظام الحصص في توزيع الكهرباء على البيوت ، وفرض نظام لمنع سير السيارات مدة يوم واحد في الاسبوع . وقد رفعت الحكومة أسعار بعض المنتجات النفطية ، بما في ذلك البنزين ، بنسبة ٥٠ ٪ »(١). « وينتظر أن تؤدي هذه الاجراءات الى خفض في الاستهلاك الاجمالي للنفط والبالغ ٧ ملايين طن في السنة بحوالي مائتين وخمسين الف طن »(٢).

وقد عادت السلطات الاسرائيلية فرفعت أسعار منتجات النفط مرة اخرى بنسبة حوالي ٥٠ ٪ وذلك في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤ مما سيزيد من تفاقم حدة مشكلة التضخم المزمنة في الاقتصاد الاسرائيلي .

وقد أراد الحاخم الاكبر في اسرائيل عوفديا يوسف أن يكون قدوة في هذا المجال « فطالب من وزارة الاديان تبديل سيارته الفخمة بسيارة أصغر تستهلك نصف كمية الوقود التي تستهلكها السيارة الكبيرة . وقد أضاف في الرسالة التي وجهها الى وزارة الاديان بأنه سيوقف سيارته عن العمل يومين في الاسبوع »(٣).

وكانت اذاعة اسرائيل قد نقلت في نشرة انبائها في ١٩٧٣/١١/٢٨ بأنه « طرأ نقص على الوقود في عدد من محطات المحروقات ، وخاصة في منطقة تل ابيب والمنطقة الوسطى»(٤) وعللت الاذاعة دواعي هذا النقص بأنه « نابع من صعوبات النقل لان معظم الصهاريج التي تنقل المحروقات مجندة مع جيش الدفاع الاسرائيلي »، ولم تغفل عن تطمين مواطنيها « بأن مخزون المحروقات في الدولة يكفي لسد كافة الاحتياجات »(٥). بيد ان المراجع المختصة بشؤون النفط في اسرائيل ترى الامر بمنظار أوسع وتضع الازمة النفطية في اطار أزمة الطاقة العامة في المعسكر الغربي ، وبدأت تشخص بأبصارها باتجاه حلول بعيدة المدى . فقد حذر وزير المواصلات والاتصالات الاسرائيلي شمعون بيريس مؤخرا في خطاب القاه في المؤتمر العالمي الثالث للمهندسين ومهندسي الاعمار في تل أبيب من المخاطر التي ينطوي عليها افتقار اسرائيل الى مصادر محلية كافية للطاقة وقال : « ان على اسرائيل ان تفتش عن مصادر طاقة جديدة وتطوير الطاقة الذرية للاغراض السلمية وذلك لانه ليس لدينا فحم أو نفط ، لكنه يوجد لدينا خبراء في شؤون الطاقة الذرية »(٦). وفي اجتماع في فرع المركز الاداري في حيفا تحدث مدير مصافي

التكرير في اسرائيل أفيغدور بارتال فقال : « ان ارتفاع أسعار النفط في العالم لن يلغى ، وان الامر يضطر اسرائيل أيضا الى اجراء تغييرات أساسية في طرق العمل واستغلال الطاقة بغية الحيلولة دون حدوث هبوط خطـــير في مستوى المعيشة » ، ودعـــا الى « دراسة مستقبل الاستخدام الواسع للسيارات الخاصـــة والمنتجات البتروكيميائية كالبلاستيك وما الى ذلك »(٧).

وقد شفعت السلطات الاسرائيلية هذه الاحتياطات والاجـــراءات التي اقرتها بغية الاقتصاد في استهلاك النفط بالقول انها انما تتخذ هذه الاجراءات « **كبادرة تضامن مع البلدان التي تعاني من تخفيض انتاج النفط العربي** »(٨).

وبالاضافة الى حملة الاستعداء الشرسة التي شنتها الدوائر الصهيونية بالتواطؤ مع الدوائر الاستعمارية في المجتمعات الغربية رافعة شعار « الابتزاز السياسي » في وجه الاجراءات المشروعة التي اتخذتها بعض الدول العربية للسيطرة الجزئية على مصادر ثروتها النفطية والتضييق المحدود على أعداء القضايا القومية العربية، نظمت في اسرائيل نفسها حملات عدة « للتضامن » مع بعض البلدان المتواطئة مع اسرائيل والمتضررة من اجراءات الحكومات العربية مثل هولندا . وكالعادة تعطي الهيئات الصهيونية مثل هذه الاعمال صبغة الاثارة الاخبارية ، مثل تنظيم مسيرة بالدراجات تضامنـــا مع الشعب الهولندي الذي حرم من استخدام السيارات أيام الاحاد أو تنـــاول العشاء على ضوء الشموع الخ ... ورغم كل هذه المظاهر الدعائية التضليلية ، فان الحدثين الاهم على الصعيد النفطي اللذين واجهتهما اسرائيل مؤخرا كانا أولا تدمير بعض منشآت انتاج النفط في حقل بلاعيم الذي تستغله اسرائيل في جنوب غرب سيناء بفعل الغارات الجوية التي شنتها عليها الطائرات المصرية في مستهل أيام حرب تشرين (اكتوبر) الاخيرة ، والحدث الثاني المهم هو توقف شحن النفط الخام من منطقة الخليج الى ميناء ايلات في اسرائيل عبر مضيق باب المندب لمدة اسابيع اثناء حرب تشرين وبعدها مما شل حركة انبوب نقل النفط الممتد من ايلات الى عسقلان على ساحل البحر المتوسط . واذا كانت الانباء التي وردت مؤخرا تشير الى أن « انتاج النفط من حقول سيناء الجنوبية الغربية قد استؤنفت من جديد »(٩)، وذلك باصلاح ما اصابها من دمار بعد توقف اطلاق النار ، كما أن عمليات شحن نفط الخليج العربي الى ميناء ايلات وبالتالي عبر انبوب ايلات ـــ عسقلان قد عادت الى سيرتها الاولى بفضل النجاح الباهر الذي حققه وزير الخارجية الامريكي هنري كيسنجر في بعض العواصم العربية !! فان القلق على موارد اسرائيل النفطية لم يهدأ ، بل تصاعد واستفحل نتيجة ردود الفعل والانعكاسات العميقة التي خلفتها حرب تشرين في المجتمع الاسرائيلي وعلى صعيد أوساط المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة . فقد قذفت هذه الحـــرب في مهب الريح ليس أحلام التوسعيين الاسرائيليين فحسب ، بل انها هددت أيضا بفقدان شريان حياة اسرائيل الاساسي حاليا والمتمثل في نفط سيناء الذي تستنزف منه اسرائيل سنويا نحو ٥ر٥ مليون طن تسد القسم الاعظم من احتياجات الاستهلاك الاسرائيلي المتصاعد من النفط والذي بلغ مؤخرا زهـــاء ٧ ملايين طن في السنة أي ما يعادل نحو ١٤٠ الف برميل يوميا .

النفط مصدر الطاقة الاساسي في اسرائيل

النفط والغاز الطبيعي هما مصدر الطاقة الاساسي في اسرائيل ، بل ان اسرائيل تعتمد عليهما اعتمادا كليا في تأمين احتياجاتها الحيوية من الطاقـــة ، اذ لا يتوفر في اسرائيل الفحم الحجري بكميات تجارية كما انها تفتقر الى مصادر الطاقة المائية سواء من حيث وفرة المياه او المقومات الاخرى لهذه الطاقة ، كما ان اسرائيل لم تحقق حتى الآن نجاحا يذكر في ميدان توليد الطاقة الذرية ، فانشاء محطات الطاقة الذرية يتطلب

استثمارات كبيرة، والحسابات الاجمالية للنفقات والفوائد الخاصة بمحطات توليد الطاقة الذرية تجعلها غير مجدية اقتصاديا بالمقارنة مع تكاليف الحصول على النفط . وتعتمد اسرائيل اعتمادا كاملا على النفط في توليد احتياجاتها المتزايدة من الكهرباء التي تستهلك أغراض الري والزراعة نسبة مرتفعة منها . « فبموجب التقديرات للعـــام ١٩٧١ ، تستهلك مشاريع الري والمنشآت المائية ٢١ ٪ من الطاقة الكهربائية المولدة والصناعة ٣٥ ٪ واغراض الاستخدام المنزلي (تدفئة ، طبخ ، تبريد ، انارة) ٢٧ ٪ والمؤسسات العامة والتجارية ١٧ ٪ »(١٠). وتحتاج اسرائيل الى كميات كبيرة نسبيا مـــن النفط لتحريك اسطولها الضخم نسبيا من وسائل النقل والمواصلات البرية والجوية والبحرية، فاسرائيل تسعى الى تأمين الاكتفاء الذاتي في وسائل نقلها الخارجية سواء مـــن حيث الطائرات أو البواخر أو ناقلات النفط خشية تعرضها لازمة في هذا الميدان الحيوي في أوقات الطوارىء والازمات نتيجة احجام شركات النقل العالمية عن الاقبال على الموانىء والمطارات الاسرائيلية .

وتجهد اسرائيل منذ سنوات في تطوير صناعة بتروكيماوية متنوعة ، وهي تحتاج لهذا الغرض الى كميات متزايدة من النفط والغاز .

ونتيجة التقدم السريع الذي أخذ يحرزه الاقتصاد الاسرائيلي منذ أواخر عام ١٩٦٧ ، ولا سيما في ميدان الصناعة ، وهو تقدم انعكس في زيادة الصادرات الاسرائيلية زيادة كبيرة معدلها السنوي نحو ٢٥ ٪ ، أخذ استهلاك اسرائيل من المواد البترولية يتزايد بوتيرة عالية نسبيا ، فخلال السنوات التي تلت حزيران ١٩٦٧ « كان استهلاك اسرائيل من النفط يتزايد بنسبة تتراوح بين ١٢ الى ١٣ ٪ سنويا »(١١)، وهذه النسبة تزيد عن ضعف نسبة تزايد الاستهلاك العالمي العام للنفط خلال السنوات العشر الماضية والتي تبلغ نحو ٥ ٪ سنويا . فقد ارتفع استهلاك اسرائيل من النفط مما معدله ٥٦ الف برميل يوميا في عام ١٩٦٥ الى ما معدله ١٢٨ الف برميل يوميا عام ١٩٧٢ ، وفي العام ١٩٧٣ ارتفع الى حوالي ١٤٠ الف برميل يوميا أي ما يوازي ٧ ملايين طن سنويا(١٢).

موارد اسرائيل من النفط والغاز الطبيعي

تعتمد اسرائيل في تأمين احتياجاتها من النفط والغاز الطبيعي على ثلاثة مصادر هي :

أولا : حقول النفط والغاز داخل فلسطين المحتلة قبل حزيران ١٩٦٧ : تعود قصة النفط في اسرائيل الى عام ١٩٥٢ حين تم اقـــرار قانون البترول الاسرائيلي الذي ينظم الامتيازات البترولية للتنقيب عن النفط . « وقد قامت عدة شركات نفط معظمها تشرف عليها الحكومة بحفر حوالي ٢٥٠ بئرا ابتداء من عام ١٩٥٤ ، غير ان هذه الآبار بما فيها ست آبار حفرت في المناطق المغمورة (البحرية) ازاء الساحل الفلسطيني ، كانت خاوية في غالبيتها »(١٣). والاكتشاف النفطي الوحيد الذي يستحق الذكر الذي تم تحقيقه نتيجة أعمال التنقيب الواسعة هذه هـــو حقل حيليتس في النقب الذي تم اكتشافه في عـــام ١٩٥٥ . بيد أن انتاج هذا الحقل « قد انخفض في السنوات الاخيرة انخفاضا حادا بحيث بلغ في عام ١٩٧٢ أقل من ١٠٠٠ برميل في اليوم نظير ٤١٦٠ برميلا يوميـــا هي ذروة انتاجه في عام ١٩٦٦ . ولم يبق في هذا الحقل من الاحتياطي القابل للاستخلاص سوى ١٫٦ مليون برميل ، وكان في الاصل يبلغ ما مجموعه ١٦ مليون برميل »(١٤). وهذا يعني ان انتاج اسرائيل من النفط من مناطق فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ لا يسد حتى ١ ٪ من احتياجاتها الحالية من النفط البالغة ٧ ملايين طن ، وهذا يبين ليس افتقار اسرائيل الى النفط فحسب ، بل وافتقارها أيضا الى مصادر الطاقة الحيوية عموما مما يجعلها تعتمد في مصادر طاقتها اعتمادا شبه كلي على ما تنهبه من نفط حقول سيناء المحتلة وما تستورده من مناطق الخليج .

أما انتاج الغاز الطبيعي في اسرائيل من المناطق الواقعة داخل حدودها قبل عـــام ١٩٦٧ « فقد بلغ مؤخرا ما يوازي في معدله ٢٢٦٠ برميلا في اليوم من النفط أي ما يعادل نحو ١١٦ الف طن من النفط الخام سنويا . وكان قد عثر على ثلاثة حقول للغاز الطبيعي في منطقة عراد في النقب خلال السنوات ١٩٥٨ الى ١٩٦٠ ، وأهم هذه الحقول هو حقل روش زوهر »(١٥) .

وقد تبين مؤخرا انه قد بولغ كثيرا في تقدير كميات الاحتياطي من الغاز الكامن في هذه الحقول ؛ « اذ لم يبق من هذا الاحتياطي الثابت وجوده فيها سوى ٢١ مليون قدم مكعب من أصل ٦٧ مليون قدم مكعب هي مجموع الاحتياطي القابل للاستخلاص الذي كان فيها أساسا »(١٦) . ومعنى ذلك ان هذا الاحتياطي من الغاز الطبيعي المتبقي في هذه الحقول سينضب خلال السنوات القليلة القادمة . وهذا أمر بالغ الاهمية لان أسرائيل تعتمد على هذا الغاز الطبيعي في « تشغيل معامل صناعات التعدين الرئيسية فيها مثل معامل البوتاس والبرومين في سدوم على البحر الميت ومعامل الفوسفات « أورون ـــ ديمونه » في المنطقة الصناعية والتعدينية الهامة في صحراء النقب . وازاء قرب نضوب احتياطي هذه الحقول من الغاز الطبيعي ستضطر معامل الصناعة التعدينية المذكورة الى اللجوء الى النفط بدل الغاز الطبيعي وسيتطلب التحول الـــى النفط استثمارات كبيرة لتعديل أجهزة هذه المعامل ومعداتها »(١٧)، وذلك من شأنه ، بطبيعة الحال ، أن يزيد من أهمية النفط كمصدر طاقة للصناعة الاسرائيلية اذا لم يتم اكتشاف أو تأمين موارد جديدة للغاز الطبيعي في اسرائيل .

وبناء عليه ، فان كميات النفط والغاز الطبيعي المستخرجة من داخل حدود اسرائيل قبل حزيران ١٩٦٧ لا تشكل سوى نسبة ضئيلة جدا من احتياجات اسرائيل واستهلاكها من هاتين المادتين ، وان انتاجها منهما يوشك على النضوب نظـــرا لضآلة الاحتياطي المتبقي منهما . وهذا ما يجعل اسرائيل في حالة مـــن الاعتماد شبه الكلي على مصادر أخرى خارج حدودها قبل حزيران ١٩٦٧ لتأمين احتياجاتها من النفط المصدر الرئيسي والاساسي للطاقة المستخدمة فيها .

ثانيا : حقول النفط في سيناء : لعل من أبرز نتائج هزيمة حزيران ١٩٦٧ هي تحول اسرائيل الى دولة نفطية وذلك باستيلائها على حقول النفط المصرية في سيناء المحتلة التي أخذ انتاجها من النفط يسد معظم احتياجات الاستهلاك الاسرائيلي من هذه المادة الحيوية . أضف الى ذلك ان انتصار اسرائيل في حزيران ١٩٦٧ قد جعلها ممرا رئيسيا لنقل النفط من منابعه الغنية في منطقة الخليج الى أسواقه في أوروبا الغربية ، وذلك بخلق الواقع العسكري والجغرافي والاستراتيجي بصورة عامة لبناء خط أنابيب ايلات ـــ عسقلان الضخم وذلك نتيجة اقفال قنـــاة السويس واستتباب الاحتـــلال الاسرائيلي للاراضي المحتلة في حزيران ١٩٦٧ .

ولم ينقض وقت طويل على وقوع حقول النفط في سيناء في قبضة اسرائيل حتى عمدت هذه الى رفع انتاجها بنسبة ملموسة دون ان تراعـــي أعتبارات الاساليب الامثـــل لاستخراج النفط دون ارهاق الآبار واستنزافها مما قد يؤدي الى هدر قسم كبير مـــن الاحتياطي النفطي الكامن فيها ، فقد اتجهت خلال السنوات الاولى من احتلالها الى نهب أكبر كمية تتسنى لها من نفط حقول سيناء قبل أن تؤدي التطورات السياسية والعسكرية في المنطقة الى حرمانها منها ، وكمثال على ذلك ، « زاد ما انتجته اسرائيل من النفط من حقل بلاعيم في عام ١٩٧١ عما كانت تنتجه منه السلطات المصرية قبل احتلال سيناء بمقدار ٥ر١ مليون طن في السنة »(١٨) . وقد بلغ انتاج اسرائيل من النفط في سيناء ذروته في الثلث الاول من عام ١٩٧٢ حيث « بلغ معدل ما استخرجته نحـــو نصف مليون طن

شهريا »(١٩)، أي بمعدل ٦ ملايين طن سنويا ، بينما تشير التقديرات الى « انخفاض هذا الانتاج في عام ١٩٧٣ الى نحو ٥ ملايين طن ، كما يتوقع ان يستمر في الانخفاض في المستقبل بنسبة ٧ ٪ في السنة بسبب استنزاف الاحتياطي »(٢٠).

وتعتبر حقول سيناء من أقدم الحقول المنتجة للنفط في مصر . وكانت عمليات التنقيب عن النفط في سيناء قد بدأت عقب الحرب العالمية الثانية . « وتم اكتشاف اول حقل على البر الغربي من سيناء عام ١٩٤٨ وهو حقل رأس مطارمة . وفي السنوات التالية اكتشفت حقول السدر وعسل ووادي فيران وابو رديس . ويبلغ عدد الحقول التي اكتشفت في بر سيناء ٩ حقول تقع جميعها على شاطىء خليج السويس وهي من الشمال الى الجنوب السدر ورأس مطارمة وعسل وأبو زنيمة وابو رديس ووادي فيران وبلاعيم البري وأكمه وأم اليسر »(٢١). وهنالك عدد آخر من الحقول البحرية الواقعة في خليج السويس وأهمها حقول الامل وبلاعيم البحري والمرجان ، وهذا الاخير ما زال اكبر حقول النفط المصرية . ولدى احتلال الاسرائيليين لسيناء عام ١٩٦٧ وقعت في أيديهم جميع الحقول البرية التي كانت تديرها آنذاك « الشركة الشرقية للبترول المصري » والتي تملكها كل من شركة « ايني » الايطالية والمؤسسة المصرية العامة للبترول . وقد عهدت ادارة الاحتلال الاسرائيلي الى شركة « نتيفي نفت » التابعة للجيش الاسرائيلي بادارة هذه الحقول والاشراف عليها بالتعاون مع شركة « ايني » الايطالية المذكورة .

« وحقل بلاعيم الذي نسفت القوات المصرية مرافقه الانتاجية في اول ايام حرب تشرين الماضي يشتمل على ١٠٥ آبار . وكان قد اكتشف في عام ١٩٥٤ ، وبلغ انتاجه في عام ١٩٧٢ معدل ٤٤ الف برميل يوميا ، وقدر الاحتياطي الثابت المتوفر فيه في نهاية عام ١٩٧٢ بحوالي ٢٨٦ مليون برميل . ونفط حقل بلاعيم ثقيل ويبلغ ثقله النوعي ٢٨ درجة حسب مقياس معهد البترول الامريكي ، وهو يستخرج من طبقة منتجة على عمق ٨٥٠٠ قدم »(٢٢).

وتصدر اسرائيل القسم الاعظم من نفط سيناء عن طريق ميناء عسقلان بواسطة خطوط أنابيب تلتقي بخط أنابيب ايلات ــ عسقلان الضخم ، وهي تصدره وتستهلك بدلا منه النفط الذي تستورده من منطقة الخليج لان نفط سيناء ، كما أسلفنا ، ثقيل ومن النوعية الرديئة نظرا لكثرة الاملاح والكبريت فيه مما يجعل تكاليف تكريره مرتفعة ، كما انه يتطلب انواعا خاصة من المصافي لا تتوفر في اسرائيل ، اذ ان مصفاة حيفا كانت قد صممت على أساس استخدام النفط العراقي الذي هو أخف بنسبة ملموسة من نفط سيناء . وقد « قدر دخل اسرائيل الصافي من العملات الاجنبية من انتاج النفط في سيناء بخمسين مليون دولار في العام »(٢٣)، وهذا يوازي تقريبا المبلغ الذي تنفقه اسرائيل على ما تستورده من النفط الخام .

ومن جهة اخرى ، منحت السلطات اسرائيل في عام ١٩٦٨ حقوق التنقيب عن النفط في سيناء الى شركة لاميدبار التي تملكها شركة « كينغز ريسورسيز » والتي يملك حصة كبيرة من أسهمها عضو في الحزب الجمهوري الامريكي هو السناتور جون كنغ احد اصحاب ملايين النفط في كولورادو، ولكن عمليات شركة « لاميدبار » المذكورة قد تعثرت، اذ حفرت ثلاث آبار تبين انها جميعا جافة(٢٤). وذلك رغم ان هنالك اشارات وتلميحات كثيرة تفيد بأن صحراء سيناء تعوم على بحيرة من النفط . فقد أوردت نشرة «عالم النفط» (١٩٧٣/٦/١٦) « ان خبراء جيولوجيين رفضوا الكشف عن أسمائهم قد أفادوا بأن من المحتمل ان تحتوي منطقة خليج السويس على ١٠٠ مليون طن من النفط ». وقد أكد هذا الامر مردخاي فريدمان المدير السابق لشركة « نتيفي نفت » والذي طرد لضلوعه في عدة عمليات من التلاعب والاختلاس في معدات وممتلكات شركة النفط المصرية ــ الايطالية

المشتركة التي كانت تدير حقول سيناء قبل الاحتلال الاسرائيلي . فقد نسبت صحيفة « الجيروسالم بوست » الى مردخاي فريدمان هذا قوله بأن احتياطي النفط الكامن في خليج السويس وشاطئيه الغربي والشرقي يتيح انتاج مليون طن من البترول يوميا(٢٥) . ومهما بدا قول فريدمان هذا مفرطا في التفاؤل ، فان انتاج حتى عشر هذه الكمية يشكل بالنسبة لاسرائيل ثروة ضخمة وموردا كبيرا لمادة استراتيجية بالغة الاهمية تعتمد عليها دورة الحياة اعتمادا شبه كلي .

وحتى بدون هذه التوقعات الكبيرة لزيادة انتاج النفط من سيناء لا يغفل المختصون الاسرائيليون عن مدى أهمية الكميات الحالية من النفط التي يسرقونها من نفط سيناء والتي تتراوح ما بين ٥ الى ٦ ملايين طن في السنة . فعلى سبيل المثال كتب الياهو سليفتر في صحيفة « هاآرتس » في ١٩٧٣/٢/١٥ يقول : « اننا نعتمد في الحقيقة على نفط سيناء لسد أكثر من ٨٠ ٪ من احتياجات استهلاكنا . ان انتاج اسرائيل لا يغطي أكثر من ٢ ٪ من الاستهلاك ، اما النسبة الباقية وهي ١٨ ٪ فتأتينا عبر مضيق شرم الشيخ . ومن هنا تظهر الاهمية الكبرى للمصادر النفطية في سيناء ، لان استهلاكنا عام ١٩٨٠ سيصل الى ١٤ مليون طن سنويا . ومن هنا تتأكد ضرورة استمرار تزودنا بالنفط من سيناء وآسيا . وتشكل هذه الضمانة أحد البنود الاكثر أهمية في أية تسوية سلمية قد تتحقق ، وكذلك ، فان لاسرائيل مصلحة حيوية في استمرار الاستقرار في منطقة استخراج النفط »(٢٦) . وقد أوضح أهمية نفط سيناء بالنسبة لاسرائيل بصورة أوضح وأكثر دقة يسرائيل كوزولوف أحد أكبر خبراء النفط في اسرائيل في مقابلة أجرتها معه صحيفة « معاريف » الاسرائيلية فقال انه « لولا النفط الذي تستخرجه شركة « نتيفي نفت » من حقول سيناء لكانت أزمة الطاقة أشد بما لا يقاس مما هو متوقع للولايات المتحدة او دول أوروبا » .واضاف : « ان كمية النفط المستخرجة من حقول سيناء تبلغ نحو ١٠٠ الف برميل في اليوم أي زهاء ٥ ملايين طن سنويا . وعندما تكون دولة استهلاكها للنفط ٧ ملايين طن قادرة على تزويد نفسها بنحو ٧٠ ٪ من حاجتها تخف مشكلتها ويتضاءل خطر نشوء أزمة طاقة لديها . وان اعادة الحقول في سيناء الى المصريين ، دون اتفاقية تضمن الغاء المقاطعة العربية وتزويد اسرائيل بالنفط خطرة جدا »(٢٧) .

لعل هذه الحقائق عن الامكانيات النفطية الكبيرة الكامنة في شبه جزيرة سيناء المحتلة تميط اللثام عن المضامين والمغازي الحقيقية لادعاءات المسؤولين الاسرائيليين وتصريحاتهم المتكررة عن ضرورة توفر « حدود آمنة » لاسرائيل لضمان استتباب السلام بين اسرائيل وجيرانها العرب مبررين بدعوى الحدود الامنة المزعومة هذه مطامعهم التوسعية في الاراضي العربية المحتلة .

ثالثا : النفط المستورد عبر ميناء ايلات : رغم ان حرب حزيران ١٩٦٧ قد حولت اسرائيل الى دولة نفطية باستيلائها على حقول النفط في سيناء ، ورغم ان اسرائيل عمدت الى زيادة انتاج حقول سيناء هذه بنسبة ملموسة ، فان احتياجات اسرائيل المتزايدة الى النفط بعد عام ١٩٦٧ نتيجة ازدهار النمو الاقتصادي فيها قد جعلها بحاجة الى استيراد المزيد من كميات النفط ، لا سيما وان نفط سيناء ثقيل ومشبع بالشوائب الكبريتية والاملاح مما يجعله غير مناسب للتكرير في مصفاة حيفا ، ولذلك فهي تصدر قسما كبيرا منه وتستورد بدلا منه نفطا خفيفا يناسب أجهزة التكرير في مصفاة حيفا ويلبي احتياجات نمط الاستهلاك الاسرائيلي من المنتجات البترولية . والامر الثابت بشأن مصدر هذه المستوردات الاسرائيلية من النفط هو أنها تأتيها من منطقة الخليج العربي ، وانها تفرغ في اسرائيل عبر ميناء ايلات . ويغلب الظن ان مصدر هذا النفط هو ايران ، وعلى وجه

التحديد شركة النفط الوطنية الايرانية ، وهي مؤسسة نفط حكومية أصبح يحق لهـا بموجب عقودها مع شركات الكونسورتيوم التي تستغل النفط الايراني الحصول على كميات متزايدة من النفط الخام لتتصرف به حسب مشيئتها . ويعتقد ان ايران هي أيضا مصدر النفط الخام الذي يفرغ في ميناء ايلات وينقل منها الى شواطىء البحر المتوسط عبر خط انابيب ايلات ــ عسقلان وذلك ابتداء من مطلع عام ١٩٧٠ . بيد ان المطلع على أوضاع صناعة النفط العالمية وأساليب سير عملياتها يدرك انه يستحيل ان يجزم المرء بأن يكون النفط الذي يشحن من الخليج العربي الى ميناء ايلات الاسرائيلي هو جميعه ايراني ، ذلك ان سلطة الدولة في البلد المنتج للنفط تتوقف عند حدود شحن النفط المنتج فيها في الناقلة في ميناء التصدير حيث يصبح النفط ملك شركة النفط المنتجة له والتي ترتبط بشبكة معقدة من شركات ومؤسسات التوزيع العالمية . وبعبارة اخرى ، انه يستحيل على حكومة البلد المنتج للنفط بموجب ظروف سير عمليات شركات النفط السائدة حاليا ان تضبط وجهة سير ناقلات النفط بعد ان تغادر ميناء التصدير وان تكون علـى يقين بشأن المستقر الاخير للنفط الذي شحن منها ، فقد يفرغ هذا النفط في احد الموانىء ثم يعاد تحميله في ناقلة أخرى ويشحن الى ميناء ايلات او خلافه . ومما يؤكد ان شركات النفط في الخليج ، لا سيما التي تعمل في الاقطار العربية تقوم بعمليـات مريبة في هذا الخصوص السرية التامة والتكتم الشديد الذي تحيط به السلطات الاسرائيلية عمليات شحن النفط الى ميناء ايلات وتفريغه في ذلك الميناء . وبناء على ما تقدم بوسع المرء ان يقول بأنه رغم ان الاحتمال الاكبر هو أن ايران هي المصدر الاساسي للنفط الخام الذي يشحن من منطقة الخليج العربي الى ميناء ايلات الاسرائيلي فانه ليس هنالك ما يؤكد بأن ايران هي المصدر الوحيد ، وليس بالامر المستحيل ولا المستهجن ان تعقد بعض شركات النفط الغربية العاملة في الاقطار العربيـة في الخليج صفقة مع السلطـات الاسرائيلية لنقل جزء من النفط الذي تستخرجه من هذا القطـر العربي او ذاك الى شواطىء البحر المتوسط القريبة من أسواق النفط الاوروبية عبر خط انابيب ايلات ــ عسقلان الضخم ، وذلك على سبيل الاقتصاد في نفقات نقله ولايجاد بديل دائم لقناة السويس المعطلة منذ حرب حزيران ١٩٦٧ .

ومما يؤكد هذه الظنون ان مسألة شحن نفط الخليج الى ميناء ايلات الاسرائيلي كانت قد بدأت عقب حرب السويس عام ١٩٥٦ . حيث أن من أبرز الثمار التي جنتهـا اسرائيل نتيجة عدوانها ذاك هي فتح مضائق تيران وخليج العقبة (ايلات) أمام الملاحة الاسرائيلية نتيجة وضع قوات طوارىء دولية في موقع شرم الشيخ الاستراتيجي ممـا فتح أمام اسرائيل أبواب التعامل التجاري مع الاقطار الواقعة على شواطىء البحـر الاحمر والخليج العربي وكذلك المحيط الهندي وافريقيا الشرقية وجنوب شرق آسيا .

فأثناء حرب السويس عام ١٩٥٦ عانت اوروبا الغربية من أزمة نفطية خانقة نتيجة تعطل الملاحة في قناة السويس ، وبالتالي تأخر تدفق شحنات الخليج العربي اليهـا . ويومئذ ، ارتفعت أصوات كثيرة في اوروبا الغربية والولايات المتحدة الامريكية مطالبة بايجاد بديل لطريق النفط عبر قناة السويس بمد خطوط لانابيب النفط عبـر اسرائيل تصل ميناء ايلات بشواطيء اسرائيل على البحر المتوسط . « وكان أحد رواد هـذه الخطة هارولد لوبل وهو مستشار لمؤسسة راند المختصة بالابحاث الاستشاريـة في أمريكا ، وكان في السابق باحثا في معهد فولك الاقتصادي الاسرائيلي »(٢٨). ولكن يبدو ان الظروف السياسية في المنطقة والاعتبارات الاقتصادية اقتضت ارجاء تنفيذ مثل هذا المخطط الى ظروف مؤاتية بصورة افضل . واستعيض عن هذا المخطط بزيادة طاقـة تخزين النفط في اقطار اوروبا الغربية بحيث يكون لديها مخزونا من النفط يعينها علـى

اجتياز ازمة طويلة نسبيا وكذلك ببناء ناقلات للنفط ضخمة الحجم تقلل من كلفة نقل النفط عبر طريق راس الرجاء الصالح الطويل . واقتصرت الخطط الاسرائيلية على بناء خط أنابيب صغير قطره ١٦ بوصة طاقته حوالي ٥٠٨ ملايين طن من النفط في السنة بين ميناء ايلات وميناء حيفا حيث توجد مصفاة النفط الاسرائيلية وذلك لسد احتياجات الاستهلاك الاسرائيلي فقط . وطويت فكرة جعل البر الاسرائيلي طريقا بديلا لنقل نفط الخليج العربي الى اوروبا بانتظار ظروف اخرى ، وهذا ما تم فعلا ، حيث باشر المسؤولون الاسرائيليون الاعداد لبناء خط أنابيب ايلات ــ عسقلان الضخم بعد حرب حزيران ١٩٦٧ مباشرة ، وأصبح جاهزا لنقل النفط في مطلع عام ١٩٧٠ ، وبذلك لم تحل مشكلة تموين اسرائيل بالنفط فحسب ، بل أصبحت اسرائيل طريقا رئيسيا لتموين اوروبا الغربية بالنفط مما يزيد من درجة حيوية ترابط المصالح بين الاوساط الاحتكارية في اوروبا الغربية ووجود اسرائيل قوية وقادرة على حماية طريق النفط هذا.

أما قبل ان تفتح امام اسرائيل بوابة البحر الاحمر والخليج وافريقيا وآسيا عقب عدوان السويس عام ١٩٥٦ ، فكانت اسرائيل تلاقي مصاعب شديدة في التموين بالنفط، وكانت تضطر الى استيراده من فنزويلا مما يكلفها غاليا نظرا لارتفاع ثمن النفط الفنزويلي عن ثمن النفط الايراني الرخيص ، وكذلك نظرا لارتفاع كلفة نقل النفط من فنزويلا الى اسرائيل .

وبعبارة موجزة . **لقد فتحت حرب السويس عام ١٩٥٦ امام اسرائيل بوابة مستودع النفط الضخم في منطقة الخليج العربي لتغرف منها ما تحتاج اليه من نفط بكلفة قليلة ، أما حرب حزيران ١٩٦٧ فقد حولت اسرائيل الى واحدة من دول النفط ذوات الشأن في الشرق الاوسط باستيلائها على نفط سيناء من جهة ، ولانها أصبحت بفضل خط أنابيب ايلات ــ عسقلان احدى طرق مرور النفط الرئيسية بين مناطق الانتاج في الخليج والاسواق في اوروبا .**

خطوط انابيب النفط في اسرائيل

يوجد في اسرائيل خطان رئيسيان لنقل النفط الخام اولهما صغير وهو خط ايلات ــ حيفا وثانيهما هو خط ايلات ــ عسقلان ، وهو خط عالمي كبير انشيء لتيسير نقل النفط الخام من منابعه في الخليج العربي الى أسواقه في أوروبا ، وكذلك يوجد في اسرائيل عدد آخر من خطوط الانابيب الصغيرة لنقل النفط الخام ومنتجات النفط والغاز الطبيعي . وفيما يلي نبذة عن كل من هذه الخطوط .

أولا : **خط أنابيب ايلات ــ حيفا** : وهو خط قطره ١٦ بوصة وطاقته السنوية ٥٠٨ مليون طن ، ويبلغ طوله زهاء ٤١١ كيلومترا وقد تم انشاؤه عام ١٩٥٨ بعد أن تم لاسرائيل ما استهدفته من مشاركتها في حملة العدوان الثلاثي البريطاني ــ الفرنسي ــ الاسرائيلي على مصر عام ١٩٥٦ الا وهو فتح خليج العقبة والبحر الاحمر للملاحة الاسرائيلية مما فتح لاسرائيل منفذا الى منابع النفط الغزيرة في منطقة الخليج العربي مثلما فتح أمامها مجالات التصدير والتجارة والاتصال البحري مع منطقة شرق افريقيا وجنوب آسيا . « وقد قامت ببناء هذا الخط شركة « تريكونتيننتال بايب لاينز » وهي متفرعة من شركة نفط باكلي الامريكية ، كما ان عددا آخر من شركات الاستثمار الامريكية ومنها شركة « أمبال » اشترت أيضا أسهما في شركة تريكونتيننتال المذكورة »(٢٩). ويعتبر خط الانابيب هذا ، الذي ما كان بالامكان ان يرى النور لولا فوز اسرائيل بانفتاح خط الملاحة أمامها في خليج العقبة والبحر الاحمر كأحد ثمرات عدوانها عام ١٩٥٦ ، محاولة لتنشيط دور ميناء حيفا السابق للعام ١٩٤٨ كمحطة نفط حيوية .

ويسير خط الانابيب هذا في معظم اجزائه بمحاذاة طريق ايلات ــ بئر السبع الجديدة ، ومن بئر السبع الى اسدود على ساحل البحر المتوسط ، ومن اسدود الى حيفا بمحاذاة الطريق الساحلي .

لقد انشىء هذا الخط ، أساسا ، ليتولى نقل النفط الخام المستورد من مناطق الخليج العربي من ميناء ايلات (العقبة) الى معمل تكرير النفط في حيفا ، بيد انه بعد أن تم في عام ١٩٧٠ تشغيل خط ايلات ــ عسقلان الضخم تم الاستغناء عن الجزء الجنوبي من خط ايلات ــ حيفا في أغراض نقل النفط الخام من ميناء ايلات الى مصفاة حيفا ، وأصبح هذا الجزء الجنوبي (ايلات ــ أسدود) يستخدم في تزويد المصانع الواقعة في جنوب اسرائيل بزيت الوقود الثقيل والنفط الخام ، بينما أصبحت مصفاة النفط في حيفا تزود بالنفط الخام المستورد عبر ميناء ايلات بواسطة خط أنابيب ايلات ــ عسقلان وذلك بفضل وصلة بين خط انابيب ايلات ــ عسقلان الضخم هذا والجزء الشمالي من خط ايلات ــ حيفا الصغير ابتداء من ميناء أسدود .

ثانيا : **خط أنابيب ايلات ــ عسقلان** : يمتد هذا الخط من ميناء ايلات (العقبة) على البحر الاحمر الى ميناء عسقلان على البحر الابيض المتوسط ، ويقطع اسرائيل من أقصى جنوبها الى وسط ساحلها المتوسطي ، ويبلغ طوله نحو ١٦٠ ميلا (٢٥٤ كيلومترا) وقطره ٤٢ بوصة . وهو يعتبر خط نفط عالمي اكثر منه خطا محليا لان الغرض من انشائه هو المساهمة في حل مشكلة تزويد اوروبا الغربية بنفط الخليج العربي بعد اقفال قناة السويس نتيجة حرب حزيران عام ١٩٦٧ . وقد بدأ الاسرائيليون يخططون لانشاء هذا الخط بعد انتصارهم في حرب حزيران ١٩٦٧ بأمد قصير ذلك أن التفكير بانشاء مثل هذا الخط انما يعود الى عام ١٩٥٦ يوم أن اقفلت قناة السويس نتيجة العدوان الثلاثي على مصر ، وما رافق ذلك من نسف خطوط نقل النفط الممتدة من حقول النفط العراقي في كركوك عبر سوريا مما عرض اقطار اوروبا الغربية الى ازمة نفط خانقة نظرا لانها لم تكن مستعدة آنئذ لمثل هذا الانقطاع ، اذ ان طاقة مرافق تخزين النفط فيها كانت ضئيلة لا تكفي لسد احتياجاتها الا لاسابيع قليلة وهو الامر الذي تداركته فيما بعد فزادت طاقة التخزين لديها بحيث أصبحت حاليا تكفي احتياجاتها لاكثر من شهرين ، ومن المقرر حسب خطط منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية ان تصبح هذه الطاقة قبل نهاية عام ١٩٧٤ تكفي احتياجات استهلاكها الطبيعي لمدة ثلاثة شهور على الاقل .

« لقد تم انشاء خط ايلات ــ عسقلان هذا وبوشر نقل النفط فيه بطاقة أولية مقدارها نحو اربعمائة الف برميل يوميا في شهر شباط (فبراير) عام ١٩٧٠ ، وقد بلغت تكاليف انشائه ١١٣ مليون دولار »(٣٠).

لقد كان الغرض الاساسي من انشاء وتنفيذ مشروع خط أنابيب ايلات ــ عسقلان هو هدف سياسي بالدرجة الاولى أكثر منه تجاري ، الا وهو التقليل من أهمية قناة السويس وتخفيف الضغوط الدولية ، ولا سيما الاوروبية ، على اسرائيل لفتحها . بيد أن نجاح الحكومة الاسرائيلية في زيادة طاقة ضخ النفط في هذا الانبوب خلال فترة وجيزة نسبيا من حوالي اربعمائة الف برميل يوميا في شباط (فبراير) ١٩٧٠ الى نحو تسعمائة الف برميل يوميا (٤٥ مليون طن سنويا) في أواسط عام ١٩٧٣ قد جعل من خط الانابيب هذا مشروعا مربحا من الناحية التجارية أيضا « ينافس الان وفي المستقبل كلا من قناة السويس وخط سومد المعتزم انشاؤه في مصر من شاطىء خليج السويس الى الاسكندرية ، وهو الخط الذي اختارت الحكومة المصرية ان تعهد ببنائه الى شركة بكتل الامريكية بكلفة ٣٩٧،٦ مليون دولار وعقدت اتفاقا بهذا الشأن مع الشركة الامريكية المذكورة قبل نشوب حرب اكتوبر بخمسة أيام فقط . وخط سومد هذا الذي أصبح قيد التنفيذ الان

سيتألف من خطين ضخمين قطر الواحد منهما ٤٢ بوصة وطوله ٢١٠ أميال (حوالي ٣٤٠ كيلومترا) ، ومن المقرر ان يبدأ تشغيله في نهاية عام ١٩٧٥ بطاقة اولية مقدارها ٤٠ مليون طن في السنة (٨٠٠ ٠٠٠ برميل / يوميا) ترتفع الى ٨٠ مليون طن / سنويا في منتصف عام ١٩٧٦ مع امكانية حدوث زيادة أخيرة في طاقته لتصل الى ١١٠ ملايين طن في السنة ، وهذه الكمية تساوي تقريبا طاقة جميع أنابيب نقل النفط التي تصب في موانىء شرق البحر الابيض المتوسط بما فيها خط أنابيب ايلات ــ عسقلان ، علما بأن مجموع ما شحن عبر قناة السويس من النفط خلال آخر سنة كاملة من تشغيلها قبل اقفالها في حرب حزيران ١٩٦٧ قد بلغ ١٦٧ مليون طن »(٣١).

ان خط انابيب نفط ايلات ــ عسقلان لم يبلغ اقصى مداه بعد ، اذ يمكن تشغيله بطاقته القصوى المقررة ومقدارها ٦٠ مليون طن سنويا (بمعدل ١٦٢ مليون برميل / يوميا) بتوفر أمرين اثنين **اولهما** اقامة المزيد من محطات الضخ ومرافق التخزين والتحميل في ميناء ايلات وايضا في ميناء عسقلان الذي يصب فيه هذا الانبوب. **وثانيهما** هو التعاقد مع الجهات المعنية على نقل المزيد من نفط الخليج العربي عبر هذا الخط . وتوفر اسرائيل الظروف الملائمة لتحقيق مثل هذه التعاقدات الخفية لنقل نفط الخليج العربي بضرب نطاق محكم من السرية والكتمان على كل ما يتعلق بعمليات نقل النفط في هذا الخط . وقد أصدرت الحكومة الاسرائيلية لهذه الغاية قانونا « حظرت بموجبه نشر أية معلومات عن الناقلات التي تدخل الموانىء الاسرائيلية او تخرج منها »(٣٢). ولا ريب ان الحكومة الاسرائيلية ستتمكن ، بفضل السرية التي تحيط بها عمليات شحن النفط بواسطة خط ايلات ــ عسقلان ، من ايجاد الزبائن اللازمين لرفع طاقة نقل هذا الانبوب الى حدها الاقصى وهو ٦٠ مليون طن ، وليس من الضروري ان يقتصر هؤلاء الزبائن على شركة النفط الوطنية الايرانية وشركات النفط المستقلة الصغيرة الاخرى العاملة في ايران ، بل من الممكن جدا ان يشمل شركات النفط الغربية ولا سيما الامريكية المساهمة في الكونسورتيوم الذي يستغل النفط الايراني ، ومعظم شركات النفط هذه لها مصالح نفطية واسعة في بلدان النفط العربية .

ان جزءا من النفط المستورد عبر ميناء ايلات والذي ينقل بواسطة خط ايلات ــ عسقلان يتم تحويله الى مصفاة حيفا لتكريره للاستعمال المحلي بواسطة الجزء الشمالي (أسدود ــ حيفا) من خط ايلات ــ حيفا المشار اليه آنفا . ومن جهة اخرى ، يلتقي بخط ايلات ــ عسقلان خط نفط صغير يفرغ فيه النفط المستخرج من حقول سيناء فيصدر قسم منه من ميناء عسقلان كما يتم نقل القسم الاخر لتكريره في مصفاة حيفا بواسطة الجزء الشمالي (أسدود ــ حيفا) من خط ايلات حيفا .

ان طريق ايلات ــ عسقلان لم يعد فقط ممرا لنقل النفط الخام من منابعه في الخليج العربي الى أسواقه في اوروبا ، بل أصبح في السنوات الاخيرة طريق ترانزيت عالمي هام لنقل البضائع والسلع والمواد الخام من بلدان افريقيا الشرقية الى اوروبا وبالعكس وذلك نتيجة اقفال قناة السويس . « وقد اقيم هذا الجسر البري منذ ثلاثة أعوام ، وتولت اقامته شركة « كيدم » المتفرعة من شركة « تسيم » للملاحة الاسرائيلية . ولم يصل هذا الجسر البري في مستوى تشغيله ونشاطه المستوى الذي يخوله ان يكون بديلا لقناة السوكس المقفلة ... وفي افضل الاوقات ، نقل بواسطة هذا الجسر نحو ستين الف طن من البضائع في العام بين اوروبا وشرق افريقيا ... واستمر الجسر في العمل ، وكانت هناك فكرة لتوسيعه قبل حرب « يوم الغفران » ، ولكن بعد اغلاق مضائق باب المندب اغلق الجسر تلقائيا كذلك ... والان توجد رغبة في احياء الجسر ، بل وحتى توسيعه » ... هذا ما اوردته اذاعة اسرائيل عن هذا الجسر البري (ر.ا.ا.

في ١٩٧٤/١/٨). وهذا جميعه انما يبين الى أي مدى سينافس خط ايلات ــ البحر المتوسط المركز الاستراتيجي للاقطار العربية المجاورة مصر ولبنان وسوريا اذا ما بقي خليج العقبة والبحر الاحمر مفتوحا أمام الملاحة الاسرائيلية واذا ما بقيت البواخر والناقلات الاسرائيلية تسرح وتمرح عبر مضيق باب المندب ايضا .

ثالثا : **خط أنابيب حيفا ــ تل ابيب** : وهو خط صغير قطره ٨ بوصات ويمتد على الساحل الفلسطيني بين المدينتين بطول ٥٨ ميلا (نحو ٩٠ كيلومترا) ، ومهمته نقل منتجات النفط المكررة في مصفاة حيفا الى المجمع الصناعي والسكاني والعمراني في مدينة تل ابيب وجوارها وطاقته نحو نصف مليون طن سنويا .

رابعا : **خط انابيب حيلتس ــ أسدود** : وهو ينقل النفط الخام المستخرج من حقل حيلتس والحقول المجاورة له الى ميناء أسدود حيث يتصل بخط أيلات ــ حيفا . ويبلغ طول هذا الخط ١٤ كيلومترا وقطره ثماني بوصات .

خامسا : **خط انابيب روش زوهر ــ سدوم** : وهو خط مهمته نقل الغاز الطبيعي المستخرج من حقل روش زوهر الى منطقة سدوم لتشغيل معامل الصناعات التعدينية والبوتاس القائمة هناك ، وهو يسير في خط مستقيم بين المنطقتين ، وطوله حوالي ٢٩ كيلومترا وقطره ٦ بوصات ، وطاقته السنوية ما يعادل ٦٠ الف طن من النفط .

سادسا : **خط أنابيب روش زوهر ــ ديمونة ــ أورون** : مهمة هذا الخط نقل الغاز الطبيعي من حقل روش زوهر والحقول المجاورة الى منطقة الصناعات التعدينية الهامة في النقب في المناطق المجاورة لديمونة وأورون ، ويمتد هذا الخط باتجاه جنوبي غربي حتى ديمونة ومنها الى اورون ، وطوله حوالي ٤٠ كيلومترا ، وقطره ٦ بوصات .

سابعا : **خط أنابيب روش زوهر ــ أسدود** : ينقل هذا الخط الغاز الطبيعي للمصانع ومحطة الكهرباء في أسدود ، ويبلغ طوله ١٢٠ كيلومترا وقطره ٦ بوصات .

موانىء النفط في اسرائيل

بعد تشغيل خط أنابيب ايلات ــ عسقلان أصبح أهم مينائين للنفط في اسرائيل هما ميناء ايلات وميناء عسقلان بعد أن كان ميناء حيفا قبل عام ١٩٥٨ هو الميناء النفطي المهم في اسرائيل بالاضافة الى أنه كان وما يزال هو الميناء التجاري الاهم من حيث حركة البضائع غير النفطية فيه سواء الصادرات الاسرائيلية الى أوروبا وامريكا او الواردات الاسرائيلية من هذه البلدان .

وقد طورت اسرائيل بعد عام ١٩٦٧ مرافق التفريغ والتحميل وأرصفة استقبال السفن وناقلات النفط في ميناء ايلات تطويرا هاما بحيث « أصبحت فيه أرصفة استقبال لناقلات النفط عميقة المياه تستطيع ان تستوعب ناقلات ضخمة جدا تصل حمولتها الى ٣٥٠ الف طن »(٣٣).

أما ميناء عسقلان فقد انشأت فيه اسرائيل مرافق رسو عائمة تستطيع ان تستقبل حاليا في آن واحد ناقلتين للنفط حمولة الواحدة منهما ١٥٠ الف طن ، وكذلك ناقلتين اخريين حمولة الواحدة منهما ٨٠ الف طن . وهذا يناسب نمط تجارة النفط العالمية تماما ، فالاربح حاليا هو نقل النفط من منابعه في الخليج بواسطة الناقلات الضخمة العملاقة حيث تتوفر هناك مرافق لشحن مثل هذه الناقلات بالنفط ولذلك زود ميناء ايلات بمرافق لاستقبال مثل هذه الناقلات العملاقة (٣٥٠ الف طن) ، أما موانىء أقطار اوروبا الغربية المستهلكة للنفط فمعظمها مياهها ضحلة لا تستطيع استقبال الناقلات الضخمة كما لا تتوفر فيها مرافق لتفريغ مثل هذه الناقلات ، ولذلك

زود ميناء عسقلان بمرافق ارساء وشحن للناقلات التي لا تتجاوز حمولتها ١٥٠ الف طن وهي تساوي تقريبا اكبر الناقلات التي تستطيع معظم موانىء اوروبا استقبالها .

وبطبيعة الحال ، ما زال ميناء حيفا يعتبر أحد الموانىء النفطية في اسرائيل ، ولكنه الان يصدر كميات محدودة من منتجات النفط بعد أن كان في الماضي المستورد للنفط الخام من فنزويلا وغيرها .

مصافي النفط في اسرائيل

غنمت اسرائيل بين ما غنمته من اراضي وممتلكات وخيرات الشعب الفلسطيني نتيجة المؤامرة الاستعمارية ـ الصهيونية ـ الرجعية العربية عام ١٩٤٨ معمل تكرير النفط في حيفا الذي كان في طليعة مصافي النفط التي انشئت في المنطقة العربية وذلك لتزويد قوات الاحتلال الاستعماري البريطاني باحتياجاتها من منتجات النفط اذ أن فلسطين زمن الانتداب البريطاني كانت مقر القيادة العامة لقوات الاستعمار البريطاني في منطقة الشرق الاوسط بأكملها . وكانت مصفاة حيفا تزود بالنفط الخام من خط انابيب النفط الوارد من حقول النفط في كركوك العراق . وبعد قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ توقف ضخ النفط في خط الانابيب المذكور فأصبحت مصفاة حيفا تزود بالنفط الخام من فنزويلا وغيرها بكلفة عالية نسبيا الى ان تم انشاء خط ايلات ـ حيفا عام ١٩٥٨ المذكور انفا ، فأصبحت مصفاة حيفا تزود بالنفط الخام الرخيص من منابعه الغزيرة في الخليج العربي اثر انفتاح سبل الملاحة امامها في خليج العقبة والبحر الاحمر . وبعد حزيران ١٩٦٧ أصبحت حيفا تزود بالنفط الخام من مصدرين أحدهما حقول النفط المصرية المحتلة في سيناء والثاني خط انابيب ايلات ـ عسقلان بواسطة وصلة انابيب تصله عند ميناء أسدود بالجزء الشمالي من خط انابيب ايلات ـ حيفا . وقد قام الاسرائيليون بتوسيع وتحديث مصفاة حيفا بحيث أصبحت طاقتها الاجمالية السنوية حوالي ستة ملايين طن في السنة اي بمعدل ١٢٠،٠٠٠ برميل يوميا .

ومن جهة اخرى قام الاسرائيليون في السنوات الاخيرة ببناء مصفاة ثانية للنفط في ميناء أسدود على ساحل البحر المتوسط ، وقد تم تشغيل هذه المصفاة في شهر حزيران (يونيو) عام ١٩٧٣ بطاقة اجمالية مقدارها ٨٠،٠٠٠ برميل يوميا اي حوالي اربعة ملايين طن سنويا وبذلك ارتفعت طاقة تكرير النفط المتوفرة لدى اسرائيل ، الى حوالي عشرة ملايين طن سنويا اي ما يعادل ٢٠٠،٠٠٠ برميل يوميا ، بفائض عن احتياجات اسرائيل مقداره ٦٠٠٠٠ برميل يوميا (٣ ملايين طن سنويا) مما جعل اسرائيل دولة مصدرة للنفط لمدة سنوات قادمة ومما يوفر لاسرائيل فائضا في طاقة تكرير النفط لمدة من الزمن .

المخزون الاسرائيلي من النفط

ان الحديث عن طاقة تكرير النفط لدى اسرائيل يستدعي الحديث عن سعة مرافق تخزين المنتجات النفطية لديها . وخلال اكتوبر وبعدها اشارت مصادر اسرائيلية رسمية عدة مرات الى انه لا داعي لاي قلق من حدوث نقص في أصناف الوقود النفطي في اسرائيل لان لديها مخزونا كبيرا جدا من هذه المواد يكفي احتياجاتها لمدة طويلة، ورغم أن السلطات الاسرائيلية تعتبر أية معلومات عن مخزونها النفطي من أسرار الامن التي تتكتم حولها تكتما شديدا ، فان التصريحات الرسمية الاسرائيلية التطمينية حول توفر مخزون كبير من المواد النفطية في اسرائيل قد لا تكون مجانبة للصواب لان القيادة الاسرائيلية تدرك قبل أية جهة اخرى مدى سياساتها العدوانية التوسعية وابعادها وبالتالي تولي أمور توفير كميات كبيرة من معظم المواد الحيوية الضرورية لتنفيذ هذه

السياسات ، وفي طليعتها النفط ، اهتمامها الاول ، بالاضافة الى التخطيط الشامل لجميع مرافق البلاد بما فيها الابنية وخطوط المواصلات الخ ... وفق هذه الاعتبارات . بيد أن هذا لا يعني استحالة خنق اسرائيل نفطيا ، فان ذلك ممكن اذا ما حرمت اولا من حقول النفط المصرية في سيناء المحتلة ثم حرمت من التزود بالنفط من الخليج العربي سواء باقفال مداخل خليج العقبة في وجه الناقلات التي تقصدها او باقفال مضيق باب المندب امام هذه الناقلات ، واذا أضيف الى ذلك اتباع البلدان العربية المنتجة للنفط سياسة صارمة في مقاطعة كل دولة او شركة او جهة تعمل على او تساعد في تزويد اسرائيل بالنفط بصورة مباشرة او غير مباشرة وهذا يقتضي أول ما يقتضي بطبيعة الحال، أن تتم لهذه الاقطار العربية المنتجة للنفط السيطرة الفعلية على النفط المنتج فيها بدل ان يكون بتصرف شركات النفط الاحتكارية ، كما هو عليه الحال الان مما يجعل من المستحيل تتبع خطوط سيره وبالتالي تسربه الى اسرائيل بصورة مباشرة او غير مباشرة .

النفط هاجس اسرائيل الدائم

لعل الطرفة التي روتها غولده مئير للمستشار الالماني الغربي فيلي برانت اثناء زيارته لاسرائيل العام الماضي بقولها « اننا (الاسرائيليون) ان غفرنا لموسى كل شيء فلن نغفر له انه شاء ان يقودنا في هذه المنطقة الغزيرة بالنفط ليستقر بنا في البقعة الوحيدة من هذه المنطقة التي لا نفط فيها » ، لعلها قد عبرت بذلك بصورة مازحة عن الهاجس الذي يعتمل في نفوس المسؤولين الاسرائيليين بصورة دائمة وهو افتقار ارض فلسطين الى كميات هامة من النفط . فقد اولت السلطات الاسرائيلية ، منذ مطلع الخمسينات ، أمور التنقيب عن النفط في ارض فلسطين المحتلة أقصى اهتمامها ، وفتحت الابواب واسعة أمام شركات النفط الاجنبية والمحلية للقيام بعمليات التنقيب ، كما ان الحكومة الاسرائيلية ذاتها انفقت على مثل هذه العمليات ، منذ اقرار قانون البترول الاسرائيلي عام ١٩٥٢ ، مبلغ ٢٥ مليون جنيه استرليني ، بيد أنها لم تجن من ثمار هذه المجهودات من النفط والغاز الطبيعي الا كميات محدودة لم تتجاوز قيمتها الاجمالية ١٨ مليون جنيه استرليني »(٣٤).

وقد أفاض الصحفي الاسرائيلي « يوفيل اليتسور » في شرح هذا الامر في صحيفة « معاريف »(٣٥) فقال : « ان الشركات الاجنبية توقفت عن التنقيب في اسرائيل بعد أن أنفقت شركة « بلكو » الامريكية ١١ مليون دولار ، كما ان شركة « ليبيدوت » ، وهي الشركة الوحيدة التي تعمل في اسرائيل برؤوس أموال اميركية حفرت سبع آبار دون ان تصل الى أي دليل يبشر بوجود النفط . وقد تم خلال السنوات الثماني عشرة الماضية حفر ١٣٤ بئرا جافة استثمر فيها ١٥٠ مليون ليرة اسرائيلية، فكانت النتيجة هي الوصول الى الاستنتاج المؤلم بأن اسرائيل هي دولة غير نفطية » .

بيد ان حرب حزيران عام ١٩٦٧ كانت بمثابة نقطة تحول هامة على الصعيد النفطي في اسرائيل ، اذ حولت اسرائيل الى دولة نفطية تنتج من حقول سيناء المحتلة ما يكفي معظم احتياجاتها من النفط ، كما ان جملة نتائج هذه الحرب ، ومن بينها اقفال قناة السويس ، قد خلقت الظروف الملائمة لانشاء خط انابيب ايلات — عسقلان الضخم مما جعل اسرائيل ممرا عالميا هاما في تجارة النفط الدولية مما زاد من أهمية الدواعي السياسية والاقتصادية للدعم الغربي الاستعماري والاحتكاري للوجود الاسرائيلي .

وازاء هذا الواقع السياسي والاقتصادي والنفطي الجديد مضت اسرائيل قدما ، بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ ، في خططها النفطية فبنت مصفاة نفط ثانية في اسدود بدأ

تشغيلها في حزيران (يونيو) الماضي ، كذلك افتتح وزير المالية الاسرائيلي بنحاس سابير في الاسبوع الاول من الشهر ذاته ، وبمناسبة الذكرى السادسة لحرب حزيران، « معهد علوم البترول الاسرائيلي » في « رامات ابيب » من اجل اعداد وتأهيل الكفاءات البشرية المتخصصة في ميدان صناعة النفط . وفي هذه المناسبة أعلن الدكتور تسفي دينشتاين نائب وزير المالية الاسرائيلي والمسؤول عن شؤون النفط ان « عائدات قطاع النفط في اسرائيل الواردة للخزينة الاسرائيلية قد أصبحت تزيد على ثلاثة آلاف مليون ليرة اسرائيلية كما ان عدد العاملين في قطاع النفط في اسرائيل قد أصبح زهاء سبعة آلاف شخص »(٣٦). وقد بين « ميناحيم حين » عميد معهد البترول الاسرائيلي ان هيئة التدريس فيه ستتألف من نواة قوامها نحو اربعين الىخمسين محاضرا متخصصا بشؤون النفط وان مباني هذا المعهد قد كلفت ١ر٦ مليون ليرة اسرائيلية منها ٤٠٠ الف دولار تبرعات امريكية (أي معظم المبلغ) ، كذلك فانهم يعتزمون اصدار اول قاموس بمصطلحات النفط باللغة العبرية »(٣٧). ومن جهة أخرى ، قدرت صحيفة « معاريف » الاسرائيلية حجم الاستثمارات المالية المقررة لتطوير الصناعات البتروكيميائية في اسرائيل خلال السنوات العشر القادمة بحوالي ٤٠٠ مليون دولار(٣٨).

ولم تيأس الجهات الاسرائيلية المعنية بعد من العثور على النفط في الاراضي الواقعة داخل حدود اسرائيل قبل حزيران ١٩٦٧ ، وقد عبرت « الجيروسالم بوست » عن هذه الامال قائلة(٣٩): « ان الجيولوجيين الاسرائيليين مقتنعون بأن في اسرائيل ، بغض النظر عن سيناء ، كميات كبيرة من النفط ما زالت تنتظر من يكتشفها (من ضمنها منطقة رفح باستثناء سيناء ذاتها) ، ولكن اكتشافها يحتاج الى استثمار مالي كبير . واستخلصت ندوة حول النفط عقدت قبل شهرين على ان التنقيب يكلف على الاقل ١٠٠ مليون ليرة اسرائيلية في السنة لحفر ٢٠ بئرا تجريبية » . وأضافت الجيروسالم بوست قائلة : « ان مراجع دولية مختلفة تؤيد اصرار الجيولوجيين المحليين على وجود البترول في هذا البلد. وقد لام البروفيسور لويس ويكس ، الذي قد يكون أكبر مرجع في الولايات المتحدة في هذا الشأن ، حكومة اسرائيل على تخبطها في التنقيب عن النفط . وأصر على ان في هذا البلد (اسرائيل) ما لا يقل عن ٧٠ مليون طن من النفط (ومثلها من الغاز) ، اما أعلى تقدير وضعه البروفيسور ويكس فهو ٣٠٠ مليون طن، ولكن حتى تقديره الادنى يغطي احتياجات اسرائيل ، بمعدل استهلاكها الحالي ، مدة عشر سنوات . ولم يدخل البروفيسور ويكس في تقديره الاحتياطي المحتمل في خارج حدود اسرائيل قبل عام ١٩٦٧ »(٤٠).

وانسجاما مع هذا الاتجاه « أحال معهد البترول الاسرائيلي في شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣ الى وزارة المالية الاسرائيلية برنامجا للتنقيب عن النفط مدته خمس سنوات يقضي بتوظيف ١٠ ملايين جنيه استرليني والقيام بحفر آبار اختبارية في مناطق مختلفة من اسرائيل وشمالي سيناء »(٤١). وكتب مراسل « الفاينانشيال تايمز » في تل ابيب حول خطة التنقيب الخمسية هذه يقول(٤٢): « ان بعض مناطق البلاد قد جرى التنقيب عن النفط فيها بصورة جيدة ، وان لم تحفر فيها آبار اختبارية ، بينما هنالك مناطق اخرى كان نصيبها التجاهل التام . وتعطي توصيات اللجنة الاولوية في التنقيب الى مناطق السهل الساحلي الممتد من شمال سيناء الى مدينة قيصرية في وسط ساحل اسرائيل ، ومن حيفا الى الحدود اللبنانية شمالا . وجعلت في المرتبة الثانية من حيث الاهمية مناطق الجليل السفلى ، وحلت اخيرة في سلم الاولويات مناطق جبال القدس والسامرة (نابلس) ومناطق الجليل الاعلى ومرتفعات الجولان ».

فترى هل سيعثر الاسرائيلون ، بموجب برنامج التنقيب الواسع هذا ، على ما يمنون به أنفسهم من مكامن نفط غزيرة لعل غولده مئير تغفر لموسى انه قاد العبرانيين

من مصر ليستوطنوا في أرض كنعان — وهي البقعة الوحيدة في هذه المنطقة التي بدا حتى الان انها خالية من النفط حسبما مازحت غولده مئير حليفها المستشار الالماني الغربي فيلي برانت اثناء زيارته لاسرائيل العام الماضي ؟!

---

١ — نشرة « **عالم النفط** » في ١٩٧٣/١١/٢٤ .
٢ — مجلة «**النفط**» «بتروليوم بريس سيرفيس»، عدد كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ .
٣ — نشرة « **رصد اذاعة اسرائيل** » (مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية) ، العدد (٤٠٥) في ١٩٧٣/١٢/٢٣ .
٤ — **المصدر السابق** ، العدد (٤٠٢) في ٢٩/ ١٩٧٣/١١ .
٥ — **المصدر ذاته** .
٦ — **المصدر السابق** ، العدد (٤٢٢) في ٢٢/ ١٩٧٣/١٢ .
٧ — **المصدر السابق** ، العدد (٤١٧) في ١٧/ ١٩٧٣/١٢ .
٨ — مجلة **النفط** « بتروليوم بريس سيرفيس » ، عدد كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ .
٩ — مجلة **النفط** « بتروليوم بريس سيرفيس »، عدد كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ .
١٠ — « **دور النفط في الاقتصاد الاسرائيلي** » ، تقرير أعده « مجلس التخطيط » بمنظمة التحرير الفلسطينية .
١١ — **المصدر ذاته** .
١٢ — مجلة **النفط** « بتروليوم بريس سيرفيس » ، عدد تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ .
١٣ — **المصدر ذاته** .
١٤ — **المصدر ذاته** .
١٥ — **المصدر ذاته** .
١٦ — **المصدر ذاته** .
١٧ — مجلة Israel Economist ، حزيران ١٩٧١ ، ص ١٨٦ .
١٨ — مجلة « **الحوادث** »، اللبنانية ، في ٩/٧/ ١٩٧٣ .
١٩ — صحيفة « **دافار** » في ١٩٧٢/٩/٢٠ .
٢٠ — مجلة **النفط** « بتروليوم بريس سيرفيس » ، عدد تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ .
٢١ — نشرة « **عالم النفط** » في ١٩٧٣/١٠/١٣ .
٢٢ — **المصدر ذاته** .
٢٣ — صحيفة « **دافار** » في ١٩٧٢/١/١٢ .
٢٤ — صحيفة « **جيروسالم بوست** » ، انظر صحيفة « **القبس** » الكويتية في ١٩٧٣/٧/١٩ .
٢٥ — **المصدر ذاته** .
٢٦ — صحيفة « **هآرتس** » في ١٩٧٣/٢/١٥ . انظر مجلة « **الحوادث** » اللبنانية في ٩/٧/ ١٩٧٣ .
٢٧ — نشرة « **عالم النفط** » في ١٩٧٣/٩/١٥ نقلا عن نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية .
٢٨ — لاري لوك وود « الامبريالية والاقتصاد الاسرائيلي » ، مجلة « **شؤون فلسطينية** » ، العدد ٢٠ ، ص ٩٥ .
٢٩ — **المصدر ذاته** .
٣٠ — الدكتور سعيد حمود ، مجلة « **شؤون فلسطينية** » ، العدد ٢٢ ، حزيران ١٩٧٣ .
٣١ — مجلة **النفط** « بتروليوم بريس سيرفيس » ، عدد تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ ، ص ٩ .
٣٢ — Petroleum Intelligence Weekly, March 23, 1970.
٣٣ — مجلة **النفط** « بتروليوم بريس سيرفيس » ، عدد تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ ، ص ٩ .
٣٤ — **المصدر ذاته** .
٣٥ — صحيفة « **معاريف** » الاسرائيلية في ٩/٢٩/ ١٩٧٢ .
٣٦ — مجلة «**الحوادث**» اللبنانية في ١٩٧٣/٩/٧.
٣٧ — **المصدر ذاته** .
٣٨ — **المصدر ذاته** .
٣٩ — حسبما أوردت صحيفة « **القبس** » الكويتية في ١٩٧٣/٧/١٩ .
٤٠ — **المرجع ذاته** .
٤١ — مجلة **النفط** «بتروليوم بريس سيرفيس»، عدد تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ .
٤٢ — صحيفة « **الفاينانشال تايمز** » البريطانية في ١٩٧٣/٩/٦ .

الصناعة الجوية الاسرائيلية

الرائد الطيار حسين عويضه

قبل تكوين دولة اسرائيل وخلال الفترة التي أعقبت انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ جهدت الوكالة اليهودية للحصول على معدات وآلات للصناعة الحربية(١) . فبعد انتهاء الحرب اضطرت مصانع عديدة للاسلحة في الولايات المتحدة الى اقفال ابوابها . واستغلت الوكالة اليهودية الظروف الحرجة التي كانت تمر بها هذه المصانع ، وقامت بشراء كميات ضخمة من آلاتها ومعداتهـا بأبخس الاثمان وعملت علـى تهريبها الى فلسطين بمعرفة بعض المسؤولين البريطانيين من موظفي الانتداب ممن كانوا يتعاطفون مع الحركة الصهيونية . وعند وصولها الى فلسطين كانت تنقل باشراف الوكالة اليهودية لتوضع في أماكن سرية حتى تكون جاهزة لمباشرة انتاجها وقت الحاجة(٢) وفعلا تم لها ذلك . فقد باشرت هذه المصانع عملها في انتاج السلاح لسد حاجة المسلحين اليهود منه بعد انتهاء الانتداب وجلاء الجيش البريطاني عن فلسطين . وكان الهدف الاساسي هو تأمين السلاح لمواجهة احتمالات الموقف ، خاصة وان النزاع العربي ــ الصهيوني أخذ يتجه نحو الصدام المسلح وهكذا تأسست نواة الصناعات الحربية في اسرائيل .

ومنذ البداية ، انصب اهتمـام المسؤولين في الوكالـة اليهودية ــ والمسؤولـين الاسرائيليين من بعدهم ــ على تطوير هذه الصناعات ومدها بالخبراء ودعمها بالطاقات والامكانات . لقد ادركت الوكالة اليهودية ان صراعها مع العرب سيطول ولن يحسمه الا تفوقها عسكريا واقتصاديا وتقنيا ، خاصة وانها دولة فرضت على المنطقة عبر سلسلة طويلة من المؤامرات وبقوة السلاح . ولقد وجدت اسرائيل نفسها ملزمة بحشد كافة طاقاتها وامكاناتها وتسخيرها للمحافظة على وجودها طالما بقي الصراع قائما . وكان الرفض العربي عاملا أساسيا دفعها لرصد آلاف الملايين من الدولارات لتدعيم مشاريعها العسكرية وصناعاتها الحربية وجعلها بالتالي تتحول الى ترسانة حربية في منطقة الشرق الاوسط . وكانت أهم العوامل التي فرضت على اسرائيل انتاج السلاح العوامل الثلاثة التالية :

أولا ــ عامل استراتيجي له علاقة مباشرة بأوضاعها العسكرية في المنطقة . فاسرائيل تدرك انها وجدت بالقوة في منطقة غريبة معادية لها . يضاف الى ذلك انها دولة تبغي التوسع على حساب أبناء المنطقة . وهي تحمل في جعبتها مشروعا ضخما لاقامة دولة تمتد من النيل الى الفرات . ومن المؤكد ان دولة تتبنى مثـل هذه السـياسة وتلـك الاستراتيجية بحاجة ماسة الى جيش قوي يحقـق لها أهدافها التوسعية ، وتحتاج الجيوش عادة الى مصادر ثابتة ومضمونة للسلاح . وان اية قوة في العالم لا تأخذ في حساباتها هذا الاعتبار لا يمكن ان تملك القدرة على التحرك في الوقت والمكان المناسبين . ولا تقاس قوة الدول عسكريا بكمية السلاح الذي تملكه او بنوعيته بل بقدرتها على تأمين مصادر ثابتة للسلاح بالكميات المطلوبة والنوعية المرغوبـة مع الذخيرة والعتاد . ان ارخص واضمن واسهل طريقة لتحقيق ذلك هي انتاج السلاح محليا ليكون في متناول اليد عند الطلب وفي الاوقات الصعبة والحرجة . يحتاج الجيش الاسرائيلي ، الكبير حجما

بالنسبة الى تعداد السكان ، الى كميات هائلـــة ونوعيات معينة من السلاح للقيـــام بمسؤولياته الكبيرة . ودولة يسود التوتر حدودها ، بفعل واقعها الاستعماري وأهدافها التوسعية وسياستها العدوانية ، تحتاج الى أموال وامكانات ضخمة ترصدها للمجهود الحربي . ومثل هذه المسؤوليات تجبر المسؤولين الاسرائيليين على ايجاد مخرج لهذه المسألة الهامة دون الحاجة الى الاعتماد على مصادر خارجية لتأمـــين الحصول على السلاح لقواتها المسلحة بصورة مستمرة .

ثانيا ـــ عامل سياسي : ان الحصول على السلاح من اي مصدر خارجي ، ومهما كان صديقا ، لا يمكن أن يتم بالسهولة التي يعتقدها البعض . فهناك عوامل كثيرة تتحكم بهذا الامر . فالدول المنتجة للسلاح كثيرا ما تخضع لظروف معينـــة تفرض عليها في بعض الحالات منع تصديره الى أية جهة كانت ، كما تفرض عليها في حالات أخرى تحديد قيود على شحنه لاعتبارات سياسية او اقتصادية . وأكبر مثل على ذلك الحظر الفرنسي الذي فرض على تزويد اسرائيل بالسلاح . كما ان الحصول على السلاح يصبح في حالات كثيرة وسيلة للضغط السياسي يمارس بحق الدولة المبتاعـــة مما يضطرها في ظروف عـــدة للتصرف على نحو يتعارض مع مصالحها الوطنية ، تصل في بعض الحالات الى حد اعطاء بعض التنازلات السياسية او الاقتصادية او الاقليمية . ان انتاج السلاح أصبح في يومنا هذا ضرورة ملحة للتخلص والتحرر من مزاجات الدول المنتجة وميولها ومواقفها . لهذا أصبحت مسألة اقامة صناعة محلية لانتاج السلاح بالنسبة لاسرائيل مع الزمن أمرا على غاية من الاهمية .

ثالثا ـــ عامل اقتصادي ، تقاس قوة الدولة اقتصاديا بمدى قدرتها على الاكتفاء ذاتيا وبكمية الانتاج الذي يتوفر لديها لتصديره الى الخارج ليدر عليها كميات مـــن العملات الصعبة . وتكون الدولة قوية اقتصاديا عندما تزيد صادراتها على وارداتها . وفي يومنا هذا أصبحت تجارة السلاح وسيلة مربحة للدول المنتجة . وينوء اقتصاد كثير من الدول تحت ثقل الديون التي نجمت عن شرائها لكميات هائلة من السلاح للدفاع عن حدودها الاقليمية . ومع الزمن رفعت الدول المنتجة ثمن السلاح وفي حـــالات عدة فرضت دفع قيمته نقدا وبالعملات الصعبة . لهذا رأت دول عديدة في العالم ان من مصلحتها انتاج السلاح محليا لتخفف عن اقتصادها اعباء الدفع بالعملات الصعبة .

تسعى اسرائيل لان تصبح قوة اقتصادية رئيسية في المنطقة وهي بانتاجها للسلاح محليا تهدف الى توفير مبالغ طائلة من العملات الصعبة حتى تعزز بها ميزان مدفوعاتها. وهي حالة ستعطيها القدرة على توجيه جزء من هذه المبالغ نحو المشاريع الاقتصادية الرئيسية .

ظلت اسرائيل ترسل مبعوثيها الى الخارج في محاولة منهـــا للحصول على السلاح ووسائل انتاجه(٢). ومنذ بداية الصراع اعتبرت اسرائيل نفسها في تنافس مستمر مع العرب خاصة في الميادين التقنية وانتاج السلاح . كان عليهـــا أن تضع أساسا صلبا لصناعتها العسكرية وان تعي كل خطوة تخطوها في هذا المجال . ولهذا رأت ان تستفيد من دول أخرى متقدمة في هذا الميدان مثل فرنسا وبريطانيا والسويد .

لم تبن اسرائيل استراتيجيتها في مجال امتلاك السلاح والحصول عليه على أساس حاجتها منه قياسا لحجمها او لامكاناتها أو لطاقتها البشرية . فالدول عادة تقوم ببناء قواتها المسلحة علـــى اساس امكاناتها الاقتصادية وحجـــم طاقتها البشرية وقدرتها وامكانيتها على انتاج السلاح والحصول عليه لكن اسرائيل ضربت بهذه القاعدة عرض الحائط ، وراحت تبني قواتها المسلحة وتتوسع في صناعة الاسلحة وتحصل على الاجود منها من تلك المتوفرة في الاسواق العالمية بشكل يفوق امكاناتها وقدرتها كدولة صغيرة

ويزيد عما تستطيع طاقتها البشرية استيعابه . ولهذا نراها تعتمد على المتطوعين من ذوي الاختصاص والفنيين في الخارج وتسعى بلا انقطاع للحصول على القروض والمساعدات والمنح المالية وتجبر دولا كالولايات المتحدة والمانيا الغربية على دفع ثمن السلاح لها الذي تحصل عليه من دول اخرى(٤) انها لا تنظر الى امكاناتها وطاقاتها عندما تبحث قدرتها الحربية ومشاريعها العسكرية . انما تأخذ بعين الاعتبار حجم وامكانات أعدائها وتحاول على هذا الاساس مجاراتهم . وبالتالي تبني استعداداتها العسكرية على هذا الاساس وهي سياسة جنونية باهظة التكاليف لا تقدر على تحملها أي دولة في العالم*، ووضع كهذا لن يستمر طويلا ولا بد لاسرائيل أن تعيد النظر فيه في يوم من الايام وتكون وقتها مجبرة على العودة الى الاوضاع الطبيعية والى حجمها الطبيعي كغيرها من الدول . ان هذه السياسة التي تنتهجها تعتبر بحد ذاتها مغامرة محسوبة لكنها تظل محفوفة بالمخاطر .

رأت اسرائيل اذا أن تمضي قدما في انشاء صناعة جوية خاصة بها لاعتبارات استراتيجية عسكرية واقتصادية وسياسية(٥) ولقد واجهت هذه الصناعة الناشئة — منذ البداية — المتاعب والصعاب ، الادارية والتقنية والمالية . نجم عن ذلك أن انقسم رأي المسؤولين فيها الى قسمين : قسم يرى انه بامكان دولة كاسرائيل — صغيرة ومحدودة الموارد والامكانات — أن تتحمل تقنيا وماليا اعباء صناعة جوية تقام في البلاد . وقسم آخر كان يرى صعوبة تحقيق ذلك لاعتبارات كثيرة منها المالي والتقني(٦) ولاسباب أخرى لها علاقة بامكانات اسرائيل قياسا للدول العملاقة المسيطرة على هذه الصناعة عالميا .

استمدت هذه الصناعة خبرتها من الخبراء والمهندسين المختصين في حقل الطيران من اليهود الذين وفدوا الى البلاد في سنة ١٩٤٨ والذين يحملون الجنسية الاميركية وجنسيات عدد من الدول الاوروبية . وهكذا تجمع لدى هذه الصناعة الناشئة وفي فترة وجيزة للغاية عدد لا يستهان به من ذوي الخبرة والاختصاص في حقل الصناعة الجوية . وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وجدت مصانع كثيرة في الولايات المتحدة طريقها الى اسرائيل بمن فيها من العمال والخبراء اليهود(٧) . فالقادة الاسرائيليون كانوا في زيارات مستمرة لاوروبا واميركا بحثا عن هذه المصانع والخبرات . ولقد اتبعت معهم شتى أنواع المغريات والوسائل لاقناعهم بالسفر الى اسرائيل(٨) . ومن ناحية اخرى أرسلت هذه الصناعة الى الخارج العديد من الشباب للتخصص في مجال صناعة وانتاج الطائرات الحربية والمعدات والتجهيزات الجوية وللاطلاع على أحدث الاساليب والطرق الادارية والفنية المتبعة في هذه الصناعة .

كانت ممارسات ونشاطات وأهداف القيادة الجوية الاسرائيلية والمشرفين على الصناعة باستمرار تتسم بالجرأة والحنكة والدراية بالامور . فهذه القيادة كانت تتبع سياسة عملية لتقليل اعتمادها على المصادر الخارجية . وكانت تؤمن ان طبيعة أوضاعها تفرض عليها مبدأ السيطرة التامة على وسائل انتاجها لتسخيرها للمجهود الحربي . وكانت متحمسة لترى صناعتها الجوية الناشئة وقد تطورت وخطت خطوات حثيثة نحو الامام . وهي لم تترك بابا الا وطرقته ولم تترك دولة متقدمة علميا الا وطلبت مساعداتها ولم تترك صناعة جوية الا وتعاملت معها من أجل توفير المال والخبرات والامكانات والطاقات والوسائل التقنية لهذه الصناعة الناشئة .

---

* ان حرب تشرين الاول ١٩٧٣ لاكبر مثل على ذلك . وجدت اسرائيل نفسها مضطرة الى طلب العون بعد وقت قصير من بدء الحرب من الولايات المتحدة التي لبت النداء بسخاء .

٣ ــ قسم الهندسة . ان مسؤولية هذا القسم هي في وضع التصاميم والخطط للانتاج واجراء التعديلات على كافة الطائرات والمحركات ، وقد شارك مشاركة فعالة في انتاج طائرة « عرفه » واجراء التعديلات على طائرة « ستراتوكروزر » ، بحيث صار بالامكان الاستفادة منها في النقل وفي مهام تزويد الطائرات بالوقود في الجو .

٤ ــ قسم الادوات الالكترونية . وهو القسم المختص بالاجهزة الدقيقة وكافة اشكال اجهزة الاتصال اللاسلكي والرادار والمعدات الالكترونية الدقيقة . وهو القسم المسؤول عن انتاج رادار « التا » Elta المستخدم في عدة مطارات اسرائيلية ومنها مطاري اللد وحيفا .

هذه هي الاقسام الرئيسية التي تتكون منها الصناعة الجوية الاسرائيلية ، وتتفرع عنها عدة فروع ثانوية ، منها فرع الادوات الكهربائية وفرع اجهزة مقاومة الحريق ، والفرع المختص بانتاج الاغطية الشفافة لمقصورة الطيار (Conopy) ، والفرع المختص بانتاج اجهزة التوجيه للصواريخ الموجهة ، وغيرها من الفروع التي لها علاقة بالطائرات والمحركات والصواريخ والاعتدة والقنابل الجوية .

لقد وضعت الصناعة الجوية باكورة افكارها في مضمار تجميع وانتاج الطائرات النفاثة في ٧ تموز ١٩٦٠ حيث أتمت تجميع النموذج الاول من طائرة « الفوجا ماجستير » وقامت بتسليمها الى سلاح الجو الاسرائيلي . وفي فترة قصيرة تطورت هذه الصناعة واتسعت رقعة الارض التي تحتلها وبلغت اليوم مساحتها (٣ ملايين قدم مربع) وزادت ابنيتها ومنشآتها وارتفع عدد مستخدميها حتى بلغ اليوم حوالي ١٣ الف خبير ومهندس وفني وعامل(١٧). ومن المهام التي أخذت تتولاها مهمة تصليح وصيانة واجراء عمرة شاملة على الطائرات والمحركات(١٨) بالاضافة الى انتاج عدة أنواع من الطائرات بترخيص من الشركات المالكة . وامتد نشاطها حتى شمل انتاج معدات واجهزة رادار وصواريخ موجهة سطح ــ سطح نوع «جابرييل» وصواريخ موجهة جو ــ جو نوع «شفرير»(١٩) .

تعاونت على انتاج الصاروخ الموجه نوع « جابرييل » في البداية الصناعة الجوية الاسرائيلية وصناعات جوية فرنسية لحساب الحكومة الاسرائيلية . ولقد ساعدت الخبرة المتوفرة لدى الخبراء الفرنسيين على دفع المشروع الى الامام ، واستفادت الصناعة الجوية الاسرائيلية كثيرا من الخبراء الفرنسيين والامكانات الفنية التي قدمها الجانب الفرنسي لدعم المشروع . ولكن المشروع تعرض لهزة عنيفة وذلك في أعقاب فرض الحظر الفرنسي على تصدير السلاح الى اسرائيل . وعليه توقف الجانب الفرنسي عن تقديم اية مساعدة او مشورة تتعلق بتطوير المشروع ولم يعد المشروع يهم الجانب الفرنسي بشيء . لهذا تأخر انتاج الصاروخ حتى اوائل السبعينات عندما اعلنت اسرائيل الانتهاء من تطوير وانتاج الصاروخ . وفيما بعد اعلنت عن اجراء تجارب ناجحة عليه واماطت اللثام عن نواياها باستخدامه على نطاق واسع في البحرية الاسرائيلية وتزويد عدد من الزوارق السريعة التي تملكها البحرية الاسرائيلية به ، وانها تتوقع ترويجه بالخارج ليستخدم من قبل عدد من السفن الحربية والغواصات العائدة الى عشر دول أجنبية(٢٠).

وهناك صاروخ موجه آخر نجحت هذه الصناعة على تطويره وانتاجه وهو صاروخ « شفرير » جو ــ جو وقد تم انتاجه لحساب السلاح الجوي الاسرائيلي ليعمل مع الطائرات المعترضة والمقاتلة . وفعلا جرى تزويد سلاح الجو الاسرائيلي به واستخدم في حرب الاستنزاف التي شنتها اسرائيل ضد مصر ١٩٦٩ ــ ١٩٧٠ حيث جرت تجربته من قبل طائرات « الميراج ٣ س » وأعطى نتائج مشجعة(٢١) بعد ذلك باشرت قيادة السلاح تزويد طائرات « الميراج » بهذا الصاروخ كبديل لصاروخ « ماترا » الافرنسي

الذي شمله الحظر(٢٢) وبدأ الطيران يستخدمه منذ بداية عـام ١٩٧٢ كسلاح اساسي مضاد للطائرات في الجو . وتتوقع قيـادة السلاح الجوي الاسرائيلي تعميم استخدامه في المستقبل على كافة طائراتها المعترضة المقاتلة الافرنسية والاميركية على حد سواء ليحل بدل الصواريخ « سايدوايندر » و « سبارو » الاميركيـة لكن الخبراء في الجـو يستبعدون ذلك لان انتاج الصاروخ لا زال في مراحله الاولى بالاضافة الى ان الكمية المنتجة منه لا تغطي الطلبيات المتزايدة لهذه الصواريخ وستظل اسرائيل على ضوء مشاريعها العسكرية الحالية بحاجة الى العديد من هذه الصواريخ الاجنبية الموجهـة جو — جو .

واكبر دليل على ذلك ما حصل في حرب تشرين الاول ١٩٧٣ حيث تطلبت الاوضاع العسكرية الحصول على اعداد كبيرة من هذه الصواريخ لسد احتياجات المعركة . ثم لم يأت دليل واحد يثبت ان الطائرات الاسرائيلية استخدمت مثل هذه الصواريخ فـي المعارك الجوية الاخيرة . ولو كانت اسرائيل فعلا استخدمت هذه الصواريخ في المعركة واعطت نتائج مشجعة كما روجت اجهزة اعلامها في السابق — لما اضطرت في وسط المعركة الى ارسال طائرات شركة « العال » الى الولايات المتحدة الى قاعدة «أوشيفا» الجوية التابعة لسلاح البحرية الاميركية القريبة من مدينة تورفولك في ولاية فرجينيـا لاحضار أعداد ضخمة من صواريخ « سايدوايندر » و « سـبارو » ولكانت اكتفت بما لديها وما تنتجه صناعتها الجوية . ان هذا لاكبر دليل على ان انتاج الصاروخ لا زال في مراحله الاولى وربما كانت اسرائيل تواجه مشاكل في جهاز التوجيه وعليه يصـير الصاروخ غير جاهز للاستخدام على نطاق واسع كما روجت اجهزة اعلامهـا . ان المشكلة الاساسية التي تواجه الشركات المنتجة للصواريخ الموجهة عموما تكمـن في اجهزة توجيهها . وهناك شواهد كثيرة على ذلك ، والمعروف لدى الجميع ان الشركات العالمية المنتجة لهذه الصواريخ انتجت الكثير من الصواريخ الموجهة لكن القليل منهـا ثبتت فعاليته وجرى تعميم استخدامه . وصرفت هذه الشركات مبالغ طائلة في هـذا المضمار . واضطرت دول كثيرة الى الاقلاع عن انتاج الصواريخ الموجهة محليا لتفادي المصاريف الباهظة . واكتفت بشراء الكميات التي تحتاجها طائراتها من مصادر خارجية مثل بريطانيا والمانيا الغربية واليابان وهي دول صناعية متقدمة وغنية تملك صناعـة جوية متقدمة قادرة على انتاج احسن الصواريخ . لكنها تعتمد في هذا المجـال على المصادر الاميركية . واسرائيل لن تكون احسن حالا .

ان حرب تشرين كشفت وستكشف عن الكثير من نقاط الضعف الكامنة في الجـانب الاسرائيلي ، مما في ذلك الصناعة العسكرية ، وستظهر لنا المؤسسة العسـكرية الاسرائيلية على حقيقتها . لقد غطت اجهزة الاعلام في الماضي الكثير مـن النواحي السلبية الموجودة في الاجهزة العسكرية وحاولت باستمرار التأثير نفسيا على المواطنين العرب لايهامهم بقدرة وقوة هذه المؤسسة العسكرية . عن طريق الدعاية المبالغ فيها . والتمجيد المستمر بقدراتها وامكاناتها .

وتواجه هذه الصناعة ايضا مشاكل عديدة في تصنيع مادة الاغلفة الشفافة التـي تستخدم اغطية لمقصورة الطيار في الطائرات المقاتلة (Conopy) .كانت اسرائيل حتى عام ١٩٦٧ تحصل على هذه الاغطية من مصادر فرنسية . ولقد حاولت بعد فرض الحظر انتاجها محليا . الا ان مصادر اجنبية كشفت في ذلك الوقت ان صناعة هـذه الاغطية في اسرائيل تواجه مشاكل صعبة الحل . فالمادة التي تصنع منها هذه الاغطية محليا لا تنطبق على المواصفات الفنية المطلوبة . فالمشكلة الرئيسية تكمن في أن هـذه الاغطية الشفافة المصنعة محليا لا تكون صافية ونقية كما هو مطلوب بحيث تعطي الطيار

مجالا جيدا للرؤية . كما ثبت انها في الارتفاعات الشاهقة تخلق مشاكل عديدة للطيار اهمها تكون طبقة ضبابية تؤدي الى انعدام الرؤية . ان هذه الاغطية الشفافة التي تستخدم اغطية لمقصورة الطيار والتي تصنع محليا تستخدم فقط على طائرات « الفوجا ماجستير » المخصصة للتدريب النفاث الابتدائي والمتقدم . وهذه الطائرات لا تحتاج كثيرا للطيران أكثر من ارتفاع ٢٠،٠٠٠ — ٢٥،٠٠٠ قدم . وذلك يحد من مشكلة تكون الضباب على غطاء مقصورة الطيار والواجهة التي امامه .

حصلت اسرائيل في حوالي عام ١٩٦٤ على (٩) طائرات نقل اميركية ضخمة من طراز « بوينغ ستراتوكروزر ٣٧٧ » من ذوات الطابقين من بين الاف الطائرات الخردة المتروكة في صحراء اريزونا وصحراء نيفادا في الولايات المتحدة . وبعد اجراء الاصلاحات الضرورية عليها تم نقلها الى اسرائيل . ادخلت هذه الطائرات حال وصولها الى حظائر الطائرات العائدة للصناعة الجوية الاسرائيلية في مطار اللد ، واجريت عليها عدة تعديلات واصلاحات وتم تحويلها الى طائرات معدة للنقل العسكري ولحمل المظليين . شاركت في حرب حزيران ١٩٦٧ على نقل قوات المظليين بحيث القت بهم خلف خطوط القوات المصرية في ممر متلا وممر الجدي. بعد أن قلت الاهمية الموجهة الى سلاح المظليين بعد حرب حزيران وظهور القوات المحمولة جوا بطائرات الهليكوبتر حولت اسرائيل عددا من هذه الطائرات واعدتها لمهمة تزويد الطائرات المقاتلة بالوقود اثناء تحليقها في الجو ، بدون الحاجة للتزود بالوقود على الارض . والهدف من ذلك اعطاء الطائرات المقاتلة الاسرائيلية فرصة للتحليق في الجو لمدة اطول مما تسمح به مدة طيران الطائرات في الحالات الاعتيادية . ويمكن استخدام الطائرات في مثل هذه الحالات على اساس دوريات استطلاع بعيد المدى او دوريات قتال تحلق في الجو اطول مدة ممكنة . ان طائرات « سكايهوك » و« الفانتوم » هي الطائرات الوحيدة الموجودة في السلاح الجوي الاسرائيلي المزودة بجهاز خاص للتزود بالوقود اثناء التحليق في الجو .

وتضمن هذه الطريقة للطائرات الاسرائيلية مدى أبعد ومدة للطيران أطول من المعتاد وتعطيها القدرة على مهاجمة أهداف استراتيجية بعيدة داخل الاراضي العربية . وهو ما تحتاجه الطائرات الاسرائيلية للقيام بالمهام الملقاة على عاتقها خاصة وان الاهداف الاستراتيجية العربية منتشرة على مساحات شاسعة من الاراضي .

ان تفكير القائمين على هذه الصناعة في اسرائيل لا ينحصر بالنواحي العسكرية وما تحتاجه الترسانة الحربية من طائرات وقطع تبديل وخدمات مختلفة فحسب بل بدأ ينصب ايضا على الجوانب التجارية التي تستطيع ان تؤمن لهذه الصناعة ارباحا لا بأس بها تستطيع التقليل الى حد ما من النفقات المالية الباهظة التي تتحملها هذه الصناعة . لقد اتجهت هذه الصناعة في اوائل الستينات الى انتاج طائرات النقل التجاري . ووضعت في برنامجها امكانية بيع عدد منها الى دول أجنبية . وهي خطوة بامكانها ان تساعد على تحمل عبء النفقات الهائلة التي تصرف في مجالات الابحاث وانتاج المعدات والاجهزة الجوية المختلفة لتلبية احتياجات المؤسسة العسكرية الاسرائيلية وبرامجها الواسعة. وعلى ضوء اتصالاتها مع الدول المتقدمة صناعيا تمكنت الصناعة الجوية الاسرائيلية من عقد اتفاق مع شركة « ايرو كوماندر » الاميركية تمكنت بموجبه من شراء امتياز تجميع وانتاج هذه الطائرة محليا في مصانعها . وكنتيجة لهذا الاتفاق نقلت الاجزاء الرئيسية للمصنع وهياكل الطائرات التي كانت الشركة قد انتهت من صنعها الى اسرائيل . وباشرت الصناعة الجوية الاسرائيلية الانتاج في الحال . وحلق في الجو في عام ١٩٧٠ النموذج الاول من هذا الطراز ، واستمر الانتاج بعد ذلك بمعدل طائرتين في الشهر . واعلنت الصناعة الجوية الاسرائيلية في ايلول ١٩٧٣ انها ستضاعف انتاجها من طائرات « الكومودور » اعتبارا من نهاية الشهر ليصل انتاجها الى ٤ طائرات في الشهر(٢٣).

لقد درست الصناعة الجوية الاسرائيلية مسألة انتاج الطائرات التجارية الصغيرة بعناية فائقة ، وشملت دراستها الاسواق الاميركية بشكل خاص ، فهي كصناعة ناشئة صغيرة محدودة الامكانات لا تستطيع التفكير بالمشاريع الضخمة ــ أي انتاج الطائرات الكبيرة ذات المدى البعيد . فهناك دول كثيرة تتنافس في هذا المضمار اقوى منها ماليا واكثر خبرة في مجال الصناعات الجوية فضلا عن أن لكل منها سوقها الخاص بها . لذا كان على اسرائيل ان تفكر بطريقة اخرى مختلفة تماما ، فطالما ان معظم الدول المنتجة للطائرات تتنافس في مضمار انتاج الطائرات الكبيرة فلماذا لا يكون اتجاهها نحو انتاج طائرات النقل الصغيرة محدودة المدى . ورات اسرائيل ان تصنيع مثل هذه الطائرات يناسبها ويتمشى مع امكاناتها المحدودة فضلا عن ان الاقبال في العالم أصبح شديدا على مثل هذه الطائرات وخاصة في أسواق الولايات المتحدة . لهذا وقع اختيارها على طائرة « جت كوماندر »* هذه الطائرة التي تتسع لـ (١٠) ركاب والمخصصة لنقل مديري المؤسسات والشركات ورجال الاعمال الهامين(٢٤). باشرت اسرائيل انتاجها لهذه الطائرة وتعاقدت على بيع اعداد منها في الولايات المتحدة واوروبا . وأوكلت مسؤولية بيع اول ٩٦ طائرة منها في اوروبا والولايات المتحدة الى شركة (كومودور لبيع الطائرات النفاثة) الاميركية واسندت مسؤوليات صيانتها لشركة « كومودور المساهمة للطيران »(٢٥) أطلقت اسرائيل عليها اسم (كومودور جت ١١٢٣ ــ وست وند) بعد أن ادخلت تعديلات على النموذج الاصلي رقم (١١/٢١) الذي توصلت الشركة الاميركية الى انتاجه قبل بيع المشروع**.

كانت الصناعة الجوية الاسرائيلية ماضية في صنع طائرة (عرفة ١٠١) في نفس الوقت الذي كانت تتفاوض فيه لشراء امتياز طائرة (الكوماندر) المذكورة اعلاه . وتعتبر طائرة (عرفة) اول طائرة يتم صنعها وتطويرها وانتاجها في اسرائيل . تتسع هذه الطائرة لعشرين راكبا (٢٠) . وهي مزودة بمحركين طوربينيين . نوع (برات اندوتني ب ت ٦ ت ــ ٣٤) قوة كل منها (٧٨٣) حصانا . تستخدم اسرائيل هذا النوع في النقل الداخلي وتعمل على الخطوط الداخلية لشركة (أركيا) وهي الوحيدة المختصة في النقل الداخلي في اسرائيل . وقد أوصى السلاح الجوي الاسرائيلي على انتاج نموذج معدل من هذه الطائرة وفعلا انتجت الشركة النموذج العسكري الذي عرف (بعرفة ٢٠١) وهذا النموذج اطول من النوع الاول ولقد ادخلت عليه تحسينات وتعديلات كثيرة بحيث امكن تسليحه بالرشاشات والقنابل وتم تسليح هذا النوع الجديد برشاشين عيار (٥٠٠ انش) جرى تثبيت رشاش على كل جانب ورشاش ثالث من العيار نفسه جرى تثبيته في مؤخرة الطائرة . كما جرى تثبيت حاملتين للقنابل زنة الواحدة ٦٠٠ رطل (٢٧٢ كغ) او حاضنتين تحمل كل واحدة ستة صواريخ عيار (٨٢) ملم . انها ستستخدم كطائرة دورية لحراسة الشواطىء ومقاومة السفن الحربية والغواصات

---

* طائرة « جت كوماندر » هي نفسها طائرة « كومودور جت ١١٢٣ وست أند » . ان تسميتها عندما كانت تنتج في اميركا قبل بيع امتياز تجميعها لاسرائيل كان « جت كوماندر » لكن الصناعة الجوية الاسرائيلية غيرت الاسم وأطلقت عليها اسم « كومودور جت وست وند » واعطتها رقم ١١٢٣ بعد ان باشرت في انتاجها محليا .

** علم مؤخرا ان الصناعة الجوية الاسرائيلية وقعت عقدا مع شركة (اتلنتيك افييشن) الاميركية لتسويق هذه الطائرة ان مدة العقد هو أربع سنوات يعطي الشركة الحق بتسويقها في كندا والولايات المتحدة . يبلغ سعر الطائرة الواحدة مليون دولار(٢٦).

ولمراقبة النشاطات البحرية في البحر(٢٧). ان اسرائيل قررت استخدامها لتدعيم الطائرات البرمائية نوع (كاتلينا) الاميركية القديمة التي تعمل مع البحرية الاسرائيلية لمراقبة الشواطىء ومقاومة السفن والغواصات . ان طائرة (عرفة ـــ ٢٠١) تتسع لـــ (٢٣) جنديا بكامل تجهيزاتهم القتالية **او** لـــ (١٦) مظليا مع مراقبين **او** لـــ (٨) نقالات للجرحى مع امكانية لجلوس ثلاثة جنود جرحى(٢٨). ان معدل انتاج هذه الطائرة وصل الى طائرتين في الشهر الا انه أعلن في شهر ايلول ١٩٧٣ الماضي ان معدل الانتاج سيتضاعف ليصل الى (٤) طائرات في الشهر الواحد مع الافضلية للطراز العسكري . لقد تعاقدت هذه الصناعة الجوية مع شركات في اميركا ومع حكومات في دول اميركا اللاتينية ودول اميركا الوسطى لبيعها عددا من هذه الطائرات ، كان اخرها الاعلان الذي أصدره السلاح الجوي المكسيكي بأنه قرر شراء (٥) طائرات من نوع (عرفة) بقيمة ٥٠٠ الف دولار للطائرة الواحدة(٢٩). وفي الوقت نفسه ، أعلنت مجلة (أفييشن ويك) الاميركية المختصة بحقل الطيران ان الحكومة الاسرائيلية تجري مفاوضات مع الحكومة المكسيكية لبناء مركز مشترك لصيانة الطائرات في خليج يوكاتان في المكسيك(٣٠).

وبدأت هذه الصناعة الجوية منذ مدة طويلة بجمع وتطوير وانتاج طائرة مقاتلة نفاثة أسرع من الصوت لحسابها الخاص لاستخدامها في السلاح الجوي الاسرائيلي . اطلقت عليها اسم « سوبر ميراج » . وفيما بعد ذكرت مصادر موثوقة ان اسرائيل اطلقت عليها اسم (باراك) . ان اسرائيل في صنعها لهذه الطائرة استعانت بالمعلومات والخبرة التقنية التي حصلت عليها من شركة « داسو » الفرنسية عندما كانت العلاقات مع فرنسا طبيعية ومتينة . وما حصلت عليه من معلومات فنية عن طائرة « الميراج » عن طريق الخبير اليهودي الاصل ، السويسري الجنسية الموظف في مصانع تجميع طائرات الميراج السويسرية الذي قدم مخططات تصاميم صنع « الميراج » الكاملة ، اثر تلقيه رشوة ضخمة من الملحق العسكري الاسرائيلي في بيرن بلغت (٢٠٠) الف دولار نتج عن ذلك طرد الملحق العسكري وحدوث أزمة في العلاقات السويسرية الاسرائيلية*.

استمرت الصناعة الجوية في جهودها لتصنيع وانتاج طائرة (الباراك) بسرية تامة ولا يعرف المستوى الذي قطعته في هذا المجال . ولم يصدر عن الجانب الاسرائيلي ما يثبت توصل الصناعة الجوية الى انتاج طائرة نفاثة مقاتلة أسرع من الصوت . ولم يصدر عن السلاح الجوي الاسرائيلي ما يشير الى ذلك . لقد ذكرت عدة مصادر أجنبية ان اسرائيل توصلت الى انتاج طائرة « السوبر ميراج » او « الباراك » كما اسمتها هذه المصادر** قبل الكثير عن هذه الطائرة الا انه لا يوجد دليل مادي واحد يشير الى

---

* كانت الحكومة السويسرية قد وقعت اتفاقا في أوائل الستينات مع شركة « داسو » الفرنسية يحصل بموجبه السلاح الجوي السويسري على (٢٤) طائرة من نوع « ميراج ٣ س » من صنع فرنسي . وكاجراء لاحق يقضي الاتفاق على ان تقيم سويسرا في أراضيها مصنعا لتجميع وانتاج (٣٦) طائرة من نفس الطراز وقطع الغيار لها . يسمح الاتفاق استخدام هذه الطائرات من قبل السلاح الجوي السويسري فقط ولا يحق للحكومة السويسرية بيعها لدولة اخرى(٣١).

** ذكرت مصادر اميركية ناطقة بلسان القوات المسلحة الاميركية انه جرى تزويد سلاح الجو الاسرائيلي بـ (٢٤) طائرة من نوع « باراك » من انتاج الصناعة الجوية في اسرائيل . وتضيف هذه المصادر قائلة ان هذه الصناعة تنتج طائرتين كل شهر منذ مطلع عام ١٩٧١ . وتضيف هذه المصادر قائلة ، ان هذه الطائرة قادرة على حمل (٦) اطنان من المواد المتفجرة . وتبلغ سرعتها (٢ر٥) ماك والطائرة مزيج من طراز (فانتوم ـــ وميراج) مزودة بمحرك من انتاج (جنرال الكتريك) وسيكون بمقدور الصناعة الجوية الاسرائيلية من انتاج محركات لطائرات الفانتوم في غضون ٢ ـــ ٤ سنوات(٣٢).

نجاح الصناعة الجوية الاسرائيلية في انتاج هذا الطراز . تشترك اسرائيل كل عام في معرض باريس الجوي ومعرض « فارنبره » الجوي في بريطانيا وتعرض فيها جميع منتجاتها الجوية . لقد عرضت في معرض باريس الجوي الذي تم في صيف عام ١٩٧٣ المعروضات التالية (١) طائرة (عرفة) ، (٢) طائرة (كوماندر جت ــ ويست وند ١١٢٣) ، (٣) اجهزة رادار « التا » ، (٤) صاروخ « جابرييل » ، (٥) مدافع متحركة عيار (٢٠ ملم) ، (٥) طائرة فوجا ماجستير . وغير ذلك من المعدات والتجهيزات الجوية التي تنتجها محليا . لكنها لم تعرض طائرة « باراك » ولا الصاروخ « شفرير ». لقد جندت كافة طاقاتها وامكاناتها وارسلت العديد من رجالاتها البارزين ــ من عسكريين ومدنيين ــ الى فرنسا والدول الاوروبية الغربية في محاولة منها للتأثير على فرنسا واقناعها بتسليم الى ٥٠ طائرة « ميراج ٥ » التي تعاقدت على شرائها ودفعت ثمنها (٥٠) مليون دولار قبل صدور قرار الحظر الفرنسي الشهير ولكنها لم تتسلمها وعندما فشلت بالحصول على « الميراج » من فرنسا حاولت طرق ابواب الدول التي تستخدمها في اسلحتها الجوية مثل بلجيكا واستراليا ودولة جنوب افريقيا وسويسرا علها تستطيع مساعدتها وعندما فشلت جهودها هذه كلها اتجهت شطر السوق السوداء علها تستطيع الحصول على ما تريده عن طريقها . لقد ذكرت مصادر اسرائيلية ان الصناعة الجوية في اسرائيل استطاعت تهريب اجزاء لطائرة (الميراج ٥) من فرنسا وانها استطاعت تجميع (١٨) طائرة منها الحقت بالسلاح الجوي وهي تعمل حاليا في الأسراب العاملة* (٢٣)ولغاية الان لم يأت دليل واحد يشير الى نجاح اسرائيل بانتاج طائرة « باراك » أو غيرها من الطائرات المقاتلة النفاثة الاسرع من الصوت . تظل هذه الاخبار او المعلومات مجرد تكهنات واقاويل لا تستند الى اي دليل مادي . على اي حال من الصعب القول فيما اذا كانت اسرائيل ستنجح في جهودها هذه أم لا . ولن يؤيد هذه المصادر في ادعاءاتها الا تحليق النموذج الاول منها في الجو .

لقد تردد الحديث والكلام عن القنبلة التي استخدمتها الطائرات الاسرائيلية ضد مدارج المطارات المصرية في حرب حزيران ١٩٦٧ . واطلقت اسرائيل عليها اسم « قنبلة تدمير المدارج » وادعت انها من تصميمها وصنعها . بيد ان مجلتا « فلايت » البريطانية ومجلة «افياسيون» الفرنسية ذكرتا في أعدادهما التي صدرت في كانون الاول ١٩٦٧ ان القنبلة صممت وطورت في مصانع شركة « ماترا » الفرنسية(٢٤) وذكرت مصادر فرنسية اخرى ان شركة « ماترا » هي التي طورت القنبلة التي يبلغ وزنها ٢٠٠ كيلوغرام وتم تحسين هذه القنبلة وانتاجها بعد ذلك في اسرائيل(٢٥) واعتبرت الشركة الفرنسية انتاجها لجهاز التوقيف الذي يوقف اندفاع القنبلة نحو الارض بعد رميها من الطائرة بمثابة انتصار كبير حققته التكنولوجيا الفرنسية . وفي كانون الاول ١٩٦٧ أبرزت شركة « ماترا » رسوما وصورا للقنبلة أوضحت خلالها كيفية عمل القنبلة منذ قذفها من الطائرة وحتى اتمام التفجير على عمق متر ونصف من سطح المدرج(٢٦) واضافت المصادر نفسها ان البريطانيين والاميركيين والسويديين لم يتوصلوا بعد الى انتاج هذه القنبلة الفعالة ضد مدارج المطارات .

ويزن جهاز التوقيف حوالي (٢٣) كغ ، ويركب على القنبلة ويشتمل على مظلة بالاضافة الى الاجهزة الاخرى التي تقوم بعملية التشغيل مع عدد من الصواريخ التي

---

* خلال حرب تشرين الاول ١٩٧٣ ذكرت مصادر عسكرية مصرية من ظهور طائرات نوع (ميراج) تختلف عن تلك التي يستخدمها السلاح الجوي الاسرائيلي وذكرت هذه المصادر انها تابعة لدولة جنوب افريقيا . لا يوجد ادلة عن هويتها الاصلية ، ولكن ربما تكون من طائرات (الميراج ٥) التي أفادت المصادر ان اسرائيل انتهت من تجميعها .

تعمل عمل الفرامل (الشكائم) الهوائية بعد رمي القنبلة من الطائرة واخرى تعمل على دفع القنبلة باتجاه المدرج لتخترق طبقة الاسفلت وتستقر على عمق متر ونصف وبعد ذلك تنفجر لتحدث التخريب المطلوب(٢٧).

ولم تكذب اسرائيل شركة « ماترا » ولم تعترف بأنها استخدمت قنابل من صنع اسرائيلي فرنسي مشترك . وبالمقابل لم تعلن الشركة المذكورة انها هي التي زودت السلاح الجوي الاسرائيلي بها في حرب حزيران ١٩٦٧ . ان القنبلة لم تستخدم في حرب تشرين الاخيرة مما يدل على ان الصناعة الجوية الاسرائيلية لم تتوصل الى صنع الاجهزة الدقيقة في القنبلة وعلى الاخص جهاز التوقيف وانها ليست بحوزتها الان . وان صح هذا يثبت اقوال شركة « ماترا » ويؤيدها . ويثبت ان اسرائيل كانت قد حصلت على القنبلة من مصادر فرنسية في عام ١٩٦٧ .

لقد توسعت نشاطات واعمال الصناعة الجوية الاسرائيلية ، وطرقت ابواب مختلف الدول المتقدمة صناعية سعيا وراء المعرفة والخبرة واستثمار الاموال . انها تحاول ان تمد اصابعها في كل اتجاه وركن في العالم . فهي تفاوض حكومة المكسيك لاقامة مركز مشترك لصيانة الطائرات في الاراضي المكسيكية(٢٨). وتحاول اسرائيل الافادة من دول اميركا اللاتينية التي لا زالت متخلفة في مجال الصناعة الجوية ، وتعتمد على الولايات المتحدة في مجال الطيران والصناعة الجوية . ان هذه الدول تستعمل طائرات النقل الصغيرة على نطاق واسع في حقل النقل الداخلي نظرا لعدم توفر المطارات الكبيرة القادرة على استقبال طائرات النقل الكبيرة وذلك بسبب صعوبة الارض (كثرة الجبال والوديان والانهر والغابات) من جهة وقلة الاموال والامكانات والخبرة من جهة ثانية . وتلجأ اسرائيل الى الاساليب التالية : اولا ترويج طائراتها (عرفة) و(ويست وند) في أسواق اميركا اللاتينية . ثانيا : السيطرة فنيا وعلميا في مجال الصناعة الجوية في اميركا الوسطى واللاتينية . ثالثا : الاستفادة ماليا وهو الهدف الاساسي لكل جهودها . رابعا : الاستفادة دعاويا بحيث يصبح اسم اسرائيل على كل لسان كما فعلت في افريقيا . طرقت هذه الصناعة مجالا آخر هذه المرة في اوروبا وفي بلجيكا . لقد سعت الصناعة الجوية الاسرائيلية منذ مدة طويلة لدى الحكومة البلجيكية بأن تسمح لها اقامة مصنع للطائرات والصواريخ والآلات الالكترونية على ان يتم تشغيله بالتعاون فيما بينهما . ووافقت الحكومة البلجيكية في البداية على الفكرة ووقعت اتفاقا مع الصناعة الجوية الاسرائيلية يقضي باستثمار ١٦ مليون دولار في هذا المشروع ، على أن تقدم اسرائيل الخبرة الفنية والتكنولوجية بينما تسمح الحكومة البلجيكية ببناء المصنع على اراضيها وتقدم التسهيلات المطلوبة . وكان من المفروض ان يسهم هذا المصنع في بناء طائرات (عرفة) وانتاج صواريخ « جبرييل » الموجهة وباعمال فحص الطائرات وصيانتها وانتاج المعدات الدقيقة الالكترونية . واشارت التقديرات الاولية الى ان المصنع ــ الذي كان من المتوقع ان يقام بالقرب من مدينة (ليج) البلجيكية ــ سيوفر العمل لنحو (١٠٫٠٠٠) عشرة آلاف عامل(٢٩) لكن الحكومة البلجيكية قررت مؤخرا وعلى ضوء نتائج حرب تشرين الاول ١٩٧٣ الغاء الاتفاق نهائيا وذلك في محاولة لتحسين علاقاتها مع الدول العربية .

ان الصناعة الجوية ماضية في برامجها وابحاثها . فهي بالاضافة الى كل هذه النشاطات تسعى الان الى تطوير محرك صاروخي يعمل بالوقود السائل والوقود الصلب في آن واحد . وسيستخدم في مضمار الصواريخ الموجهة . وان العلماء الاسرائيليين يطورون الان صاروخا موجها من الارض للارض يبلغ مداه (٣٠٠) ميل(٤٠). كما يقوم قسم الخدمات الجوية التابع للصناعة الجوية بالاعمال التالية : (١) اجراء التعديلات على الطائرات حسب الطلب (٢) اجراء عمرة شاملة على الطائرات

والمحركات الغربية الصنع . ان هذا المركز يعتبر واحدا من أكبر المراكز المرخص لها في العالم للقيام بأعمال الصيانة والاصلاحات الرئيسية للطائرات المدنية والعسكرية(٤١) .

ان قيمة انتاج الصناعات الحربية في اسرائيل في هذه السنة بلغت مليارا و ٨٠٠ مليون ليرة اسرائيلية بزيادة اضعاف ما كانت عليه في سنة ١٩٦٧ . كما وصلت صادرات اسرائيل من هذه الصناعات ٩٠ مليون دولار مقابل (١٠) ملايين دولار في سنة١٩٦٧(٤٢) .

وتحاول اسرائيل في مضمار الصناعة الجوية اتباع نفس النهج الذي سارت عليه السويد والوصول الى مستواها في حقل انتاج الطائرات الحربية وقطع التبديل والصواريخ الموجهة . ان الغالبية العظمى من العاملين في الصناعة الجوية الاسرائيلية هم من اليهود ومن مواليد اسرائيل واكثرهم تم تدريبهم في مركز هذه الصناعة او في السلاح الجوي الاسرائيلي .

ان حرب تشرين سيكون لها أثر كبير على هذه الصناعة . ومما لا شك فيه ان ابقاء الحدود ساخنة سيحرم هذه الصناعة الكثير من الاموال التي كان من المفروض ان ترصد لها لتوجهها الدولة للقوات المسلحة ولمواجهة مضاعفات الحرب والمعطيات الجديدة التي طرأت على الوضع العسكري بعد حرب تشرين . فهي ستكون بحاجة الى مزيد من الاسلحة المتطورة والحديثة باهظة الثمن لقواتها المسلحة البرية والجوية والبحرية لترفع من مستواها القتالي لمجاراة الاسلحة الحديثة التي استخدمها العرب في الحرب الاخيرة. وتقف هذه الصناعة الان أمام منعطف خطير . وسيكون أمامها اتخاذ القرار التاريخي الخطير ، فاما ان تزيد من التوسع والانتاج وهذا سيعني صرف الاموال على تطوير اسلحة بامكانها الحصول على احسن واحدث منها من الولايات المتحدة واما ان تتجه نحو تجميد نشاطاتها وابحاثها ولو لفترة بانتظار ما سيأتي . ستحتاج المعارك المقبلة الى أسلحة متطورة وحديثة ومضمونة وبصورة مستعجلة ، لذا فلن يكون أمام اسرائيل الا الحصول عليها ، لكن ذلك لن يكون من انتاجها .

ومهما حاولت الصناعة الجوية الاسرائيلية من زيادة الانتاج وتوسيع العلاقة بالدول الاخرى فلن تستطيع مجاراة الدول العملاقة الصناعية في مجال تصنيع وانتاج الطائرات . وعندما توقف اميركا مدها بالمساعدات والهبات والقروض عندها لن يستطيع احد ان يتكهن ماذا سيكون عليه مصير هذه الصناعة وصناعات اسرائيلية اخرى .

الحواشي :

١ ــ **مقلاع داود** (النسخة العبرية) ، شمعون بيريز ، دار فيدنفيرد ونيكلسون للنشر ــ القدس سنة ١٩٧٠ ، ص ١٩ .
٢ ــ المصدر نفسه ، ص ٨٧ .
٣ ــ المصدر نفسه ، ص ١٩ .
٤ ــ المصدر نفسه ، ص ٦٦ .
٥ ــ المصدر نفسه ، ص ٨٨ .
٦ ــ المصدر نفسه ، ص ٩١ .
٧ ــ المصدر نفسه ، ص ٨٧ .
٨ ــ المصدر نفسه ، ص ١٠٠ .
٩ ــ المصدر نفسه ، ص ١٠٠ .
١٠ ــ المصدر نفسه ، ص ١٠٢ .
١١ ــ المصدر نفسه ، ص ١٠٣ .
١٢ ــ المصدر نفسه ، ص ١٠٣ .
١٣ ــ المصدر نفسه ، ص ١٠٣ .
١٤ ــ **نشرة معهد الدراسات الاستراتيجي** لعام ١٩٦٩ .
١٥ ــ **موسوعة جينز للطائرات** لعام ١٩٦٨ ــ ١٩٦٩ ، ص ٩٨ .
١٦ ــ جريدة **معاريف** الاسرائيلية ، تاريخ ٧/٢٧/ ١٩٧٠ .
١٧ ــ مجلة **افيشن ويك** ، تاريخ ١٩٧٣/٣/١٩ ، ص ١٣٨ .
١٨ ــ المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .

١٩ ــ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** ، مركز الابحاث الفلسطيني ، (ر. أ. أ.) ، عدد ٢٢٥ ، تاريخ ١٩٧٣/٥/١٧ .

٢٠ ــ (ر. أ. أ.) ، عدد ٢٣١ ، تاريخ ٢٤/ ١٩٧٣/٥ .

٢١ ــ (ر. أ. أ.) ، الاعداد ١٩٤ ــ ١٩٥ ــ ١٩٦ ، تاريخ ٢٦ ، ٢٧ ، ١٩٧٣/٣/٢٨ .

٢٢ ــ المصدر نفسه .

٢٣ ــ (ر. أ. أ.) ، عدد ٣٦ ، تاريخ ٩/١١/ ١٩٧٢ .

٢٤ ــ **موسوعة جينز للطائرات** لسنة ٧٢ــ١٩٧٣، ص ١١٣ .

٢٥ ــ (ر. أ. أ.) ، عدد ٣٦ ، تاريخ ٩/١١/ ١٩٧٢ .

٢٦ ــ (ر. أ. أ.) ، عدد ٣٦ ، تاريخ ٩/١١/ ١٩٧٢ .

٢٧ ــ **كتاب تمييز الطائرات** ، وليام غرين ، لسنة ١٩٧٣ ، ص ١٢٤ .

٢٨ ــ المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .

٢٩ ــ (ر. أ. أ.) ، ملحق عدد ٢١٨ ، تاريخ ١٩٧٣/٤/٢٥ .

٣٠ ــ مجلة **افييشن ويك** ، تاريخ ١٩٧٣/٣/١٩ ، ص ١٨٣ .

٣١ ــ **موسوعة جينز للطائرات** لسنة ٧٢ــ١٩٧٣، ص ٥٠ .

٣٢ ــ (ر. أ. أ.) ، عدد ١١٥ ، تاريخ ١٢/١٥/ ١٩٧٣ .

٣٣ ــ (ر. أ. أ.) ، ملحق عدد ١٨٥ ، تاريخ ١٩٧٣/٣/١٤ .

٣٤ ــ **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** ، زئيف شيف وآخرون ، مترجم عن العبرية ، دار العودة ، بيروت ، تاريخ ١٩٧٢ ، ص ١٣٨ .

٣٥ ــ المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .

٣٦ ــ المصدر نفسه ، ص ١٤٠ .

٣٧ ــ المصدر نفسه ، ص ١٤٠ .

٣٨ ــ مجلة **افييشن ويك** ، تاريخ ١٩٧٣/٣/١٩ ، ص ١٨٣ .

٣٩ ــ (ر. أ. أ.) ، عدد ١٦٦ ، تاريخ ٢٠/ ١٩٧٣/١٠ .

٤٠ ــ (ر. أ. أ.) ، عدد ١٨٥ ، تاريخ ٣/١٤/ ١٩٧٣ .

٤١ ــ مجلة **افييشن ويك** ، تاريخ ١٩٧٣/٣/١٩ ، ص ١٣٨ .

٤٢ ــ (ر. أ. أ.) ، عدد ٢٩ ، تاريخ ٩/١/ ١٩٧٢ .

صدر حديثا عن مركز الابحاث

اليوميات الفلسطينية

المجلد الخامس عشر

من ١/١/١٩٧٢ الى ٣٠/٦/١٩٧٢

والمجلد عبارة عن وصف موجز ودقيق لما يحصل في العالم مما له علاقة مباشرة بقضيـــة فلسطين ، او ما يقال او يكتب عنها ،يوما بعد يوم ، مهما كان نوع الفعل وأيا كان مصدره. وهو ملحق بفهرسين مفصلين (واحد للاعلام وآخر للموضوعات) وبجدول بعمليات المقاومة الفلسطينية .

سعر النسخة ٢٠ ل.ل. تضاف اليها أجور البريد الجوي :
٢ ل.ل. في العالم العربي ، ٤ ل.ل. في اوروبة ، ٨ ل.ل. في سائر الدول .

اطلبه من مركز الابحاث : قسم التوزيع
ص. ب ١٦٩١ ــ بـــيروت

معتقل الجفر الصحراوي :
صورة حية للصمود واصرار على متابعة النضال

غازي الخليلي

لا يجافي أي مؤرخ الحقيقة ، اذا اختصر تاريخ الاردن المعاصر بالحديث عن السجون والمعتقلات بشكل خاص وعن القمع والارهـــاب الذي مارسته ، ولا زالت تمارسه ، السلطة الحاكمة في الاردن بشكل عام . فتاريخ هذه السلطة ، هو القمع والاضطهاد للحركة الوطنية ولكل الجماهير . وقل أن تجد انسانا عاش في الاردن لم يعان من عنف هذه السلطة واضطهادها . والحديث عن القمع ومعتقلات الارهاب في الاردن ، حديث يطول ، لانه يشمل حقبة تاريخية تمتد لما يزيد عن ربع قرن ، ولذلك سأحاول التركيز في حديثي هنا ، بالحديث عن معتقل الجفر الصحراوي ، خلال السنوات الثلاث الماضية التي أعقبت مجازر أيلول ، حيث كنت أحد نزلائه ، مستندا في كل ما أنقله على تجربتي الخاصة ، وعلى ملاحظاتي ومشاهداتي الشخصية بشكل رئيسي ، لانقل صورة حية عن مناضلي شعبنا في هذا المعتقل ، الذي بات يشكل جزءا من تاريخهم ، وجانبا أساسيا من حياتهم النضالية .

وحتى تتحدد الصورة في ذهن أي قارىء ، عن هذا المعتقل ، والدور الذي يلعبه في مخطط السلطة القمعي ، لا بد من الحديث في البداية وبشكل عام عن وضع السجون في الاردن .

اذا استثنينا السنوات الثلاث المجيدة (٦٧ ــ ٧٠) التي عاشتها جماهيرنا في الاردن بنهوض المقاومة الفلسطينية المسلحة ، هذه السنوات التي تحررت فيها جماهير شعبنا من قبضة أجهزة القمع ، وبنت خلالها سلطتها الشعبية متخطية سلطة هذه الاجهزة ، وكذلك اذا استثنينا فترات النهوض الجماهيري التي عاشتها الحـــركة الوطنية خلال الربع قرن الاخير ، فانه يمكن القول ، ان جماهير شعبنا ، خارج هذا الزمن المحدد كانت تعيش في سجن كبير ، كانت تعيش حالة اضطهاد وقمع يومي مستمرين، حركتها مراقبة، خطواتها ملاحقة ، أي تحرك ولو بسيط تشعر منه السلطة أنه مضاد لها ، يقمع ، وبكل قوة ، قيود من كل نوع ولون تمارس ، قيود على العمل ، قيود على السفر ، قيود على المعاملات الرسمية ، قيود على التنقل الداخلي ... الخ . العنف يمتد ليشمل المدرسة والمعمل والشارع ، وحتى البيت .. وبالتالي فانه لم يكن يشكل فارقا كبيرا الانتقال من هذا السجن الكبير الى السجن الصغير ذي الجدران الاربعة والضيقة ، استمرار للعنف وللاضطهاد ، وان اتخذ طابعا فرديا ، وبشكل يختلف ــ نسبيا ــ . وقد عبر عن هذا الشعور الكثيرون من ذوي المعتقلين اثناء زيارتهم لهم بقولهم : « ما نواجهه في الخارج لا يختلف كثيرا عما تواجهونه هنا ، بل انتم « المعتقلين » في بعض الحالات ، تعيشون بشكل أفضل منا ، فنحن « الزوار » نشعر بخوف مستمر ، وباللااطمئنان المستمر .. ملاحقات يومية ، ومداهمات ليلية ، واضطهاد وامتهان للكرامة كل يوم » ولقد كانوا صادقين في احساسهم ، وفي كلامهم .

السجون والمعتقلات في الاردن

في الاردن ثلاثة سجون ومعتقلات رئيسية كبيرة هي : السجن المركزي، سجن الزرقاء العسكري ، معتقل الجفر الصحراوي . بالاضافة الى زنازين الاعتقال التابعة للمخابرات العامة والاستخبارات العسكرية ، والسجون الفرعية الموجودة في كـل مدينة وهي « سجون » العقبة ، معان ، الطفيله ، الكرك ، الزرقاء ، السلط ، جرش ، عجلون ، اربد . هذا بالاضافة الى انه في حالات الاعتقالات الواسعة ، فان كل مخفر شرطة ، ومكتب أمن وقائي او مخابرات ، وكل ثكنة ومركز كتيبة عسكرية ، يتحول الى مركز للاعتقال والتعذيب .

السجن المركزي : يقع شرقي عمان ، على طريق عمان ــ الزرقاء ، وهو بالاساس سجن مدني ، أي للقضايا المدنية ، الا انه يستخدم للمعتقلين السياسيين ايضا . قبل ان يتحول الى سجن كان عبارة عن اسطبل للخيل . يتسع في الاحوال العادية لحوالي (٨٠٠) سجين الا انه في الفترة التي أعقبت معارك أيلول كان يتواجد به حوالي ١٥٠٠ سجين ومعتقل في أغلب الاحيان . ملحق به في الطابق العلوي ، سجن صغير للنساء .

يتألف السجن المركزي من الاقسام التالية : أ ــ الادخال ، عبارة عن ثلاث غرف في مقدمة السجن ، مفصولة عن ساحة السجن الرئيسية ، يستخدم لعزل بعض المساجين، وللقادمين الجدد . ب ــ شبك تحتاني ، به (١٧) غرفة ، وملحق به ساحة « للفورة » . ج ــ شبك فوقاني ، به (١٥) غرفة وشبك للزنازن ، ملحق به ساحة « للفورة » . د ــ شبك العسكريين : ثلاث غرف ، للعسكريين المحكومين . هـ ــ شبك الموقوفين : (٦) غرف ، للموقوفين اداريا ، والذين لم تصدر بحقهم أحكام . و ــ المعتقل (١٠ غرف) للمعتقلين السياسيين ، ويمكن فصله عن ساحة السجن الرئيسيـــة . ز ــ الزنازن الافرادية ، ١٢ زنزانة افرادية . ح ــ شبك الخلايا ، وهو عبارة عن مجموعة من الغرف الصغيرة على شكل زنازن ، الا أنها جيدة التهوية ونظيفة ، وهي مخصصة للمسجونين ذوي المكانة الخاصة . ط ــ القبو : عبارة عن غرفة مستطيلة بطول ١٠ أمتار ، تحت الارض وبدون تهوية يستخدم للذين تعاقبهم ادارة السجن ، مثبت في ارضيته مجموعة من الحلقات ، يربط اليها السجين المعاقب ، حتى لا يتحرك ، ويحرم السجين المعاقب من الغطاء ، وترمى بين قدميه أوساخ ذات رائحة كريهة ، في كثير من الحالات . كان أسلوب العقاب هذا يستخدم بكثرة ضد المعتقلين الذين تشعر بخطورتهم ادارة السجن ، في محاولة منها لاهانتهم وقهر ارادتهم .

سجن الزرقاء العسكري : يقع في مدينة الزرقاء، داخل ثكنة عسكرية. وهو بالأساس للعسكريين ، الا انه يستخدم للمعتقلين السياسيين مدنيين وعسكريين . تشرف عليه قيادة الجيش . ويخضع لنظام عسكري صارم جدا . يتكون من مجموعة من البركسات، ومجموعتين من الزنازن الافرادية ، كل مجموعة حوالي ٣٠ زنزانة ، يتسع لحوالي ٦٠٠ معتقل ، الا أنه كان يتواجد به ما يزيد عن ١٠٠٠ معتقل في أغلب الاحيان .

معتقل الجفر الصحراوي : وهو من المعتقلات الاساسية ، والمخصصة للمعتقلين السياسيين . يقع في وسط الصحراء ، جنوب شرقي معان ، ويبعد عنها حوالي ٦٠ كم ، يتصل بمعان بطريق اسفلتي . والجفر بالاساس كان مخفرا أماميا متقدما في طـــرف الصحراء ، وهو من جملة المخافر التي بناها الضابط البريطاني جلوب عـــلى أطراف الصحراء في الاردن ، من أجل السيطرة على طرق التهريب الصحراوية ، ولتكون وسيلة اتصال مع البدو ، ولا يزال البناء القديم لهذا المخفر قائما ، وهو بناء حجري مبني على طريقة بناء القلاع في العصور الوسطى، ويستخدم هذا البناء الان مبنى للادارة، ومهاجع للجنود ، وبطرفيه برجان عاليان للمراقبة . يعود استخدام الجفر كمعتقل سياسي الى

مطلع الخمسينات ، حيث كان يعتبر منفى سياسيا ، وكان في البداية عبارة عن بعض الخيام وبركسات الزينكو ، وفي أوائل الستينات بنيت مجموعة البركسات من الباطون الصب ، بحيث أصبح عدد البركسات المستخدمة الان ١٥ بركسا بالاضافة الى مجموعتين من الزنازن كل مجموعة عشر زنازن . هذا بالاضافة الى مجموعة من بركسات الزينكو المتروكة الان، والتي كانت مخصصة للشيوعيين في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات .

يتألف معتقل الجفر من الاقسام التالية : ا ــ بركسات الاعتقال ، الصالح منها ١٥ بركسا ، وهي على نوعين بركسات باطون صب ، او سقف زينكو مع جدران باطون صب . وكل بركس عبارة عن وحدة اعتقال قائمة بذاتها مفصولة عن البركسات الاخرى، ولا يسمح بالاتصال بين بركس وآخر . والبركس يتألف من مساحة من الارض بطول يتراوح بين ٢٥ ــ ٣٠ م ، وبعرض ١٢ ــ ١٥ م ، محاطة بسور بارتفاع ٣ ــ ٤ م ، يعلوه شبك عادي بارتفاع مترين ، أما الاسوار التي تطل على الخارج ، وليس كحاجز بين البركسات ، فهي بارتفاع لا يقل عن ٦ م ، يعلوها شبك كثيف مع قطع من الزجاج مثبتة على طول السور من أعلى ، لمنع التسلق عليه . وفي وسط هذه الساحة يقوم بناء بطول ١٨ م وبعرض ٧ م ، يغلق بباب حديدي وفي كل بركس دورة مياه . ١٢ من هذه البركسات مخصصة للمعتقلين السياسيين . أما البركسات الاخرى (١ ، ٦ ، ١٤) فهي للمحكومين بقضايا مدنية أو تجسس . يتسع كل بركس في الاحوال العادية لحوالي ٥٠ معتقلا ، الا انه مرت فترات كان عدد أي بركس لا يقل عن ١٢٠ معتقلا . ب ــ الزنازن الافرادية ، يوجد مجموعتان للزنازن ، كل مجموعة عبارة عن عشر زنازن ، وكل زنزانة بطول ٢ر٥ م، وعرض ١ر٥ م، تقريبا، تستخدم هذه الزنازن للعزل والحبس الانفرادي، وكوسيلة عقاب ، وفي الاحوال العادية تستخدم كأي بركس آخر . ج ــ بالاضافة الى الزنازن ، يوجد بركس زينكو صغير ، يستخدم للعزل والعقاب ، بالاضافة الى قبو تحت الارض ، يستخدم في حالات العقاب الشديد . د ــ وفي مواجهة المعتقل ، تقع ساحة واسعة ، أطلق عليها المعتقلون اسم « الساحة الحمراء » لانها حمراء فعلا لكثرة الدماء التي نزفت عليها ، وعمليات التعذيب التي كانت تجري على رمالها ــ سنأتي على ذكر ذلك لاحقا ــ .

تاريخ المعتقل هو تاريخ للحركة الوطنية : ان تاريخ الحركة الوطنية في الاردن منذ بداية الخمسينات ، يتواكب مع تاريخ هذا المعتقل الرهيب . ففي مطلع الخمسينات وأمام اشتداد عمليات القمع ، وتطور أجهزة القمع والارهاب الاردنية ، شهد الجفر أول موجات من المعتقلين في الوقت الذي لم يكن يضم سوى بعض الخيام وبعض بركسات الزينكو ، كان في ذلك الوقت عبارة عن منفى يقع في قلب الصحراء ، لا يصله أي انسان الا المعتقلين وقوى الامن المشرفة عليه ، ومع ازدياد عمليات القمع والاعتقالات الكيفية، وبشكل خاص في الفترة التي أعقبت الاطاحة بحكومة سليمان النابلسي في نيسان ١٩٥٧ ، ازداد عدد المعتقلين بشكل كبير ، وكان معظمهم من الشيوعيين والبعثيين والقوميين العرب بالاضافة الى مجموعة من الضباط الوطنيين آنذاك . وفي بداية العام ١٩٦٢ ، انخفض عدد المعتقلين الى حوالي ٣٦٠ معتقلا معظمهم من الشيوعيين ، خصصت لهم البركسات المتهدمة الان ، بالاضافة الى بركس ١ ، ٢ ، ٣ . وقد استمر هؤلاء في المعتقل حتى منتصف عام ١٩٦٥ ، حيث تم الافراج عن كل المعتقلين السياسيين بموجب عفو عام ، باستثناء المعتقلين من الفدائيين ، وكان معظمهم من حركة فتح ، وكانت غالبيتهم في السجن المركزي وفي سجن الزرقاء العسكري .

وفي نيسان ١٩٦٦ ، شهد الاردن موجة اعتقالات واسعة جديدة شملت كل القوى الوطنية ، وقد ازدادت حدة الاعتقالات واتسعت بشكل كبير مع موجة الاضطرابات التي

عمت كل مدن الاردن في اعقاب حوادث السموع في أواخر عام ١٩٦٦ . وقد بلغ عدد المعتقلين في الجفر ألفا ونيفا ، اضافة الى المعتقلين الكثيرين في السجون الاخرى .

واستمر المعتقل يستقبل المعتقلين حتى هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، حيث افرج بعد الهزيمة عن جميع المعتقلين ، وأغلق معتقل الجفر لاول مرة في تاريخه واستمر اغلاقه مدة ثلاث سنوات ، هي السنوات الثلاث المجيدة (٦٧ — ٧٠) لنهوض المقاومة الفلسطينية ولحركة الجماهير الوطنية في الاردن . ومنذ مجازر أيلول ١٩٧٠ ، أعيد فتح المعتقل ، ليعيش مرحلة جديدة من تاريخه، تعتبر أقسى المراحل التي عاشها هذا المعتقل وأصعبها حتى الان ، هذه المرحلة التي لا تزال ممتدة حتى الان ، ولم تنته بعد .

الحراسات داخل المعتقل : ان القوة التي تشرف على حراسة المعتقل ليست كبيرة ذلك ان وجوده وسط الصحراء يعطيه مناعة طبيعية ويجعل محاولة أي هرب منه محاولة محفوفة بالمخاطر . وفي كل تاريخ المعتقل الرهيب لم تجر الا محاولتا هرب ، الاولى حوالي العام ١٩٥٨ ، قام بها ثلاثة من المحكومين مدى الحياة بقضايا التجسس ، الا ان محاولتهم فشلت ، وتم القاء القبض عليهم ، وهم تائهون وسط الصحراء . اما المحاولة الثانية فقد جرت في اوائل العام الماضي ١٩٧٣ وقام بها احد المعتقلين ، الا انه فشل والقي القبض عليه غير بعيد عن المعتقل مسافة ٤ كم . ويقدر مجموع الحراسات بحوالي ١٥٠ نفرا منهم ٤٠ من قوات البادية ، مهمتهم الحراسات الخارجية ، وحوالي سرية (٨٠ — ١٠٠) من قوات الامن العام (وهي من القوات التي تم تحويلها من الجيش الى الامن العام بعد معارك أيلول ١٩٧٠) ومهمة هذه السرية الحراسات الداخلية — الابراج ومداخل البركسات . ثم مجموعة من افراد الشرطة ، مهمتها الاشراف الاداري . بعد أيلول ١٩٧٠ ، كان المعتقل خاضعا لقيادة الجيش مباشرة ، وبه قوة البادية فقط ، وفي منتصف العام ١٩٧١ استعين بمجموعة من الشرطة للمعاونة في الادارة الا انه منذ منتصف ١٩٧٢ ، أصبح تابعا لمديرية السجون العامة ، ويخضع لمديرية الشرطة . وتتوزع الحراسات في أبراج عالية حول المعتقل وبين البركسات ، كل برج يتواجد به جندي ، وفي الاحوال غير العادية يتضاعف الى اثنين . بالاضافة الى ذلك هناك حراسات المداخل الى البركسات ، ثم حراسات متجولة بين البركسات . يتعرض الداخل أو الخارج من المعتقل الى ثلاث عمليات تفتيش : عند المدخل الرئيسي للمعتقل ، وعند المدخل الداخلي الرئيسي الداخلي للمعتقل ، وعند مدخل البركس ، كذلك فانه عند الخروج من البركس والعودة اليه (للزيارة او للعيادة) تجري عملية تفتيش دقيقة خوفا من نقل أي أغراض ممنوعة ، او اية أوراق مكتوبة من بركس لآخر .

سنوات ثلاث رهيبة ، ولكنها مفعمة بالنضال : في الثلث الاخير من أيلول عام ١٩٧٠ ، فتح الجفر أبوابه لاستقبال اول دفعة من المعتقلين ، ليبدأ مرحلة جديدة من تاريخه الطويل . كان معظم القادمين الاوائل من مدينة الزرقاء ، ثم بدأت الموجات تتوالي ، حتى امتلأ الجفر بما يزيد عن ١٠٠٠ معتقل . كانت البركسات مغطاة بالرمال ، لا توجد بطانيات ، المياه مقطوعة .. وبقي المعتقلون لاكثر من يومين بدون غطاء وبدون طعام . وعندما تم توقيع اتفاقية القاهرة — عمان ، بين السلطة الاردنية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، كان من أحد بنودها الافراج عن جميع المعتقلين لدى السلطات الاردنية .. الا أنها لم تفرج عن معتقلي الجفر الا بعد مضي ما يزيد عن ثلاثة اشهر ، ولم تطلق سراحهم جميعهم ، بل أبقت قسما منهم ، ولدى قدوم وفد من لجنة الوساطة العربية الى معتقل الجفر للافراج عن الباقين ، لم تجد أحدا ، لان السلطات كانت قد نقلتهم بعيدا عن المعتقل في قلب الصحراء ، حيث باتوا ليلتهم في العراء ، وقد بقي قسم من هؤلاء ، ولم يفرج عنهم الا في العفو الاخير . لقد كانت رحلة رهيبة ، وأياما عصيبة ،

امتدت من ذلك الوقت ولا تزال مستمرة حتى الان . ولم تكن هذه السنوات الثلاث الماضية (أيلول ١٩٧٠ — ايلول ١٩٧٣) ذات طابع واحد، او على وتيرة واحدة ، اذ عاش المعتقلون خلالها اوضاعا تتفاوت في شدتها من آن لآخر ، ولذا سأحاول ان اميز هذه الفترات ، والتي يمكن تقسيمها الى خمس فترات رئيسية :

الفترة الاولى (من أيلول ١٩٧٠ — آب ١٩٧١) : تعتبر هذه الفترة من أقسى الفترات التي شهدها معتقل الجفر في كل تاريخه الطويل ، لقد كانت فترة قاسية الى درجة كبيرة جدا .. القمع والاضطهاد والتعذيب ، من كل الالوان كانت تمارس بكل سادية ، كانت تمارس يوميا وبشكل دائم ، ناهيك بسياسة التجويع ومحاولات قهر النفس واذلالها . انها ايام لن تزول ذكراها من مخيلة أي معتقل عاشها ، وان أسماء الجلادين (أمثال العتوم ، والشاويش سعود ، وماجد الطفيلي ، وابو فيصل ، وابو عماد وغيرهم) ستظل تذكرها جماهيرنا رمزا للاضطهاد والارهاب .

انني مهما حاولت ، لن استطيع أن أوفي هذه الفترة حقها من الشرح والتوضيح ، فالصورة تبقى ناقصة ، لانها قد تصل أحيانا الى درجة الخيال . لأبدأ القصة ، من البداية ، من بداية الوصول الى الجفر والدخول الى البركس ، كان المعتقل في هذه الفترة تحت اشراف قوات البادية وقوات من الجيش الاردني ، وكانت هذه القوات معبأة بالحقد والضغينة ، على كل شيء يمت بصلة الى العمل الفدائي ، لم يكونوا سوى مجموعة من الاغبياء أعماهم الحقد . لدى وصول أي سيارة او كميون يقل فدائيين معتقلين الى مدخل المعتقل ، تتخذ قوات البادية وضعا استعداديا امام الادارة ، بأن تصف جميعها في صفين متقابلين ، وهي مسلحة بالعصي الغليظة ، المقطوعة من أغصان الشجر الكبيرة ، او بالكرابيج واسلاك التليفون المجدولة ، وبالبنادق ذات الحراب المشرعة ، تصف السيارة بحيث يكون بابها الخلفي في مواجهة هذا الصف ، ثم يفتح الباب ، ويدفع المعتقلون دفعا باتجاه الفجوة بين الصفين ، او داخل « قوس النصر ! » كما كان يسمى ، وهنا تنهال الضربات من كل جانب وبكل الاتجاهات ، وعلى كل الجسم، تخرج من هذا القوس لتواجهك مجموعة اخرى تلتف حول دائرة في وسط الساحة ، وتصل الى هناك ، لتدور حول الدائرة ، ركضا والضربات تلاحقك وتنهال عليك ، والويل لمن يسقط على الارض ، لانه لن يرحم . وتستمر الحفلة : « حفلة الاستقبال » مدة تزيد عن ساعة ، او تمتد ساعتين حسب المزاج ، والنشوة ، ثم يطلب من الجميع الركض باتجاه البركس . أي بركس ؟ والى أين ؟ لا تدري ، ولكن الضربات المنهالة عليك تدلك على الطريق . الامور لم تنته عند هذا الحد ، فعلى مدخل البركس ينتظرك كمين، ما ان تطل حتى تنهال عليك الضربات ، لترافقك في الدخول الى البركس .. وعندما تصبح داخل البركس ، تنتهي مراسيم حفلة الاستقبال ! على طريقة الهنود الحمر ، كما تظهر في الافلام الاميركية .. النتيجة ، الكل مصاب ، اضلاع مكسرة ، جروح تنزف ولا تستطيع مداواتها ، لان الخروج الى العيادة ، يعني التعرض الى عملية من النوع نفسه ، وبالتالي ، الافضل تدبر أمر الجروح والكسور بأي طريقة الا الخروج للعيادة . ولذا فان جروح الكثيرين كانت لا تندمل ، ومع عدم النظافة ، لعدم توفر الماء ، فان الدود كان ينتشر حول الجرح . ولم تكن مثل هذه الاعمال الوحشية بدون ضحايا ، فأكثر من معتقل قد استشهد من جراء الضرب بهذه الطريقة المجنونة . ومعظم المعتقلين يتحدثون عن ان أكثر من عشرة قد استشهدوا ودفنوا في رمال الصحراء ، وشاهدت حادثة استشهاد احد المعتقلين داخل البركس ، حيث دخل الى البركس والدم ينزف من مؤخرة رأسه ، واستمر النزيف ولم يتوقف ، وليس من علاج ، النتيجة ، توفي بعد ساعة ، نقل على أثرها من البركس ... الى حفرة في جوف الصحراء . بعد ان تنتهي « حفلة الاستقبال »

هذه ، تبدأ رحلة العذاب اليومي ، ففي اليوم التالي ، تأتي البادية الى كل بركس على حدة ، وتطلب من القادمين الجدد الخروج الى الساحة ، وهناك تكرر العملية السابقة نفسها ، وتستمر لاكثر من اسبوع ، حيث ان الجدد يصبحون قدماء بقدوم معتقلين جدد آخرين . بالاضافة الى ذلك ، فانه بين فترة واخرى ، كل اسبوع او اقل ، يمر مدير المعتقل على البركسات ، ويخرج اي بركس يريد — حسب مزاجه — الى الساحة ، في ساعات الظهيرة ، حيث تكون الرمال كالجمر، ويطلب من الجميع الدوران حول الدائرة، وتكون من حولهم قوات البادية بعصيها وكرابيجها ، وتبدأ الحفلة ، ساعة ، ساعتين حتى يشبع رغبته وساديته ، وقد تتكرر العملية في اليوم لاكثر من مرة . ومن هنا ، فقد اطلق المعتقلون على هذه الساحة اسم « الساحة الحمراء » . ان كل جندي يتمتع بصلاحيات مطلقة ، لتعذيب أي كان من المعتقلين هكذا وبدون سبب ، ولذلك فمن الامور المألوفة ان يأتي اي جندي الى البركس ، وينظر في الجميع ، ويخرج من يشاء الى الساحة ، او يضربه على مرأى من الجميع ، على يديه ورجليه، او على كل انحاء جسمه هكذا لمجرد اشباع رغبة ذاتية . وفي صباح كل يوم ، وعند فتح أبواب البركسات ، يطلب من الجميع الخروج ، والركض حول البركس ، مع السياط التي تلهب ظهر الجميع اثناء الركض . وتمارس العملية نفسها عند استلام وجبات الطعام ، وهي عبارة عن وجبتين « لا تغني ولا تسمن من جوع » الاولى حوالي العاشرة صباحا عبارة عن قطعة خبز لا تزن اكثر من خمسين غراما ، وكوب شاي بارد . والثانية حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر ، وهي عبارة عن قطعة خبز كالاولى ، مع حبات من الرز مخلوطة بالمرق . والويل لمن لا يصف بانتظام ، والويل لمن يتذمر او يشكو من قلة الاكل ، عندها لن ينقذه منقذ. ولا يقتصر الامر عند هذا الحد ، فبالرغم من أنه يوجد دورة مياه في كل بركس ، وبالرغم من وجود بئر ارتوازي يوزع على كل البركسات ، فان الماء كان يقطع باستمرار ، وتوزع المياه بالقطارة ، بمعدل كوب واحد في اليوم لكل معتقل . اما الصابون ، فكان محرما ، وهذا أدى الى انتشار الاوساخ والقاذورات وانتشار القمل بكثرة داخل البركسات . أما البرد ، فكان العدو الدائم للمعتقلين ، لانه لا البسة لديهم تقيهم البرد ، فأي كنزة جيدة ، أو بنطلون او جاكيت ، على أي معتقل ، بامكان اي جندي أن يطلب مصادرته ، ويأخذه بكل بساطة . . اما الساعات والفلوس ، أو خاتم الخطبة مثلا، فهذه كانت تسرق عند الدخول فورا .

بالاضافة الى ذلك ، فانه في هذه الفترة ، كانت تسيطر أجواء التحقيق ، وكانت بين فترة وأخرى تأتي لجان من المخابرات العامة الى المعتقل ، وبالتالي ، فان الحياة السياسية كانت شبه معدومة في هذه الفترة .

لقد كانت هذه الفترة ، من أقسى وأصعب ما شاهده المعتقلون طيلة السنوات الثلاث الماضية ، كما كانت من أقسى الفترات التي مرت على الجفر . فالجوع كان سائدا ومنتشرا الى درجة الموت . ان الحصول على قطعة خبز زيادة في بعض الاحيان ، يعتبر بمثابة « عيد » . والكل كان يشكو من الدوخة ، وكم من واحد وقع على الارض من كثرة الجوع وقلة الغذاء . لقد كانت حالة تجويع وارهاب لم تشهدها حتى معسكرات النازية. . الا أن الضغط مهما اشتد ، والارهاب مهما كان عنيفا ، والجوع مهما كان مؤثرا . . ان كل ذلك لم يوقف النضال ، ولذا فقد أثار المعتقلون ضجة كبيرة حول كل هذه الاعمال ، وبدأوا يطالبون بايقافها ، ومعاملتهم معاملة معتقلين سياسيين . ونتيجة الضجة ، وشيوع حالات الموت والتشويه الكثيرة لدى أوساط واسعة ، فقد أوقفت « حفلات الاستقبال » ومنع الضرب الا اثناء التحقيق ، كما منعت البادية من الدخول الى داخل البركسات ، وأعطيت صلاحية الاشراف الاداري الى افراد من الشرطة . وكان ذلك في

اوائل آب ١٩٧١ ... وانتهت هذه الفترة ، ولم تكن لتنتهي بدون نضال وبدون تضحيات . ولتبدأ الفترة الثانية .

الفترة الثانية (آب ٧١ — الى نهاية العام ٧١) : ان ما يميز هذه الفترة هو غياب عمليات التعذيب والضرب الكيفية ، واكتساب المعتقلين نفسا جديدا جعلهم أقدر على النضال من أجل تحسين أوضاعهم ومنع تدخلات الادارة من شرطة وغيرهم في شؤونهم ، وكذلك النضال من أجل زيادة وجبات الطعام وجبة أخرى ، وعدم قطع المياه . الا انه بالرغم من نضالات المعتقلين ، فقد استمرت السياسات السابقة من حيث اقتصار وجبات الطعام على وجبتين فقط وبكميات قليلة ، واستمرار الحالة الصحية السيئة ، وفقدان الطبابة ، ومنع الزيارات ، ومنع المراسلات مع الاهل ، مع استمرار قطع المياه من آن لآخر . وفي هذه الفترة ، وبشكل خاص في أواخر تموز ، قدمت أفواج المقاتلين المعتقلين من الاحراج ، فقفز عدد المعتقلين الى ما يزيد عن ١٥٠٠ معتقل ، وهذا الوضع ولد مشكلات من نمط جديد .. الاكتظاظ مع الحر الشديد ، مع فقدان الماء والصابون ، زاد من وطأة القمل وتراكم الاوساخ ، مما أوجد حالة صحية سيئة جدا . كذلك فقد شهدت هذه الفترة تزايد عمليات التحقيق التي تتم في المعتقل ، حيث كانت باستمرار تتواجد لجان من المخابرات العامة او الاستخبارات العسكرية تقوم بمهمة التحقيق ، واجراء فرز تنظيمي ، وكذلك فرز الحالات التي تتطلب استدعاء للمخابرات العامة لاجراء المزيد من التحقيق . الا أنه خلال هذه الفترة ، تزايدت نضالات المعتقلين واحتجاجاتهم طلبا لتحسين أوضاعهم ، واعطائهم حقوقهم كمعتقلين سياسيين . وقد أدت هذه النضالات في النهاية الى الحصول على بعض من الحقوق ، مما أرسى ملامح فترة جديدة ، كان يطلق عليها المعتقلون « الفترة الفضية » الا أنها لم تدم أكثر من أربعة شهور ... حيث أعقبتها عملية قمع رهيبة .

الفترة الثالثة (من أوائل عام ٧٢ — ١٩٧٢/٥/٧) : في أواخر عام ٧١ ، وأوائل ٧٢ ، بدأت تفد الى معتقل الجفر مجموعات كبيرة من الفدائيين المحكومين ، وكانت اول مجموعة تزيد عن ٢٠٠ محكوم تم نقلهم في قافلة واحدة من السجن المركزي الى معتقل الجفر ، وأذكر تلك الليلة ، حيث سهر — تقريبا — جميع من في سجن المحطة ، وفي حوالي الساعة الثالثة صباحا نودي على الاسماء ، وخلال ساعتين كان الجميع في الكميونات ، كل اثنين بقيد واحد ، وطيلة الطريق التي امتدت لاكثر من ست ساعات ، كانت الاناشيد الوطنية والثورية ، تنطلق من كل الكميونات ، كانت ساعات حافلة ، الوجوه كلها يعلوها الهزء ، وتعلوها البسمات ، فالجفر كان يسمى « مصنع الرجال » ، وليس « مقبرة الرجال » كما كانت تدعي السلطة العميلة . ان قدوم هذه الدفعات الجديدة من المحكومين ، أرخى حياة جديدة ونشطة داخل المعتقل ، كانت لحظات رائعة ، عندما يلتقي الاخوة والرفاق ، بعد افتراق ، لا يعرفون عن بعضهم شيئا ، ثم يلتقون . العناق والدردشات ، والاحاديث الطويلة ، والاسئلة الكثيرة تتردد هنا وهناك . ولذلك وفي ضوء النضالات السابقة ، ومع اشتداد العزائم بقدوم المحكومين تمكن المعتقلون من انتزاع بعض من حقوقهم ، منها السماح بمراسلة الاهل باشراف ادارة السجن ومن خلالها ، والسماح لذوي المعتقلين بزيارة معتقليهم بعد الحصول على تصريح من المخابرات العامة للموقوفين ، ومن مديرية الامن العام للمحكومين ، وكانت أول الزيارات مع بداية عيد الاضحى ، كانت قليلة ، الا أنها كانت ذات مدلولات لا يمكن التقليل منها . ومع الزيارات اصبح بالامكان معرفة ما يدور في الخارج ، أصبح بالامكان الحصول على أغطية والبسة ، وكذلك على بعض التموين . كذلك ، فقد زيدت وجبات الطعام الى ثلاث ، بالرغم من انها بقيت على حالها من حيث القيمة الغذائية ونوعية الطعام .. وكان يتم التعويض عن ذلك ، بأن سمح للمعتقلين بابتياع المعلبات والدخان من دكان المعتقل .

الا أن أهم مطلب تم تحقيقه في هذه الفترة ، هو السماح بادخال بريموس الى كل بركس، وبالتالي أصبح بالامكان تسخين الماء للحمام ، وأصبح بالامكان تحسين الطعام باعادة طبخه من جديد ، اضافة الى ان حالات قطع المياه خفت ، ومع توفر المياه الساخنة والصابون ، تم تنظيف المعتقل وتطهيره من القمل ، وقامت حملة نظافة عامة في كل المعتقل . الا ان ما تم تحصيله ، يعد قليلا بالنسبة الى الحقوق الاخرى مثل : تحسين الاوضاع الصحية والعناية الطبية بالمعتقلين . تحسين وضع الطعام والاشراف المباشر على تصنيعه من قبل المعتقلين ، وكذلك الاشراف المباشر من قبلهم على استلامه منعا وايقافا لعملية نهبه من قبل ادارة السجن . جعل الزيارات مفتوحة وبدون تصاريح مسبقة ، اسوة بباقي السجون في الاردن . الاشراف من قبل المعتقلين على دكان المعتقل . السماح بادخال الجرائد والمجلات والكتب ، وكذلك السماح براديو لكل بركس . وقف اي عمليات اهانة او تعذيب ، ومعاملة المعتقلين كأسرى حرب . فتح الاشباك او السماح بزيارة البركسات . فتح مدرسة لتعليم الاميين ، يشرف عليها المعتقلون . اقامة ملاعب كرة طائرة وكرة سلة . محاكمة الموقوفين ، اذ كان هناك ما يثبت ادانتهم واطلاق سراحهم . ايقاف المحاكمات الصورية ، واعطاء كل متهم حقه الكامل في الدفاع عن نفسه .

ان تحقيق هذه المطالب يتطلب نضالا شاقا ، ولا يمكن تحقيقها الا باضراب شامل وعام في كل سجون الاردن . ولذا فقد جرى العمل من أجل التحضير لهذا الاضراب .. وتم الاتصال بين معتقل الجفر والسجن المركزي وكذلك مع بعض السجون الاخرى من اجل الاضراب . الا ان حصول بعض الظروف الخاصة بمعتقل الجفر ، دفعت بتعجيل الاعلان عن الاضراب ، وكان ذلك في النصف الاول من آذار ١٩٧٢ ، وقد استمر الاضراب مدة يومين ، تشكلت في ضوئه لجنة من المعتقلين ، انيطت بها مهمة الاتصال بالادارة والتحدث باسم كل المعتقل . وقد تم تحقيق بعض المطالب منها السماح بادخال الجرائد والمجلات، ابداء بعض المرونة في زيارة البركسات ، مجيء طبيب صحة وطبيب أسنان كل اسبوعين مرة ، الاهتمام بالحالات المرضية الطارئة وتحويلها الى المستشفى ، عدم اهانة الزوار أو المس بكرامتهم ، اما بالنسبة للمطالب الاخرى فقد تم الاتفاق على بحثها مع الجهات المختصة . وفي ضوء اضراب الجفر ، فقد قام اضراب آخر في السجن المركزي يوم ٧٢/٣/١٩ حيث تجمع المعتقلون في ساحة السجن ، وهتفوا للثورة ، وحددوا مطالبهم ، وقدموها لادارة السجن بواسطة لجنة شكلوها من قبلهم ، وقد تم تحقيق بعض المطالب كما حصل في معتقل الجفر بالاضافة الى طرد الشرطة الذين يسيئون معاملة المعتقلين ومنهم ماجد الطفيلي المشهور بحقده على العمل الفدائي . أما المطاليب الاخرى ، فقد وعدت ادارة السجن بدراستها مع الجهات المختصة .

كان واضحا ، ان تحقيق كل المطالب دفعة واحدة أمر مستحيل ، وبالتالي فقد كان التكتيك الذي اتبع هو الحصول على بعض الحقوق وتكريسها ، ومن ثم متابعة النضال للحصول على الحقوق الاخرى . وبعد عملية الاضراب هذه ، قام وفد من الصليب الاحمر بزيارة معتقل الجفر ، الا ان ادارة المعتقل رفضت للجنة شكلها المعتقلون مقابلة الوفد ، مما أدى الى تجدد الاضراب من جديد احتجاجا على موقف الادارة . الا انه على ضوء مماطلة الادارة وتلكئها في تحقيق المطالب الاخرى التي وعدت بتنفيذها ، جرى التهيئة لاضراب جديد عام وشامل مع الاستفادة من التجربة الماضية ، بحيث يكون الاضراب في وقت واحد في كل السجون . الا أن مديرية السجون العامة، بالتنسيق مع ادارة المعتقل، وادارة السجن المركزي اذ شعرت بما يرتب — على ما يبدو — قامت باجراء حركة تنقلات واسعة بين المعتقلين، وقامت بنقل قيادات المعتقل المعروفة الى المخابرات العامة حيث تعرضت لعمليات تعذيب مجددة . كذلك فقد نقلت ادارة السجن المركزي بعضا من

القيادات البارزة في السجن ، الى معتقل الجفر ، حيث تم وضعهم في زنازن افرادية ، كما نقلت بعضا آخر الى سجن الزرقاء العسكري ، حيث تعرضوا هناك لعمليات تعذيب قاسية ، ومن العسكري نقلوا مجددا الى المخابرات العامة، حيث استمر تعذيبهم هناك .

ولم يقتصر الامر على ذلك ، بل كشرت كل اجهزة القمع عن انيابها ، وبدأت تعد لحملة قمع وارهاب تشمل كل السجون في الاردن ، وبشكل خاص معتقل الجفر والسجن المركزي ، فقد تم استدعاء سرية من الامن العام لكل من معتقل الجفر والسجن المركزي، اختيروا من العناصر الحاقدة ، وتم تعبئتهم بشكل اكبر ضد الفدائيين ، استعدادا للقيام بأوسع عملية قمع وتفتيش داخل المعتقل والسجن المركزي . وكان ذلك صباح يوم السبت الموافق ٧٢/٥/٧ .

الفترة الرابعة (من ٧٢/٥/٧ ــ الى نهاية العام ٧٢) : تمتاز هذه الفترة باشتداد عمليات القمع والارهاب في الاشهر الثلاثة الاولى والعودة الى أجواء الفترة الاولى ــ نسبيا ــ ، وحرمان المعتقلين من معظم حقوقهم التي انتزعوها بنضالهم خلال الفترة الماضية ، الا أنه بعد مضي هذه الشهور الاولى ، وبسبب النضالات التي خاضها المعتقلون حفاظا على حقوقهم ، فقد بدأت تخف الوطأة شيئا فشيئا ، وتمكن المعتقلون من انتزاع بعض من حقوقهم المسلوبة .

وسأتحدث هنا بشيء من التفصيل ، عما جرى في معتقل الجفر ، وسأبدأ من اليوم الاول . ففي صباح السبت الموافق ٧٢/٥/٧ ، شهد المعتقل أوسع عملية قمع وتفتيش جرت خلال السنوات الثلاث الماضية . فقد تم وصول سرية الامن العام التي ذكرتها الى المعتقل ليلا ، بعد أن عبئت بالكامل ضد الفدائيين ، وتم تسليحها بالعصي والكرابيج واسلاك التليفون المجدولة . وفي الصباح لم تفتح الاشباك . وهذا معناه تفتيش عام . وتم تشكيل لجنتين ، كل لجنة على رأسها ضابط ومعه لا يقل عن عشرين جنديا مع ملحقاتهم من البادية والشرطة ، وبدأ التفتيش ، كل بركس لوحده . وكانت العملية كالتالي :

يفتح باب البركس ، ويطلب من الجميع الخروج بسرعة مع اخراج كل الاغراض ، ويكون هذا الطلب مصحوبا بالكلمات البذيئة والشتائم ، وما أن يبدأ المعتقلون في الخروج ، حتى تنهال عليهم العصي والضربات من كل جانب ، بعد ذلك يطلب من الجميع التجمع مع اغراضهم في طرف من ساحة البركس ، ثم ينادي الضابط المشرف على بعض الاسماء ، يطلب منها الدخول الى البركس فردا فردا لتضرب بشدة كشكل من اشكال التأديب والارهاب للاخرين . بعد ذلك يطلب من كل معتقل ان يحتفظ فقط بملابسه الخاصة ، وبالبطانيات والبرش* المعطاة له من قبل ادارة السجن، وما دون ذلك يصادر جميعه سواء كان حرامات ام فرش ، وصودرت البريموسات ، والكاسات والملاعق والطناجر والصحون والشاي والسكر وكل المواد الغذائية الموجودة ، التي اشتراها المعتقلون من حسابهم .

أمام هذه التصرفات الفاشية ، كان لا بد من رد لان عدم الرد معناه العودة الى أجواء القمع والارهاب التي رافقت الفترة الاولى ، وهذا يعني خطوة كبيرة جدا الى الوراء ، ومن الصعب بعدها انهاض المعتقل من جديد . لذلك كان لا بد من رد ، لايقاف عمليات الضرب والتعذيب على الاقل . ولذا ، فقد كان اول رد من بركس ١٢ . حيث

---

* البرش : عبارة عن بطانيات قديمة تقطع وتجدل ، ثم تربط ببعضها بعرض ٦٠ سم ، وطول ١٧٠ سم ، تستخدم بدلاً من الفراش .

انه في الوقت الذي فتح فيه باب البركس ، خرج كل المعتقلين بسرعة وهم يهتفون بصوت واحد « الموت ولا المذلة » ثم راسا تناول البعض منهم الحجارة ، والبعض الاخر انتزع بعض العصي من الجنود ، وحصلت معركة ، مما ادى الى هرب الجنود ، وتمت ملاحقتهم حتى باب الادارة . وقد تجاوبت بقية البركسات مع بركس ١٢ وبدأت الهتافات تدوي في كل المعتقل « الموت ولا المذلة ، ثورة ، حتى النصر » لقد قامت انتفاضة فعلا . وللسيطرة على الوضع قامت قوات الامن العام باطلاق قنابل الغاز المسيل للدموع على البركسات وباطلاق الرصاص ارهابا ، وكاد الامر ان يتحول الى مجزرة . ولقد رفض المعتقلون الاذعان لاي امر الا باستدعاء الضابط المسؤول والتباحث معه في الامر ، وفعلا حضر يصحبه الجنود الهاربون ، وقد طلب منه ان يقتصر الامر على التفتيش فقط ، بدون اهانات او ضرب ، والا فان الجميع مستعدون للموت ، وفعلا فقد استكملت عمليات التفتيش دون ضرب او اهانات ، لم يكن لهذه الانتفاضة تأثير مباشر فقط ، بل كان لها تأثير على كل العملية القمعية بذاتها ، ذلك أن الهدف من هذه العملية القمعية أن تأخذ مداها الكامل ، وان تعود بالمعتقل خطوة كبيرة الى الوراء ، بالهيمنة الكاملة لقوات البادية والامن العام ، وبسيادة عمليات الضرب والجلد اليومية ، الا ان الانتفاضة التي تولدت عنها ، وضعت حدا لها ، وجعلتها ضمن حدود معينة ، واذا كانت « العملية القمعية » قد أدت الى سلب المعتقلين الكثير من حقوقهم (حيث انهم لا يملكون القوة لفرض ما يريدون) فان « الانتفاضة » حالت دون العودة الى الفترة الاولى .

لقد استمرت حالة القمع هذه ترخي ذيولها لفترة امتدت حوالي ثلاثة شهور ، فقد تقلصت الزيارات، ومنع الشاي ، كما منع شراء أي حاجيات من دكان المعتقل، بالاضافة الى سيطرة جو من الارهاب النسبي ، ساعد في انتشاره الاستدعاء المستمر للكثيرين الى المخابرات العامة والتحقيق معهم حول ما تم وما يجري في المعتقل . الا أن النضال لا يتوقف ، وبالتالي ، فقد ازداد المعتقلون تجربة بمواجهة الادارة،ولما كان القيام باضراب، أمرا غير ممكن في ظل الوضع النفسي السائد في المعتقل فقد اخذ النضال الاشكال التالية :

١ ــ تقوية التضامن العام بين جميع المعتقلين ، وشد النفوس الضعيفة ، ورفع المعنويات بشكل عام ، والتهيئة خلال الفترة القادمة لاضراب عام وطويل ، يضع حدا لكل الاعمال الفاشية . ولاستعادة الحقوق المسلوبة .

٢ ــ اختيار مجموعات من المعتقلين الموثوقين جدا للقيام بنشاط بين افراد سرية الامن العام ، لكسب العناصر المضللة منهم ، وتنفيس تعبئتهم ، بوضع الحقائق امامهم والتأثير عليهم ، وقد أعطت هذه السياسة ثمارها ، وانعكست بقيام العديد منهم بتقديم خدمات للمعتقلين مثل تهريب الاغراض الممنوعة « من شاي وسكر ومجلات وراديوات» مما اضطر ادارة المعتقل الى تغيير السرية ، واتباع خطة بتغييرها مرة كل شهر .

٣ ــ التفتيش عن مجالات لتعويض ما فقد ، فالممنوعات تعوض بالتهريب ، ومصادرة البريموسات ، تعوض بالبحث عن مصادر نيران اخرى . وفعلا استعيض عن البريموس بصنع بريموس « جفراوي » نسبة الى الجفر ، وهو عبارة عن علبتين ، كبيرة وصغيرة، تثقب الصغيرة من جميع جوانبها ويلف حول نصفها الاسفل « خرق » او قطعة قماش مبللة بالدهن ، وتوضع في داخل العلبة الكبيرة التي تثقب ايضا من جوانبها وهذه تعطي لهبا ، يساعد في تسخين الطعام ، او صنع ابريق من الشاي او غيره ..

كما استعيض عن البريموس ، باستعمال فتات الخبز المتبقي بعد تنشيفه كوقود ، ثم بصنع ما يشبه « الكور » للنفخ على النار ، وقد تم تنظيم هذه العملية في كل بركس

سواء « البريموس الجفراوي » او الكور ، وبالتالي فقد استعيض عن البريموس بشكل كامل . وقد حاولت ادارة المعتقل ، منع استخدام المعتقلين للخبز كوقود ، بمصادرة الخبز المتبقي ، وبمصادرة كل العلب التي تقع تحت يدها ، الا انها كانت غير قادرة ، بحيث أصبح الامر في النهاية حقا مكتسبا لا يمكن انتزاعه .

في ضوء هذه السياسة بدأت تتفكك اجواء الارهاب شيئا ، ومن خلال النضال تمكن المعتقلون من انتزاع بعض من حقوقهم ، كشراء حاجيات تموينية من الدكان وتوسيع اطار هذه الحاجيات لتشمل المعلبات وكذلك ادخال الجرائد والمجلات المسموح بدخولها للاردن ، بالاضافة الى احضار حرامات او فرشات مع الزوار ، أما المطالب الاساسية فقد ظلت معلقة بانتظار الاضراب .

وفي الربع الاخير من عام ١٩٧٢ ، خصص الصليب الاحمر في الاردن ، باصا كل يوم جمعة لنقل ذوي المعتقلين الى الجفر على نفقته الخاصة، وقد افاد ذلك المعتقلين وذويهم . لانه بذلك تم توفير مبالغ كثيرة ، حيث ان اجرة اي تاكسي من عمان للجفر كانت لا تقل عن عشر دنانير .

الفترة الخامسة (من بداية عام ٧٣ الى العفو العام ٧٣/٩/٢٠) : قبل العفو الاخير كان ما تبقى في معتقل الجفر لا يتجاوز ٧٥٠ معتقلا ومحكوما ، واذا استثنينا منهم بحدود ١٠٠ من المحكومين المدنيين (قضايا مدنية وتجسس) فيكون مجموع ما تبقى من الفدائيين ٦٥٠ معتقلا ومحكوما ، يضاف اليهم حوالي ٣٥٠ اخرين كانوا موجودين في السجون الاخرى ، فيكون مجموع الفدائيين المعتقلين قبل العفو الاخير حوالي الالف ، خرج منهم بعد العفو ٩٥٧ وبقي بحدود ٣٠ فدائيا لا يزالون في السجن حتى الان ، وقد استثني هؤلاء من العفو بدعوى أنهم متهمون بجرائم قتل .

امتازت هذه الفترة ، بسيطرة جو من الهدوء النسبي على المعتقل ، وبسيادة حالة من الاستقرار النسبي في عدد المعتقلين ، ولم يخل الامر من بعض الاضرابات الجزئية والاعمال الاحتجاجية على تصرفات الادارة ومضايقتها للمعتقلين فقد كانت ادارة المعتقل، تحاول في بعض الحالات العودة الى جو من التشديد وممارسة الارهاب ، او سلب المعتقلين بعضا من حقوقهم المكتسبة ، كمنع الجرائد والمجلات والتضييق في الزيارات وبأصدار قوائم جديدة بالممنوعات ، منع الدخان مرة ، او منع ادخال المعلبات الى المعتقل .. كل هذه الاساليب كانت تقاوم من قبل المعتلقين بالاضراب الجزئي ، او الامتناع عن استلام وجبات الطعام ، او رفع المذكرات الاحتجاجية . كذلك فقد امتازت هذه الفترة بتنشيط الحياة السياسية داخل المعتقل ، بشكل افضل من اي فترة مضى، وبارتفاع معنويات المعتقلين بشكل ملحوظ وليس ادل على ذلك ، أنه يوم اصدار العفو الاخير ، جاءت بعثة التليفزيون الاردني الى المعتقل ، مع ضابط من المخابرات ، وطلب من المعتقلين « ان يرقصوا او يغنوا، لتصويرهم » ، الا ان الجميع رفض، بالرغم من كل التهديدات ، وعادت البعثة « بخفي حنين » . وكذلك ، فأنه عند نقل المعتقلين بعد العفو عنهم ، من الجفر الى عمان ، فقد كانوا طيلة الطريق يهزجون وينشدون الاناشيد الثورية . كانت النفوس معبأة ، ومعنويات الجميع عالية، بالرغم من السجن والعذاب.

أساليب الادارة في اختراق المعتقل والحصول على المعلومات :

من أخطر القضايا التي يواجهها المعتقلون في أي معتقل ، هي محاولات ادارة المعتقل، التعرف على ما يجري في الداخل ، والحصول على معلومات بهذا الشأن ، سواء في ما يتعلق بالممنوعات ، أو بالنشاط السياسي ، او محاولات الاضراب والتمرد ، اضافة الى أن الادارة يهمها معرفة وتحديد العناصر القيادية ومجمل نشاطاتها، حتى تعزلها وتبعدها عن المعتقل ، اذا رأت ضرورة لذلك . ويمكن تحديد وسائل جمع المعلومات هذه بما يلي:

١ ــ زرع العملاء بشراء ضعاف النفوس او استخدام بعض المساجين المدنيين بالتغلغل او التواجد في بركسات المعتقلين السياسيين .

٢ ــ التنصت والاستماع الى ما يجري داخل البركس ، وذلك بالكمون خلف الابواب او تحت الشبابيك ، بعد ادخال المعتقلين في المساء .

٣ ــ اجراءات التفتيش الفجائية من آن لآخر والتي تأخذ شكل « الكبسة » .

٤ ــ محاولة الحصول على الاخبار والمعلومات من الافراد الذين يعملون في المطبخ او العيادة . ولمقاومة هذه الاساليب ، فقد كان المعتقلون يتخذون اجراءات مضادة منها:

١ ــ رفض المساجين المدنيين بالتواجد في بركسات المعتقلين السياسيين ، وعزلهم في بركسات خاصة بهم ، ولا سيما ان معظم هؤلاء من الذين يتاجرون بالحشيشة او متهمين بقضايا تجسسية ، بالاضافة الى ان المشكوك فيهم ، يتم ابعادهم من داخل بركسات المعتقلين ، بأزعاجهم وجعل حياتهم لا تطاق في البركس ، وبمعاقبتهم في بعض الاحيان .

٢ ــ وبالنسبة لعمليات الانصات والاستماع ، فكانت تتم مقاومتها ، بوضع حراسات مراقبة على الباب من الداخل ، يراقب كل داخل لساحة البركس ، ويعطي انذارا في حال انفتاح الباب فجأة ، مما يعطي مجالا لتخبئة الاغراض الممنوعة .

٣ ــ اية عرائض او استدعاءات مرفوعة للادارة من قبل أي معتقل ، كان يتم مراقبتها من قبل شخص في كل بركس ، وهو الذي يقوم بتسليمها الى الشرطي المناوب، وذلك خوفا من ارسال معلومات عن البركس الى الادارة عن هذا الطريق ، في حال وجود شخص ما يتعامل مع الادارة وغير مكشوف لدى البركس .

٤ ــ ان يتم اختيار العناصر التي تعمل في العيادة او المطبخ .. الخ ، من العناصر الموثوقة والمعروفة بصلابتها ، وادخال اي عنصر يشك في سلوكه .

٥ ــ وضع عناصر تكون قريبة من الادارة مهمتها ، الحصول على المعلومات التي تصل للادارة سواء من خارج المعتقل او من داخله .

بهذه الاجراءات كان المعتقلون يبطلون كل اساليب الادارة بشكل جيد ، وعمليات التفتيش الفجائية ، كانت تفقد عنصر المفاجأة في أغلب الاحيان لان المعتقلين كانوا يعملون بها قبل تنفيذها بفترة كافية .

التفتيش داخل المعتقل : المقصود بالتفتيش داخل المعتقل ، هو عمليات التفتيش التي تتم بين فترة واخرى من قبل ادارة المعتقل ، بهدف مصادرة الممنوعات من راديو وكتب .. الخ وبهدف خلق جو ارهابي مستمر ، وابقاء المعتقلين في حالة خوف دائم حتى تشل نشاطاتهم السياسية وغيرها ، وتجهد الادارة ان تكون عمليات التفتيش فجائية لضمان فعاليتها . والتفتيش على نوعين : أ ــ عمليات تفتيش تقوم بها ادارة المعتقل وعلى مسؤوليتها ، ومثل هذه العمليات تكون جزئية لا تشمل كل المعتقل ، بل بعض البركسات ، بناء على اخبارية بوجود ممنوعات او غيره ، او لارهاب بركس معين لانه يضايق الادارة ، وهذا النوع يتكرر باستمرار وعلى ضوء الظروف . ب ــ عمليات تفتيش تقررها المديرية العامة للسجون اما بتنسيب من ادارة المعتقل ، او من جهة امنية ما ، كالمخابرات العامة ، أو من قبل ادارة السجون نفسها ، ومثل هذه العمليات تكون عادة كل ثلاثة شهور او ستة ، وتشمل كل المعتقل ، وتتم بوجود لجنة مشرفة تشكلها المديرية العامة للسجون . وفي الحالتين ، تتم عملية التفتيش في كل بركس على حدة ، وتكون الاشباك مغلقة ، وفي العادة تكون اما في الصباح وقبل فتح الاشباك ،

او في المساء بعد غلق الاشباك ، لضمان اكبر قدر من المفاجأة . وتجري عملية التفتيش بخروج الجميع الى ساحة البركس مع كل الاغراض الموجودة في الداخل . وتقوم اللجنة المسؤولة بتفتيش داخل البركس اولا فوق الشبابيك ، خلف مواسير المياه ، في دورة المياه ، وفي كل مكان يخطر بالبال تقريبا ، ثم ينتم بعد ذلك تفتيش كل شخص واغراضه بشكل فردي ، وعند الانتهاء من تفتيشه يدخل الى البركس وهكذا دواليك . الا ان المعتقلين وفي ضوء تجربتهم الخاصة ، كانت لديهم وسائلهم الكثيرة لاخفاء كل الممنوعات من الراديو والبريموس وحتى تنكة الكاز ، الى الكتاب والنشرة ... الخ . ومعظم عمليات التفتيش التي جرت في معتقل الجفر ، وكانت كثيرة جدا ، لم تؤد الى نتائج ملحوظة ، الا مرة واحدة ،حيث صودر حوالي ١٧ راديو ، وكان ذلك ان اللجنة المشرفة اتبعت اسلوبا جديدا ، حيث قامت اول مرة بتفتيش عادي ، ثم بعد اسبوع رجعت اثناء الليل ، وبدأت عملية تفتيش واسعة ودقيقة جدا ، مما ادى بها الى ان تحصل على بعض الممنوعات .

الناحية الغذائية والتموينية : شكلت الناحية الغذائية والتموينية ، قضية اساسية في معتقل الجفر ، فالزيارات كانت قليلة لبعد المعتقل ، ولان اي زيارة تكلف كثيرا ، اضافة الى ان تصاريح الزيارات للمعتقل لا يمكن الحصول عليها بسهولة ، كل ذلك جعل المعتقلين في الجفر ، يعتمدون في غذائهم اليومي على وجبات المعتقل ، في حين ان مثل هذه المشكلة لا تبرز في السجون الاخرى القريبة من العمران ، فالزيارات اليها اسبوعية وبدون تصاريح ، مما يجعل المعتقلين فيها لا يعتمدون على وجبات السجن أما في الجفر فالامر يختلف . ومن هنا ، فان هذه القضية ، شكلت قضية أساسية في صراع المعتقلين مع ادارة المعتقل ، فبالاضافة الى ان الكميات المقررة قليلة ولا تكاد تسد الحد الادنى من الحاجات اليومية ، فانها كانت تسرق وتنهب ، والكميات المقرر صرفها يوميا لكل معتقل كما وردت في صيغة التعهد بين مديرية السجون والمتعهد هي : ٤ غرامات شاي ، ٣٠ غرام سكر ، ٩٠ غرام رز ، ١٥٠ غرام خضرة ، ١٠٠ غرام لحمة (ثلاث مرات في الاسبوع) ٧٥٠ غرام خبز ، ١٥ غرام زيتون او حلاوة طحينية ، فلقة صابون كل اسبوعين . ان هذه الكمية المقرر صرفها بالرغم من عدم كفايتها ــ باستثناء الخبز ، فلم يكن يصل نصفها ، لان ادارة السجن بالاتفاق مع المتعهد كانت تسرق معظمها ، اضافة الى ان ما يصل للمعتقل يكون من اردأ الانواع وارخصها . فالخبز لا يصل منه يوميا ٤٠٠ غرام ، وفي الفترة الاولى كان لا يوزع اكثر من ١٠٠ غرام ، اما الصابون فنادرا ما يوزع ، واضافة الى ذلك فأن طبخ الطعام كان سيئا جدا ، ولا يتوفر فيه الحد الادنى من النظافة . ولذا فقد كان المعتقلون باستمرار يطالبون فيما يتعلق بهذا الموضوع بالاتي : (١) زيادة الكميات المقرر صرفها يوميا ، وان لم يكن بالامكان ، فعلى الاقل عدم نهبها ، والسماح للمعتقلين بابتياع حاجتهم من المواد الغذائية لسد النقص . (٢) تشكيل لجنة من قبل المعتقلين أنفسهم وباختيارهم ، للاشراف على استلام الارزاق حتى لا تنهب . (٣) تشكيل لجنة من قبل المعتقلين للاشراف على المطبخ وطبخ الطعام وتأمين نظافته .

لقد كانت ادارة المعتقل تعارض بشدة اجراءات من هذا النوع . لانها تسلبها مصدر دخل أساسي كل شهر . وفي بعض الحالات كان المعتقلون يفرضون مطالبهم ، الا ان الادارة سرعان ما تخترقها ، وتخلق قصة جديدة .

الصحة العامة والطبابة : شكل هذا الموضوع قضية أساسية ، تفوق كل القضايا الاخرى من حيث الاهمية ، ولم تكن هذه القضية تخص معتقل الجفر وحده ، بل كانت تخص كل المعتقلين في كل سجون الاردن ، الا انها كانت تكتسب اهمية في الجفر ، بحكم

بعده عن أي مركز طبي ، ومن هنا فقد شكلت هذه القضية نقطة صدام أساسية مع ادارة المعتقل في كل الفترات .

فمن الناحية النظرية ، يوجد عيادة في المعتقل ، يشرف عليها ممرض من الجنود ، ويجب أن يتوفر فيها جميع العلاجات الاساسية ، كذلك يجب ان تتم زيارة كل من طبيب الصحة وطبيب الاسنان مرة كل اسبوعين ، بالاضافة الى الاهتمام بالحالات الطارئة وتحويلها الى المستشفى . **أما عمليا** ، فقد كانت الامور على نقيض ذلك تماما ، ففي الفترة الاولى والثانية اي طوال العام ٧١ ، واواخر العام ٧٠ ، لم يكن متوفرا أية عناية صحية ، والعيادة من النادر جدا ان يتوفر بها اسبرو ، والمجروح اذا وجد من يخيط له جرحه فبأبرة خياطة عادية وبخيط نايلون ، اما الطبيب فلم يكن يعرف باب المعتقل ، وقد علق احد الضباط المسؤولين على هذا الوضع بقوله : « انتم عهدة مستهلكة ، فما حاجتكم الى الطبيب ، اننا ننتظر موتكم ولا نريد معالجتكم !! » أما في الفترات اللاحقة فقد تحسنت الامور ــ نسبيا ــ الا انها ظلت أدنى من الحد الادنى المطلوب بكثير . فالعيادة لا تصلها العلاجات ، لانها كانت تسرق وتباع قبل ان تصل الى المعتقل والادوية المتوفرة هي الحبوب المهدئة من « ريمين ونوفالجين وكوديين » والاعتياد على هذه الحبوب قد يؤدي الى الاعتياد على تعاطي المخدرات ، وعلى ما يبدو ان هذا ما كانت تريده السلطة .

اما زيارة الطبيب فقد كانت على المزاج ، يأتي كل شهرين كل ثلاثة على كيفه ، ولا يمكث لاكثر من ساعة ، وطبيب الاسنان كان نادرا ما يأتي ، والعلاج الوحيد لديه القلع او الحبوب المهدئة . ولذلك كان المعتقلون يطورون علاجات خاصة بهم لمعالجة وجع أسنانهم ، فكان « محلول الشبه » و« محلول تبغ الهيشة » من العلاجات السائدة في المعتقل لمقاومة وجع الاسنان .

اما الحالات الطارئة والتي تستدعي العلاج السريع او الانتقال الى المستشفى ، فلا تلقى أية عناية ملحوظة ، واثنان من المعتقلين توفيا ، لانه لم يجر نقلهم الى المستشفى بالسرعة اللازمة ، احدهم اصيب بنوبة قلبية وتأخر نقله لاكثر من ثلاث ساعات فمات ، والاخر اصيب بحالة مرضية مفاجئة ، تأخر نقله للمستشفى لاكثر من يومين ، فمات ايضا . اما الحالات التي تستدعي عمليات مثل البواسير او غيرها ، فكانت تهمل وتترك للزمن . اما يقاوم جسم الانسان او يموت ، او يستعصي مرضه .

وليت الامر وقف عند هذا الحد ، فقد كانت الادارة تصادر أي أدوية خاصة يوصي عليها المعتقلون مع زوارهم ، بدعوى انها تريد التأكد منها من قبل الطبيب ! بالاضافة الى ذلك ، فان الادارة كانت لا تساعد المعتقلين في النظافة العامة ، فكانت تحرمهم من المبيدات الحشرية ومبيدات الذباب ، اضافة الى الحرمان من الماء الساخن والصابون في الفترات الاولى ، مما أدى الى انتشار الامراض الجلدية بكثرة .. وأمام خطورة الحالة ، وتحت الضغط والالحاح المستمرين ، فقد وافقت ادارة المعتقل على عزل المصابين ، ومعالجتهم بسرعة ، الا ان فترة العزل لم تدم الا قليلا ، والعلاج كان جزئيا وغير مجدي ، وعلى حد قول احد المعتقلين : لقد كتب علينا ان نتناول طعامنا مع الذباب والرمال ومع استنشاق الروائح الكريهة . ولقد كان صادقا الى حد كبير في كلامه .. فالطعام كان يوزع على البركسات في سطول مكشوفة ، ومع الرمال التي يثيرها « الطوز الصحراوي » كانت تمتلىء السطول بالرمال ، أما الذباب فقد كانت لا تخلو منه وجبة طعام .

الحياة السياسية داخل المعتقل : ما كان السجن أو الاعتقال ليوقف نضال مناضل ، أو يمنعه عن متابعة مهماته النضالية بنفس القوة والفعالية كأنه خارج السجن . ذلك

ان السجن يتيح فرصة قد لا تتوفر في الخارج ، وهي وجود مجموعات مجربة ومن قوى مختلفة ، في تماس مباشر مع بعضها ، وفي حياة يومية مشتركة ، مما يخلق جوا من التفاعل ، يعطيه السجن ، والوجود في مواجهة جهاز قمعي بشكل يومي وملموس ، طابعا خاصا لا يتوفر في الخارج ، ومن هنا ، فان النضال ومتابعته من داخل السجن ان لم يكن يفوق النضال خارجه ، فانه يوازيه في الاهمية . فالسجن الذي تريد منه قوى القمع الفاشية ، ان يكون وسيلة للعزل والبعد عن التأثير في الجماهير ، فانه يشد من الصلة مع الجماهير ، ويخلق حالة من التعاطف اكبر واشد في تأثيرهـــا بين السجين والجماهير ، والسجن الذي يراد منه ان يكون قهرا للارادة ، يـــزود المناضل ، اي مناضل ، بتجربة ثمينة ، وباختبار للذات وقدرتها على الاحتمال والصبر والمواجهة . ان السجن هو ايضا اختبار للارادة ، ولعمق الالتصاق بالقضية الوطنية . انه رؤيا جديدة، تضع المناضل ، اي مناضل ، امام صور وأوضاع جديدة ، لا يواجهها في حياته العادية ونضاله اليومي ، يواجهها في السجن بنفسه ، ويختبرها بنفسه ، ولذا فانها تكتسب اهمية خاصة لديه ، تكسب قناعاته صلابة ومتانة .

ان مواجهة قوى القمع بشكل مباشر ويومي، تعني دائما ـــ باستثناء ضعاف النفوس، باستثناء أصحاب الارادات الميتة والمنهارة ـــ تصليب الذات ، تصليب المنطلقـــات ، واكسابها المزيد من الوضوح ، المزيد من البلورة .

ان فترة السجن تمثل في حياة كل مناضل ، حالة قائمة بذاتها ، يكون لها فعل وتأثير مباشران على حياته القادمة ، وعلى مستقبله النضالي . ومن هذه الزاوية بالذات فان الحركات الوطنية تعطي للسجن اهمية خاصة ، لانها بالسجن ومن خلاله ، تكتشف صدق عناصرها ، تكتشف صلابتهم وقوة ارادتهم ، وقدرتهم على المواجهـــة والصمود . ان القيادات الوطنية في معظمها ، بنت نفسها وعمقت ارتباطها بالقضية خلال السجن ، فالسجن مصنع للرجال ، للمناضلين ، وليس غريبا ان يسمي الفرنسيون سجن « كون سين » في فيتنام ، بجامعة « هوشي منه » فمن هذا السجن كان يتخرج أصلب المناضلين، وفي هذا السجن كان يتحول الناس العاديون الى مناضلين صلبين ، وعنيدين في نضالهم. ولذا ليس غريبا ان يكون معتقل الجفر ، الجامعة الوطنية لشعبنا ، فالجفر الذي ارادت منه الفاشية الاردنية أن يكون مكانا لقتل الارادة ، واذلالا للنفس ، تحول الى مشعل للنضال لا تنطفىء جذوته ابدا ، تحول الى قلعة للصمود ، والى مدرسة لتربية الكادرات الوطنية وتخريجها . ففي داخله كانت تصقل النفوس ، وتقوى العزائـــم ، وتصلب الارادات ، وتترسخ القناعات بالقضية الوطنية والنضال من أجلها .

ان زمن السجن لم يكن زمنا ضائعا ، والسنوات الثلاث التي مضت على المعتقلين في معتقل الجفر وسجون الاردن الاخرى ، لم تكن خارج الزمن ، كانت سنوات نضال وبناء ثوري . فبالاضافة الى الخبرات المستفادة في مواجهة قوى القمع والفاشية والنضال من اجل انتزاع الحقوق بالاضرابات وغيرها ، فقد أضافوا الى خبراتهم الســـابقة خبرات جديدة ، نموا من ثقافاتهم ، وارتقوا بحالتهم النضالية ، وزادوا من تجاربهم .

لم يكن المعتقلون داخل الجفر ـــ بالرغم من انه منفى ـــ بعيدين عن الحياة السياسية والجو السياسي في الخارج ، كانوا يواكبون نشاطات المقاومة، ويتابعون اخبار الحركات الوطنية العربية ونضالاتها ، وأخبار القوى الوطنية الثورية في العالم . كانت الحياة السياسية جزءا مهما في النشاط اليومي لكل معتقل ، فقد شكل النشاط السياسي اليومي جانبا هاما واساسيا جدا من تفكير القيادات والكوادر المعتقلة ، ومن تفكيـــر جمهرة المعتقلين ، ولم يكن هذا النشاط متروكا للمزاج او للمبادرة الذاتية المحضة ، بل كان مبرمجا ، وله أهدافه المحددة ، في شد مجموع المعتقلين وترسيخ تضامنهم ، في تصليب

مواقفهم ، في الارتقاء بقدرتهم على الاحتمال والصمود ، في الارتقاء بوعيهم السياسي والفكري ويمكن تحديد أهم مجالات هذا النشاط السياسي اليومي بما يلي :

١ ــ البناء الذاتي بصقل النفس ومحاربة العادات والمسلكيات الخاطئة : ان وجود مجموعات كبيرة من المعتقلين في تماس يومي مباشر مع بعضهم ، يخلق احيانا بعض الاشكالات ، فالسجن والتفكير بالاهل والاولاد والزوجة .. الخ ، يخلق حالات من النرفزة والنزق والضيق ، أو الضجر ، ولذا فان اي اشكالات كانت تعالج بطول نفس ، ومن خلال التربية الثورية ، وبالنضال لاقتلاع العادات والمسلكيات الخاطئة والمكتسبة من خارج السجن ... لقد كان يتم التركيز على هذه الامور في الندوات ، وفي الجلسات النقدية التي كانت تعقد بين حين وآخر ، مما كان يساعد كثيرا على الاقلاع عن العادات والمسلكيات الخاطئة ، وتكريس عادات ومسلكيات جديدة ، تنمي روح التعاون والتضامن ، وروح التفكير بالجماعة ، والنظرة المسؤولة والواعية للامور . لقد كان يتم التركيز في هذه الندوات واللقاءات سواء بمحاضرات او بدردشات ومناقشات عامة . عن معنى وجودنا في المعتقل ؟ ماذا تهدف السلطة من وجودنا هنا ؟ كيف نمعها من قهر ارادتنا ؟ كيف نعالج مشاكلنا وبأي روح يجب ان نعالجها ؟ ما هي أخطاؤنا ؟ النقد والنقد الذاتي وأهميته في معالجة الاخطاء . ان مواضيع كهذه ، كانت تترك آثارا واضحة على جمهرة المعتقلين ، وكانت تساعد في الارتقاء بأوضاع كل معتقل ، وبصقل ذاته .

٢ ــ تنمية روح التضامن بين جميع المعتقلين من كل التنظيمات ، بالتأكيد على الانتماء الى القضية الوطنية الواحدة ، والجبهة الوطنية التي تأتلف فيها كل القوى الوطنية ، ذلك ان ادارة المعتقل كان يهمها جدا أن تلعب على أي تعارض او اي خلاف قد يحصل بين أي تنظيم وتنظيم ، وكانت على استعداد لالتقاط أي خلاف ولو بسيط يحدث داخل المعتقل ، لتعميقه والاستفادة منه ، ولذلك كانت الشعارات الاساسية المرفوعة داخل المعتقل حول هذا الموضوع : ابعدوا الادارة عن التدخل في مشاكلنا، حاربوا أي اتجاهات للتفرقة بين المعتقلين ، نموا الوحدة الوطنية وكرسوها في كل مجالات عملكم . لقد كان لمثل هذه الشعارات ، والنضال الدؤوب لغرسها بين جميع المعتقلين اثر كبير في الحفاظ على وحدة المعتقل النضالية في مواجهة قمع الادارة ، وفي الحفاظ على وحدة كل القوى الوطنية وتعاونها .

٣ ــ البناء السياسي والايديولوجي بشكل يومي ومستمر : اذا استثنينا الفترة الاولى من حياة المعتقل ، والتي كانت حالة استثنائية أضافة الى ان الكثيرين كانوا جددا وتنقصهم التجربة ، فان الفترات اللاحقة ، وبشكل خاص ابتداء من عام ٧٢ ، قد شهدت اهتماما بالبناء السياسي والايديولوجي للمعتقلين للارتقاء بوعيهم وبقدرتهم النضالية . وقد تمثل ذلك في النواحي التالية : ا ــ تدريس بعض الكتب التي كانت تهرب الى داخل السجن ، اضافة الى الابحاث التي كانت تكتب وتدرس . ب ــ قراءة المجلات والجرائد من قبل كل معتقل ، ومناقشة وتحليل الموضوعات الرئيسية فيها في لقاءات وجلسات جماعية للبركس . ج ــ اصدار نشرة رصد اذاعي يومي في كل بركس ، بالرغم من ان الراديوات كانت ممنوعة . الا انه كان يتم تهريبها ، ولم يخل بركس من راديو في أي فترة ، وكان يتم اعداد النشرة ، من قبل شخص يكلف بها ، وفي المساء اما تقرأ على البركس أو توزع لقراءتها فرديا ، وبعد الانتهاء منها تحرق . وكل اسبوع تعقد جلسة عامة للبركس ، يناقش خلالها أهم خبر أو حدث سياسي خلال الاسبوع . د ــ عقد ندوات سياسية لمجموع البركس بين فترة واخرى ، لتحليل الاوضاع السياسية ، ومناقشة أهم القضايا التي تواجهها حركة المقاومة ، ومتابعة نشاطاتها ، ومواقفها . هـ ــ تشكيل لجنة ثقافية في كل بركس ، مهمتها الاشراف على النشاط الثقافي بشكل عام،

وعقد الندوات ، وترتيب حفلات سمر بين فترة وأخرى ، وعـرض بعض التمثيليات الوطنية التي كان يؤلفها المعتقلون . اضافة الى اعداد كتابات عن التعريف بالتاريخ الوطني الفلسطيني ، واحياء بعض جوانب من التراث الشعبي الفلسطيني — حسب الممكن — وكان يتم ذلك ، أحيانا ، بعقد ندوات يحكي المشتركون فيها عـن قراهم او بلادهم وعن عاداتها وتقاليدها في الافراح وغيرها، وعن أهم الاغنيات والمواويل الشعبية السائدة الخ ..

٤ — تنمية الشعور الوطني والارتباط بالقضية ، باحياء المناسبات الوطنية والقومية، فلم تكن تمر مناسبة وطنية او قومية الا ويجري احياؤها مهما كانت الظروف ، وكان ذلك يتم في كل البركسات وفي وقت واحد ، من هذه المناسبات : ذكرى الكرامة ، ذكرى ١٧ أيلول ، ذكرى ١٥ أيار ، ذكرى ٥ حزيران ، ذكرى انطلاقة فتح . وخلال عملية الاحياء هذه كان يتم استعراض كثير من القضايا الوطنية ومناقشتها . كذلك كان يجري دائما تأبين الشهداء الذين تعدمهم السلطة ، والاحتفال بذكـرى استشهادهم . أو الذيـن استشهدوا في الخارج ، وخلال الاحداث التي تتعرض لهـا حركة المقاومة ، تكـون البركسات كخلية النحل ، تتابع الاخبار وتناقشها . ففي أثناء أحداث أيار ٧٣ في لبنان ، كانت البركسات في حالة غليان كبيرة ، تتابع كل الاخبار ، ولدى انتهاء الاحداث ، عقدت ندوات في كل بركس ، لتحليل الاحداث ومناقشتها .

٥ — تنمية الاتصالات والتعاون بين جميع القوى الوطنية داخل المعتقل وفي جميع البركسات ..

بالرغم من ان ادارة المعتقل ، كانت حريصة جدا على منع اتصال البركسات بعضها ببعض ، وابقاء معتقلي كل بركس معزولين كليا عن المعتقلين في البركسات الاخرى ، الا ان الاسوار العالية ، والقيود الشديدة ، لم تمنع المعتقلين مـن الاتصال ببعضهم ، فقطعوا الاسلاك ، وقفزوا من فوق الاسوار العالية للاتصال ببعضهم البعض ، لعقد المباحثات والمناقشات المشتركة حول قضايا المعتقل وقضـايا الثورة . ولهذا فقد كان المعتقل يعيش حياة نضالية مشتركة ويحدد مواقف محددة وواحدة ، وباتفاق الجميع في كل البركسات ، وما كان أي بركس لينفرد في موقف ، وقبل اتخاذ اي موقف كان يعرض ويناقش مع جميع القوى في كل البركسات ، ويتم الاتفاق بكل روح أخوية ورفاقية ، مما يؤدي الى تقوية التضامن والتعاون بين الجميع ، ويجعل من المعتقل وحدة واحدة في مواجهة الادارة .

لقد كان المعتقل يمثل صورة نضالية حية ومشرقة . كان المعتقلـون يعيشون مع اخوانهم ورفاقهم في الخارج ، يتابعون أحداث الثورة ، ويعيشون معها بكل حواسهم ، لقد كانوا في قلب المعركة فعلا ، ولم يكونوا بعيدين عنها .

الحياة اليومية وتنظيم العمل اليومي داخل البركس : بالاضافة الى تنظيم العمل داخل المعتقل بمجموعه ، وتنظيم الاتصالات بين جميع البركسات وجميع القوى داخلها ، فقد كان من المفروض من كل بركس ان ينظم شؤونه الخاصة ، وحياته اليومية ، ولا سيما في ظل وجود عدد ليس بالقليل في كل بركس ، مهما قل فلن يقل عن ٥٠ معتقلا في أدنى الحالات . وبالرغم من وجود فروقات نسبية ، في تنظيم الحياة اليومية بين بركس وآخر، الا أنه يمكن القول ان هناك خطوطا عامة كانت تشترك بها جميع البركسات ، والتي يمكن ايجازها بالتالي :

أ — يوجد في كل بركس شخص منتخب من قبل البركس يدعى « الشاويش » مهمته الاشراف على النظافة العامة داخل البركس ، بالاضافة الى مهمة الاشراف على استلام

وجبات الطعام من الادارة وتوزيعها علـــى المعتقلين ويكون بمثابة صلة الوصـــل بين الادارة والمعتقل .

ب ــ في كل بركس كانت تختار لجنة مهمتها تأمين الجرائد والمجلات وتوزيعها بانتظام على الجميع داخل البركس ، كذلك من مهامها النظر في أي مخالفات ادارية او مسلكية تضر بأمن البركس وسير عمله اليومي ، وكان من حقها فرض عقوبات انضباطية على أي مخالف مثل القيام بخدمة عامة في البركس (تنظيف او غيره) .

ج ــ النظافة كانت يومية وبالدور ، وكان البركس ينظف مرتين صباحا ومساء ، في الصباح تطوى الابراش وينظف تحتها ، وكذلك في المساء . كما تنظف الساحة الخارجية من الاوساخ . وفي كل شهر تجري عملية تنظيف عامة يشترك بها الجميع ، حيث يغسل البركس بالصابون ، وتخرج كل الاغراض الى الساحة ، تشمس البطانيات وتنظف من الغبار .

د ــ النشاط الرياضي يوميا « لمن يرغب » حيث يجري النهوض صباحا في الساعة السابعة ، ويتشكل طابور رياضي في كل بركس يستمر لمدة ساعة ، ويشتمل على ركض لمدة نصف ساعة ، ثم القيام بمجموعة من التمارين الرياضية باشراف مدرب يعين في كل بركس . ان النشاط الرياضي بالنسبة للسجين من الامور الهامة ، لانه يقضي على الترهل والكسل والخمول الذهني .

هـ ــ النشاط الزراعي ، مع توفر المياه ، قام المعتقلون في كل بركس بزراعة بعض الخضار وعدد من الاشجار الحرجية في أطراف ساحة البركس ، وبالرغم من ان ادارة المعتقل كانت تحارب هذه العادة بتخريب المزروعات ، الا ان المعتقلين كانوا يعاودون الزراعية ويجلبون البذور مع زوارهم . وبالرغم من عدم توفر آلات لحرث الارض ونكشها ، فقد كان يستعاض عنها بطرف « ميسورة » او بزاوية حديدية حادة الخ .. لقد كانت الزراعة تجلب المتعة والسرور الى نفوس الجميع .. لانها توحي بالعمران والحياة في وسط صحراء مجدبة .

لقد كانت السنوات الثلاث الماضية من تاريخ هذا المعتقل ، سنوات خصب وحياة ، تجلت فيها كل اصالة شعبنا ، في قدرته على الاحتمال والصبر والعطاء ، في قدرته على مواجهة التحديات والتمسك بقضيته الوطنية . وما كانت سياسات القهر والاذلال لتوقف مسيرة الجماهير ، او تحد من اصرارها على متابعة النضال . وان أروع مثال على ذلك هو استقبال جماهير شعبنا لابنائهم القادمين من معتقل الجفر بعد العفو الاخير (٢٠/٩/ ٧٣) فما ان وصلت السيارات التي تقل معتقلي الجفر الى مشارف مخيم الوحدات ، حتى خرجت جماهير المخيم نساء وشبابا وأطفالا الى أطراف المخيم، مصفقة ومرحبة بعودتهم، ورافعة قبضاتها في الهواء علامة التحدي والاصرار . وعلى مدخل السجن المركزي كان يحتشد ما يزيد عن ١٥ ألفا من جماهير شعبنا بانتظار أبنائهم ، وما أن وصلت السيارات حتى اختلطت زغاريد النسوة بالاناشيد الوطنية ، وبالهتاف للثورة ، وبالدموع ...

كانت صورة رائعة وحية عن صمود هذا الشعب ، لا يمكن ان تمحى من الاذهان .

فردان ودير ياسين : الجريمتان والنتائج

الدكتور نبيل علي شعث

في الساعات الاولى من فجر الثلاثاء العاشر من نيسان ١٩٧٣ .. منذ عام مضى .. قام العدو الاسرائيلي بتنفيذ عملية الفردان داخل مدينة بيروت ، وقد استهدف العدو بعمليته هذه اغتيال قيادات الثورة الفلسطينية وقد تركزت هجمة العدو على بنايتين في شارع صغير متفرع من شارع الفردان في بيروت ، وعلى حي الفاكهاني حيث مكاتب قيادات الثورة الفلسطينية . وبالرغم من كل عناصر المباغتة والتمويه التي استخدمها العدو فقد لقي مقاومة من كل هدف هاجمه ، وفي عملية التصدي له استشهد القادة كمال ناصر عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والناطق الرسمي باسم الثورة الفلسطينية وكمال عدوان عضو اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) والمسئول عن قطاع الوطن المحتل ، ومحمد يوسف النجار (ابو يوسف) عضو اللجنة المركزية لحركة فتح وعضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ورئيس اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين في لبنان ، وكذلك استشهد عدد من مناضلي الجبهة الشعبية الديمقراطية وفتح وبعض من المناضلين اللبنانيين وعدد من المواطنين السوريين وبعض رجال الامن اللبنانيين ، كما استشهدت زوجة الشهيد ابو يوسف .

وقد قاوم الشهيد كمال عدوان المهاجمين بمدفعه الرشاش وقاومهم الشهيد كمال ناصر بمسدسه الصغير فأوقعا خسائر بالمهاجمين المتفوقين عددا وعدة وتصدت الشهيدة ام يوسف للقتلة الذين أصابوا زوجها المناضل الذي قاوم المهاجمين فصرعوها بنيرانهم ، ووجهوا عشرات الطلقات الى فم الشهيد كمال ناصر حقدا وتشفيا بشاعر الثورة والناطق باسمها ، وقاومهم رجال الثورة في الفاكهاني واوقعوا بهم خسائر كان اهمها قائد العملية الارهابية ، فحمل البافون قتلاهم وجرحاهم لينسحبوا عبر البحر والجو بالهليكوبترات بعد تحقيق اهدافهم المباشرة ..

وفي فجر التاسع من نيسان ١٩٤٨ قبل جريمة الفردان بخمس وعشرين سنة تماما (اعلن بعد عملية الفردان انها تأخرت يوما واحدا لاعتبارات متعلقة بالاحوال الجوية) هاجم العدو الاسرائيلي قرية دير ياسين العربية الفلسطينية (احدى ضواحي القدس) ، وبعد قتال مرير قاومت فيه القرية مهاجميها الذين يتفوقون عليها عددا وعدة وكان قتالا ضاريا استمر ساعات طويلة ، احتل المهاجمون القرية ، وفتكوا بمن فيها ودمروا بيوتها وقتلوا ٢٤٥ رجلا وطفلا وامراة من سكانها وشوهوا اجسادهم ثم حملوا اعدادا من الناجين ليعرضوهم على سيارات مكشوفة في شوارع القدس الجديدة ثم قتلوا ٢٥ آخرين منهم في كسارة تقع بين القرية ومستعمرة جفعات شاؤول . ثم انسحبوا بعد تحقيق اهدافهم المباشرة ...

جريمتا الفردان ودير ياسين قام بهما العدو الاسرائيلي ... تفصلهما خمس وعشرين سنة ... يربطهما هدف واحد أساسي : ارهاب الشعب الفلسطيني وتيئيسه وتحطيم

مقاومته وتهجيره عن ارضه ... جريمتان داميتان تتشابهان في الاهداف والظروف وان كانتا تختلفان اختلافا بينا في النتائج والاثار ...

وفي ذكرى شهداء العمليتين لا بد لنا من القاء نظرة للوراء لمقارنة الاهداف والنتائج لاستخلاص الدروس الهامة التي يجب على شعبنا وثورتنا الاستفادة منها في هذه المرحلة الهامة من تاريخه ...

جريمة دير ياسين :

كان موعد اتمام الانسحاب البريطاني يقترب بسرعة ، والتعبئة الصهيونية الشاملة تصل ذروتها وشحنات الاسلحة تتدفق على العدو من الخارج ومن الداخل (من « سلب » المعسكرات البريطانية) ، واصبح هدف انشاء الوطن القومي اليهودي وشيك التحقيق ، ولذلك كان لا بد من فرض الوجود الصهيوني على اكبر رقعة من ارض فلسطين . ولكن ذلك كان يستلزم تفريغ الارض من سكانها وطردهم الى خارجها ، وكان هذا هو بالاساس هدف خطة دال (دالت) الصهيونية . ولكن الامور لم تكن تسير كلها باتجاه ما يريده العدو ، فلقد كان مستوطنوه في القدس يخضعون للحصار العربي(١) ، وكان الكفاح المسلح الفلسطيني يتصاعد في كل مكان . وقد ادى ذلك الى تراجع الولايات المتحدة وهيئة الامم المتحدة في آذار ١٩٤٨ عن محاولة فرض قرار التقسيم بالقوة والمطالبة باعادة النظر فيه لتؤخذ حقوق الشعب الفلسطيني ورغباته في الاعتبار .

وفي الايام القليلة التي سبقت المذبحة كانت هناك معركة طاحنة تجري في القسطل على بعد كيلومترين ونصف من دير ياسين يقودها البطل الشهيد عبد القادر الحسيني ، الذي انتصر فيها وسقط شهيدا في ١٩٤٨/٤/٨ .

وبالرغم من نزوح اعداد قليلة من الفلسطينيين في ذلك الوقت الا ان الغالبية العظمى من ابناء الشعب الفلسطيني كانت متمسكة بأرضها مصممة على الاحتفاظ بها بالرغم من كل الصعوبات ، فجاءت مذبحة دير ياسين لتجسد المخطط الصهيوني لارهاب الشعب الفلسطيني وتيئيسه توطئة لتهجيره من وطنه حتى يمكن استلام أكبر رقعة من ارض فلسطين خالية من سكانها وجاهزة للتهويد عند اتمام الانسحاب البريطاني واعلان قيام دولة اسرائيل . وقد كانت دير ياسين هدفا مثاليا فهي قرية عربية صغيرة (٧٧٥ نسمة) محاطة بأحياء القدس اليهودية وبمستعمرات صهيونية يزيد سكانها عن المائة والخمسين الفا(٢) وهي نتيجة لوضعها هذا لم تستطع القيام بأية عمليات عسكرية ضد القوات الصهيونية المحيطة بها(٣) ، وكان كل ما تملكه القرية من سلاح هو ٦٠ بندقية ورشاشين برن و٤ ستن وذخائر تكفي ساعات قليلة من القتال المستمر . ولذلك فان الهجوم المباغت عليها من قوى مشتركة للارجون (اتسل) والليحي (سترن) والبالماخ (هاجاناه) بأسلحة مختلفة ومصفحات كان يستهدف تحقيق انتصار سريع تعقبه مذبحة رهيبة يمكن استخدام نتائجها في ارهاب سكان المدن والقرى الاخرى لاقتلاعهم منها(٤) . وقد حدث هذا فعلا في حيفا التي سقطت بعد مذبحة دير ياسين باثني عشر يوما (٤٨/٤/٢١) ثم في الهجوم على يافا في ٤/٢٥ والذي ادى الى سقوطها في ٥/١٢ بعد ان هجرها معظم سكانها ، ثم في تهجير سكان الجليل والشمال الفلسطيني كله(٥) .

واضاف الصهاينة الى ما استخدموه في دير ياسين تكتيكات رعب جديدة تمثلت في قنابل البراميل وقنابل الهاونات ومكبرات الصوت واصوات الرعب والاشاعات المفزعة بالراديو(٦) وكرروا استعراضات الاسرى ونسف البيوت واحراقها بسكانها الاحياء والقتل بالجملة . والخلاف الذي نشأ حول جريمة دير ياسين والذي انفجر مرة اخرى في الذكرى الرابعة والعشرين للمذبحة سنة ١٩٧٢ ، يتركز في الظاهر حول مسؤولية

الارجون تزفاي لئومي (اتسل) و (الليحي) عن المذبحة ومدى مسؤولية الهاجاناه فيها(٧). وهي قضية فرعية سبق النقاش حولها . والذي لا شك فيه ان القيادة الصهيونية كانت على علم كامل بالمذبحة كما لا شك في ان قوات البالماخ شاركت في احتلال القرية ، وكذلك شارك الجدناع في دفن جثث ضحاياها ، ثم استثمرت القيادة الصهيونية نتائجها في حملة الرعب والتهجير اللاحقة(٨). كما يختلف المؤرخون الصهاينة حول عدد القتلى وطريقة قتلهم والاهداف من استعراض الاسرى في حي محانيه يهودا وزخرون يوسف بالقدس الجديدة ثم عدد الذين قتلوا منهم لاحقا في الكساره الواقعة بين دير ياسين وجفعات شاؤول(٩).

ان الخلاف الحاد بين مؤرخي الارهاب الاسرائيليين حول جريمة دير ياسين يكشف الكثير عن حقيقة التوجه الصهيوني الماضي والمعاصر نحو الشعب الفلسطيني ، فهو يدور حول أثر عملية دير ياسين على العرب ومدى أضرارها بسمعة الصهيونية ، فكتاب الهاجاناه والوكالة اليهودية يصرون على ان عملياتهم هم المنبثقة من الخطة دالت هي التي سببت الهروب الكبير للعرب من مدنهم وقراهم وليس مذبحة دير ياسين وان الآثار السلبية للمذبحة على سمعة الصهيونية كانت أكبر من سلبيات مذابح الهاجاناه التي بقيت مستورة عن الرأي العام العالمي .

وتركز جماعة الاتسل في دعايتها على ان دير ياسين كانت اول عملية من نوعها وانها هي التي سببت هروب الفلسطينيين وانها العامل النفسي الحاسم الذي غير تاريخ فلسطين(١٠) ، ولكن جماعة الليحي الذين شاركوا في المذبحة يتفاخرون بمذابح سابقة لهم في لفتا الفوقا والتحتا وفي الشيخ بدر وحتى في بيت دجن(١١) ويكررون الادعاء بأن دورهم في الجريمة كان هو الاساس في انزال الخوف المميت بالعرب وتحطيم معنوياتهم ثم في تسهيل احتلال طبريا وحيفا وعشرات القرى العربية الاخرى . بينما يدعي رجال الهاجاناه انهم كانوا هم السابقين وعملياتهم هي التي كانت ذات الاثر الاكبر .

ويتهم مئير بيعيل رجال اتسل وليحي بالقيام « بمذبحة مخزية » لسكان دير ياسين بعد خروج رجال البالماخ منها(١٢) « رجال ، نساء ، شيوخ ، أطفال دون تمييز قتلوا بواسطة ايقافهم الى الحيطان والزوايا داخل البيوت » ، ويدعي ان هنالك شهادات مصورة لكل ما حدث ، كما انه يدعي وجود هذه الشهادات المصورة « لمسيرة النصر » في القدس وللقتل الجماعي في الكسارات . ويتصارع المؤرخون الارهابيون الان حول مدى الشذوذ في الجرائم المرتكبة خلال مخطط التهجير والارهاب ، فيندد اريه يتسحاقي بجنود البالماخ « اولئك المقاتلين الذين ثقفوا بتشديد على طهارة السلاح العبري » ويشرح كيف تمت مذبحة بلد الشيخ في ٣٠ — ١٩٧٤/١٢/٣١ على يد الكتيبة الاولى للبالماخ ولواء كرميلي ، ثم كيف قامت الكتيبة الثالثة للبالماخ بعملية سمسم التي ترتب عنها تفجير البيوت على سكانها وقتل ٦٠ عربيا معظمهم من النساء والاطفال(١٣) ، ثم يستفيض في شرح مذبحة اللد ١٩٤٨/٧/١٢ التي قتل البالماخ فيها ٢٥٠ عربيا وطردوا بقية سكانها وسكان الرملة وهي العملية التي يتحمل دايان مسؤوليتها مباشرة .

ويرى بيعيل مؤرخ البالماخ ان الفرق بين المذابح لم يكن في الهدف او النتيجة وانما بأن القتل والنهب تم في دير ياسين دون مبرر كاف وان الاعداد التي قتلت في دير ياسين هي أكبر مما قتل حتى في اللد ، واخيرا ان جيش الدفاع الاسرائيلي عندما كان يعلم عن شذوذ ما كان الامر يرفق بتأنيب ضمير ، وان النهب الذي كانت تقوم به قوات البالماخ كان اجباريا . بينما اختارت أتسل الذبح والنهب ولم تصب بأي ندم او تأنيب ضمير(١٤).

ويختلف المؤرخون الارهابيون حول المقاومة التي قامت بها القرية فيدعي مؤرخو البالماخ ان رجال الاتسل (الارجون) بالغوا فيها لتبرير مذابحهم ، ولكن الواضح من

شهادات الجميع ان دفاعات القرية اكتشفت الهجوم الصهيوني قبل بدايته وان العملية تأخرت ساعات طويلة نتيجة للدفاع الباسل الذي قامت به القرية وان المهاجمين اضطروا للاستنجاد بالبالماخ لمساندتهم بالهاونات لأسكات نيران المدافعين ، وان أحد قادة العملية يهودا سغل (يفتاح) قد قتل اثناء الهجوم ، وان خمسة على الاقل من المهاجمين قد قتلوا وجرح اربعون(١٥). ولكن عارف العارف يتحدث عن مقاومة بطولية من بيت لبيت وعن خسائر اسرائيلية لا تقل عن مائة قتيل وجريح(١٦) ، ويؤكد ان القرية لم تستسلم الا بعد نفاد ذخيرتها بالكامل وتأخر القرى المحيطة بها ورجال جيش الانقاذ وقوة البوليس الفلسطيني — بل والصليب الاحمر — عن نجدتها .

لم يكن هناك تكافؤ في القوى بين المهاجمين والمدافعين ولكن سكان دير ياسين لم يخنعوا ولم يقبلوا بالاستسلام دون مقاومة . ولقد كان لانشغال المقاتلين في القرى المجاورة في معركة القسطل أثر كبير وكذلك كان لاستشهاد عبد القادر الحسيني في اليوم السابق للمذبحة اثر مزلزل للمعنويات ، توجه نتيجة له عشرات المقاتلين للقدس لتشييع الجنازة تاركين المنطقة فارغة دون دفاعات كافية .

ولكن حالة التفكك التي أصابت المقاومة الفلسطينية بعد القسطل تضاعفت بالاعلان عن مذبحة دير ياسين ، وظلت آثار الجريمة وما تلاها من عمليات تسبب رعبا كبيرا مكن الصهاينة من تحقيق أهدافهم في الارهاب والتهجير . كانت الجماهير الفلسطينية تتصرف دون حركة ثورية منظمة ودون قيادة موحدة واعية . كانت الجماهير الفلسطينية ضائعة ملتاعة لا تجد نصيرا ، تواجه جلادا ارهابيا مصمما يعمل تحت قيادة موحدة ببرنامج عمل واضح لاستيطان الارض واقتلاع سكانها . وكانت الانظمة العربية عاجزة خانعة ولم يكن هناك قوى عربية جماهيرية منظمة قادرة على الوقوف الى جانب الجماهير الفلسطينية . وكان ما يجري في فلسطين معزولا عن الراي العام العالمي لا يراه الا من خلال طروحات الصهيونية وحلفائهم . وكذلك فقد استمر الاقتلاع الصهيوني للشعب الفلسطيني دون معارضة من أحد وانتهت حرب الـ ١٩٤٨/١٩٤٩ والصهاينة يحتلون ٨٠٪ من الارض الفلسطينية والشعب الفلسطيني يعاني من الاحتلال والنزوح والشتات في خيم الذل واللجوء ... حتى توفرت الظروف لنشوء الحركة الثورية الفلسطينية المعاصرة .

جريمة الفردان(١٧)

كانت الشهور الستة السابقة لجريمة الفردان هي شهور الانطلاقة الجديدة للثورة الفلسطينية بعد مذبحة الاردن ، وتميزت بتصاعد الكفاح المسلح والنضال السياسي في داخل الوطن المحتل وخارجه . فقد عادت عمليات الداخل خصوصا في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ الى معدل عملية واحدة في اليوم على الاقل وتحسنت نوعية العمليات وتزايدت جرأتها واعتمادها على قواعد الداخل وعلى السلاح المصنوع في المنازل او المنتزع من العدو . وازداد احساس العدو بها وبخطرها ، وقاتلت قوات الثورة ببسالة ضد الجيش الاسرائيلي في غزواته المتعددة على جنوب لبنان والقرى اللبنانية ، وخصوصا معركة الايام الاربعة في العرقوب ومعركة الاربعين ساعة في القطاع الاوسط من الجنوب اللبناني، كما تصاعدت عمليات الخارج بعد عملية ميونيخ وازداد تأثيرها في الداخل . وباعدام ذيب الهربيطي ومحاولة اغتيال الشوا انهارت محاولة العدو لضم المخيمات للاحياء في قطاع غزة وتجمدت لجان المخيمات والاحياء وفشلت سياسة خلق القيادات المحلية البديلة للثورة الفلسطينية . ونشبت معركة ضارية في غزة استشهد على اثرها جيفارا غزة واثنان من رفاقه من أبطال الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في القطاع ، فألهبت حس الجماهير واستنهضتها لاستمرار النضال . وتصاعد الدور السياسي للثورة الفلسطينية

في الداخل والخارج وازداد نفوذ منظمة التحرير الفلسطينية بعد زيارة قيادتها لبلغاريا والمانيا الشرقية وبعد تدخلها لحل مشكلة الحدود الكويتية ـ العراقية ، وتمت الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية وقررت الانتقال الى العمل القاعدي لدعم الثورة ، واعتمد المجلس الوطني الفلسطيني في اول العام ١٩٧٣ برنامج العمل السياسي ونتج عنه المزيد من التلاحم التنظيمي داخل صفوف الثورة وتحول اللقاء بين فتح والجبهة الشعبية الى عمل جبهوي قاعدي هام خصوصا في الساحة اللبنانية .

وفي نفس الفترة استمرت مسيرة العمل باسم الحلول السياسية التي كانت نتيجتها الوحيدة تكريس الامر الواقع وتصاعد الدعم الامريكي غير المحدود للعدو الصهيوني وتجمد القتال على كافة الجبهات العربية خارج جبهة الثورة الفلسطينية وتصاعدت وتيرة الاستيطان اليهودي « وخلق الحقائق الجديدة » في الوطن المحتل ، وبات واضحا للعدو ان الثورة الفلسطينية تشكل العقبة الرئيسية أمام تحقيق أهدافه ولذلك فقد وجه كل جهوده لحربها ومحاولة تصفيتها ، وفي حديث لدافيد اليعازر لجريدة معاريف في ١٩٧٢/١١/٣ كرر عبارة ابادة الفدائيين وتصفيتهم عدة مرات وقال : « انني أعطي المعركة المباشرة ضد المخربين وابادتهم ، تشويش نمط حياتهم الافضلية في سلم الاولويات » ، واضاف « يجب ان نحارب مستهدفين تقليص تأثير المخربين على جميع التطورات في الشرق الاوسط ، وانا أريد الا يكون المخربون عنصرا ذا وزن في أية خطوة سياسية في الشرق الاوسط وان لا يكونوا هم ممثلي الفلسطينيين وان لا يكون لهم تأثير حاسم على احتمالات السلام في المنطقة وعلى التسويات لتأمين قواعد حياة وان كانت غير واردة في اتفاقات سلام كاملة وموقعة وعلى الاتصالات مع الدول العربية وعلى احتمالات استمرار وقف اطلاق النار »(١٨) .

لقد كانت أجهزة حكومة العدو تعمل بجد ولكن دون جدوى لتحقيق أهداف اليعازر وشكلت مجموعات العمليات الخاصة (تفيكيديم ميوحاديم) وعين الجنرال الاحتياطي أهارون ياريف رئيسا للاستخبارات العسكرية (موديعين تسفائي) ثم مستشارا خاصا لرئيسة الحكومة الاسرائيلية لهذا الغرض نفسه . (وقد تبين بعد حرب تشرين ان أجهزة استخبارات العدو كانت منشغلة بتتبع قيادات وكوادر الثورة الفلسطينية لدرجة عطلتها عن متابعة ما يجري على الجبهة المصرية والسورية)... ولقد عملت أجهزة الارهاب الصهيونية هذه بالتعاون مع المخابرات المركزية الامريكية (التي شكلت بدورها جهازا خاصا لمتابعة قوات الثورة واناطت رئاسته بأرمان ماير سفيرها السابق في لبنان) ومع المخابرات الاردنية . وقام عملاء الثالوث بعمليات ارهابية عديدة ضد كوادر وقوات الثورة نتج عنها استشهاد وائل زعيتر في روما ٧٢/١٠/١٦ ، محمود الهمشري في باريس ٧٣/١/٩ وحسين ابو الخير في قبرص ٧٣/١/٢٥ والدكتور باسل الكبيسي في باريس ٧٣/٤/٦ وهذا طبعا بعد العمليات الارهابية التي استهدفت قبل ذلك بشهور الشهيد غسان كنفاني والتي أصابت العديد من كوادر الثورة بالطرود والرسائل الناسفة . كما ان قوات العدو استمرت في اغارتها على قوات الثورة في جنوب لبنان وسوريا ، ثم قامت في ٢/٢١ بهجوم ارهابي آخر على مخيمي نهر البارد والبداوي في شمال لبنان . ولكن أثر هذه العمليات كان مضادا للاهداف الاسرائيلية ، اذ انه زاد من تصلب الثورة وكوادرها ومن اهتمامها بالقضايا الامنية مما ترتب عنه كشف بعض شبكات المخابرات الاردنية ، كما ادى الى مصرع العملاء الاسرائيليين الهامين في اوروبا وامريكا .

وباقتراب ايار والاحتفالات بذكرى خمس وعشرين سنة على انشاء دولة العدو ازدادت خشيته من قيام الثورة بعمليات هامة تشكل تصعيدا رئيسيا لعملها في الارض

المحتلة مما يستنهض جماهير الداخل ويعبىء قواها المختلفة ، خصوصا وقد شهدت الارض المحتلة تناميا في مشاركة طوائف الشعب المختلفة في الكفاح المسلح فاكتشفت خلايا درزية مقاتلة وعناصر يهودية تناضل من خلال الجبهة الحمراء واستمر نضال الكاثوليك تحت شعار العودة لاقرت وكفربرعم ، وازدادت الاعتقالات في اوساط فلسطينيي المثلث والجليل في الارض المحتلة سنة ١٩٤٨ . كما ان استمرار العمليات الخارجية وآخرها عملية الخرطوم التي اثارت غضب وفزع الحكومة الامريكية سببت ذعرا كبيرا في اوساط العدو الصهيوني .

وبتنامي علاقات الثورة مع القوى الجماهيرية اللبنانية والعربية أصبح من الضروري توجيه ضربة جديدة الى لبنان ولقوات الثورة فيها لانضاج صراع جديد بين السلطة اللبنانية والثورة الفلسطينية ، وقد تم ذلك في المخطط الصهيوني بالاستفراد بلبنان دون خوف من أي ردع عربي مناسب .

في هذه الظروف ولهذه الاسباب خطط العدو لعملية الفردان . . . في ذكرى دير ياسين . وانضج نيسان الجريمتين الارهابيتين فتوافق موعدهما .

العقل المخطط واحد ، الفكر الصهيوني الارهابي واحد والهدف واحد : احباط مقاومة الشعب الفلسطيني ، ابعاده عن ارضه وثورته وتيئيسه من استمرار النضال . ولكن التفاخر والمديح بالعملية الاجرامية الجديدة لا يخفيه أحد هذه المرة كما اختفت أخبار دير ياسين . ودايان يعتبر جريمة الفردان « اللؤلؤة مع ال التعريف في تاريخ الكوماندو الاسرائيلي »(١٩) . ويظهر أوري افنيري على حقيقته الارهابية العنصرية بتشبيهه عملية الفردان بعملية هرقل الذي قتل الافعى « هيدرا » ذات مئة الرأس التي قطعها واحدا بعد واحد . « لكن هرقل كان كلما قطع رأسا يحرق الرقبة النابت عليها منعا لانباتها راسا جديدة »(٢٠) . وتعود جولدا مئير لتتفاخر « بطهارة الجندي الاسرائيلي وطهارة سلاحه » تماما كما تفاخرت بعمليات اللد والرملة وبلد الشيخ سعسع . . . وترددت عبارات الحقد العديدة من كل قادة العدو . . .

رد الفعل الفلسطيني والعربي

اختلف رد الفعل لآثار جريمة الفردان اختلافا كاملا عن رد الفعل الفلسطيني لجريمة دير ياسين . . . وبدلا من تصريحات الخوف والرعب والاسى ، وبدلا من الفرار والرحيل ، وبدلا من التشرذم والاضمحلال الذي لحق دير ياسين ، يرتفع التحدي ويثور مرجل الغضب وتنهض الجماهير تصعد العنف الثوري في داخل الوطن وخارجه نتيجة للفردان . ففي بيروت تندلع المظاهرات وتسقط الحكومة وتسير جنازة نصف المليون تخترق المدينة وتسيطر عليها وهي ترفع شعارات « الثورة مستمرة » وتمتلىء شوارع بيروت بصور الشهداء وبكلماتهم الاخيرة (لا زلت أسمع كلمات الشهيد كمال عدوان متحديا طروحات اليأس والاستسلام بقوله : أعيش بأماني أصنعها حقائق . . . ويعيشون بيأسهم فيستسلمون) وتنفجر غضبة الجماهير العربية في كل مكان وقد أحست بأن أجهزة الارهاب الصهيونية الفاشية قد دخلت كل بيت عربي وحاولت قتل كل مناضل عربي . . . وكل أم عربية ، لقد قام التنظيم الثوري الفلسطيني « فتح » بالتحالف مع الفصائل الثورية الفلسطينية الاخرى والقوى الوطنية اللبنانية بدوره في تنظيم وتعبئة الجماهير التي شاركت في موكب الشهداء في بيروت ، ولكن الغضبة العفوية العارمة للجماهير اللبنانية كان لها الدور الرئيسي في التحرك الذي حدث . لقد كانت غضبة أشبه بتلك التي حدثت في يومي ٩ و١٠ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ نتيجة لحرب حزيران . لقد أحست الجماهير انها انتهكت وان كل آمالها وتطلعاتها قد هددت وانها قد طعنت في شرفها وكرامتها طعنة دامية .

وقد ادركت الجماهير الغاضبة ان الرد الوحيد هو «كلنا فدائية»، وتقوم الجنازات في الوطن المحتل لتهتف تحت علم فلسطين « يا اللي استشهدوا جوا بيروت ... دم الثوار عمرو ما يفوت » ولتهتف « بلادي بلادي بلادي ، انت ثورة على الاعادي » .

لم تشهد الضفة الغربية استنهاضا لنضالية الجماهير منذ ١٩٦٩ كما شهدت بعد جريمة الفردان . لقد كشفت المظاهرات والاضرابات والجنازات والعصيان المدني الكامل عن فشل كل محاولات اسرائيل اخضاع الانسان الفلسطيني لاحتلالها وتطويعه وشقه عن أخوته في الخارج وعن ثورته المسلحة ، وكشفت زيف وخداع «التجربة الاسرائيلية» وأحبطت كل أهداف الارهاب الصهيونية . وقام قادة العدو باعادة تقييم للعملية وصرح سابير بأن ردود الفعل الغاضبة كانت مفعمة بالكراهية لاسرائيل وجيشها(٢١) .

ورأى اليعازر في نشر صورة كمال ناصر في صحف الضفة الغربية وما رافقها من تعزية « وهو الذي يدعو الى تدمير أسس دولة اسرائيل أمرا له مغزاه بالنسبة الينا ، انه يعني ان الموقف العربي التقليدي الذي يدعو الى العمل من أجل تصفية اسرائيل لا يزال مقبولا من عدد كبير من العرب »(٢٢) ...

وعلى صعيد الثورة الفلسطينية فبالرغم من الاسى والحزن العميق الذي أصاب قياداتها وكوادرها وعناصرها لفقد الشهداء البررة فان هذا الحزن تحول الى مزيد من الاصرار على الصمود والتحدي والاستمرار في النضال المسلح ضد العدو لتحرير التراب الوطني الفلسطيني وللقضاء على الارهاب الصهيوني من جذوره ، وتحول الى مزيد من الالتحام مع الجماهير وهو ما مكن الثورة الفلسطينية من الصمود في محنة أيار التي لحقت الفردان ونتجت عنها . كما تحول الى مزيد من التوحد بين الثورة وجماهير الوطن المحتل والى تصاعد وتيرة النضال في الداخل وتنامي قدراتها ، كما ان ذلك كله ضاعف من الضغوط على كافة الانظمة والقوى العربية من أجل العودة للنضال المسلح ضد العدو ومنعه من الاستفراد بالثورة الفلسطينية في لبنان وهو ما ادى في النهاية الى اندلاع حرب رمضان الوطنية في تشرين ١٩٧٣ ، وكشفت العملية وآثارها عن مشاركة المخابرات المركزية الامريكية وعن التحالف الامريكي — الاسرائيلي في أبشع صوره وأبرزت فشل المحاولات التصفوية والحلول السياسية المطروحة على المنطقة .

دير ياسين والفردان : مقارنة

هناك العديد من أوجه الشبه بين الجريمتين . فالمخطط لهما واحد والاهداف الاساسية واحدة (مع اختلاف الاهداف التكتيكية المباشرة) ، والظروف المحيطة بالجريمتين تتشابه الى حد كبير . فلقد استهدف العدو في العمليتين ضرب مقاومة الشعب الفلسطيني وارهابه في فترة تصاعدت فيها مقاومته . واستخدم العدو المباغتة لضرب أهداف مدنية لا تكافؤ في القوى بينها وبين المهاجمين ، واراد العدو في الحالتين اثبات طول الذراع الاسرائيلية الارهابية لاستخدام ذلك في حربه النفسية ضد الشعب الفلسطيني ، واستفرد العدو بالشعب الفلسطيني وثورته في الحالتين مطمئنا الى انعدام الردع من الانظمة العربية المحيطة (اتصل بن جوريون بالملك عبدالله بعد مذبحة دير ياسين مستنكرا العملية حتى لا يتراجع عن اتفاقه مع الوكالة اليهودية فلم يتراجع)، ولقد حدثت مقاومة عنيفة ضد المهاجمين في الحالتين بالرغم من المباغتة وعدم تكافؤ القوى . فلماذا اختلفت النتائج ؟

لقد كان الشعب الفلسطيني في عام ١٩٤٨ وهو على أرضه يشكو من تشتت قواه وتشرذم قياداته وتناثرها(٢٣) ، ولم تكن هناك حركة ثورية ذات تنظيم جماهيري وبرنامج سياسي واضح ، فلقد ترتب على ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ وما أعقبها من قمع ونفي وتشتيت

وتشرذم واغتيالات تفتت القيادة وتدهور الحركة الثورية الفلسطينية . ولم يكن لمقاومة الشعب الفلسطيني حليف حقيقي واحد بين الانظمة العربية ، ولم يكن هناك أطر ثورية وطنية عربية قادرة على الضغط والتحريك للمشاركة في الثورة . وكان هناك الاستعمار البريطاني يسلم المواقع والاسلحة للعدو وينفذ عهوده معه للاستيلاء على فلسطين .

وفي عام ١٩٧٣ وبالرغم من بعض المظاهر السلبية داخل الثورة الفلسطينية وانخفاض الحس الامني بين قياداتها وعدم اكتمال الوحدة بين فصائلها وانقسام الشعب الفلسطيني الى مجموعات بعضها داخل الوطن تحت الاحتلال الصهيوني وبعضها في الشتات خارجه ، وبالرغم من استبدال العدو البريطاني بالعدو الامريكي الاكثر قوة وعدة ، الا ان الوضع كان مختلفا الى حد كبير . فالجماهير الفلسطينية التي حملت السلاح وقاتلت به تعلمت من تجربة الـ ١٩٤٨ الا تتخلى عنه أبدا ، وتعلمت ان تراجعها وهروبها هذه المرة سيعني ضياع الوطن الى الابد . لم تعد الجماهير الفلسطينية قادرة على الهروب أو راغبة فيه ، فمواجهة العدو قدرها ومسؤوليتها ، وهي مسؤولية تتحملها عن الارض العربية كلها ولا لفلسطين وحدها . ولذلك فان غضبة الجماهير في الداخل والخارج كانت تعبيرا عن ارادة النضال هذه بكل معانيها .

لقد خرجت الحركة الثورية الفلسطينية بتجارب وخبرات عديدة صلبت من عودها وزادت من قدرتها على استمرار النضال ولقد كان في صلابة الجماهير دفعا لها على المزيد من الصلابة والصمود . وفي عام ١٩٧٣ كان التحام الجماهير الفلسطينية بالجماهير العربية الاخرى — خصوصا في لبنان — يتميز بشكل واضح عن الوضع عام ١٩٤٨ ، لقد أدت خبرة تسع سنوات من الكفاح المسلح الى تبلور ارادة الجماهير حول الثورة والى ادراكها ان تخليها عن أهدافها واستراتيجيتها وتنظيمها سوف يؤدي الى تكرار مأساة الـ ١٩٤٨ وهو ما عبرت هذه الجماهير بتحركها عن رفضه .

في عام ١٩٧٣ بعد الفردان ، كان هناك حركة ثورية وتنظيم ثوري وهو ما لم يكن موجودا عام ١٩٤٨ بعد مذبحة دير ياسين . وهي حركة تمكنت — بالرغم من نقائصها العديدة — من تنظيم وتعبئة وتسليح الجماهير واستنفارها بعد الجريمة ، كما تمكنت من اعلام الانسان العربي في كل مكان بالجريمة وابعادها ، واستطاعت بعد وقوعها ، الوقوف بصلابة امام الهجمة العسكرية التي لحقتها في لبنان مستفيدة من المد الجماهيري الذي نتج عنها .

وفي خلال السنة التي أعقبت الجريمة قاتلت الجيوش العربية في تشرين فقطعت الذراع الصهيونية وسقطت اسطورة التفوق الاسرائيلية وتغيرت موازين القوى العربية — الصهيونية ، واستخدم سلاح النفط العربي فغير موازين القوى العربية — الامريكية — الاوروبية ، واستعاد الانسان العربي ثقته بنفسه وبقوته ، وتكرس اعتراف شعوب العالم بالثورة الفلسطينية المجسدة في منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة شرعية وحيدة للشعب الفلسطيني ، وتأكد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على أرضه ، وازداد اصراره على استعادة وطنه ودحر الاستعمار الصهيوني عليه وانشاء الدولة الديمقراطية الفلسطينية على كامل التراب الفلسطيني المحرر . وتأكد للجماهير العربية صدق منطلقات الثورة الفلسطينية وفعالية اسلوبها في الكفاح ، وتصاعد التأييد العالمي لها .

واليوم في ذكرى الفردان ودير ياسين ، ليس لنا الا ان نحيي نضال الشهداء البررة ، ونكبر تضحيتهم وبطولتهم ، ونعاهدهم على استمرار الثورة لاستكمال ما قدموا حياتهم من أجله .

وللاخوة كمال عدوان وكمال ناصر ومحمد النجار . . . دمعة حب وتقدير ووفاء .

الحواشي :

١ ــ كان الماء والوقود والاغذية مقطوعة عن القدس الجديدة وعن الجامعة العبرية ومستشفى هداسا . أنظر عارف العارف ، **النكبـــة** ، ص ١٧٠ .

٢ ــ مونتفيوري الجديدة ، بيت فيفان ، جفعات شاؤول ، يافنتوف ، بيت هاكيرم ، موتزا ، عارف العارف ، **المصدر السابق** ، ١٧١ .

٣ ــ يقال ان هناك اتفاق جنتلمان كان قد اجري بين مختار القرية ومختار جفعات شـــاؤول المجاورة لضمان عدم الاعتداء بين القريتين ، **المصدر السابق** ، ص ١٧١ .

٤ ــ **المصدر السابق** ، انظر ايضا أرســـكن تشلدرز : « الرغبة الخرساء » في كتاب ابراهيم ابو لغد ، **تهويد فلسطين** ، مركز الابحـــاث الفلسطيني ، ١٩٧٣ ، خصوصا صفحات ١٩٧ ــ ٢١٥ .

٥ ــ أرسكين تشلدرز ، **المصدر السابق** .
انظر ايضا ارسكين تشلدرز :
«The Other Exodus»
في كتاب وليد الخالدي
«From Haven to Conquest»
مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٧١.

٦ ــ **الرغبة الخرساء** : ٢٠٤ ــ ٢٠٩ ، أنظر ايضا Arthur Koestler, *Promise and Fulfillment*, N.Y. 1949.
ص ١٦٠ ، كذلك مقالة جاك دي ريفير مندوب الصليب الاحمر الدولي في كتاب وليد الخالدي السابق الذكر .

٧ ــ في سلسلة من المقالات نشرة **يديعوت أحرونوت** في ١٩٧٢/٤/٤ و١٩٧٢/٤/١٤ ، وترجمها اخيرا للعربية قسم الدراسات الاسرائيلية بمركـــز الابحاث الفلسطيني .

٨ ــ انظر مقالات **يديعوت أحرونوت** سابقة الذكر، أنظر ايضا كتاب مناحيم بيجن The Revolt ، نيويورك ١٩٥١ (١٦٢ ــ ١٦٥) يدعي ايلان كفير (نقلا عن العقيد مئير بيل) في يديعوت أحرونوت ١٩٧٢/٤/٤ ، أن قائد الهاجاناه اقترح احتلال الشيخ جراح او شعفاط او مالونيا بدلا من دير ياسين . وان كان لا بد من دير ياسين فالهجوم عليها لاحتلالها والاحتفاظ بها وليس فقط لذبح أهلها .

٩ ــ **المصدر نفسه** .

١٠ ــ آرثر كوستلر ، الكتاب السابق الذكر ، أنظر ايضا مناحيم بيجن The Revolt السابق الذكر ، أنظر ايضا كتاب كيمش ، *Seven Fallen Pillars* ، ص ٢٢٧ وما بعدها .

١١ ــ شهادة يوشع زطلر قائد ليحي في القدس ــ **يديعوت أحرونوت** ١٩٧٢/٤/٤ .

١٢ ــ مقالة مئير بيعيل في **يديعوت أحرونوت** ١٤/ ١٩٧٢/٤ ، ص ١٧ .

١٣ ــ مقالة آريه يتسحاقي ، **يديعوت أحرونوت** ١٩٧٢/٤/١٤ ، ص ١٧ .

١٤ ــ مقالة بيعيل **السابقة الذكر**، نفس الصفحة.

١٥ ــ مقالة ايلان كفير ، **يديعوت أحرونـــوت** ١٩٧٢/٤/٤ ، ص ٢ .

١٦ ــ عارف العارف ، **النكبة** ، ص ١٧٢، ١٧٣.

١٧ ــ ما زالت المصادر التي تتحدث عن تفاصيل العملية متوفرة ولذلك فلن نتحدث عنها بالاسهاب الذي شرحنا فيه جريمة دير ياسين ، أنظر مجلة **شؤون فلسطينية** العدد ٢١ (ايـــار ١٩٧٣) والعدد ٢٢ (حزيران ١٩٧٣) .

١٨ ــ أنظر شهريات مجلة **شؤون فلسطينيـــة** وتقاريرها الخاصة للاعداد ١٨ ــ ١٢ ، ١٩٧٢، ١٩٧٣ .

١٩ ــ **معاريف** ، ١٩٧٣/٤/١١ .

٢٠ ــ **هعولام هزي** ، ١٩٧٣/٤/١٦ ، أنظر أيضا عدد مجلة « **شؤون فلسطينية** » رقم ٢١ (ايار ١٩٧٣) والذي احتوى تحليلا لعملية الفردان والعدد ٢٢ (حزيران ١٩٧٣) الذي احتوى رصدا لاثارها ، ونتائجها .

٢١ ــ **معاريف** ، ١٩٧٣/٤/١٣ .

٢٢ ــ **النهـــار** ، ١٩٧٣/٤/٢٠ .

٢٣ ــ كان هناك حول دير ياسين وبالقرب منها قوات الجهاد المقدس ، وجيش الانقاذ وحراس الحرم الشريف ومتطوعو القدس والبدو ورجالات القرى ، ولم يكن يجمع هذه القوى كلها أي رابط تنظيمي جبهوي .

يسار المانية الاتحادية
وحركة تضامنه مع الثورة الفلسطينية

فاطمة ابو القاسم

هذه محاولة لتحديد مواقف وحركة تضامن القوى اليسارية والاحزاب والمنظمات والجماعات التقدمية الاخرى العاملة على الساحة السياسية في المانيا الاتحادية في الثورة الفلسطينية . نسميها محاولة لان المعلومات المتوافرة لدينا لا تعطينا الفرصة المتكاملة لتحديد مواقف تحليلية دقيقة لهذه القوى من الثورة الفلسطينية . حيث ان عمرها السياسي بدأ بشكل واضح عام ١٩٧٠ . فقد كانت تعاني في السابق وفي معظم البلاد الاوروبية حالة من الركود والانقسام الى أن بدأت نشاطها الفعال عام ١٩٧٢ وظهر بين صفوفها اهتمام بالثورة الفلسطينية وتطور ذلك فيما بعد الى عمل تضامن منظم معها وهذه القوى هي :

اولا : لجان نصرة فلسطين: يقارب تعدادها الاثنتي عشرة لجنة منتشرة في انحاء المانيا الاتحادية . أسست هذه اللجان بعد النصر الذي حققته الثورة الفلسطينية في الكرامة وبداية العام ١٩٦٩ واستمرت في نشاطها السياسي مع بعض فترات التوقف (بعد مجازر ايلول وبعد حظر نشاط اتحادات طلبة وعمال فلسطين) وكان الجزء الاكبر من اعضاء هذه اللجان في البداية من الطلبة الملتزمين ببعض المنظمات والاحزاب اليسارية واقتصر نشاط بعضهم السياسي على المساهمة في نشاط لجان نصرة فلسطين سياسيا وقد التحق بصفوف هذه اللجان فيما بعد بعض العمال والاطباء والمحامين والصحافيين الا ان نشاط هذه الفئات يكاد يكون مرتبطا بمواقف ووقائع سياسية خاصة .

ثانيا : الحزب الالماني الشيوعي (DKP) : وقد حظر نشاط هذا الحزب الذي كان يحمل اسم حزب المانيا الشيوعي (KPD) عام ١٩٥٦ لاعتباره مضادا للنظام الا ان كوادر هذا الحزب ناضلت عبر ١٢ سنة لرفع الحظر الى أن أصبحوا عام ١٩٦٨ قادرين على التأثير لرفع قرار الحظر والسماح لهم بالعمل العلني تحت اسم الحزب الالماني الشيوعي (DKP) . وقد فاز الحزب في الانتخابات العامة عام ١٩٦٨ بالتحالف مع قوى تقدمية اخرى بما يقارب ٤ ٪ من مجمل الاصوات .

ويعتبر هذا الحزب الحزب الشيوعي السوفياتي بأنه الحزب القائد للحركة الشيوعية العالمية ويقيم تبعا لذلك علاقات وثيقة مع جميع الاحزاب الشيوعية الموالية للاتحاد السوفياتي . كما يناضل على الصعيد العالمي من أجل تخفيف النزعة العسكرية وحدة التوتر وتحقيق التعايش السلمي ، اما على الصعيد المحلي فانه يناضل عبر الطريقة البرلمانية لاقامة المجتمع الاشتراكي واستيلاء الشغيلة على وسائل الانتاج . هذا وتتمثل قواعد الحزب الاساسية في النقابات العمالية على العكس من حزب المانيا الشيوعي (KPD) وبذا يحصل على ٥٠ ٪ من مجمل الاصوات في بعض المناطق العمالية . ويعتبر هذا الحزب القيادة الصينية بانها قيادة انحرفت عن الخط الماركسي اللينيني ويندد

بحملاتها ضد الاتحاد السوفياتي ويتهمها بتهديد السلام العالمي ، ومن هنا ينبع تصوره لاهم واجباته الامنية والتي تتركز في محاربة ما يسميه بالسياسة الانقسامية للقيادة الصينية ويهاجم وبنفس العنف المجموعات الماوية في المانيا الاتحادية. ويقدر عدد اعضائه بحوالي ٣٠ الف عضو ويصدر صحيفة مركزية تدعى « اونزي تسايت » ويحمل هذا الحزب في برلين الغربية اسم (الاتحاد الاشتراكي في برلين الغربية) «SEW» .

وهناك احزاب عدة صغيرة تقف مواقف قريبة مثل : العمال الشباب الاشتراكي الالماني (SDAJ) الى جانب رابطة الطلبة الماركسيين ــ شبارتكوس (MSB - SPARTAKUS)

ثالثا : حزب المانيا الشيوعي (KPD) : اسس هذا الحزب عام ١٩٧٠ ومعظم اعضائه من الطلبة ويتبنى خط القيادة الصينية وانصاره من العمال والطلبة وتقدر الصحافة البورجوازية عدد اعضائه ما بين ٥ــ١٥ الف عضو . وبرغم ان العمل العلني مصرح به لهذا الحزب الا انه لم يشترك حتى الان في الانتخابات العامة بسبب ادعاء السلطة بانه لم يستوف الشروط القانونية الضرورية .

أما هدفه المعلن فهو احياء تراث الحزب الشيوعي ايام « روزا لوكسمبورج » ولهذا الحزب منظمات متفرعة عنه اهمها : ــ رابطة الشبان الشيوعيين (KJV) :واعضاؤها من العمال الشبان والتلاميذ ؛ ــ رابطة الطلبة الشيوعيين (KSV) ، ــ منظمة النقابات الحمراء (RGO) .

ويعتبر هؤلاء جميعا ان مجتمعات الصين الشعبية والبانيا وفيتنام الديموقراطية وكوريا الديموقراطية الشعبية هي المجتمعات الاشتراكية الحقيقية ويتبنون مبدأ الثورة المسلحة لتحقيق دكتاتورية البروليتاريا ويعتبرون بروليتارية المانيا الاتحادية الوحيدة المتناقضة مع البورجوازية الاحتكارية الحاكمة وانها الطبقة الوحيدة المرشحة عبر نضالها التحرري لقيادة فئات الشغيلة الاخرى على درب الثورة .

ويعتبر حزب المانيا الشيوعي (KPD) الحزب الالماني الشيوعي (DKP) حزبا معاديا للطبقة العاملة ويتهمه بالتعاون مع النظام في محاولته لطمس وتشويه حقيقة التناقض بين البروليتاريا والبورجوازية الاحتكارية الحاكمة .

ومن هنا فان النضال ضد التحريفيين والامبريالية والاشتراكية معادل تماما لديه للنضال ضد الرأسمالية والامبريالية ومن هنا ينبع المعادي للاتحاد السوفياتي والذي ظهر جليا في نشراته ومجلاته وبياناته . ونراه يهاجم الامبريالية الاشتراكية بشكل أشد من مهاجمته للامبريالية العالمية .

رابعا : الرابطة المعادية للامبريالية (LIGA GEGEN DEN IMPERIALISMUS) : اسست في تموز ١٩٧١ وبدعم من حزب المانيا الشيوعي وتعتبر نفسها حركة جماهيرية مضادة للامبريالية وتهدف الى تحقيق الوحدة بين الجماهير المضطهدة والمستعبدة عبر النضال ضد الامبريالية ومن اهم اهدافها : النضال المستمر ضد الامبريالية وعملائها ، دعم حركات التحرر الوطني والحركات الاشتراكية للعمال عبر التوعية والاعلام ، تنظيم الدعم المعادي وبشكل خاص لحركات التحرر الوطني ، العمل المشترك مع المنظمات العالمية المناهضة للامبريالية . وتقف هذه الرابطة موقف العداء من الاتحاد السوفياتي وتهاجم الحزب الالماني الشيوعي بشدة .

ولقد قامت بجولات دراسية في كل من الصين الشعبية والبانيا وتعتبر بأن الدعم الحقيقي للشعوب ضد الامبريالية يأتي عبر الصين الشعبية والبانيا وفيتنام الديموقراطية وكوريا الديموقراطية الشعبية وذلك لمقدرتهم على تجنيد كافة امكانياتهم لدعم حركات التحرر العالمية . وتعتبر بأن حرب الشعب طويلة الامد هي الطريق الوحيد لتحقيق النصر

عبر الامبريالية وعملائها ولتحقيق السلام والاشتراكية . وان انتصار شعوب الهند الصينية لهو الدليل القاطع على صحة هذه النظرية .

وتصدر هذه الرابطة نشرة شهرية تدعى « التضامن العالمي » . وتتميز هذه المنظمة بديناميكيتها وقد ظهر ذلك جليا في دعمها لنضال شعب فيتنام وشعوب انجولا وموزامبيق وغينيا بيساو .

خامسا : حزب المانيا الشيوعي الماركسي اللينيني (KPD - ML): اسست خليته الاولى عام ١٩٦٨ وتدعى الجريدة الناطقة بلسانه « روتر مورجن » .

ـ حزب المانيا الشيوعي الماركسي اللينيني ـ بوخوم «KPD - ML - BOCHUM» اسس هذا الحزب في جامعة بوخوم عام ١٩٧٠ وتدعى الجريدة الناطقة بلسانه « روتي فاني » .

ـ حزب المانيا الشيوعي الماركسي اللينيني ـ الطريق الثوري «KPD - ML - REVULOTIONARER WEG» وهو فرع انشق عن الحزب الام في بوخوم .

وتأخذ الاحزاب الماركسية اللينينية على عاتقها مسؤولية اعادة احياء حزب المانيا الشيوعي الذي حظر نشاطه هتلر عام ١٩٣٣ . ويعتبرون دكتاتورية البروليتاريا اساسا للسلطة السياسية وان العنف الثوري هو ضرورة تاريخية ، ويدعمون الخط الصيني . ومعظم اعضائهم ومؤيديهم من الطلبة وينحصر نشاطهم في معظم الاحيان في مناطق محددة .

سادسا : رابطة الطلبة الالمان (VDS) : وهي المنظمة الطلابية الكبرى وتضم ما يقارب النصف مليون من الطلبة ويتركز نضالها في اطار المشاكل الطلابية مثل جعل الجامعات اكثر ديموقراطية وتوفير المعونات الدراسية واصلاح نظام التربية والتعليم. ويشترك فيها المنظمات الطلابية التالية : رابطة الطلبة الجامعيين الاشتراكيين الديموقراطيين (SHB) ؛ الشبان الاشتراكيون (شبيبة الحزب الحاكم) (JUSOS) ؛ رابطة الطلبة الماركسيين ـ شبارتكوس (MSB - SPARTAKUS) .

سابعا : رابطة الطلبة الجامعيين الاشتراكيين الديموقراطيين (SHB) :وهي مجموعة انشقت عن SDS (الطلبة الالمان الاشتراكيين والذين كانوا حتى حل تنظيمهم عام ١٩٧٠ من اقوى المجموعات السياسية الطلابية) واتخذت لنفسها هذا الاسم عام ١٩٦١ وقد دعمت هذه الرابطة في البداية من قبل الحزب الاشتراكي الديموقراطي (الحاكم حاليا). الا انه حظر عليها تسمية نفسها بالاشتراكيين الديموقراطيين باعتبارهم من اليسار المتطرف .

ثامنا : رابطة الطلبة الماركسيين ـ شبارتكوس (MSB - SPARTAKUS) : وتوجد اهم قواعدهم وانشطها في الجامعات ويمثلون خط الحزب الالماني الشيوعي (DKP) .

تاسعا : الشبان الاشتراكيون (JUSOS) : وهم اعضاء في الحزب الاشتراكي الديموقراطي الحاكم وتقع اعمارهم ما دون ٣٥ عاما وبالرغم من أن الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية في اوروبا الغربية تدعم اسرائيل وتقيم علاقات حميمة مع الهستدروت الا ان توجه الشباب الاشتراكي الديموقراطي كان واضحا في دعم الثورة الفلسطينية . وقد كان هذا التنظيم نشطا في حركة دعمه لفيتنام الا انه بالامكان ان تستحوذ فلسطين على المكان الاول من اهتمام هذه الشبيبة .

ويتبنون على صعيد النضال الداخلي توسيع رقعة التأميمات الموجهة بشكل خاص

ضد الاحتكارات الكبرى والذي لا يعني في واقعه تهديدا لحركة الاقتصاد الرأسمالية وتمثيل العمال في المصانع وتحقيق تمثيل الطلبة في الجامعات واصلاح النظام التعليمي والغاء امتحانات القبول في الجامعات . ويطالبون الحكومة بدعم مـــادي ومعنوي لحركات التحرر وبشكل خاص الافريقية منها وعدم الاعتراف بحكومتي تشيلي واليونان العسكريتين .

وبالرغم من أن الطرح السياسي للجناح اليساري في (JUSOS) شتاموكاب (STAMUKAP) يشابهه الطرح السياسي للحزب الالماني الشيوعي (DKP) الا ان مطالبهم اكثر تطرفا من مطالب غالبية اعضاء التنظيم وفي عام ١٩٧٣ اتجه الكثيرون منهم الى الانتماء للحزب الالماني الشيوعي .

عاشرا : جمعية الطلبة البروتستانت (SEG) :بدأت الجمعية في دعم القضية الثورية للشعب العربي الفلسطيني عبر اتصالات فردية وشخصية مع الاتحاد العـــام للطلبة الفلسطينيين والاتحاد العام لعمال فلسطين واخذ الدعم الذي كان موجها في البداية لصالح حركة فتح يتجه فيما بعد الى منظمة التحرير الفلسطينية بعد دخول جميع المنظمـــات الفدائية الفلسطينية المقاتلة فيها .

لقد تبلور دعم هذه المنظمات والاحزاب التقدمية بشكل واضح بعد عملية المدينـــة الاولومبية في ميونخ وقد عاشت حركة الدعم هذه فترة من الخمول وخاصة بعد مذابح ايلول عام ١٩٧٠ الى ان بدأت طبيعة الامور والتناقضات تظهر . وظهر جليا كذلك ما يجب عمله وكانت هناك محاولات من هذه القوى التقدمية وبشكل خاص من قبل لجان نصرة فلسطين لتكوين لجنة وطنية المانية لنصرة الثورة الفلسطينية خاصة بعد دخـــول جميع المنظمات الفلسطينية المقاتلة الى منظمة التحرير الفلسطينية في منتصف العـــام ١٩٧٢ وصدور البرنامج السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية .

ومن اهم المشاكل التي تقابل حركة الدعم والتضامن مع الثورة الفلسطينية في المانيا الاتحادية والتي تعيق تكوين لجنة او جبهة موحدة لنصرة هذه الثورة هو الخلاف القائم والحاد بين القوى التقدمية الموالية للصين الشعبية وتلك الموالية للاتحاد السوفياتي فهم يرفضون العمل مبدئيا في اطار واحد .

هذا الى جانب كون اللجان الموالية لاتجاه الصين الشعبية تعاني من بعض المشاكل فيما بينها ولا تجد الحد الادنى من البرامج الموحدة لعملها في دعم الثورة الفلسطينية .

وبين هاتين المجموعتين تجد لجان نصرة فلسطين نفسها مضطرة للتعامل تارة مع هذه وتارة مع تلك الجماعات وتتعرض لاختلاف في وجهات النظر بين صفوفها ايضا .

ان الاساس في دعم تلك القوى التقدمية الالمانية للثورة الفلسطينية هو اعتبارها بأن نضال الثورة الفلسطينية هو نضال ضد الامبريالية العالمية وتشكل جزءا مـــن حركة التحرر العالمية وبأنه الحل الوحيد لاعادة الحقوق الشرعية وحق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني واقامة الدولة الديموقراطية التقدمية على ارض فلسطين والـــذي يشكل اساسا استراتيجيا لدى الثورة الفلسطينية . انهم يتفقون مع الفلسطينيين بان دولة فلسطينية ديموقراطية تقدمية لا يمكنها ان تنمو وتتطور في اطار طوق من الدول العربية الرجعية وبان الشعب العربي الفلسطيني لا يستطيع تحقيق هدفه الا بالعمل مع جميع الجماهير العربية لتحقيق المجتمع العربي التقدمي الموحد .

ويعتبرون ان نضال الشعوب العربية مرتبط بنضال شعوب العالم الثالث وهـــذا مرتبط بدوره بنضال التقدميين المعادين للامبريالية في الدول الرأسمالية . وقد شكلت

بعض هذه القوى التقدمية لجانا لنصرة الثورة العربية في ظفار قبل ان يقوموا بتأسيس لجان نصرة فلسطين .

ومن بين القوى المساهمة كانت الرابطة المعادية للامبريالية التي سبق لهـا أن اسست لجان لنصرة فيتنام وانجولا وموزنبيق وغينيا بيساو وجنوب افريقيا وامريكـا اللاتينية . وعبر التجربة في دعم نضال الشعب الفيتنامي ضد الامبريالية الامريكية اخذت هذه القوى زمام المبادرة وبدعم من الحزب الالماني الشيوعي أسست اللجنة المناهضة للامبريالية لدعم نضال شعوب افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية حيث يعمل الكثير من اعضاء الحزب الالماني الشيوعي .

وبعد الدعوة لعقد مؤتمر السلام والعدل للشرق الاوسط في بولونيا ـــ ايطاليا في ايار ١٩٧٣ نظمت اللجنة المناهضة للامبريالية ولدعم نضال شعوب افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية على أساس قرار مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ نظمت مهرجانـا عالميا في بون تحت عنوان « من أجل السلام والعدل في الشرق الاوسط » في ١٥ حزيران ١٩٧٣ . وتعتبر هذه اللجنة ان هذا القرار يتفق مع تصورها لحل مشكلـة الشرق الاوسط وبالتالي يتفق مع تصور الحزب الالماني الشيوعي لحل المشكلة نفسها .

وقد شارك في هذا المهرجان السفراء العرب المعتمدون في بون ووفود الجـامعة العربية وممثلون عن الصحافة والاذاعة والتلفزيون وممثلون عن الجماعات والمنظمات الالمانية المناهضة للامبريالية الى جانب اسرائيليين معادين للدولة الصهيونية ويهـود مناهضين للصهيونية مثل عضو اللجنة الاسرائيلية لتحقيق السلام العادل بين اسرائيل والشعوب العربية الدكتور وولف ارلش والكاتب اليهودي المعروف بعدائه للصهيونية اريش فريد .

ويعتبر هذا المهرجان من اهم اعمال الحزب الالماني الشيوعي وقد دفع مهرجـان الشبيبة والطلبة في برلين الشرقية في تموز ١٩٧٣ هذا الحزب ولجنة نصرة فلسطين الموالية له الى نقطة متقدمة على طريق دعم الثورة الفلسطينية حيث التقت شبيبة هذا الحزب واللجنة مع شبيبة الثورة الفلسطينية في برلين واجريت معهم اللقاءات وجرت بينهم النقاشات المطولة مما دعاهم كما يبدو لتشديد العمل لدعم الثورة الفلسطينية .

ولجنة نصرة فلسطين الموالية للحزب الالماني الشيوعي تتكون من « الحزب الالماني الشيوعي » + « رابطة الطلبة الماركسيين ـــ شبارتكوس » ولا ينسب نشاط اعضائها السياسي الى الحزب الا ان خطهم السياسي متفق مع الخط السياسي للحزب الالمـاني الشيوعي تجاه القضية الفلسطينية . وهذا يعني بأن لجميع دول الشرق الاوسط الحق في العيش في سلام وحرية بما فيها اسرائيل .

ان الحل المنطقي والصحيح في نظرهم للقضية الفلسطينية هو الحل الذي يعتمد على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر عام ١٩٦٧ وعندما يتطرق الحزب الالماني الشيوعي (DKP) للتحدث عن الثورة الفلسطينية فانهم يتحدثون عن النضال العـادل للشعب العربي الفلسطيني لتحقيق حقوقه الوطنية المشروعة الا انه لا يتطرق اطلاقا للحديث عن حرب التحرير الشعبية طويلة الامد .

وعبر فهمهم لتحقيق سلطة البروليتاريا في المانيا الاتحادية بالطرق البرلمانية وبأنه ليس من الضروري للشعوب المضطهدة والتي تقاسي من الاحتلال الاجنبي في العالم الثالث استخدام العنف الثوري وحرب التحرير الشعبية طويلة الامد طريقا وحيـدا لتحقيق الحقوق الوطنية لتلك الشعوب . ومن هنا يفهم دعمهم المطلق واللانهائي للجبهة الوطنية بقيادة الليندي في التشيلي .

وتنطلق مجموعة « شبارتكوس » من نفس المفهوم الا انه ظهر مؤخرا في نشراتها العبارة التالية : « انه يحق لمنظمة التحرير الفلسطينية ان تناضل بجميع الوسائل والطرق الممكنة لتحرير الوطن الفلسطيني والحصول على الحقوق الوطنية والتاريخية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني » . وتتميز « شبارتكوس » بالديناميكية على لجنة نصرة فلسطين والعاملة في ميونخ وذلك لامتلاكها قاعدة واسعة في معظم الجامعات في المانيا الاتحادية .

أما الحزب الالماني الشيوعي (DKP) فيعتمد في نضاله من أجل فلسطين على المؤتمرات والقرارات وبذلك يكون مبتعداً عن الجماهير العمالية والمثقفين في المانيا الاتحادية . وقد اعتمد الحزب اثناء الحرب الاخيرة وبعدها على مضاعفة نشاطه ودعمه للثورة الفلسطينية عبر المقالات والنداءات والاستنكارات للموقف الاسرائيلي المتعنت وهو اليوم يدعم وبكل قوة المؤتمر المنعقد حاليا في جنيف ويعتبره محاولة لحل التناقض الاساسي في منطقة الشرق الاوسط .

وقد قال هربرت ميس الامين العام الجديد للحزب في مؤتمر الحزب العام والذي انعقد في ١٩٧٣/١١/٢ فيما يخص الشرق الاوسط : « اننا ندين السياسة العدوانية الاسرائيلية وندين استهتارها بقرارات الامم المتحدة كما ندين عدم احترامها لحق الشعب العربي في الاستقلال الوطني . اننا نعتقد بأن الحل السلمي النهائي يتطلب الانسحاب التام للقوات الاسرائيلية من جميع الاراضي العربية المحتلة واحترام حقوق الدول في هذه المنطقة بما فيها حقوق الشعب الفلسطيني . اننا ندعم نضال الشعوب العربية العادل ضد الامبريالية وندعم نضال الشيوعيين العرب والاسرائيليين ». (صحيفة Neues Deutschland بتاريخ ١٩٧٣/١١/٣) .

لقد بدأ كل من حزب المانيا الشيوعي (KPD) والرابطة المعادية للامبريالية بالعمل بشكل اكثر فعالية خاصة بعد عملية المدينة الاولومبية في ميونخ وكان دعم الرابطة منصبا أساسا على دعم حركات التحرر الافريقية كما وانه كان لديهم لجان دعم وصداقة مع كل من الصين الشعبية والبانيا وقاموا بجولات دراسية متعددة لالبانيا وتبادلوا الزيارات الدراسية مع كل من حركة تحرر موزنبيق (فريليمو) وحركة تحرير انجولا (MPLA) وحركة تحرير غينيا بيساو (PAIGC) .

وقد عمل كلاهما مع لجان نصرة فلسطين واشتركوا في اللقاءات والنقاشات والمحاضرات والمظاهرات لصالح الثورة الفلسطينية وقاموا بنشاط واسع بعد حظر اتحادي طلبة وعمال فلسطين الا انهم في الحقيقة اكتشفوا مؤخرا بأنه ليس لديهم معلومات عن حقيقة الوضع والتناقضات في منطقة الشرق الاوسط وللتغلب على هذا النقص اسسوا لجنة جديدة لنصرة فلسطين أسموها « لجنة دعم شعوب الشرق الادنى والاوسط » واصدروا اولى نشراتهم المركزية تحت اسم « التحرير » بتاريخ ١٩٧٣/١١/١٧ ومن اهم الواجبات التي تشعر هذه اللجنة بأنه يجب عليها انجازها هي:

ـ دعم نضال هذه الشعوب ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية وايضاح ذلك للجماهير في المانيا الاتحادية .

ـ تنظيم جمع التبرعات المادية والعينية .

ـ كشف السياسة الامبريالية للدول الكبرى حتى يتم عزل الامبريالية الامريكية وتبديد الاوهام المتعلقة بسياسة الاتحاد السوفياتي اذ أن سياسته تقوم في منطقة الشرق الأوسط على :

ـ التنافس مع الامبريالية الامريكية حيث يكون ذلك ممكنا وذلك عبر عزل الولايات

المتحدة الامريكية من جهة والتعامل مع الولايات المتحدة الامريكية من جهة اخرى حيث يكون ذلك ضروريا ليمكنهم المشاركة في اقتسام الغنائم مع الامبريالية .

ـ محاربة سياسة الحكومة الالمانية الاتحادية عبر محاربتهم لنظام التعويضات الالمانية لاسرائيل .

ـ دعم نضال الانظمة العربية اذا كان موجها ضد الامبريالية والصهيونية .

ـ النضال ضد ارهاب الدولة الموجهة ضد نشاط المنظمات العربية المعادية للامبريالية في المانيا الاتحادية .

وتعلن هذه اللجنة بانها على استعداد للتعامل مع كل المجموعات في المانيا الاتحادية والتي تلتقي معها على الحد الادنى في برنامجها السياسي .

الا ان مثل هذا اللقاء على صعيد الممارسة لم يتم وذلك بسبب طبيعة فهم الاطراف المعنية للصراع والتناقض القائم . فان حزب المانيا الشيوعي يعتبر بأن تناقضه مع الحزب الالماني الشيوعي تناقض عدائي مما يشكل اضعافا للنضال . فالقوى الرئيسية هي الحزب الالماني الشيوعي + مجموعة شبارتكوس من جانب وحزب المانيا الشيوعي + الرابطة المعادية للامبريالية في الجانب الاخر .

ان العمل مع الحزب الالماني الشيوعي غير وارد بالنسبة لحزب المانيا الشيوعي . هذا ما جاء في برنامج الحزب في مؤتمره الرابع . فلقد اشتركت الشبيبة الاشتراكية (JUSOS) مؤخرا وبشكل جزئي مع حركة التضامن لدعم الثورة الفلسطينية وقد اصدر مؤتمر الشبيبة المنعقد في اذار ١٩٧٣ بيانا خاصا حول الشرق الاوسط ندد فيه بالعدوان الاسرائيلي وطالب بسحب جميع القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية التي احتلت عام ١٩٦٧ والاعتراف باستقلال وشرعية جميع دول المنطقة بما فيها اسرائيل .

وقد قرروا بعد مؤتمر الشبيبة والطلبة في برلين الشرقية عام ١٩٧٣ بأن يقوموا بجمع المعلومات والتوعية عن القضية الفلسطينية . ان نشاط الشبيبة الاشتراكية محدود ومحلي ويتركز في ميونخ بالعمل مع مجموعة « شبارتكوس » ومع لجنة نصرة فلسطين الموالية لحزب المانيا الشيوعي . ويمكن للمرء ان يلاحظ بأن اوسع نشاط لهذه المجموعة في هامبورج حيث أن بعض أعضاء الهيئة الادارية لديهم دراية تامة وعميقة بالمشكلة الفلسطينية والشرق الاوسط ويعملون مع لجنة نصرة فلسطين في المدينة . الا انهم لا يزالون غير قادرين على تثبيت سياسة موالية لفلسطين من الحزب الاشتراكي الديموقراطي الحاكم .

وقد أصدرت هذه المجموعة في هامبورج في تشرين الثاني ١٩٧٣ بالتعاون مع لجنة نصرة فلسطين كتيبا خاصا من ٣٠ صفحة تحت عنوان « اسرائيل في المناطق المحتلة » ونشر في مجلة افريقيا اليوم (AFRIKA HEUTE) ويحتوي هذا الكتيب على تمهيد تاريخي عن القضية الفلسطينية وتقرير البعثة الخاصة التابعة للامم المتحدة لتفقد الممارسات الاسرائيلية بخصوص حقوق الانسان في المناطق المحتلة .

وهذه المجلة « افريقيا اليوم » من أفضل المجلات السياسية والثقافية في المانيا الاتحادية والتي تتعرض لمشاكل العالم الثالث وحركات تحرره وتصدر شهريا عن « الجمعية الالمانية الافريقية » . وقد خفض البرلمان الالماني حديثا ميزانية هذه الجمعية لاسباب سياسية باعتبارها انحرفت عن اتجاه اليسار . وكان اقتراح تخفيض ميزانيتها قد قدم من قبل حزب المعارضة « الاتحاد المسيحي الديموقراطي » بسبب « عدائها القذر لاسرائيل » وتعتبر المعارضة دعم هذه الجمعية لهو « فضيحة في حد ذاته » .

وقد طبع من العدد المذكور للمجلة ٢٠ الف نسخة في حين ان العدد العادي لا يتجاوز ١٠٠٠ نسخة .

وتوجد هناك مجموعة سياسية أخرى يجب ان لا نهملها وهي « جمعية الطلبة البروتستانت » التي قامت بنشاط كبير بعد عملية المدينة الاولمبية في ميونيخ من تنظيم وتمويل القضايا الخاصة بابعاد الطلبة الفلسطينيين والعرب من اراضي المانيا الاتحادية وتعاقدت مع محامين للدفاع عن الطلبة المهددين بالابعاد وتحاول الان تجنيد القوى ليتم رفع الحظر عن نشاط الاتحادات الفلسطينية هناك .

ونتيجة لجهود قوى الثورة الفلسطينية لتوحيد قناعاتها السياسية بضرورة اعطاء فلسطين الان المكان الاول في الصراع الدائر ضد الامبريالية بعد تحقيق الشعب الفيتنامي الانتصار العظيم على الامبريالية الامريكية وتمريغ أنفها في الوحل ازداد نشاط حركات التعاطف والدعم للثورة الفلسطينية في المانيا الاتحادية عام ١٩٧٣ وظهرت ضرورة خلق وحدة بين هذه الحركات على اساس الحد الادنى للبرنامج السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية .

ولهذا الهدف عقد مؤتمر لنصرة فلسطين في ١٩٧٣/١١/١٧ في بون اشترك فيه ٥٠٠ من العاملين في لجان نصرة فلسطين وكانت معظم المنظمات الآنفة الذكر ممثلة في هذا المؤتمر . وقد خرج هذا المؤتمر بنتيجة مؤداها بأنه يصعب تحقيق وحدة العمل بين القوى الداعمة والمؤيدة للثورة الفلسطينية وذلك للاسباب التالية :

اولا : التناقض الموجود بين الصين الشعبية والاتحاد السوفييتي والذي يعكس نفسه على الساحة الالمانية الغربية بين صفوف تلك القوات والذي يظهر جليا من مواقفها السياسية .

ثانيا : الخلاف في الرأي حول اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة للشعب الفلسطيني . فجزء من هذه القوى المجتمعة يرى بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الوحيد والشرعي للشعب العربي الفلسطيني ولهذا يجب الالتزام ببرنامجها السياسي كحد ادنى . بينما ترى جماعات أخرى بأنه من الضروري مناقشة الخلافات الايديولوجية داخل صفوف الثورة الفلسطينية .

الا انه أمكن تحقيق بعض النجاح بالمقارنة مع التجارب السابقة حيث أمكن خلق جو من التقارب بين اللجان والاحزاب والمجموعات الدائمة للثورة الفلسطينية وكان محور الصراع والخلاف الاساسي بينهم هو كيفية دعم الثورة الفلسطينية ومناصرتها بطريقة أكثر فعالية وتأثيرا .

وقد دعا المجلس الاتحادي لجماعة « شبارتكوس » لجان نصرة فلسطين الى لقاء آخر لاستكمال النقاش حول برنامج للعمل .

ومن هنا نخلص للقول بأن طبيعة الصراع في المنطقة العربية تفرز القوى المناهضة للثورة والقوى الحليفة لها . وبنظرة شاملة نرى ان القوى الاساسية التي تدعم الثورة هي القوى التقدمية والاحزاب والمنظمات الاشتراكية بينما يظهر العداء لهذه الثورة واضحا من قبل القوى المرتبطة بالامبريالية .

فكلما ازداد تنظيمنا صلابة وتطورت قدراتنا وأصبحنا أكثر فعالية ووحدة كلما أصبحت القوى المناصرة والمؤيدة لنا أقوى نشاطا وأعمق تأثيرا وكلما ازدادت الجبهات وضوحا ليس فقط جبهة الاعداء بل ايضا جبهة الاصدقاء .

مراجعات

الدكتور كامل ابو جابر ، **نظام دولة اسرائيل ــ اطار القرار السياسي** ، (معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٣)

قسم المؤلف الكتاب الى سبعة فصول ، وتعرض في الفصل الاول للصهيونية واسرائيل والصهيونية الحديثة ، والحركة الصهيونية واسرائيل ، واسرائيل والمنظمة الصهيونية . وتعرض في الفصل الثاني للكيان الاسرائيلي والدستور ، وتعرض في الفصل الثالث لقانون الانتقال والسلطة التنفيذية ورئيس الدولة والوزارة وكيفية تشكيل الوزارة والخصائص الرئيسية للحكومات الاسرائيلية ، وتعرض في الفصل الرابع للكنيست ، وتعرض في الفصل الخامس للسلطة القضائية وتناول في الفصل السادس الاحزاب الاسرائيلية ، واحتوى الفصل السابع على نظرة موجزة لوضع الاقلية العربية . ويذهب المؤلف الى ان هذه الدراسة حاولت ان تبين كيفية اتخاذ القرارات السياسية الرئيسية في اسرائيل . ويعد موضوع هذه الدراسة من الموضوعات الهامة بالنسبة لصانع القرار السياسي العربي وذلك في التخطيط وتقدير الموقف والتنفيذ .

ولنا ملاحظات على معالجة هذا الموضوع نوجزها فيما يلي :

اولا : الدراسة عبارة عن تجميع لمجموعة من المعلومات ، وتكثر من النقل عن المؤلفين العرب والاجانب بشكل ملفت للنظر ، ولم تصل الى نتائج جديدة ، وتذهب الى انها حاولت ان تبين كيفية اتخاذ القرارات السياسية الرئيسية في اسرائيل ، ولكنها لم تعالج ذلك في اطار واضح ، وكل ما قامت به عبارة عن شرح لعدد من المؤسسات بشكل منفصل ، لكنها لم تقدم بشكل واضح كيفية صناعة القرار السياسي . ولم توضح لنا مفهوم القرار السياسي ، ولا نجد عرضا لدور المؤسسة العسكرية ، او تركيزا على دور كبار السن ، والهستدروت .. الخ ، ولا يوجد مثال او امثلة لاسماء الاشخاص الذين يصنعون القرار السياسي، ومن هنا فان عنوان الكتاب لم يتمش مع مضمونه.

ثانيا : يلاحظ على الكاتب انه يستعمل كلمة « دولة » اسرائيل بمناسبة وغير مناسبة وبشكل مكرر ، ويقول في ص ٢٣ « ان اسرائيل قامت على اساس ديني قومي » . والواقع ان الدين كان واجهة لعوامل اخرى سياسية واجتماعية وغيرها ، كما ان صفة القومية غير متوفرة هنا ، وذلك لان اسرائيل قامت ضمن ما قامت على اساس تجمع مجموعة من الافراد يشتركون في الصفة الصهيونية وينتمون الى قوميات مختلفة .

ثالثا : يستنتج الكاتب ص ٤٧ ان المشكلة الدينية بكل ابعادها السياسية والحضارية كانت العقبة الرئيسية في طريق تدوين الدستور، والواقع ان العوامل السياسية والاقتصادية الخاصة بالوجود والتوسع الاسرائيلي والهجرة والاستحواذ على اراضي الغير قد عرقلت تدوين الدستور . كما ان وجود الدستور يمكن ان يعد قيدا على الحركة الاستيطانية الصهيونية في فلسطين لا سيما انها كانت في مرحلة البداية .

رابعا : عندما تعرض الكاتب للاحزاب الاسرائيلية ، لم يأخذ في اعتباره بعض التطورات الخاصة باندماج بعض الاحزاب .

على ان هذه الملاحظات لا تقلل من الجهد الذي بذل في اعداد الكتاب ، ودراسة بعض المؤسسات الاسرائيلية المشكلة للنظام السياسي في وقت تدور فيه معركة متعددة الجوانب ضد الاستعمار الاستيطاني في فلسطين ، ومن هنا تبرز أهمية

الجهود المختلفة التي تساهم في توضيح حقيقة المجابهة العربية الاسرائيلية ، وما يرتبط بها من قضايا ، وان كنا نلتمس للكاتب العذر على اساس ان هذا الكتاب مدرسي وموجه للطلاب ، وأعد في عجالة ، مما يبين ان الطبعات القادمة ستكون أكثر عمقا واضافة في مجال دراسة صناعة القرار السياسي في اسرائيل .

محمد علي العويني

« الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة ٦—٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ »

عدد خاص من مجلة السياسة الدولية (يناير ١٩٧٤)

خصصت مجلة « السياسة الدولية » التي تصدر مرة كل ثلاثة أشهر من دار الاهرام في القاهرة عددها الاخير لمعالجة « حرب اكتوبر » على الصعيد العربي والدولي . وقد احتوى العدد على مقالات وابحاث ووثائق وتحليلات تهم المواطن العربي سواء كان قارئا عاديا او باحثا متخصصا او سياسيا يهمه الاطلاع على البحث العلمي للاستفادة منه في اتخاذ القرار او اعلامي يرغب في الاطلاع على اتجاهات الرأي العام في بلاده او خارجها . من هذه الزاوية قدم العدد المذكور المعلومات والافكار لاوسع دائرة ممكنة من القراء والمهتمين . فالقراءة الاولى للعدد كافية لاظهار المجهود الضخم الذي كان وراء اختيار الابحاث واعدادها وتبويبها ، ولكننا هنا لسنا بصدد استعراض الايجابيات الكثيرة التي يمكن اكتشافها في هذا المجهود ، فقراء « السياسة الدولية » يدركون المكان الذي تحتله هذه المجلة على ساحة الفكر السياسي العربي ولكننا هنا في صدد اجراء تقييم عام لمحتويات العدد الاخير الذي تم اعداده وتقديمه في فترة تاريخية ربما تكون من أهم الفترات التي يمر فيها العالم العربي في هذا القرن . ان محتوى اكثر المقالات يشير الى ان كتابتها قد تمت اثناء اندلاع المعركة العسكرية التي شهدتها الجبهة المصرية والسورية وما تلاها من تحركات سياسية واقتصادية عربية ودولية . ولهذا فانه لا بد هنا من الاشارة الى الصعوبات التي تواجه أي بحث سياسي يحاول معالجة ازمة سياسية لا زالت قائمة ومستمرة حيث ان البحث لا يمكنه حصر العوامل المتغيرة التي تؤثر على سير الازمة وحيث يمكن للتطورات ان تبطل مفعول وتلغي مصداقية الاستنتاج النظري . كما انه لا بد من الاشارة الى ان « السياسة الدولية » مع اتساع مجال تخصصها اضطرت في هذا العدد الى الاكتفاء بمعالجة مسألة النزاع العربي — الاسرائيلي ضمن اطار محدد هو حرب اكتوبر ونتائجها فسقطت في فخ الاختيار بين ما هو أهم وما هو مهم مما قيد الى حد بعيد الافق التاريخي الذي كان يمكن للباحث ان يسرح فيه لدعم أفكاره وقناعاته . ان هذا التقييم ينظر الى العدد ككل متكامل ولكن اختلاف المواضيع وتنوعها قد فرض عليه نوعا من التركيز والاشارة الى بعض المقالات بشكل خاص .

الانطباع الاول لدى قراءة العدد هو انطباع شكلي ومتعلق بالتركيب السياسي لاشخاص المساهمين بالابحاث فقد اقتصرت هذه الابحاث على الاساتذة والباحثين المصريين مما صبغ العدد بطابع «مصري» . ومع ان هذا الطابع لم يؤثر على عروبة المضمون الا ان الخلفية الثقافية الخاصة التي هيمنت على هذا المضمون جعلته يقدم صورة غير كاملة عن الاراء السياسية المختلفة في العالم العربي حول حرب اكتوبر . ان مشكلة «اقليمية» المجلات العربية المتخصصة مشكلة تعاني منها مجمل الحياة الثقافية العربية حيث لا زالت درجة التفاعل الفكري العربي مرتبطة بالموقع الجغرافي (مكان الصدور) والالتصاق المحلي (مكان الاقامة) لمصدر المقال .

والان يجدر بنا ان نسأل ماذا قدم عدد « السياسة الدولية » الاخير وكيف قدمه ؟

البحث الاول كتبه د. اسماعيل صقلد حول « استراتيجية السادات والعمل العربي المشترك » وقد استعرض البحث الايجابيات التي حققتها هذه الاستراتيجية على الصعيد العسكري والدبلوماسي العربي والدولي ، وقد اثار البحث تساؤلات هامة

حول غياب القدرة العربية الاقتصادية عن ساحة التحرك برغم الدور الذي لعبته حتى الان وكذلك غياب منظمات الثورة الفلسطينية عن الساحة الاردنية وعدم فعالية الجبهة الشرقية ورغم هذه التساؤلات فقد استنتج الكاتب بان العرب قد اثبتوا في حرب اكتوبر « انهم كتلة دولية ذات وزن سياسي واقتصادي » وأكد ضرورة استمرار الاجراءات العربية الضاغطة على المصالح الامريكية والغربية وضرورة تطوير أجهزة الجامعة العربية مما يضمن تغيير ملامحها الجامدة (ص ١٩) . ثم حدد الكاتب ملامح الاستراتيجية العربية على المدى البعيد بحيث تشمل اقامة مؤسسة عربية لتخطيط السياسة البترولية وانشاء صندوق للطوارىء القومية وانشاء جهاز عسكري عربي لدراسة احتياجات العرب للاسلحة وتحديد أنواعها وتنسيق استعمالها . ان بحث الدكتور مقلد كان استعراضيا حيث بدأ بتقديم المعلومات وانتهى بتقديم النصائح وهو بجانب كلمة العدد التي كتبها الدكتور بطرس غالي يمكن اعتباره كلمة عدد اضافية وموسعة حيث طغت محتوياته على باقي الابحاث مما برر تصدره هذه الابحاث .

في بحث تابع تعرضت الباحثة نبيهة الاصفهاني « لتحرك المقاومة الفلسطينية في ازمة الشرق الاوسط » ، وكان هذا البحث هو المقال الوحيد الذي احتواه العدد عن المقاومة الفلسطينية دار البحث حول المعلومات العامة والمعروفة عن المقاومة ودورها الخاص في الحفاظ على الجو النفسي الضروري ولكن البحث وقع في اخطاء احصائية هامة مثل عدد اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية عام ١٩٥٤ حيث حددها البحث بـ ١٨٠ الفا بينما كان العدد الصحيح اذا شملنا اللاجئين في الاردن يتعدى ٧٠٠ الف .

لقد احتوى العدد على عدد من الابحاث التي نزلت تحت باب « المحور الاقتصادي » وتعرضت هذه الابحاث للنواحي القانونية التي تدعم الحق العربي في استعمال « سلاح البترول » ودور هذا السلاح في تحقيق الاهداف العربية السياسية (استرجاع الاراضي المحتلة) والاقتصادية (التنمية والتعمير) . لقد طرحت الصحافة العربية موضوع البترول العربي وازمة النفط العالمية بشكل موسع وكاشف ولم تشهده الصحافة العربية حول موضوع آخر من قبل وقد كانت مساهمة عدد « السياسة الدولية » في هذا المجال مساهمة حاولت تقديم هذا الموضوع في محتواه القانوني الدولي فوجد القارىء فيه مادة لم يجدها في الصحافة الدارجة .

احتوى باب « الاعلام والحرب النفسية » على عدة اطروحات ذات قيمة بعيدة المدى ولكنه افتقد الى دراسة حول طريقة استعراض الحرب في الصحافة واجهزة الاعلام الاسرائيلية . وقدم رجاء البنا تقييما وافيا «لنجاح الاعلام العربي داخليا وقصوره خارجيا » اثناء الحرب ولكن الاسباب التي قدمها لفشل الاعلام في الخارج كانت اسبابا غير كافية لتبرير هذا الفشل وغير مستمدة من أي دراسة ميدانية موضوعية لهذا الاعلام .

وفي باب « الجبهة الداخلية الاسرائيلية » استعرض عدد من الباحثين بعض نواحي الضعف والقوة في المجتمع الاسرائيلي ولكن هذه المعلومات لم تكن كافية لاشباع القارىء المتخصص وكان هذه المعلومات لم تكن كافية لاشباع القارىء المتخصص وكان يمكن في هذا البحث الاستعانة بمصادر الترجمات الاسبوعية والشهرية للصحافة والاذاعة الاسرائيلية التي تنشرها مؤسسة الدراسات الفلسطينية ومركز الابحاث الفلسطيني في بيروت .

وفي باب « التحرك الدولي » قدم العدد عرضا وافيا لردود الفعل الدولية اثناء وبعد الحرب وقد ضم الباب بعض المواضيع الجديدة التي لم يسبق للباحثين العرب التطرق اليها باسهاب مثل « السياسة الصينية تجاه النزاع » وربما يكون أفضل مثال على هذه المواضيع البحث الذي كتبه الدكتور بطرس غالي تحت باب « الوضع بعد اتفاق السلام » واختار له عنوان «رؤية استطلاعية لما بعد اتفاق السلام » . ان هذه الرؤيا تعتبر محاولة جريئة لاستقصاء معالم النزاع العربي الاسرائيلي بعد احلال السلام الدولي بكل شروطه ومتطلباته وقد اثبتت هذه المحاولة بأن العقل العربي بدأ يستطيع عبور حواجز زمنية ونفسية كان من الصعب عليه عبورها وهو رازح تحت وطأة الانتكاسات القومية والاقليمية خلال نصف القرن الماضي من صراعه مع الصهيونية .

بعد هذا التقييم العام لا بد من التساؤل ما هو مضمون العدد سياسيا وفنيا : ـ

سياسيا : اجمعت الابحاث بأن حرب اكتوبر ١٩٧٣ قد أجرت تغييرات جذرية على المعادلات الدولية والاقليمية التي ظلت قائمة في المنطقة منذ عام ١٩٤٨ وان هذه الحرب كانت نقطة تحول في نوع وحجم التعامل السياسي والاقتصادي بين العالم العربي وباقي العالم بتكتلاته وتحالفاته المختلفة وان هذا التحول يسير في اتجاه ايجابي بالنسبة للمجموعة العربية وكذلك بالنسبة لعلاقة العالم الثالث بالدول الصناعية .

وفنيا : احتوى العدد على عدد كبير نسبيا من الاخطاء المطبعية ، اما قسم الوثائق فلم يحتو مثلا على وثيقة قرارات مؤتمر القمة العربي (٢٨ نوفمبر ١٩٧٣) ولا وثيقة قرارات مؤتمر وزراء النفط العرب (١٨ اكتوبر ١٩٧٣) وان كانت بعض الابحاث قد اشارت الى هذه القرارات. وبجانب الحجم النسبي الضئيل الذي خصصه البحث للمقاومة الفلسطينية ووضع السكان العرب تحت الاحتلال فان العدد افتقد ايضا الى باب خاص بالصحافة واجهزة الاعلام الاسرائيلية ومع الاعتراف بالصعوبات الخاصة بامكانية ملاحقة هذه الاجهزة سواء داخل اسرائيل او خارجها الا انه كان يجدر بمجلة متخصصة تصدر عن أكبر دار نشر في العالم العربي ان تعير هذا الموضوع اهمية أكثر خاصة في مجال التحليل . أما الوثائق العسكرية التي احتواها العدد قد قدمت عرضا وافيا للبيانات العسكرية عن سير المعارك على الجبهة المصرية والجبهة السورية ولم يحتو على البيانات الخاصة بعمليات المقاومة الفلسطينية . وكذلك قسم المجلات الدولية اعتمد اعتمادا كليا على « الموند دبلوماتيك » ولم يحتو على أي مقالات تمثل آراء باحثين من دول غير فرنسا او امريكا كما انه أهمل اهمالا كليا صحافة الكتلة الاشتراكية والتي يكاد القارىء العربي لا يسمع او يقرأ عنها شيئا .

بقي كلمة اخيرة ، العدد يجب الحكم عليه ككل كما قلنا في مطلع التقييم وهنا يجب القول بأن العدد يعتبر مرجعا رئيسيا للفكر العربي السياسي وانفعالاته مع الاحداث ونظرته قريبة وبعيدة المدى اليها فهو عدة كتب في كتاب وعدة مراجع في مرجع ومن هنا تنبع أهميته الاصيلة التي جعلته موضع هذه الدراسة .

د. عدنان العمد

N. A. Rose : The Gentile Zionists - A Study in Anglo-Zionist Diplomacy, 1929 - 1939, (Frank Cass : London, 1973).

تقع الفترة التي يكتب عنها روز (وهو استاذ محاضر في العلاقات الدولية بالجامعة العبرية) مؤلف كتاب « الصهيونيون غير اليهود » ما بين ١٩٢٩ و ١٩٣٩ ، كما ان مسرح الاحداث هو اوربا الغربية وليس الشرق الاوسط . ويذكر المؤلف في مقدمته انه سيكتفي ببحث النشاط السياسي للصهيونيين غير اليهود. اما تحليل جذور الصهيونية غير اليهودية وتفسير دوافعها ، فسيتركها خارج نطاق كتابه . فالكتاب اذن هو سرد للجهود التي بذلها حاييم وايزمن وغيره من قادة الحركة الصهيونية لدى الحكومة البريطانية طوال عشر سنوات من أجل اقناعها بالتسليم بمطالب اليهود في اقامة دولة لهم بفلسطين ضد رغبة السكان العرب الذين قضوا جزءا كبيرا من هذه الفترة نفسها في انتفاضات ضد تهويد بلادهم . ولا شك ان القصة التي برويها روز مثيرة جدا ، وان كانت بحكم الضرورة لا تتضمن الحقائق كلها . فالمراجع البريطانية المنشورة لا يمكن ان تحتوي على جميع اسرار هذا الفصل المخجل من التاريخ البريطاني، مثلما لا يمكن للمراجع الصهيونية (كأرشيف وايزمن والارشيف الصهيوني المركزي) ان تشتمل على تفصيل صريح للاساليب التي لجأت اليها الحركة الصهيونية من اجل التأثير على الساسة الانكليز . فهذه الاساليب المغلفة بالسرية العظمى لا زالت ملكا للتاريخ الذي لم يسجل ، باعتبار ان الحركة الصهيونية ما فتئت تلجأ اليها في الضغط والاكراه

والترغيب . الا ان روز يفتح لنا النافذة بعض الشيء لننال لمحات من جهاز التأثير الصهيوني اثناء دورانه المستمر . فمع ان الاسرار التي يقدمها لنا في كتابه ليست كثيرة ، الا انها قد تصبح يوما ما الحافز للمؤرخين غير الصهيونيين ليسجلوا تاريخا أكثر صراحة وشمولا لنشاط الصهيونية غير اليهودية في العالم .

ان روز لا يريد تحليل الصهيونية غير اليهودية او تفسير دوافعها ، ومع ذلك فانه عندما ينسب الى سمطس ، احد زعماء الكومنولث البريطاني قبل الحرب العالمية الثانية قوله انه لا توجد امبراطورية في العالم بوسعها ان تظلم اليهود (« انظروا ما حل بروسيا من كوارث رهيبة بسبب ذلك ») فانه يزيح الستار قليلا عن الخوف الذي يكمن في قلوب الكثيرين من ساسة اوربا وامريكا بسبب النفوذ اليهودي القوي في دولهم . ولعل هذا الخوف هو احد العوامل الرئيسية في دفعهم للعمل من اجل المصلحة الصهيونية . فان روز يتحدث مثلا عن استعداء الصهيونيين لامريكا ضد بريطانيا. ففي بداية تشرين الاول ١٩٣٨ قرر وايزمن ان يعبىء القوى المساندة للحركة الصهيونية في الولايات المتحدة . وما ان حل منتصف ذلك الشهر حتى كانت وزارة الخارجية الامريكية قد استلمت ٦٥ الف برقية تطالبها بالتدخل والضغط على الحكومة البريطانية ، فأوعزت الى سفيرها في لندن ، جوزف كندي (والد الرئيس كندي) ان يبلغ المسؤولين الانكليز قلق حكومته من تحديد الهجرة اليهودية الى فلسطين . وقبل ذلك ، كان رمزي مكدونالد رئيس وزراء بريطانيا في بداية الثلاثينات يشتكي لدى وايزمن من تصرفات اليهود الامريكان الذين اخذوا في الاضرار بمصالح بريطانيا .

ولم تقتصر مهارة جهاز التعبئة الصهيوني على تجنيد التأييد بين اليهود انفسهم ، اذ يروي روز كيف تمكنت المنظمة الصهيونية خلال ايام معدودة من جمع تواقيع عدد من ابرز الساسة البريطانيين على رسالة نشرت في التايمز اللندنية تدافع عن وجهة النظر الصهيونية وتفسرها وتبررها . وكان ظهور هذه الرسائل على صفحات الجرائد البريطانية يعتمد على التوقيت الدقيق ، ويأتي في اوقات تقف فيها الحكومة البريطانية مترددة بين الموافقة على طلبات الوكالة اليهودية ورفضها ، فكانت هذه الرسائل التي تحمل تواقيع الزعماء الكبار تفصل الموضوع وتنهي التردد لصالح الصهيونيين .

وكانت حملات الضغط الصهيوني تقوم على صعيدين : الصعيد الاول هو الدبلوماسي حيث يقوم وايزمن وبقية الزعماء الصهيونيين بالاتصال بكبار الساسة في العالم لتحقيق مطالبهم . اما الصعيد الثاني فهو « الضغط الشعبي اليهودي » الذي كان يرافق الجهود الدبلوماسية بالصيحات المتشنجة . فكان وايزمن يشير دائما الى الاصوات اليهودية الصاخبة اثناء مفاوضاته ليؤكد للطرف الاخر بأنه واقع تحت ضغط شعبي لا يرحم ، وبأنه اذا لم ينل مطالبه ، فانه سيسقط من مركزه وسيحل محله المتطرفون الذين يصعب التفاهم معهم . هذا التكتيك كان يحقق النجاح في احيان كثيرة ، لا سيما وان وايزمن كان يبرر هذا الهيجان بأنه التعبير التلقائي لاستنكار الشعب اليهودي ، وانه حتى امبراطورية عظمى كالامبراطورية البريطانية لا يمكنها ان تنكث بوعدها امام هذا الشلال المتدفق من الاستنكار . كما كان يقول : اني طالما دافعت عن اجراءات الحكومة البريطانية امام قومي وواجهت عاصفة غضبهم بسبب أمور لا يمكن لاحد ان يعتبرني مسؤولا عنها . ولما كان وايزمن قد اقنع الانكليز بأنه زعيم يهودي معتدل يمكن التفاهم معه، فان تهديده الدائم بالاستقالة كان يتيح له الحصول على تنازلات من الحكومة البريطانية في كثير من الحالات . على انه يجب الملاحظة بأن استماتة الزعماء الصهيونيين في نيل المكاسب لحركتهم تعود في قدر كبير لخوفهم من السقوط من مراكزهم في حالة الفشل . فالمنافسة بين زعماء الحركة كانت مستعرة على الدوام ، وما كان يغفر لاحد فشله في مهمة أنيطت به ، مهما كان نجاحه كبيرا في السابق . حتى وايزمن نفسه ، اشهر زعيم صهيوني في عصره ، ذاق مرارة الهزيمة احدى المرات عندما أسقط من مركزه . ولذا فانه عندما استرجع مكانه بعد ذلك ، اخذ يضاعف من جهوده ليمحي اثر اخفاقه .

وقد استغل الصهيونيون علاقات القرابة بين الساسة البريطانيين لاغراضهم الخاصة . فاثناء ترؤس رمزي مكدونالد للوزارة ، تمكن وايزمن من تقوية علاقاته مع ابنه مالكولم وجعله همزة وصل بينه وبين ابيه . ويدافع روز عن استغلال علاقات القرابة ، نافيا عنها صفة المكيافيلية ومحاولا ان

يقنع القارىء بأن خدمات مكدونالد الابن للحركة الصهيونية كانت تابعة من عطفه عليها . ومن الجدير بالذكر ان « صداقة » وايزمن مع مالكولم مكدونالد شهدت نهاية عنيفة بعد ذلك بسنوات . فان مالكولم الذي اصبح وزيرا بدوره فوجىء بأن طلبات الصهيونيين لا تنتهي وبأنها في الواقع مضادة للمصلحة البريطانية . ثم اخيرا وقع اللقاء المهين بينه وبين وايزمن . ولنستمع الى رواية وايزمن لهذا الحادث : في نهاية لقاء تم بين وايزمن ورئيس الوزراء شمبرلين ومالكولم مكدونالد ، دعا الاخير وايزمن الى العشاء في بيته ، فأجابه الزعيم الصهيوني بأنه لم يأت الى لندن من اجل ان يحضر حفلات العشاء ! الا ان مالكولم يصر ، فيوافق وايزمن بعد تمنع . وفي حفلة العشاء يتكهرب الجو بين الرجلين ، فيقول مالكولم : اني اعرف بأن اليهود اصبحوا يصفونني بالجبن والنفاق . فيجيبه وايزمن : انني لم اطلق عليك صفة الجبن ابدا (الا انه لم ينف صفة النفاق عنه) . وتنتهي « الصداقة » بين الرجلين .

ان القارىء لا يمكن الا ان يستغرب مدى التخاذل الذي يصل اليه وزير بريطاني في عهد بلغت فيه الامبراطورية البريطانية اوجها ، وذلك امام رجل لا يمثل دولة ولا يمتلك حقا في المطالبة بشيء . صحيح ان رواية وايزمن قد تكون كاذبة من أساسها ، الا اني ارجح صحتها باعتبار ان مالكولم مكدونالد وغيره من الساسة البريطانيين ذوي الميول الصهيونية كانوا مدينين للمنظمة الصهيونية بأشياء كثيرة لا يمكن لمؤرخ صهيوني مثل روز ان يحددها . كانت « عينهم قد انكسرت » اذا جاز لنا ان نستعمل هذا التعبير العامي ولذا استحقوا احتقار الصهيونيين ، واستحقوا رمي الصهيونيين لهم في سلة القمامة مثل حبة ليمون استخرج منها عصيرها . ولم يكن مالكولم هو السياسي الوحيد الذي استنفد اغراضه لدى اليهود . فان ولتر اليوت الذي ذكر روز انه كان يغذي وايزمن بالمعلومات السرية التي يحصل عليها من اجتماعات مجلس الوزراء ، اليوت هذا فقد هو الاخر مكانته لدى الصهيونيين بعد ان افتضح أمره بين المسؤولين الانكليز الذين اخذوا في حجب المعلومات عنه . فكتبت المسز دغديل ، الموالية للصهيونيين ، رسالة الى شيرتوك قالت فيها : ان اليوت يعتبر فائدته لنا قد انتهت . فلن يستشيره احد بعد الان ولن يكون بعد اليوم جزءا من الحلقة الداخلية التي تسوي الامور .

وكان الصهيونيون غير اليهود قد اصبحوا محط سخرية الصحف البريطانية لتكالبهم على خدمة الحركة الصهيونية ، فنشرت الرسوم الكاريكاتورية التي يظهر فيها اورمز بي غور ، وزير المستعمرات ، في جيب وايزمن . ومع ذلك ، لم تثبط هذه السمعة السيئة من مدى تذللهم ، اذ يكتب روز انهم كانوا في كثير من الاحيان يستبقون الحركة الصهيونية في مطالبها ويتفوقون عليها في التطرف . الا ان احد الساسة البريطانيين لم يغرب عن ذهنه مقدار البلف في التكتيك الصهيوني فقال : ان اليهود لا يقبلون منك « لا » عندما تقولها للمرة الاولى . ولكنهم عندما يأتون اليك في المرة الثانية وتقول لهم : لا ، اللعنة عليكم ، عند ذلك يقبلون ذلك منك .

ان دراسة روز تستحق الاهتمام حتى ولو لم تكن تاريخا كاملا لنشاط الصهيونيين غير اليهود في بريطانيا ، كما انها تزود الباحث ببعض المعلومات عن اتصالات وايزمن بعدد من زعماء اوربا والشرق الاوسط ، وبينهم ليون بلوم ، رئيس وزراء فرنسا اليهودي ، وكمال اتاتورك وبنيتو موسوليني . ولن يستغرب القارىء كثيرا عندما يقرأ في هذا الكتاب بأن شاغل الصهيونيين منذ الثلاثينات كان تأسيس دولة يهودية تقع ضمن حدود آمنة يمكن الدفاع عنها ، او ان احد الساسة البريطانيين الموالين للصهيونية تنبأ بأن الدولة اليهودية التي ستقام في فلسطين ستلعب نفس الدور الذي لعبته منطقة الستر في شمال ارلنده ، وهي المنطقة التي ملأها البريطانيون بالمهاجرين من بلادهم ليحتفظوا بموقع قدم في ارلنده المكافحة من أجل حريتها واستقلالها .

الا ان هذه كلها هي معلومات هامشية ولا بد ان يأتي اليوم الذي يرى النور فيه كتاب يحتوي على تاريخ شامل صريح لنشاط الصهيونية غير اليهودية في العالم ، وهذا الكتاب لا يمكن ان يؤلفه صهيوني مثل روز .

فهد المنصور

H. Abdel Hadi, M. El-Labadi, N. Paech, B. Sommer, H. Weingartz,
BRD, Israel und die Palästinenser: Eine Fallstudie zur Ausländerpolitik.
(Pahl - Rugenstein Verlag, Köln 1973).

بعد حوادث ميونخ ، عندما احتلت جماعة من منظمة أيلول الاسود جناح الفريق الاسرائيلي في مدينة الالعاب الاولمبية ، وقتلت ١٥ شخصا ، بدأ اضطهاد الفلسطينيين في جمهورية المانيا الاتحادية. ففي اكتوبر ١٩٧٢ كان ما لا يقل عن ٢٥٠ طالبا وعاملا فلسطينيا قد طردوا من البلاد ، كما الغيت شرعية اتحاد طلبة فلسطين واتحاد عمال فلسطين. وادعت حكومة المانيا الاتحادية ان اضطهاد الفلسطينيين انما هو جزء من محاربة الارهاب الدولي ، وكان هذا الادعاء مصحوبا بحملة دعائية ضد العرب .

وقصة طرد الطلبة والعمال الفلسطينيين من ألمانيا ، والغاء شرعية اتحاد طلبة فلسطين واتحاد عمال فلسطين هو موضوع هذا الكتاب الذي ألف بعد سنة واحدة من حوادث ميونخ ، وعنوانه « جمهورية المانيا الاتحادية واسرائيل والفلسطينيون دراسة في معاملة الاجانب » . والكتاب لا يناقش هذه الاحداث ، ولا يعطينا دراسة مصحوبة بالوثائق عن قرارات اضطهاد العرب والفلسطينيين ، ولو ان بعضها موجود في فهرست الكتاب . انه عبارة عن محاولة تحليلية لاضطهاد الطلبة والعمال الفلسطينيين واعلان عدم شرعية اتحاد طلبة واتحاد عمال فلسطين في المانيا الاتحادية كتبرير لسياسة هذه الدولة في معاملتها للاجانب بشكل عام . وبالرغم من اعتراف المؤلفين بأن اضطهاد الفلسطينيين في المانيا هو حالة شاذة، الا انهم يدعون بأن تطبيق هذه السياسة المتشددة في معاملة الفلسطينيين باعتبارهم أجانب في البلاد ، يوضح مصلحة بلادهم وسياستها في معاملة الاجانب بوجه عام وفي قراراتها بطردهم من البلاد في الحالات الاعتيادية .

ويؤكد مؤلفو الكتاب ان حوادث ميونخ لم تكن — كما تدعي حكومة المانيا الاتحادية — السبب الرئيسي في طرد الطلاب والعمال الفلسطينيين واعلان عدم شرعية منظماتهم ، ولكن السبب في هذا كله هو ان هذه الحوادث جعلت تطبيق هذه القوانين السياسية في معاملة الاجانب ، والتي كان من المنطقي تطبيقها من قبل ، جعلته سهلا ومقبولا في نفس الوقت .

وطبقا للتشريعات الالمانية الاتحادية بخصوص الاجانب ، فان الاجنبي شرعيا لا يحق له البقاء في المانيا الاتحادية حتى اذا كان يعيش فيها لمدة طويلة . ومسموح لهذا الاجنبي ان يبقى فيها لفترة محدودة من الوقت . ويمكن طرده في أي وقت اذا كان وجوده فيها يتعارض — كما في القانون — مع مصالح الدولة .

يبحث الفصلان الاول والثاني في هذه المصالح حيث يكشفانها على طبيعتها الرأسمالية والاستعمارية . فالفصل الاول يناقش العلاقات الخاصة التي تربط بين اسرائيل وجمهورية المانيا الاتحادية كعامل حاسم في موقف حكومة المانيا والرأي العام الالماني العدائي للفلسطينيين .

ومن الواضح الجلي في هذا الكتاب ان هناك تعاونا تقليديا بين الحركة الصهيونية والاستعمار الالماني والذي بدأ في أوائل سنة ١٨٩٨ حين اجتمع هرتزل بأمبراطور المانيا في ذلك الوقت طالبا تأييد ومساندة الامبراطورية الالمانية للاستيطان الصهيوني في فلسطين . ولقد تعاون الصهيونيون مع هتلر وسياسته المعادية للسامية ، فلقد حبب هتلر فكرة نزوح اليهود الى فلسطين حتى أنه سمح لهم بنقل أجزاء من رأسمالهم الى فلسطين بواسطة منظمة بلطرو الصهيونية . ولقد استمر هذا التعاون الصهيوني النازي بعد سقوط هتلر على شكل دفع تعويضات لليهود ولدولة اسرائيل ، وبالاضافة الى ما يسمى تعويضات جرائم الحرب التي لا تزال تدفع للدولة الاسرائيلية هناك مساعدات عينية تقدمها دولة المانيا الاتحادية الى اسرائيل . من هذه المساعدات ما هو عسكري ومنها ما هو على شكل معونات اقتصادية او تعاون في المجال العلمي او الفني ، ومنها ما هو على شكل استثمارات لرؤوس الاموال أو افضلية في التجارة الخارجية . ولهذا فاعلان عدم شرعية اتحاد طلبة فلسطين

واتحاد عمال فلسطين في المانيا الاتحادية ما هو الا شكل آخر من أشكال التعاون بين اسرائيل والمانيا الاتحادية . انه طمس الدعاية المضادة للصهيونية التي حمل لواءها اتحاد طلاب فلسطين في المانيا . وفي الحقيقة فان هذه التفرقة العنصرية والاضطهاد ضد الفلسطينيين وضد أولئك الذين يؤيدون قضيتهم كان موجودا في المانيا الاتحادية قبل وقوع حوادث ميونخ بوقت طويل . ففي بداية عام ١٩٦٩ وحين تظاهر عدد من الطلاب الفلسطينيين وأصدقائهم الالمان ضد المحاضرات التي كان يلقيها سفير اسرائيل آشر بن نائان في جامعات هيدلبورغ وفرانكفورت ونجحوا في تحويل هذه المحاضرات لمناقشة الثورة الفلسطينية طلعت صحف المانيا الغربية بعناوين تنادي بابعاد وطرد المخربين الفلسطينيين وعناوين تتهم أصدقاءهم الالمان بأنهم دعاة لحركة ضد السامية .

ويناقش الفصل الثاني ابعاد الطلبة الفلسطينيين واعلان لا شرعية اتحاد الطلبة واتحاد العمال الفلسطينيين كمثل تؤديه تشريعات المانيا الغربية في كونها عوامل سياسية واجتماعية في معاملة الاجانب وطردهم . وبالرغم ان هذه التشريعات سنت لتطبيقها على جميع الاجانب في المانيا الاتحادية الا أنها لم تطبق الا على أولئك الفقراء اي الثلاثة ملايين أجنبي من عامل وطالب فرضت عليهم ظروفهم المحلية ان يذهبوا الى طلب العلم في الخارج .

ويشارك جزء لا يستهان به من هؤلاء الطلاب والعمال الاجانب في الصراع الطبقي وبالحركة المضادة للاستعمار في المانيا الاتحادية . ولقد أصبح من الواضح أن هذه التشريعات التي سنت لمعاملة الاجانب استعملها المسؤولون الالمان لقتل ودفن هذه النشاطات . وفي نفس الوقت فان اضطهاد القوى التقدمية واليسار الالماني يزداد يوما بعد يوم . ومن هنا فاضطهاد الطلاب والعمال الاجانب بمن فيهم الفلسطينيون ، واضطهاد القوى التقدمية الالمانية يهدف الى حماية المصالح الاستعمارية والرأسمالية لالمانيا الاتحادية في البلاد .

ويبحث الفصل الثالث في وجهة نظر صحف المانيا الغربية وتعليقها على حوادث ميونخ والاضطهاد الذي تبعه . ويرينا الكتاب ان الصحف الالمانية قد ساندت وبقوة عقائدية السلطات الحكومية الالمانية . ويؤكد المؤلف ان الصحف اللبرالية فشلت فشلا ذريعا في انتقادها للتفرقة والمقاييس غير الشرعية ضد الفلسطينيين مبيناكيف ان هذه الصحف دائمة الانهماك في ما يمس مصالح اسرائيل .

ويتابع المؤلف مناقشته في الفصل التالي التقرير الذي قدمه رئيس اتحاد طلبة فلسطين في المانيا الاتحادية عن أهداف ونشاطات اتحاد الطلبة والعمال الفلسطينيين هناك . فهذه الاهداف والنشاطات ترمي من ناحية الى تنبيه الشعور العام نحو الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومن ناحية أخرى تنظيم الطلاب والعمال الفلسطينيين وتوعيتهم حتى يبقوا على اتصال مستمر مع كفاح شعبهم ومساعدتهم لحل جميع المشاكل التي يلاقونها في بلد كألمانيا الاتحادية . وفي الفصل الاخير يحاول المؤلفون تقييم ردة الفعل في صفوف حركة التقدميين والمناهضين للاستعمار من خلال مواقفهم من الاضطهادات وعمليات الابعاد ، فقد كان واضحا ان اتحاد طلبة وعمال فلسطين ومن خلال نشاطاتهم قد استقطبوا حولهم العديد من الاصدقاء الالمان التقدميين ، هؤلاء الاصدقاء الذين احتجوا بشدة ضد اضطهاد وابعاد الفلسطينيين وعبروا عن مساندتهم ووقوفهم مع الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة . وعلى ما يبدو فلقد فشلت سلطات المانيا الاتحادية في تدمير هذه المساندة للشعب الفلسطيني بل على العكس فان صداقة القوى التقدمية في المانيا للفلسطينيين قد ازدادت عن ذي قبل .

وجدير بالذكر ان مؤلفي الكتاب، وهم فلسطينيان وثلاثة ألمان ، قد عملوا لفترة طويلة في مساندة الشعب الفلسطيني في المانيا الاتحادية . وناشر الكتاب هو عضو من اعضاء القوى التقدمية ، وقد فشلت محاولة نشر الكتاب على نطاق واسع ولذلك فان هذا الكتاب لن يصل الا الى هذه القوى التقدمية في جمهورية المانيا الاتحادية .

أ . م .

مراجعة اخرى لكتاب اميل توما ، **جذور القضية الفلسطينية**
(مركز الابحاث في م.ت.ف.، بيروت ١٩٧٣).

هل كتابة التاريخ الفلسطيني ترف اكاديمي ، كما أصر احد الاصدقاء على القول ؟ هل الاهتمام بالماضي ، أقصد بحركة الشعب التاريخية ، هو لا اهتمام في أولويات النضال على الجبهة الثقافية ، بل السياسية ؟

شخصيا، أعتبر كتابة التاريخ، وعلى الخصوص تاريخ فلسطين ، مهمة نضالية راهنة ، بل وأشد مباشرة من كثير من القضايا الاخرى . ويجب ان اؤكد — بادىء الامر — ان المساهمة في مناقشة القضايا اليومية لحركة التحرر العربية ، والفلسطينية بخاصة ، مهمة يجب أن نضعها جميعا نصب عيوننا . ولكن من قال ان كتابة التاريخ ليست مساهمة مباشرة في القضايا الراهنة ؟ وليس شعب فلسطين ، بالرغم من مختلف الخصائص التي تميزه وتحدد هويته المتفردة ، بخارج عن المقولات العامة التي تحكم حركة الشعوب وتطورها . ان عملية اعادة كتابة التاريخ الفلسطيني تمس بشكل وثيق القضايا المعاصرة الملحة ، فمن خلال تحديد الدروس المستفادة للخبرة الشعبية الفلسطينية عبر مسيرة نضاله الطويلة ، بالاضافة الى الاسترشاد بخبرات الشعوب وبالاستفادة من الارث الثوري الانساني ، تستطيع حركتنا المعاصرة ان تجتاز مراحلها المتتابعة بنجاح كبير .

التأريخ (كتابة التاريخ) الموضوعي هو التأريخ السوسيولوجي : الكشف عن المكونات البنيوية للاحداث التاريخية ، المكونات الفعلية لحركة الواقع الاجتماعي ، وتفاعلات هذا الواقع في الزمان والمكان ، الحدث السياسي لا يمثل نفسه من ثمة ، انه يمثل حركة شعب ما في منطقة ما ، في مرحلة ما ، في عصر ما . بلغة اخرى ، التاريخ ليس سردا قصصيا للاحداث ، انه **اعادة تشكيل للواقع الاجتماعي** في جملة تفاعلاته وتعقيداته ، التاريخ بالتالي لا يصنعه شخص سياسي فحسب، يصنعه شعب ضمن ظرف محدد ومرحلة محددة . وبالنسبة لشعب فلسطين، جرت احداثه التاريخية ضمن مرحلة صعود الامبريالية عالميا : سيطرتها المباشرة على ثلاثة ارباع المعمورة ، واعادة تكوينها الفعلية للبناء الاجتماعي لكل المجتمعات التي سميت اخيرا بلدان العالم الثالث ، ورسمها حتى لمسار التطور لهذه البلدان ومن هنا ، فلقد كانت المهمة النضالية اكبر من الحجم الحقيقي للقوى الذاتية لشعب فلسطين ، هذه القوى المحدودة لشعب مستعمر ، متخلف ، يواجه اضطهادا مثلثا (ان صح التعبير) وليس مضاعفا فحسب (الامبريالية البريطانية ، والصهيونية ، ثم التخلف الاجتماعي نفسه) .

قد يقول بعضهم ، ما لكم وهذا التركيز على التاريخ ؟ ان مئات الكتب والدراسات التي نشرت وتنشر باستمرار لم تترك مجالا لمستزيد . ومع ان هذا القول يبدو موضوعيا للوهة الاولى ، بيد أنه في الحقيقة لا ينطوي الا على الصورة فحسب . ان عشرات الكتب الهامة عن القضية الفلسطينية قد جعلت مجال البحث أرحب وأقل خطأ ونقصا . ولكن الا يعتقد القارىء معي ، ويشعر ، ان التاريخ الفلسطيني بحاجة لكشف مستمر ، اذ كلما كشفنا عن جانب غامض من هذا التاريخ ، اكتشفنا بآن واحد نقصا كبيرا في هذا التاريخ نفسه . ثم من قال أن التاريخ الفلسطيني قد تمت كتابته حتى هذه اللحظة ؟ ان المحاولات والكتابات ، التي يثير بعضها الاعجاب لدرجة كبيرة ، ستكون جملة محاولات وكشوف كمية ستضاف الى بعضها ، وسترشد وستسهل العمل القادم ، التالي ، عن التاريخ الفلسطيني : العمل الذي ينبغي ان يضطلع بأدائه حلقة بحث ومجموعة من الدارسين ، لان الكتابة الموضوعية للتاريخ تستلزم العودة الى المكونات والمسببات : الاصول الاقتصادية — الاجتماعية للاحداث ، وعلاقاتها الجدلية المتشابكة عبر تطور هذه الاحداث نفسها ، وكذلك عبر تفاعلها بالدول المحيطة ، وبالمنطقة ، وبالعالم . بالاضافة الى التسلح بنظرية ترشده تهديه سواء السبيل . ومن هذا المنظور ، مسألة التأريخ هي **مسألة المنهج** المستخدم . اننا لا نستطيع ان نزعم ان كل كتاب تناول الحوادث الماضية بالسرد وبالتحليل غدا كتابا تاريخيا . البحث التاريخي ، الذي يستحق بنظرنا هذه التسمية ، هو البحث الذي يكشف الاسباب

العميقة للاحداث التاريخية ، من خلال موقعها في حركة التطور التاريخي ، ودورها في هذه الحركة . ومع انني انجزت كتابا حول التاريخ الفلسطيني الحديث ، معتمدا على امكانياتي ووسائلي العلمية المتواضعة والمحدودة ، فانني اعتقد ، ان كتابة التاريخ ، أقصد التاريخ الموضوعي ، ليست عملية فردية ، انها مهمة جماعية يشرف على انجازها « عقل جماعي » — ان صح القول — وقد كنت اقترحت في مقال سابق ان يتولى مركز الابحاث هذه المهمة .

تعود الجذور الحقيقية لـ «العقدة الفلسطينية» الى الحملة النابوليونية التي تمثل بالنسبة لتاريخ الصراع في الوطن العربي « نقطة تحول في سياسة الكولونيالية البريطانية ، فقد بدأت بعدها سلسلة « اتفاقاتها » مع امراء ومشايخ ولايات سواحل شبه الجزيرة العربية » حتى دفعت محاولة محمد علي وولده ابراهيم في اقامة الدولة العربية الكبيرة في مصر وسوريا الطبيعية ، والتهديد الذي مثلته هذه المحاولة للاطماع الامبريالية ، بالاضافة الى حفر قناة السويس فيما بعد ، دفعت الكولونيالية البريطانية على ان تلتقي بالصهيونية « من قبل ان تولد الحركة الصهيونية بحوالي نصف قرن ، فمنذ عام ١٨٤٠ اقترح بالمرستون ، وزير خارجية بريطانية ، الهجرة الى فلسطين « حتى تصون انجلترة سوريا لنفسها » . وقد لعبت التجارة دورا بالغ الاهمية في موقف بريطانيا من يهود الشرق : كتب جورج بردنغ « ان التجار اليهود الاجانب في دمشق هم الفئة الاغنى بين التجار » ، واضاف ، ان اكثر البيوتات التجارية تتاجر مع بريطانية . ص ١٢ .

(**ملاحظة** ، يغفل المؤلف الدور الكبير الذي لعبه الصراع الانجليزي — الفرنسي في لعب ورقة الصهيونية في الشرق العربي) .

في الفصل الثاني « ملاحظة على مرحلة ما قبل الصهيونية » يؤكد الدكتور توما مجددا تلك المقولة الماركسية القائلة ان اليهود لم يكونوا « طبقة واحدة بل طبقات ، مثلها في ذلك مثل سائر المجتمعات ، الا أنها كانت تقوم عادة حول نواة تجارية — مالية وتؤلف طائفة انعزالية بسبب نظام الغيتوات » ، ص ٢٦ ، ولم يكن الاضطهاد في العصور الوسطى مقتصرا على اليهود فحسب ، فلقد نفذ الاقطاعيون في ذلك الوقت « مذابح دينية ذهب ضحيتها أبناء الاقليات النصرانية في اوروبا (البروتستانت في فرنسا والكاثوليك في بريطانيا) » ص ٢٨ . وقد حطم انتصار الثورة البورجوازية في اوروبا جدران الغيتوات ، وفتح الطريق امام الاندماج والانعتاق اليهودي : الاندماج الاقتصادي الاجتماعي والثقافي ، « ونتيجة التطور غير المتعادل بين اقطار اوروبية كان من الطبيعي ان تتفاوت عملية انعتاق اليهود واندماجهم » ص٣٦ . وتجدر الاشارة الى ان اللاسامية ايديولوجية معاصرة تختلف عن معاداة اليهود في القرون الوسطى (نشأت ، كما يقول المؤرخون في سبعينات القرن التاسع عشر) « وشاعت بين الفئات المتوسطة التي كانت قلقة بحكم عدم استقرار اوضاعها الاجتماعية » ص ٣٨ . وليس من الصدفة ان تنشأ الحركة الصهيونية في حقبة تحول الرأسمالية الى امبريالية . فلقد رافق ظهور الامبريالية والبحث عن مناطق النفوذ ظهور اللاسامية . وبذلك التقى الصهيونيون واللاساميون على ارضية واحدة ومثلا وجها العملة : معاداة اندماج اليهود وانعتاقهم والبحث عن وطن لهم خارج القارة .

ويعود اختيار المنظمة الصهيونية فلسطين الى عاملين : اولا ، نشوء ظروف تساوقت فيها مصالح الامبريالية البريطانية والصهيونية ، وثانيا ، اكتشاف الصهيونيين انه من الاسهل استنفار جماهير الطوائف اليهودية لبناء وطن قومي في فلسطين بسبب اقترانها بالدين اليهودي . وبذلك لم تجد الصهيونية قاسما مشتركا لها مع الاشتراكية العلمية ، بل كان اصطدامها مباشرا بها على طول الخط ، وسعت الى جذب اليهود من الحركات الثورية وتخريبها .

وردا على المزاعم الصهيونية ، يبين المؤلف ان الاحتكاك الاول مع العرب الفلسطينيين كان عدائيا : شراء الاراضي من الاقطاعيين العرب سبب تصادمات بين الفلاحين العرب الذين كانوا يستغلونها وبين المهاجرين الجدد ، وقد كانت المعارك عنيفة . أكد أهرون كوهين ان المستعمرات الصهيونية الاولى اقيمت بعد اجلاء الفلاحين العرب عنوة . لقد أستهدف **العنف الصهيوني** اجبار المواطن العربي على الاستسلام ، من حيث ان الصهيونية مثلت صورة للمجتمع العربي بأسره ،

وبهذا لم يكن الاستيطان الاستعماري الصهيوني معاديا للاقطاعيين العرب ، كما يدعي زعماء الصهاينة زورا وبهتانا ، بل للفلاحين والعمال العرب ، ولكل افراد الشعب العربي .

ومن المؤكد ان بريطانيا حين أصدرت الوعد أخذت في عين الاعتبار ممكنات **استخدام الصهيونية** في مواجهة حركة التحرر القومي العربية التي كانت قد بدأت تتبلور بوضوح وتتحول الى حركة ذات جذور في سورية الطبيعية والعراق وغيرها . ويؤكد ذلك ابراهام ليون ساخر بقوله ان المناداة بفيصل ملكا على سورية عام ١٩٢٠ جعلت وعد بلفور حقيقة (من حيث ان النهوض الكبير في حركة التحرر القومي العربية دفع بالامبريالية الى السعي للجم هذا النهوض وايقافه ثم انهائه) . ويجب ان نضيف الى هذا الاعتبار السابق ، اعتبارا اخر دفع بريطانيا الى اصدار الوعد ، يستهدف ، كما قال كريستوفر سايكس ، ابعاد اليهود الروس عن الحركة الثورية والحزب البولشفي الروسي . ولا جدال في ان الوعد البلفوري الشهير قد استهدف تحقيق امرين استراتيجيين اثنين :

الاول ، وضع الحركة الصهيونية في وجه حركة التحرر القومي العربية .

والثاني ، مقاومة الحركات الثورية والنظام الثوري في روسيا بخاصة ، واوروبا بشكل عام .

ولقد ادرك الاحرار العرب هذه الاغراض ، وقاوموا الصهيونية منذ أوائل عهدها بالمنطقة ، ويبرز المؤلف في هذا الصدد حقيقة هامة حين يؤكد ان بعض المؤرخين يقعون في خطأ ، معرض احيانا، حين يقولون ان بدء الكفاح العربي هو اصطدامات العرب واليهود في نيسان ١٩٢٠ . ففي « الحقيقة ان بداية المعركة كانت في رفض الحركة القومية العربية الموحدة في سورية الطبيعية الاحتلال ووعد بلفور ومطامع الصهيونية » ص ١١٠ ، وذلك منذ السنوات الاولى للقرن العشرين ، بيد أن الاحتلال البريطاني للعراق وفلسطين ، وسقوط حكومة فيصل في دمشق ، حسم الموقف ، وجزأ النضال العربي بشكل عام .

امتازت العشرينات بالميزات التالية : ١ — تقسيم فلسطين (سورية الجنوبية) الى شرق الاردن وفلسطين . ولقد قرر استثناء شرقي الاردن من فلسطين درجة مقاومة العرب ، على عكس ما يزعمه الصهيونيون . ٢ — نمو السكان . ٣ — الهجرة . ٤ — تأسيس الهستدروت وتشكيل الحاميات العمالية الصهيونية . ٥ — الاستيطان الزراعي . ٦ — تأسيس الهاجناه . ٧ — التصنيع .

ولذلك كان اصطدام الصهيونية مع الشعب العربي محتوما . لكن يجب ان ندرك ان رجحان كفة الصهيونية في الصراع ، بالاضافة الى الفروق الجوهرية بين الحركة القومية العربية الفضفاضة تنظيميا وايديولوجيا ، والحركة الصهيونية المنظمة تنظيما عاليا ، يعود سببه كذلك الى ظروف تأييد الامبريالية البريطانية والحركة الصهيونية عالميا . وقد لعبت السلطات البريطانية دورا هاما في توطيد مواقع الاقطاعيين على رأس الحركة القومية العربية : عينت بريطانيا الحاج أمين الحسيني مفتيا على القدس ورئيسا للمجلس الاسلامي الاعلى في العام ١٩٢٢ .

وفي معرض تفسيره لاتجاهات الحركة الوطنية الفلسطينية وتناقضاتها وانقسامها بين مجلسية (أكثرية) ومعارضة (أقلية) ، يؤكد الدكتور توما ان السبب العميق يرجع الى انه طالما كان الفلاحون هم قوى الثورة في المستعمرات ، وكان التجار اميل للمهادنة « أمكننا فهم الظروف التي جعلت المجلسيين ، لاتصالهم بالفلاحين ، يظهرون اكثر عداء للامبريالية البريطانية . ودفعت المعارضين الى مهادنة الامبريالية البريطانية » ص ١٥٠ . ولذلك ، فان البورجوازية الصناعية ، التي كانت جنينية عند بداية الانتداب ، وتطورت ببطء هائل تحت المظلة البريطانية ولم تتمكن من الوصول الى مراكز القيادة في الحركة القومية العربية ، او على الاصح ، لم تصل الى مراكز **الحسم** في القيادة . ومنذ اواخر العشرينات ، تفاقمت التناقضات ، وبلغت الحركة الوطنية العربية شأوا عاليا في مقاومتها ، فقد زادت الصهيونية عدد الفلاحين العرب المعدمين : بلغوا سنة ١٩٣٠ ٢٩،٤ بالمئة من مجموع الفلاحين حسب التقارير البريطانية ، وقد زاد من شعور النقمة ، شعور البورجوازية العربية الناشئة بالخطر على مصالحها من جراء النشاط المتزايد الذي تقوم به البورجوازية اليهودية المدعمة من قبل مؤسسات احتكارية وحكومية، ومن قبل استيراد رؤوس اموال من الخارج. وفي معرض تقييمه لهبة البراق (١٩٢٩) يبين الدكتور توما ان

الصراع ، ليس صراعا طائفيا كما يزعم مؤرخو الصهيونية ، بل هو صراع « ناجم عن التناقض بين الوطن القومي اليهودي ومطالب الحركة العربية القومية بالاستقلال » ص ١٧٦ . كما يفند بشكل صحيح الزعم الصهيوني المضلل للرأي العام الاوروبي والقائل ان الصهيونية قامت بعملية اصلاح زراعي في فلسطين عن طريق ضرب الاقطاع وتناقضاتها معه ، فالواقع ان « الاقطاعية كانت حليفة الصهيونية لانها توافقت مصالحها مع مصالح الصهيونيين . فالاقطاعيون ارادوا بيع اراضيهم والتخلص من المزارعين وحقوقهم المعروفة ، والصهيونيون اشتروا هذه الاراضي وشردوا الفلاحين » ص ١٨١ — ١٨٢ .

منذ الثلاثينات ، بدأ المناخ السياسي في فلسطين يتغير نتيجة عوامل موضوعية وذاتية . وهذه العوامل الموضوعية هي :

١ — النمو البطيء للبورجوازية العربية .

٢ — استمرار اجلاء الفلاحين .

٣ — نمو الطبقة العاملة العربية (سنة ١٩٣٠ عقد مؤتمر العمال العرب) . وقد ساعدت هذه العوامل الموضوعية على تنمية العوامل الذاتية التالية : ١ — تحركت قوى وطنية جديدة (مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني الاول ٤ كانون الثاني ١٩٣٢ ، تشكيل حزب الاستقلال « الذي نجح فكريا بدون ان يحقق انجازات تنظيمية » ص ١٩٨ . ٢ — ساعدتها على الرؤية الصحيحة . ٣ — وبدأت هذه القوى تنتظم واضفت الطابع الديني للحركة .

وبذلك أخذ **التمايز** يتشكل في الحركة القومية العربية ، فالعناصر الاقطاعية أخذت تميل الى زيادة التعاون مع الامبريالية البريطانية ، والعناصر القومية الاخرى التي اخذت تميل الى مجابهة الامبريالية البريطانية وطرحت برنامج الاستقلال .

ولقد تجلت فكرة **الوحدة العربية** في اشتراك وفود واشخاص من الاقطار المجاورة في النضال الوطني الفلسطيني ، وكذلك حين تأسست سائر الاحزاب تدعو في برامجها الى وحدة فلسطين بالاقطار المجاورة : الحزب العربي الفلسطيني ، حزب الاصلاح ، حزب الكتلة الوطنية . ولقد وجدت بريطانيا ، بعد هذا النهوض في الحركة الوطنية ، ان تشديد الاحتراب بين العرب والصهيونية هو أفضل سبيل لاحكام قبضتها وسيطرتها ، لذلك كان عليها ان تساعد على تهيئة الظروف لتنفيذ البرنامج الصهيوني « بحيث يكون التوازن ممكنا بين الطرفين » ص ٢١٤ . بتقديري، يبدو في **هذا الكلام قليل من التعسف** ، فبريطانيا ، كما بين المؤلف ، هي التي خلقت التناقض بين العرب والصهيونية منذ بداية الغزو ، وهي التي استخدمت التناقض لصالحها . ولم تعمل على تحقيق نوع من التوازن بين العرب والصهيونية ، بل كانت خططها المرحلية في الثلاثينات السعي لتجميد حالة الصعود الثوري الجماهيري. والواقع ان الحزب الشيوعي الفلسطيني ظل في تلك الفترة غريبا عن الجماهير وبعيدا عنها ، بسبب من ان « قوة الحزب في القطاع اليهودي » ص ٢٠٧ ، ولان برنامج الحزب ، كان ينطلق في ذلك الوقت من معالجة الامر الواقع . ولو اخذ الحزب ببرنامج الجماهير العربية: الاستقلال وديمقراطية فلسطين، لكان تأثيره بين الجماهير العربية الفلسطينية اقوى وأشد فعالية ، والا لماذا اضطر الحزب الى خوض معركتي تعريب ثم انشقاق (العام ١٩٤٣) ؟

اجتاحت الوطن العربي في الثلاثينات موجة ثورية معادية للامبريالية ، وقد تميزت هذه الموجة بالعنف : اضراب ١٩٣٦ في سورية واجبار فرنسا على التفاوض والاتفاق على معاهدة . المعاهدة المصرية (١٩٣٦) بعد الغليان العام . كما « أدى عدوان ايطاليا على الحبشة الى تحويل التجارة العالمية عن المنطقة الى حد ما ، الامر الذي شدد أزمة العمل في فلسطين » ص ٢١٩ . كما أدت نتائج التوتر الدولي الى تقليص الاعتمادات في فلسطين ، مما ادى الى اضعاف وتيرة البناء والى ابطاء في صناعة مواد البناء . لقد عمقت هذه العوامل الازمة ولكنها لم تسببها : المسبب هي الامبريالية البريطانية والبرنامج الصهيوني .

وقد زاد من حدة الازمة كذلك ، ازدياد اهمية فلسطين في الاستراتيجية البريطانية ، ويؤكد ذلك سايد بوثام أحد دعاة الصهيونية ، حين يقول ان اهمية فلسطين قد تضاعفت خلال الحرب الثانية . فعلى ضوء العوامل الدولية المستجدة (احتلال ايطاليا للحبشة) ، كان يجب تحويل فلسطين الى معسكر » ص ٢٥١ ، كما ان « تطوير الطيران يجعل فلسطين صلة الوصل الطبيعية في شبكة المواصلات الجوية المدنية بين الشرق والغرب » ص ٢٥١ .

منذ فصله الخامس عشر (فترة الحرب العالمية الثانية) يقف مؤلفنا ، في بعض المواضع ، مواقف **متناقضة** الى حد ما ، فتارة يتحدث عن جماهير اليهود والشعب اليهودي ، وكأن هناك خلف هذه الكلمات تصورا (قد يكون مسببه كون المؤلف يقيم في اسرائيل) لشعب يهودي فلسطيني ؟! ، وتارة اخرى يتحدث عن « حقوق الشعب اليهودي في فلسطين » (!!) ص ٣٠٠ ، وعن ان فلسطين « قطر ثنائي القومية يعيش فيه شعبان : العربي واليهودي » ص ٢٨٥ . بل من يستطيع تفسير هذه الفقرة « اندلاع الحرب العالمية الثانية أسهم في وقف الطلقات الاخيرة التي حاولت بها الرجعية العربية ، المتساوقة مع النازية ، الابقاء على وضع ثوري معاد لبريطانيا في فلسطين » ص ٢٨٢ .

ملاحظات اخيرة : لا يتسع المجال هنا لمناقشة مختلف قضايا كتابنا الراهن . لكنني أعتقد انه تجب الاشارة الى النقاط التالية :

اولا ، بدا واضحا ان الخمسة الاولى (الفصول المتعلقة بالصهيونية) هي الفصول الاكثر تركيزا في الكتاب . ففيها يلمس القارىء هذا الجهد الاضافي المبذول لتفسير التوجهات الامبريالية ــ الصهيونية للمنطقة ، حيث نجح المؤلف الى حد بعيد في العودة بنا الى جوهر الموضوع ، كما بينا في الصفحات السابقة .

ثانيا ، وهذه النقطة تشمل الفصول الخمسة الاولى ايضا . فبالرغم من كون الكتاب امتاز بعمق التحليل ، لكن **الطابع السياسي والتحليل السياسي طغيا** على الكتاب ، ولم يتم التعمق في دراسة الجانب السوسيولوجي : خلفية الاحداث . وقد كان الكاتب يستطيع ذلك ، وخاصة كونه يتسلح بالفكر العلمي ومن كبار مثقفيه ومنظريه .

ثالثا ، تبدو فقرات قليلة في الكتاب يحاول فيها الدكتور توما ان يدافع عن نفسه فيها : عن تاريخه السياسي . اذ بالرغم من كونه من كبار الثائرين على الجمود العقائدي ، ومن المناضلين في سبيل تعريب الحزب الشيوعي الفلسطيني . الا انه لا يتطرق الى تلك الممارسات الخاطئة التي ثار ضدها شخصيا عبر تاريخه الوطني الحافل . هنا تجدر الاشارة الى كتابات د. توما نفسه عن الوحدة العربية وحركة التحرر العربية ، التي تعد من اهم الدراسات في هذا المجال ، وحيث يبدو فيها واضحا ، كما قال الاستاذ علوش بحق ، انه من القيادات الشيوعية العربية القليلة التي امتازت بهذه النظرة النفاذة الى مسألة التحرر في المنطقة .

رابعا ، تبقى مسألتان هامتان للغاية . هل هناك شعب « يهودي » في فلسطين قبل الانتداب ، بل منذ الثلاثينات ؟ هذه مسألة يجدر التوقف عندها والتأني حيالها كثيرا لان الموقف منها يجر نتائج سياسية بالغة الخطورة . فالقول بوجود الشعب اليهودي ، حتى من ناحية نظرية ، يؤدي الى القبول بالعدو الصهيوني . نحن لا ندعو الى دولة ثنائية القومية عربية ــ « يهودية » ، نحن ندعو الى دولة ديمقراطية ضمن المنطقة العربية . ان الحل الاخير للقضية الفلسطينية لن يتم بمعزل عن حركة التحرر القومي العربية وليس بعيدا عن **آفاق النضال التحرري العربي** . ان المقدمات النظرية التي يطرحها المؤلف نفسه ليست بعيدة عن هذا الفهم . ومع ذلك فهو لا يطرحها صراحة؟! قد يكون السبب كونه يقيم تحت القبضة الصهيونية (على كل ، ان موضوع الشعب اليهودي (واطروحة القومية الاسرائيلية ؟!) بحاجة لنقاش مستفيض) .

خامسا ، تظل مسألة الاعتراف بانشاء دولة اسرائيل التي يختتم المؤلف كتابه عندها ، بعد ان يشرح ملابساتها . في تقديري ان المؤلف نفسه غير مقتنع بها ، من خلال موقفه العملي سنة ١٩٤٨ ، وان ضرورات سياسية معينة هي التي دفعته الى كتابة ذلك ، ويستطيع القارىء ان يلمس ذلك عبر سطور الكتاب .

سادسا ، نجح المؤلف في العودة بالاهتمام الامبريالي بالصهيونية منذ حملة محمد علي على سوريا . وهذه نتيجة منطقية لتفكير علمي كتفكيره . فمن خلال ايمانه بوحدة الامة العربية ، وبالبعد العربي لحل القضية الفلسطينية ، استطاع د. توما التوصل الى جوهر الموضوع : الصهيونية أداة امبريالية ضد تحرر الامة العربية ووحدتها وتقدمها . وبذلك استطيع ان ازعم ان المؤلف يستطيع ان يعود مقدماته الصائبة على نفس الطريق الذي سلكه لينتهي الى نتائجها المنطقية .

اخيرا ، الكتاب وثيقة سياسية وثقافية هامة . يجدر اقتناؤه .

محمد حافظ يعقوب

ثقافة

التجربة الجماعية تتكون شعرا

ليست فلسطين حيزا مكانيا. انها تتجاوز الامكنة لتصير زمنا عربيا . لكن محمود درويش لا يمسك بالزمن العربي بوصفه تتابعا للحظات تجري ، او بوصفه خطا تطوريا متماسكا . فلا مكان لتتابعية الماضي ولتشنج الحاضر او لافق المستقبل . يعتقل درويش الزمن لحظة انفجاره ، لذلك يقيم زمنا من طبيعة خاصة . زمن الولادة التي تتحلق حول آلام المخاض ، وتتكثف في لحظة الانفجار . يستحيل الزمن العربي لحظة انفجار واحدة، داخل تداعيات الصراع ، ليتجاوز الافق المسدود عبر اختراقه مباشرة ، من ضمن قدرة اللغة على رسم لحظة الموت داخل هذا الافق الذي ينفجر .

في « يوميات الحزن العادي »(*) نتعايش مع نمط جديد من الكتابة الابداعية . فنحن لسنا أمام قصائد نثر . ولسنا كذلك امام مجموعة من الذكريات او القصص القصيرة . والكتاب ليس مجموعة مقالات متفرقة . انه سياق . لوحة واحدة يخترقها سهم الحزن من أقصاها الى أقصاها ، وحين يرتطم السهم بوسط اللوحة — السياق ، ينفجر السهم وتتناثر الالوان . أمام هذا المنطق الداخلي تعجز الكتابة عن ملاحقة السياق . فتستريح على اطراف الانفجار لتحاول كتابة مقدمات تحليلية تعتقد انها قادرة على الايصال من خلال التحليل . لكنها تعجز عن ان تتشكل وسط اللوحة، فتقيم تداعياتها على الاطراف ، وترسم لنا خطا كاملا للزمن العادي الذي يتحرك على جوانب انفجار « الحزن العادي » .

عندما ترسم الكتابة زمنا جديدا ، فان التعامل معها يخرج عن دائرة الرجع المباشر . فالرجع المباشر ، يستطيع في أفضل حالاته ان يرسم أفقا يحكمه منطق عادي . الانفعال منطق عادي . لذلك يعجز التحليل عن التواصل مع نصوص تغش . عندما نتصفح الكتاب نشعر اننا أمام هذا الدق القديم على الباب الفلسطيني . لكننا عندما ننتهي من قراءته ، نعود من جديد مهملين أطراف اللوحة. مهملين الدق القديم الذي يلبس ثيابا موضوعية . لنعود فنعيش مع لحظات الانفجار وحدها . الكتابة التحليلية التي صاغها درويش على اطراف الاحزان تسير متمهلة ، تبقى مخلصة للعنوان « فصول ومقالات وخواطر عن تجربة المؤلف في ظل الاحتلال الاسرائيلي ، وعن بعض جوانب الصراع العربي الاسرائيلي ، حتى الفترة التي سبقت حرب السادس من اكتوبر ١٩٧٣ » . نتوقف عن القراءة. ثم ماذا . كتابة تشبه التحليل تذكرنا بأن ما يجري على ارض فلسطين هو الدماء . تشهد عن حالة العربي فيما هي تروي حكايات « كفرقاسم ». تحمل حقائبها وتسافر في « حالة الانتظار » . تتوقف في « أقرت » و« كفربرعم » . تنتهي من القراءة . دق على الباب الفلسطيني . شهادة حية وواقعية . وثيقة اتهام . ثم تفتح الكتاب من جديد . تقرأ وسط اللوحة . هذه ليست كتابة . انها مسامير . محمود درويش يلم المسامير عن الارض ويزرعها على الورق ، فتنغرس المسامير في العيون ويظلون الكتاب بالدماء . يتساقط الانفعال وتبقى اللحظة الشعرية . حوار بألسنة متعددة

---

* محمود درويش ، **يوميات الحزن العادي** ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية والمؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت، كانون الاول ١٩٧٣ .

وبمتكلم واحد . لحظة فلحظة ، ينفجر العربي في اسرائيل وينزف شعرا . لا يصرخ . البكاء لا مكان له هنا . الساحة خالية لا تحتلها سوى اللحظة الشعرية . ويبدأ محمود درويش رحلته الجديدة .

الارض والفناء القديم : ما هي الارض : « أعثر على الحصى الذي يشبه قلبي وأحوله بأصابعي الملتهبة الى كلمات تجعلني في حوار مع البلد البعيد . نصير لغة قابلة للتجسيد » . الارض هي لحظة لقاء الاشياء جميعها . ليست مكانا نلتف حوله . « ان الرقصة الجنسية التي يمارسها البحر الابيض المتوسط مع خاصرة الكرمل ، تنتهي بولادة بحيرة طبريا . وهناك بحر سموه البحر الميت لانه ينبغي ان يموت شيء في هذه الجنة لكي لا تصبح الحياة مملة . ومن كثرة ما ازدحم الجليل الاعلى بالغابات ، كان لا بد ان تبرهن القدس على ان الصخور قادرة على امتلاك حيوية اللغة . هذا هو وطني » . تصبح الارض لحظة لقاء . لا مكان فيها للتأملات . الحوار الوحيد الممكن هو حوار استنطاق الارض . فالحزن يأتي من مسام الجلد . وعناق شجرة التوت يصير ممكنا . « فالقمر لم يسقط في البئر » . الاشجار التي يزرعها هذا الحوار على جوانب الكلمات ، تخرج وحدها حاملة شيئا يقع بين الحقد والحب . يوحدهما . هذا الشيء الذي نسميه القتال ، يصبح هنا اسما جديدا للارض . فالتجربة التي توحد شعبا بأسره هي اعمق من مجرد لحظة حنين . انها انغراس كامل . « لا بد واننا كنا اشجارا في البداية »، كما يقول سيفريس في مذكراته . نحن هنا لا نرجع الى الماضي . فاللحظة التي تتجمع نقطة نقطة تتحول الى بحر عميق ، يحمل الكنانة الكاملة . « ليست الصحراء اكبر من الزنزانة دائما » . ندخل من الوطن المعاناة الى الوطن الحقيقة اليومية . فترتفع « اليوميات » لتصلنا بأكثر التفاصيل دقة . نتوقف . ثم ندخل لنفاجأ بهذه التفاصيل . فلغة الحوار ولغة المعاناة ، تستمد ألوانها من الارض . الحوار — العداء ، مع العدو الذي يواجهه العربي كل يوم في اسرائيل ، يصبح خنجرا يلمع نصله ويجرح بحقد ، ينغرس داخل اللحم وداخل العصب ، فتنحني اللغة ، ويتحول الحوار تدريجيا من لحظات شعرية تمسك بالواقع وتجعله يتخبط بين يدي القمع :

« انحني يا حبيبتي ، ريثما تمر العاصفة .

— من شدة الانحناء صار ظهري علامة استفهام فمتى تجيب ؟

[المحقق يدير اسطوانة عليها تصفيق كثير] »

الى لغة حوار عادية تعبر من خلال عين تتجول في الذاكرة لتلتقط اكثر الممارسات بساطة ودلالات . يلعب المخاطب دور وضع الاطر العامة لعلاقة تتحرك ببطء . تتلفت الى الزوايا اليومية . ثم يأتي المتكلم في بعض الاحيان ليرفع اصبعا اتهاميا مليئا بالسخرية الحاقدة التي تسمح للتتابع بأن يتحول من مجرد لحظات ترصف وراء بعضها ، الى أزمنة متداخلة . الحوار العادي يأخذ هنا معان جديدة . انه انشداد . الكلمة تتحول الى سؤال . والاجوبة لا تزال بعيدة . لذلك حين « يلقون عليك القبض وانت ترتكب الحلم » لا تتعجب . تفكر بالاجابة على أسئلة المحقق . وتصيغ حلمك من جديد على شكل نداء يتخاطب مع الارض . وحين يرتفع المخاطب في نهاية هذا الفصل ، فانه يتحول من شكل غني ، كنت تعتقد انه يحقق مسافة ما بين الكتابة والكاتب الى اتهام صريح . « تجد نفسك خارج الحرب وخارج الانتصار وخارج الهزيمة وخارج انسانيتك . هكذا تصبح شجرة او حجرا او اي شيء في الطبيعة ». في هذا الحوار ، يتحقق بعد الكتابة . انها ممارسة . ليس الادب مجرد لوحة تلصق . انه بعد ، يستطيع ان يحقق انفصال النص عن كاتبه ، ليصبح هذا النص كيانا قائما في ذاته . لكن درويش لا يذهب الى هذا الحد ، يحقق الانفصال بينه وبين النص عبر اللجوء الى الحوار المباشر . ثم لا يترك للنص حرية الكينونة في ذاته . النص يكون فينا او لا يكون ابدا . فيتحول النص من مجرد لحظة غنية تتكون ببطء او ترتفع بصوت عال الى حياة جديدة تتغلغل في الاعصاب وتقيم هناك . هكذا تستطيع الشهادة التحول من شهادة سلبية الى شهادة ايجابية . من تحليل سريع الى شعر يمد يديه ليحيط بالتجربة كاملة وفي اكثر لحظاتها التفاتا الى الجسد .

في ديوانه الاخير « أحبك أو لا أحبك » استطاع محمود درويش ان يقفز بالتحلق الفلسطيني حول الارض ، من البعد القروي الذي يجد في الارض رحما ، الى بعد بلا فضاء . فالارض تتحول الى لاجئة في جراح اللاجيء . وهو هنا يتابع . يتابع

هذا المنظور ليصل الى لحظة تندفع فيها هذه العلاقة نحو الاندماج الكامل . هنا يصبح التمييز الفعلي بين العنصرين اللذين يشكلان طرفي العلاقة مستحيلا . وتتحول الارض الى علامة .

الفرح ... عندما يخون : عندما نبدأ بقراءة تلك المقاطع المرقمة التي وضعت تحت هذا العنوان في الكتاب ، نمسك بأنفسنا حتى لا ننفجر . الحقد الذي لم نتعلمه جيدا الا على الاجساد المكوية . الا داخل الحروب . يخرج هنا من جديد ، ليحمل وضعا للحظة الهزيمة داخل انشداد كامل في الموت . تمشي الهزيمة على الاجساد ببطء شديد . تتحرك ببطء شديد تمسك بالخناق وتعلمنا بأن الدموع حقيرة . لذلك تتناوب المقدمات والنتائج على صياغة حلم مرعب . يأتي الحوار المنطقي ، ليعلم استحالة الحوار . التحضير للحرب يجري بطيئا وبهدوء . الحالة تصبح اقترابا من الانفجار . « وتسألك امك ، ان تعتني بسلامتك . والمصير — كل المصير يأخذ شكل طلقة » . يرتفع الصوت الفلسطيني ليجيب على صوت النداء الذي يرتفع « لو وقفت على الاهرام وقذفت حجرا على فلسطين لوصل عصفورا ». يأتي الجواب الجماعي هذه المرة : « مزقونا فتكاثرنا لاجئين . شيء في الداخل وشيء في الخارج » . وتأتي اللحظة . يتحرر النص هنا من التصاقه الشديد بحالة العرب في اسرائيل قبل الحرب ، ليصبح تكثيفا للقهر القومي الذي نعانيه منذ تتالت الهزائم . منذ اكتشف الاوروبي الرأسمالي ان بامكانه امتطاء صهوة تاريخنا بعنف دموي . يتكثف التاريخ الحديث كله ، حتى تصبح فلسطين نقطة تقاطعه التي ندخلها . واجسادنا ممتلئة بالجراح .

« هكذا ابتدأ كل شيء
وهكذا انتهى كل شيء » .

عندما التقى « حامد » في رواية « ما تبقى لكم » بالاسرائيلي لم يحاوره . اكتشف ان اللغة الوحيدة الممكنة هي لغة القتال حتى النهاية . لكن الاطار الذي فرض على هذا « الفرح الذي يخون » ، سمح بحوار ، من نوع جديد . حوار الجلاد والضحية قبل تنفيذ الحكم . لذلك نحس ونحن نقرأ هذا الفصل بحاجة الى تمزيق اي شيء . فحوار الجلاد والضحية ، يأخذ حجم الموت ، الهادىء البطيء . ثم تأتي الهزيمة . يولد في ظلامها ضوء المقاومة كامكان . نشعر بالانفجار يدخل عميقا تحت جلودنا . وعندما نحاول الصراخ يكون محمود درويش قد سبقنا اليه . « ادخل الفرح .. وانفجر !.. » يأخذ هذا المسار نفس الحركة السابقة ، لكنه حين يلتقط الزوايا الموضوعية ويقوم بوضعها داخل منظار الانتظار الفاجع الذي نعلم نتائجه سلفا ، فانه يحول معايشة النص من ترقب للنتائج الى تفتيق للجراح نقطة نقطة . ونحن نعلم الى اين سيصل النص بنا . فالانتظار الذي نعيشه انتظار مخادع، انه معايشة للحظات تتتالى. حتى نصل الى نتيجة هي الوحيدة الممكنة داخل الحالة . « ادخل الفرح .. وانفجر !.. »

صلاة من اجل المدن : هذه المرة لا يخون الفرح . غير انه لا يأتي مجانيا . يأتي الفرح على ابواب المدن المصلوبة على النار ، ينكسر النثر. التعبير صار مستحيلا عن حالة تتداخل بالقدرة من دون كلام . فيأتي الشعر ، ليقوم بدور القذيفة التي تصير مجرد نقطة بين ايدينا قبل ان تتحول الى حرائق تشتعل على مساحات شاسعة. الشعر هنا ليس لغة للمخاطبة . انه لغة الداخل . القدس تتحول الى عالم غريب : « دخلتها مختبئا بالشجاعة ، خائفا من الشجاعة » . وتتداخل العلاقة مع مدينة واحدة لتمتد في توجع يأخذ شكل الحقائق المعطاة . لكننا نكتشف ان هذه الحقائق ليست سوى رصفا لحالات الاوجاع التي تنتاب المدن . ثم ينقض النص دفعة واحدة على التقسيم البطيء للصور والظلال ، ويخرج الهجوم من بين اصابع الشاعر « تهجم على باعة الصحف وبقايا الاثار وباعة الفلافل والخضار الطازجة والمعلبات المستوردة ، وقد تعلموا لغة الغزاة في ليلة واحدة. تهجم عليهم في نشوة انتحار . تأخذ اشياءهم ، وتصيح تصيح بأعلى صمت : من يشتري صدر تاريخي وظهر تاريخي وعورة تاريخي بلحظة انتصار واحدة ؟! ثم تبتسم للغزاة » . الدخول الى القدس ، يصبح دخولا الى التاريخ ، ليس من باب الاثار او من باب الصلاة . بل من باب الفعل التاريخي الذي ينتظر . وحين يتساءل درويش عن هذا البدء ، يكتشف « في البدء لم يكن الفعل ، ولم تكن الكلمة، في البدء كانت الهزيمة». هكذا تخرج القدس من « المساء البطيء والبرتقالي » ، لنكتشف اننا لم نكن داخل لحظة الصلاة من اجل القدس ، بل كانت القدس ، داخل

الهزيمة ، تعيد اكتشاف نفسها واكتشاف تاريخها. وان صوت الشعر يدخل المدينة ، لا ليبحث عنها ، بل ليكتشف صورة جديدة لغزة التي تقاتل . عندما يصل درويش الى لحظة « الصمت من اجل غزة »، فانه يتخلى عن التركيب الشعري ، ليدخل في الشعر الحي . هذا الشعر الذي كانت قصيدة « الخروج من ساحل المتوسط » ، لافتته الاولى يصبح هنا شهادة حية من اجل غزة . وقفة على باب المدينة للتعلم من دروسها . هنا يأخذ النص شكل المقال ، دون ان يتخلى عن الصور الشعرية المتلاحقة التي تعطيه القدرة على الاحاطة بالحالة، دون اعادة انتاجها شعرا . اي ان غزة تبقى في هذا النص عارية قدر الامكان ، لتثبت من خلال فاعليتها وحدها قدرتها على ان تكون محطة ومدرسة فعلية للنضال الذي لا نراه سوى ممارسة واقعية. « لان الزمن في غزة ليس عنصرا محايدا . انه لا يدفع الناس الى برودة التأمل ، ولكنه يدفعهم الى الانفجار والارتطام بالحقيقة » . العناصر الطبيعية التي وقف الشعر عندها طويلا ، لينقل فلسطين مأساة او تكونا ثوريا تصبح هنا فعلا يصنع تاريخه بنفسه ، « لانها برتقال ملغوم ، واطفال بدون طفولة ، وشيوخ بلا شيخوخة ، ونساء بلا رغبات. لانها كذلك ، فهي اجملنا واصفانا واغنانا واكثرنا جدارة بالحب » .

فلسطين كما هي : على ابواب « ميونيخ » يقف الشعر ليروي حكاية فلسطين للعالم ، كما هي هذه الحكاية . لا كما يريدونها . ولكن الحكاية حين تريد الوصول الى هذا « العالم » ، فانها لا تستطيع ان تأخذ شكلا موضوعيا . ترتطم بحقائقه. تدمرها . تشير الى الواقع في اكثر صوره عريا . يجمع درويش الحالة ويجعلها تخرج كالبراكين التي لا تتوقف . على أية ارض نقف .

« ـ لماذا نوقظ العالم من النوم ؟

ـ هذا ليس صوتي هذا صوت ارتطام جثتي بالارض » .

حتى جثثنا ، لا يسمح لها بأن تحدث اصوات ارتطامها بالارض . لذلك حين تأتي اللغة لتنقل هذا الصوت ، فانها تصطدم بعجز اللغات عن حمل هذا الواقع على رؤوس الكلمات . فتأتي الكتابة ، محمولة على جميع محاور الانفجار . تركيب لا يقف على منخفض الا لينتقل الى رابية مرتفعة . وحين يصل الى قمة البركان ، يخرج الحقد هذه المرة عاريا ، يرفع صوته . « ليست فلسطين ارضا ـ ايها السادة القضاة . لقد صارت فلسطين اجسادا تتحرك ... تنتقل في شوارع العالم ، وتغني اغنية الموت ، لان المسيح الجديد ترجل عن الصليب . امتشق عصا وخرج من فلسطين ! » هذه المعايشة الفريدة التي يسجلها هذا النص ، لا تتوقف عند الصور المتراكمة ، بل تحول هذه الصور الى نسيج غني داخل شروط الحركة والفعل . من هنا يأتي النص ، ليحمل كثافة شعرية ، واحتراقا نثريا . أي يقوحد بالموقف ـ الحالة كاسرا جميع القواعد المتعارف ، ليصل الى مخاطبة نادرة مع ما يسمى بالرأي العام العالمي . تبقى هذه المخاطبة مشروطة بالآخر الذي تتوجه اليه . لذلك يأتي النص ، لا ليحمل فلسطين كما هي في الواقع ، بل ليضيء جانبا جديدا من هذا العذاب الذي تسميه اللغة الشعرية فلسطين . الغربة عن هذا العالم ، تؤكد الجانب الآخر من الواقع . الالفة ، التوحد ، مع الارض وجراحاتها . فالتجربة هنا تتحول الى استكمال دائري ، لا يمكن الخروج منه الا بتفجير الواقع . فالدائرة التي ترسمها هذه النصوص ، تحمل من داخلها خروجا منها ، يبدأ عند ارتطام « الجثة بالارض » .

نكتشف داخل هذا المدى الشعري في تجربة درويش الجديدة القدرة على الوصول الى القضية. من داخل التجربة الثورية . يأتي الشعر هنا ، خروجا للكلمات التي تتمرد على معانيها وتتواصل في حركة التفاف واسعة ، مشكلة لوحة شاسعة الاطراف ، ينغرس في داخلها وقع اقدام المرحلة المقبلة . خروج الكلمات من قواميسها في هذا الامتداد الشعري ، يصل الى اغناء ما اصطلحنا على تسميته بوسط السياق ـ اللوحة ، وتحويله الى محطة للانفجار الذي يميز صوته في تداعيات الافعال القادرة دائما على دمج الصور في بنيتها هي وليس الوقوع في تشريط تداعي الصور الذي يتحكم بالافعال في الكثير من ادبنا المعاصر . فتجربة درويش تمنح المدى الذي تقف أمامه قدرة على الحركة بحرية اكبر على مشارف الانهار العميقة التي ترفد بحر خصوصية التجربة الفلسطينية الدموي ، هذا البحر الذي يبرز صاخبا ومليئا بالقدرة على صياغة امواجه .

حين توقفنا في هذا التحليل السريع امام وسط اللوحة . فاننا أهملنا الاطراف — « التحليلات » — بشكل مقصود . فهذه « التحليلات » التي تحمل نفسا شعريا كذلك ، لا تستطيع ان تقف هنا بين دفتي هذا الحزن . انها في حيز آخر ، لانها لا تستطيع تلقي جموح التجربة الادبية الصاخبة المتفجرة داخل النصوص الاخرى .

نخرج من قراءة درويش وقد جرحتنا الكلمات .

يبتسم ناقد خبيث : يسمح هذا الكتاب بإشراف اولي على سيكولوجية الشاعر ، لانه يكشف جانبا من طفولته . يجيب ناقد آخر : هذا نثر جميل ويحمل تجربة . كلا . فعندما استطاع درويش الوصول الى الكلمة — الفعل ، فانه لم يقدم مؤشرات سيكولوجية او يكتب نثرا جميلا . لقد وصل الى ابواب التجربة الجماعية وابتدأ يكتب شيئا هو اشبه بالشعر الذي يتكون داخل حوار من نوع خاص .

العصافير تبني اعشاشها بين الاصابع

في « العصافير تبني أعشاشها بين الاصابع »* نقف امام توتر لحظات المسيرة نحو جسد الارض . قدم المرأة والكرسي والطبيب والمرض تتحول دفعة واحدة من رموز او شخصيات يراد بها اغناء النبرة الشعرية ، الى لحظة لقاء واحدة ، تمحي فيها الفواصل والنقاط وتتداخل الرؤيا لتخرج منها اغاني التمرد المتزج بمحطات مرجعية عند التقاء القدم بالارض . هكذا لا يفسر الشعر الواقع ، يعيد انتاجه داخل حقل الرؤيا من موقع متحرك في اكثر مفاصله بروزا ليتحول هذا الموقع داخل القصيدة نقطة في تبلور التعبير عن لحظات اللقاء الموجعة بين الشعر والواقع الإجتماعي . لذلك فحين يلجأ معين بسيسو الى الشخصيات الرمزية لينقل لنا اوجاع لقاء الارض ، فانه لا يسقط في النفخ الرمزي ، يتجاوزه في هذا الصوت الواحد الذي يلف القصيدة من داخلها ، ليصبح لهذا الصوت حواراته الخاصة . . . . .

المحاولة هي كتابة قصيدة ممسرحة . قام الشاعر بتقطيع قصيدته الى خمس لوحات ، وابرز من داخل هذه اللوحات صوتا دمويا يتكون استعدادا للقاء القدم بالارض . فالساق الملفوفة بالاربطة البيضاء التي عليها يسلط الضوء منذ المشهد الاول لا بد ان تصل الى الارض التي تتوق اليها . الى جانب هذا الصوت يقف عالم من الاشياء والعلاقات الانسانية — الساعة — الكرسي — الطبيب — المرض . يتحرك هذا العالم لوحة خلفية تسمح لصوت المرأة بالتنوع والتحول في مواجهة سلسلة طويلة من الصراعات والعقبات . المكان بأشيائه يصنع للقصيدة حدودا في الحيز الذي تتحرك ضمنه . فهي تتشكل داخل اطار محدد وواضح . لذلك يأتي الشعر ليتجاوز صرامة العلاقة المسرحية ولينطلق من هذا الحيز الضيق ليطال المناطق الاساسية في جسد التجربة الفلسطينية المعاصرة . فالشعر لا يتوقف عند الحدود الظاهرة من هذه الشخصيات — الرموز . انه يتأكد في العلاقات الداخلية التي لا تستطيع التشكيلية المسرحية التي وضعها بسيسو لقصيدته ان تنقلها . لذلك تتأسس التجربة في داخل الشعر ، وينتقل الصوت الواحد بين أكثر من شخصية في المسرحية . فهو حين يبدأ مع صوت المرأة المريضة يصل الى ذروته الحقيقية مع صوت الطبيب في المقطع الثاني من المشهد الخامس . هنا نصل الى الشعر كاملا ، ويرتفع الصوت في هدوئه لينساب داخل حركة تحولات هي من أجمل ما كتب في شعرنا المعاصر . الشعر لا يبحث عن الصورة ، يخرج مرسلا ، لكن الالتفاتات « العفوية » — كان القراء يقولون قلب الارض يدق — تجعل لهذا الصوت المرسل نبرة شعرية صافية . فالتجاوز من منطق الشعر للمساحة التي تحتلها علاقات الشخصيات ببعضها يؤدي في نهاية القصيدة الى اكتشاف هام وهو ان الشخصيات هي صوت واحد في تحولاته . اما لماذا اختار بسيسو شكل القصيدة الممسرحة ما دمنا سنصل

---

* معين بسيسو : **العصافير تبني أعشاشها بين الاصابع** في شؤون فلسطينية ، العدد ٣٩ ، كانون الثاني ١٩٧٤ .

الى صوت الشاعر الذي يتقمص تماوجات الاوجاع الثورية ليصل الى قصيدة متعددة الحركات . الجواب على هذا التساؤل ليس سهلا . لاننا امام عمل مركب وبالغ التعقيد . لكننا نستطيع ان نلاحظ بعض العلامات التي تستطيع ان تشير الى الجواب . فالاختيار المسرحي يضبط الحيز الذي تتحرك عليه القصيدة . اي ان الضوابط تأتي من بنية خارجة عن الشعر ، لكنها هي الاخرى تفتح أفقا ما يزال جديدا في شعرنا المعاصر . هذا الافق يحتاج الى ضوابطه الخاصة ، لذلك تساهم هذه القصيدة في تأسيس هذه الضوابط . وهذا الاختيار يجعل من عملية تداخل الاصوات المتعددة في الرؤيا الفنية الواحدة ، واضحا . اي ان تداخل هذه الاصوات يفترض تجديدا في بنية القصيدة « الدرامية » . غير ان الشعر هنا يتجاوز هذه المهمة عبر اللجوء الى الشكل المسرحي ، ويجعل همه منصبا على التقاط مفاصل التجربة في غنائية دموية دافئة ، لا تنصاع لقواعد جاهزة داخل التحول في القصيدة . ويؤدي هذا الاختيار اخيرا الى حركة تحولات في الحيز الخارجي تسمح لتحولات الصوت الشعري بحرية كبيرة في الحركة .

العلاقات الواضحة والرؤيا المعقدة : تبدو علاقات الاصوات في هذه القصيدة واضحة . اي ان اللجوء الى الرموز يؤدي الى الوصول الى ثوابت . يتحرك الشعر بين هذه الثوابت ليلتقط رموز الاشياء — الساعة — او الثوابت المرجعية — الارض ، القدم، القطن — ويقوم باعادة اعطائها مداليلها من جديد . لذلك تتعقد الرؤيا وهي تلتقط الاعماق التي تصل اليها من خلال هذه الشبكة من العلاقات . يتحرك الحوار ضمن تقطيع في المشاهد — اللوحات — ليؤدي مهمة الربط بين جزئيات الحركة ، وليتبع تغيرات الحيز المكاني او انعطافات الحوار الصراعي . الحركة واضحة اذن . تنتقل عبر رسمها البياني ضمن ثلاث دوائر: ١ — الحوار الصراعي بين المرأة والممرض والطبيب . يأخذ هذا الحوار اشكالا متعددة ، فهو ينتقل من التأملات امام الجرح التي يقوم بها صوت المرأة الى « الكولاج » الذي يقطع النفس الشعري ، ليشكل مرجعا واقعيا يغني الحركة باعادتها الى الاطار الذي انطلقت منه . اي ان اصوات الميكروفونات التي ترتفع تقوم هنا بدور شد مفاصل الحركة واعطائها اوتارا واقعية ، تعزف عليها التحولات ألحانها الهادئة المفاجئة لتذكر بضرورة تجاوز الاطار الرمزي للعلاقات :

« من طائر نورس فوق البحر الميت لعصافير الجولان

عصا موسى ستشق البحر الان ... »

حتى يتم الوصول الى الوقوف أمام الفعل التاريخي . يأخذ هذا الوقوف أشكالا متعددة ، فهو توجع امام الواقع الذي نقف امامه :

« الدمعة فوق الخد

كانت دمعة

وتفحمت الدفعة صارت شامة

الكأس يدي والقدم العنقود

والجسد زجاجة

كيف وصلت الى هذي الزنزانة ! »

ينساب هذا التوجع من التشابه المباشرة الى الصور المتلاحقة التي تستطيع ان تتوقف امام الواقع . فالجسد حين يصير زجاجة حقيقية يرتفع السؤال الاخير . فالسؤال هنا لا ينتظر جوابا ، انه سؤال عن داخل الوقوف امام الفعل دون تحقيقه . دون الخروج من الدائرة المغلقة . لذلك يأتي الجواب على هذا السؤال تساؤلا يحمل علامة التأكيد الشرطية « لو في يدها ، عود من كبريت احرقت الشمس » . لكنها لا تحرق الشمس « فالدم الذي لا يتوقف في الشريان » يحمل دائما مواقف رفضية . لذلك يأخذ الرأس حجمه الحقيقي في علاقته مع القدم داخل المستشفى . ليس « كرقاص الساعة » . انه يحمل موقفا . وهذا الموقف لا بد أن يتأكد . وحين تطفأ الانوار على نهاية اللوحة الثالثة ، ننتظر الفعل .

٢ — تقطع الاربطة التي تعيق حركة ساق المرأة. هنا نصل الى حوار داخلي في اصوات متعددة . تحاور المرأة المسيح والاعداء وذاتها في وقت واحد . ويتم هذا الحوار من داخل حركة بالغة الغنى فالصوت ينتقل من مستوى الى آخر بعفوية بالغة حتى تصل الى تداخل هذه المستويات جميعا

في الصوت الواحد . ويلعب التكرار هنا دورا بالغ الاثر ، لانه يسمح بوقفة قبل تلاحق الانفاس والمشاعر . نبدأ بلهجة تقريرية « لا يد — من اهوى — فوق يدي » داخل هذه اللهجة يأتي الايقاع من التقطيع الصوتي ومن قافية الخد — الرعد ، التي تتطلب وقفة بانتظار بداية أخرى . هنا تأتي الجملة الشعرية التي تتكرر اربع مرات لتؤدي الى معنى واحد في تنويعاته المختلفة . فالتكرار يذكرنا دائما بأن الحالة التي نقف أمامها لم تنته ، بل انها تستكمل في تلوينات مختلفة تؤدي الى الموقف :

« من علقني فوق الخشبة ، فوق الارض . كان يخاف فلو لمست قدمي الارض . فستتبعني الارض. والفقراء يصيرون ملوك الارض » .

الارض هي الكلمة التي تتكرر في هذا المقطع الشعري هذا العدد من المرات . وهي حين تدخل جملة شعرية واحدة تقوم بتقطيعها وابراز النقطة المحورية التي عليها ومن اجلها يجري الصراع . لكن هذا التكرار يؤدي في الواقع الى اغناء ايقاعي يسمح للجملة الشعرية بتجاوز القافية بمعناها التقليدي . فالايقاع يتوالد داخل التجربة الشعرية الحقيقية وليس على اطرافها في القوافي المنتقاة بعناية . ويسمح تكرار الجملة الشعرية الاساسية للموقف بالتطور فهو يبدأ وصفيا ثم ينتقل الى ابواب الفعل « من ينزلني من فوق الخشبة هو ابني » . ليصل الى المسيرة . فالصليب الذي ننزل منه نحوله الى اجراس نعلقها في رجل المرأة — المسيح ، لتبدأ الينابيع في الانفجار . تتم هذه اللحظة الشعرية من خلال تكرار كلمة اخرى — التفاحة — فالتفاحة تتحول هنا عن رمزها الاسطوري الديني لتعطي للعلاقات شكل التواصل داخل العطاء . فالمسيح يعطي التفاحة ثم ينزل من الخشبة . وحركة هذا العطاء حين تتكرر ، فانها تتكرر من اكثر من موقع . المسيح يعطي التفاحة وهو معلق على الخشبة . هذا التنويع في المواقف يجعل للحركة بداية حقيقية ممكنة . لذلك حين تأتي الكرسي لتصلب المرأة عليها من جديد ، يرتفع الصوت نفسه ليصرخ « لا ... ساقي مجدافي ، قدمي الزورق » . وهنا يتحول الحوار الداخلي الى صراع . فالاصوات المتعددة التي تميز الموقف امام الخشبة تتحول في المقطع الاول من المشهد الخامس الى حوار عنيف بين الرموز الثلاثة التي تتشكل منها القصيدة . تجلس المرأة مرغمة على الكرسي . وتستمع الى حوار على مستويين مختلفين — المرض (يجسد هنا ارادة الطبيب) ينتشي بانتصاراته ويفرض شروطه . فهو سائق الكرسي لذلك يستطيع ان يفعل ما يشاء : تتوقف القصيدة هنا عند أدق التفاصيل اليومية في تقريرية مباشرة تلعب دور المقدمة . فلا يكاد المرض ينتهي من تعداد ما تحويه جيوبه حتى تنتقل الى المستوى الاخر :

« اما انا فسأجمع شوك الارض وعشب الارض، وزهر الارض ، وأنسج جورب » .

فنكون هنا نستكمل مقومات حركة واحدة . فالموقف الذي يتحول في تداعيات لحظتين شعريتين يستدير على لحظة ترقب وتجاوز . فتخطي جمود اللحظة على القمع الذي تواجه به ارادة الوقوف على الارض ، لا يكون الا من داخل اطار تكسير علاقات القمع نفسها . فالمرأة حين تحاول النهوض وهي تصرخ « قدمي علمي » فانها تستجمع تاريخها في لحظة واحدة امام التقدم . فمجرد وضع القدم على الارض ولو مرة واحدة يحمل معنى التجاوز داخل بنية القصيدة .

٣ — حين يبدأ المقطع الثاني من اللوحة الخامسة ، تبدأ مقدمات الفعل . هنا يتحول صوت الطبيب ليلتقي بصوت المرأة . بل ليصبح الصوت نفسه حاملا تاريخا تكمن داخله القدرة على التخطي :

« انك لم تر ابدا تلك المرأة عريانة .
لم ترها غير امرأة من قطن .
لم ترها امرأة من ماء .
حين المرأة تعشق ، تنسكب على الارض كنهر .
النهر يصير بحيرة .
والاصبع مجداف
والفم زورق » .

حين يرتفع الصوت هنا، فانه يحمل توالدا طويل النفس . فالمقطع الثاني بأسره هو وقوف امام المرأة وامام تاريخ « الارض التي يدق قلبها » لذلك فحين نصل الى التحولات التي يحملها هذا المقطع الشعري ، فان هذه التحولات تبقى حاملة سمة

الوقوف طويلا امام الظاهرة . فالوقوف لا يتداخل معها ليحيلها الى شظايا من الانفعالات . انه يسير ببطء شديد ينتقل من العرض الشعري الى الوصف بالتشابيه ـ « تنسكب على الارض .. » ـ التي تستحيل الى تحولات ضمن فعل ـ صارت ـ اي ان الصيرورة واعية او يتعبير ادق ان الشعر يقف امام ظاهرة الصيرورة ليتجاور معها ولينقلها داخل الجوار . هكذا يبقى صوت الطبيب رجعا لصوت المرأة يلتحم بها دون ان يصبح جزءا عضويا منها . فالمرأة التي « ستخيط الجورب من عشب الارض » تدخل دائرة تحولات الارض والاشياء . من هنا تصبح عملية تداخل الاصوات ضمن الصوت الواحد المؤتلف في لحظة شعرية عملية واضحة . وحين تستحيل المرأة اشجارا فانها تنتقل بين البساتين لتتداخل مع الارض ولتلتحم بها . لذلك حين نصل الى المقطع الثالث ، فاننا نصل الى الفعل نفسه الذي يصير اكثر تعقيدا فالحيز المسرحي الذي تستخدمه القصيدة لم يعد بسيطا وواضحا . أصبح جزءا من لعبة الاضواء والستارة والقدم تتحفز للوصول الى الارض :

« ماذا يفصل قدمي عن الارض ؟

لو شريان حبيبي ... حبل ، يفصلني عن هذي الارض .

فسأقطع شريان حبيبي ... اقطعه بالاسنان ».

وتبدأ التداعيات التاريخية تتداخل مع الواقع . هنا يتوقف الارسال الشعري لنعود الى «الكولاج» الذي يقطعه كما في المشهد الاول ، لنصل الى جمل شعرية قصيرة لا تشكل فقط اطارا مرجعيا « من بابلو نيرودا ... » بل لتضعنا في اللحظة التي ستؤدي الى تجاوز الاطارات السابقة التي تمنع اللقاء . فتضع المرأة قدمها على الارض ونكتشف سويا مائدة الفقراء :

ـ « هي ذي الارض

مائدة الفقراء

يا قدمي كوني فاكهة الارض ، على مائدة الفقراء » .

يقطع هذا التداخل الحميمي في التحولات العميقة تعدد الاصوات التي لا تلبث ان تختفي لنكتشف مع جرس الانذار صوت استعادة لحظة العناق التي كانت مضمرة في ثنايا التحولات التي أوصلت الى هنا . ولنكتشف كيف تعشش العصافير بين الاصابع . فالمسيرة التي قطعها الصوت الشعري استطاعت من داخل ثوابت العلاقات الواضحة ، ان تتوغل عميقا داخل الرؤيا الشعرية ليكتشف ان لغة الاعماق هي التي تعطي الابعاد الحقيقية للغة الظاهرات . وان الشعر يستطيع ان يلعب دورا داخل المستوى الثقافي بوصفه طليعة تغير . فعلاقات الاشياء حين تخضع للغة الشعرية في كشوفاتها تصبح اكثر قابلية على التحول .

الشعر والامتداد : يمتد الصوت الشعري داخل قصيدة معين بسيسو ليصل عبر النبرة الخاصة التي يستخرجها هذا الشاعر من لغته ورموزه الى توتر من نوع خاص . فنحن لا نقف امام ضجيج حارق من الصور المتلاحقة التي تثقل التجربة . اننا أمام جمل شعرية هادئة ، تجري بشكل عفوي حتى نشعر في بعض اللحظات ان التقريرية بدأت تقربنا من النثر . لكن الانعطافات المفاجئة والوديان التي هي جزء من هذه التقريرية تقوم بنقل الجملة الشعرية الى الشعر الصافي في اكثر الاحيان . أي ان الامتداد العميق في هذه اللغة الشعرية يسمح للاشياء بأن تقف الى جانب بعضها لحظة ثم تبدأ في التداخل فتتوتر النبرة وتشحن الجملة بالايحاءات التي تجعل من القصيدة حالة كاملة تتداخل فيها الاصوات ويبقى في خلفية اللوحة صوت واحد يشد اليه جميع الالوان لتتشكل القصيدة امتدادا للفعل الخارق الذي مثلته وتمثله فلسطين في ثقافتنا العربية .

لكننا حين نصر على اطلاق تسمية القصيدة « المسرحة » على هذا النص الشعري ، فاننا ننطلق من ضرورة التمييز بين المستويات المختلفة للتجربة الادبية ـ الفنية . فالمسرح بوصفه اساسا من الخشبة لا يستطيع ان يتوقف عند الصوت الواحد الا لكي يمده داخل لعبة لها قواعدها الخاصة . من هنا يستطيع الشعر ان يتحول الى نص مسرحي ـ مع محافظته على جميع خصائصه الشعرية ـ اذا استطاع ضمن مسار آخر ان يدخل الخشبة ويعطيها عمقا متوترا . لذلك تستطيع القصيدة « الدرامية » ان تتحول الى مشروع عرض مسرحي دون ان تفقد خصائصها . لكنها تبقى قصيدة حتى يتم هذا التحول في الواقع . عندها لا بد من مناقشتها من منظور آخر يختلف كليا عن المنظور الذي عالجناها به . فاذا كانت

مادة الشعر الاساسية هي اللغة . فان مادة الممارسة المسرحية هي التعبير الجماعي من موقع الحركة التي تدخل فيها عناصر عديدة . وبهذا تبطل اللغة ان تكون هي العنصر الاساسي . غير أن استخدام اللغة الشعرية في تعبير مسرحي يستطيع ان يمد مادة المسرح لتطال ارضا جديدة .

يستطيع الشعر ان يقول الكثير . فهو حين يرتفع ليشد مفاصل التجربة الثورية في كثافته . يكون قد استطاع ان يوحد كثافتين في عملية واحدة وبهذا المعنى فهو ليس مجرد رجع او صدى للثورة. انه جزء منها . كشوفه ومعاناته هي جزء مركزي من معاناتها التاريخية . والقدم التي ترتطم بالارض ، تصل اليها مع الاصرار على القتال . فالتوق الفلسطيني الى الارض كان دائما ممارسة قتال .

طائر الوحدات واسئلة الشعر

بعد ان روى « الولد الفلسطيني » حكايته الاولى ، يعود اليوم ليستنطق « طائر الوحدات » حكايات النضال الفلسطيني ، ضمن اصرار على متابعة الخط الذي ابتدأ منذ المجموعة الشعرية السابقة . فحين يقف احمد دحبور على مشارف الاحزان العربية ، فانه يقف على الارض المليئة بالحزن المقيم الذي زرعه في مجموعته السابقة . لكنه حين يتابع الخط الذي رسمه ، فانه يطور بعض العناصر ويهمل الاخرى ، في سبيل الوصول الى نبرة شعرية مشحونة بالتوتر الفاجع ، قادرة على التقاط اللحظة الانفعالية زمن تفجرها . غير ان الوصول الى هذا الهدف ، يمر داخل دائرة الانتاج الفني ، في سلسلة من المواقف التي تتشكل داخل القصائد لتؤلف لوحة واحدة تؤكد نفسها من خلال اصرارها على التعبير عن موقف سياسي — طبقي محدد — الفقراء — كما يكتب دحبور . وفي اللجوء الى الصور المفاجئة التي تحدث توترا في النص الشعري ، فتجعله صدى من المواقف لانفجار الكلمة الشعرية عبر اللجوء الى الصور . فينساب هذا الصدى انسيابا متفجرا ، ينقل الفجيعة ، يمتد بها ، او يضيق مساحتها الى حدود رومانسية يشتد فيها الصراخ مع خفوت شديد في القدرة على البقاء في ذروة اللحظة الفنية .

الافادة التي تقود الى كربلاء : يفتح أحمد دحبور مجموعته الشعرية بقصيدة يسميها « الافادة » تضعنا في الاطار العام للتجربة الشعرية . يقدم اوراق اعتماده الى الوطن من موقع طبقي واضح. المسألة لم تعد كما في قصيدة درويش التي تحمل نفس العنوان مسألة تأكيد الذات القومية . انها مسألة تأكيد لمن يستطيع ان يصل الى هذه الذات القومية ومن لا يريد هذا الوصول . لذلك تتوتر القصيدة داخل وزنين مختلفين يلعبان دور الصوت والصدى . أي ان تأكيد الذات هنا هي عملية هجومية ودافئة في الوقت نفسه . انها الحقد والفرح الطبقيين . لذلك يخدم ايقاع القصيدة موقفها الاولي . اي انه يتشكل من داخل الموقف نفسه ليؤدي الى تداعيات في الصور تقود الى تفجير اللحظة والوقوف عند حافة التكامل في العودة المباشرة الى الصدى :

« — النهر يصير بساطا للفقراء متى يورد
— الجوع
— اله لا يعبد »

ثم ننتقل مع « جبل المحامل » الى الايقاع الشعبي عبر اللجوء الى الاغاني الشعبية وتضمينها داخل النص . والتضمين هنا يحمل معنى جديدا لانه لا يقف عند حدود استعارة النص الشعبي ، بل يحاول مد هذه الاستعارة لتصل الى صلب القصيدة نفسها وتصبح جزءا من انتاج الشاعر . لكن الموقف من التراث الشعبي يبقى أسير الفهم الرومانسي ، اي انه لا يتعامل مع هذا التراث بشكل نقدي . وهذا يعود الى الواقع الفلسطيني المشتت — الممزق ، الذي هو بحاجة الى هذا التراث لتضميد بعض جراحاته على المستوى الفني. غير ان هذا الامتداد الرومانسي يصل الى ذروته

— احمد دحبور : **طائر الوحدات** ، دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، تشرين الثاني ١٩٧٣.

مع قصيدة « صفحة من كتاب الاغوار » حيث يتوقف انفجار الصور ، لنعود الى حوار تشبه بنائيته بناء القصة القصيرة ذات العنصر الواحد . أي يبقى الشعر خارج النص . ويتحرك النص لينقل لنا رسالة محددة الملامح ، لا تسمح بأي محاولة للدخول . انها تفترض الاندماج الكامل ، حتى يصبح لهذا البعد الرومانسي قدرة على الايصال . أي ان الغرق في عملية اجتماعية محددة ، لا يمكن ان يحافظ على النبرة المتوترة التي طالعتنا بها القصيدة الاولى اذا لم يستطع الشعر ان يبتعد قليلا ليضع نفسه ضمن دائرة التعقيد الكبير في الواقع الاجتماعي . « فمجاهد المحمول على الاهداب » هو لحظة بالغة التوتر في تاريخنا المعاصر ، لان شهداء أيلول كرسوا قطيعة كاملة ، لا نستطيع نقلها الى المستوى الفني دون ان نصل نحن كذلك الى العيش داخل هذه القطيعة ايديولوجيا وفنيا .

نعود في قصيدة « الجفر » الى الجو المشحون الذي غرسه السياب في تربتنا الشعرية . فالتفجع من موقع طرح الاسئلة ثم الانتقال الى مرحلة وصف الحالة من داخلها عبر المناداة على مدى شعري طويل ، تذكر بالسياب في مناداته وفي تكومه حول « جيكور » ، لكننا هنا في موقف الرفض الكامل ، لذلك يرتفع الصوت الشعري :

« يقول ما يفهم

الثورة الثورة حتى الحياة » .

يجد هذا الامتداد تتابعه في « نخلة عمان » حيث نرى « وطنا يتدحرج في خوذة واسعة » .

وفي التأكيد الشرطي الذي يتحول داخل الطبيعة، جاعلا منها شاهدا على تحولاته :

« وان أحرقوني ..

تقمصت نارا

وتشهد هذا الرياح » .

وعندما تقف نخلة عمان او تنحني امتدادا الى الوطن فاننا نعود الى ادوات التشبيه لتصبح صلة بين صورتين ولتسمح لكل واحدة بأخذ مداها. ففي قصيدة « عيني يا عيني يا وطني » يستوقفنا هذا الاستعمال الفني في تركيب صورتين داخل زمن شعري واحد . لكن الصورة تبقى قصيرة النفس لانها حين ترطم بالتشبيه فانها تتوقف عن الامتداد لتؤدي دلالة محددة وواضحة :

« — ان اخرج منك ، فكالدمعة

ماء ..

أو ايذانا بالماء » .

هذا التركيب يضع نفسه ضمن انشداد بالغ الحرارة نحو الوطن . فالشعر الفلسطيني المعاصر داخل الارض المحتلة او خارجها يتأسس ارتباطا بالارض ، والوطن يصبح مجموعة من الدلالات المتعددة ، لذلك حين ترتفع في هذا الشعر صيحة الحنين الى الوطن، فانها تؤدي معان كثيرة يلخصها الوطن بوصفه الارض التي من أجلها تسقط الدماء في هذه الكربلاء الجديدة . ودحبور حين يصل الى « كربلاء » فانه لا يصل الى الرمز التاريخي من أجل استعماله كمرجع ثقافي فقط . أي ان الرمز التاريخي لا يشكل هنا مجرد لحظة لاشارة تساعد القصيدة على النمو اعتمادا على هذا المسبق الثقافي . لكن دحبور يحاول ان يتداخل مع المأساة التاريخية ليبني من داخلها حركة جديدة ، تتجاوز المرجع الثقافي وهي تقف على أرضه . يفسح المجال هنا للصوت الواحد الذي يتناوبه تياران : — البعد عن الواقع من خلال علامات من داخل هذا الواقع (النخيل — الماء — الدم) هذا البعد هو الذي يسمح للصورة المفاجئة بالتغلب على النبرة الخطابية :

« ودخلت في موتي وحيدا استحيل

وطنا ، فمذبحة ، فغربة

وأتيت تسبقني يداي » .

من داخل هذا الموت تأتي استحالة سحق ارادة القتال « وتبادلوا رأسي فلم يركب على عنق » . هذا البعد عن الواقع المباشر لا يلبث ان يتداخل مع التيار الآخر الشديد الالتصاق بالممارسة السياسية . لذلك يرفع الشعر اصبعه ليتهم « دنانير النخيل » . أي ان الممارسة الفنية من داخل هذا الاطار الرمزي الذي تسمح به مأساة كربلاء ، لا تلبث ان تلتفت الى الواقع ولو بشكل سريع لتشكل الاساس الذي عليه يقف هذا الرمز. لذلك يأتي الصوت الواحد ليعطي شحنة خطابية وليدفع القصيدة نحو الغاء جميع امكانيات الاتجاهات المتعددة في داخلها . فالفهم السياسي

المباشر هو الاساس في هذه التجربة والممارسة الفنية هي انعكاس لهذه الممارسة السياسية على شكل رجع مباشر .

أسئلة طائر الوحدات :

« يطرح طائر الوحدات أسئلة
فينقسم الرجال الى دموع .. او رجال » .

قبل ان يطرح طائر الوحدات أسئلته ينغرس في التراث الشعبي ، ليقيم من داخله تداعيات معاصرة . فمن داخل ايقاع الدبكة يخرج الواقع المأساوي . تداخل الخطوات مع الواقع . ويلف الايقاع الجميع . لتصبح الدبكة رقصة جماعية حول المأساة ، وسهما يشير الى طريق تجاوزها .

« هوذا منديل الثورة

والدبكة ذروة روعتها ان تبدأ بين الالغام »

من داخل الايقاع تخرج صورة القسام منتصرا أو شهيدا ، ويرتفع الصوت الشعبي في نهاية هذه « الرسالة الشخصية جدا » ليصف بصوت مأساوي الواقع . ثم ينتقل الى تحرير « بيان الفقراء » فنكتشف الوطن « المضيء حتى البكاء » . وننحاز الى الصور التي تتكوم حول حركة الفعل الذي يعطيها نفسا ايحائيا وتصنفها داخل الحركة في تحولاتها وليس جمودا . أي ان الصور المتتابعة لا تعطي هي الحركة . فالحركة هي للافعال للارادة . اما الصور فتتشكل حول الحركة لتضيء جوانبها ولتصل بنا الى الرسم « بالنار الصريحة » ونحن نتلو بيان الفقراء .

غير ان الموقف الوصفي في قصيدة « عرسان للمرأة الصعبة » يذكر في بدايته بالموقف الوصفي الخارجي الذي يسميه نزار قباني الشعر السياسي. اي ان الوصف المباشر من داخل قصر الامير يؤدي الى الوقوع في تقديرية رمزية — منديل البكارة . لكن القصيدة لا تتوقف عند هذه الحدود . انها تفتح الباب الثوري نحو الوصول الى الولادة رغم صعوبتها مخيفا « تنظمنا مع النار » وتفتح الافق امام النخلة الواقفة على النهر كي تصل عبر دعوتها « الى الكلمة التي حذفتها الرقابة » الى احراق المرحلة :

« لم تحن ساعتي بعد ، لكني احرق المرحلة
جرعة من جنون وحلم ،
فأعبر من فسحة بين رأسي ومقصلة ،
لاوسوس في الناس ،
أدعو الى الماء والنار ،
والماء والنار ثانية
ثم ينقسم الخلق بي ،
فجموع تجيء
وأخرى تؤكد لي ان رأسي يستعجل المقصلة » .

نصل هنا من خلال هذا الجموح الى لحظة الاسئلة الصعبة . فطائر الوحدات حين يقذف بأسئلته ، فانه يقف داخل العملية الثورية ليؤكد على قدرة تجاوز المرحلة عمقا في التزام أكثر عنفا . لذلك تدخل عناصر الطبيعة لتشكل في علاقاتها ببعضها من خلال نقطة التقاطع النضالية افتراضية تجد جوابها في خاتمة الاسئلة. فالمناضل الفلسطيني مطلوب في كل حدود وهو يتحرك بين حدين من الحزن العربي والفرح الفوري . الافتراضية التي تصبح تقديرية محدودة جدا في خاتمة القصيدة ، تصل بنا الى لحظة يتكثف فيها الحزن . فالاشياء الواضحة « حتى الذبح » ، تقود خطى الشعر الى الطوفان كما انها تقود العملية الثورية نفسها التي ينخرط فيها هذا الشعر انخراطا واعيا الى اعادة تأكيد نفسها والوصول الى مستوى اكثر خطرا وخطورة .

الوطن رؤيا متحركة : حين يتأسس الشعر الفلسطيني حول الوطن ، يؤكد في الوقت ذاته على انتمائه الى الشعر العربي المعاصر . فهو يشارك في بناء قواعد هذا الشعر عبر التجاوز . وفي وسط الشعراء الفلسطينيين الشباب . دحبور والناصرة — على وجه محدد ، يبرز حنين جارف الى الوطن، ومحاولة لاستخلاص دروس فنية من خلال معايشة الالم الكبير الذي تختزنه ثورة الشعب الفلسطيني. لذلك تأتي التجريبية خافتة ويبقى لفح الاصرار على المباشرة كبيرا ، لانه يؤكد على الفعل الثوري بشكل يومي . هكذا تأتي القصيدة في صوت رومانسي واحد . وتلخص التجربة الجماهيرية في اكثر نقاطها حرارة . ففي « طائر الوحدات » تأكيدات جازمة على هذا الاصرار . غير أنه يحمل في المقابل تصورات اولية للمسار الذي يستطيع هذا الشعر ان يتطور في داخله . فمحاولة دمج الاوزان ، والوصول الى الصورة الشعرية الجديدة والمفاجئة ، وربط النداءات بالاسئلة وبالافتراضية التقريرية ، تستطيع اذا اتسعت لتستوعب أبعادا

متعددة ان تقود هذا الشعر الى قدرة تجريبية من منظار ثوري عملي وداخل المستوى الايديولوجي . فحين يؤكد الشعر على التصاقه بالتجربة النضالية الجماهيرية، يستطيع ان يصل الى التجاوز الثوري لشروط مفاصل البناء الشعري التقليدي داخل الشعر الحديث . — التشابيه — الصور غير الخارجة من تتابع الافعال ، التتابعية التي يفرضها منطق وصل المقاطع الشعرية بمسامير من خارجها (اللجوء الى العطف والتداعي غير المترابط) . غير ان كل هذا لا يستطيع التحقق خارج تجربة حقيقية حارقة تقدمها الحركة الثورية الفلسطينية بوصفها علامة ممارستنا السياسية والفكرية بشكل رئيسي .

طائر الوحدات ، لا يتوقف عن طرح اسئلته . وهو حين يطرحها يستفزنا على الاجابة . لذلك يأتي الشعر ليس كانعكاس مباشر عن الواقع ، بل كمساهم ولو بصفة غير مركزية في بناء تصور ثوري عن مستقبلنا . وهنا على وجه الخصوص تكمن اهمية هذه المجموعة ، بوصفها مشروعا يتكون في الداخل ، وليس على اطراف الالتزام بمعناه الشامل والعميق . فالتجربة تصلنا حارة والاسئلة تتوالد من داخل الاجوبة التي نكتشفها . من هنا يصبح الشعر سؤالا كبيرا ، سالبا ايجابيا اذا اردنا ، ومن هنا ايضا تصبح اهمية التجاوز الفنية أكثر وضوحا ، لان الشعر يطرح اسئلته ضمن العملية الفنية . من شرفتها يقف ليمتد الى الحركة العملية في أكثر روافدها جماهيرية . لذلك يطرح الشعر اسئلته كذلك حول قدرته على التجاوز كبناء فني .

الخروج الى العراء
الهزيمة

الجواب المباشر على هزيمة حزيران كان خروجا الى العراء . محاولة للبحث من نقاط ارتكاز خارج الدائرة اليومية . في الصحراء حيث نرمي كل شيء ونحاول ان نتداخل مع زمن آخر . ان تصير جزءا من حركة تراجع نفسها وتريد ان تعود الى الدخول من جديد في مسار ثوري تغيري . جواب سهيل ادريس في مجموعته القصصية القصيرة «العراء»* هو محاولة الدخول في ما يسميه « زمن الهزيمة والنصر » اي تلمس الاجوبة من خلال الممارسة السياسية النضالية . لذلك تدخل هذه المجموعة في سياق الادب الذي ينسج نفسه حول المسألة الفلسطينية بوصفها حركة تغيير ثورية . أي ان هذه القصص حين تنطلق من الهزيمة لا تتوقف عندها بل تحاول ان تكون مرآة تعكس واقعا يتحول . واقع الهزيمة التي تتحول الى ثورة ... في القصص السبع التي تضمنها هذه المجموعة شريط كتابي واحد . أي انها تؤسس نفسها داخل الواقع الاجتماعي — السياسي . تلتقط بعض لحظاته ، تعيد تركيبه ضمن زمن عادي ومألوف تتابع فيه الحركة البنائية .

التاريخ — الهزيمة — المقاومة : في القصص الخمس الأولى ، محاولة لالتقاط لحظات من النضال الفلسطيني . « الليل والاسلاك » و« زمن الهزيمة والنصر » تنقلان لوحات من النضال الفلسطيني قبل الهزيمة . واذا كانت « الليل والاسلاك » تحمل في بنائيتها مبرر التقاطها للحظة واحدة — الهرب من الارض المحتلة والعودة اليها — ضمن سياق الموقف السيكولوجي العاطفي السياسي . فان القصة الثانية ، وهي جزء من رواية توقف المؤلف عن كتابتها بعد الهزيمة ، لا تستطيع ان تحمل موقفا متكاملا . فهي مجرد لوحة من لوحات النضال الفلسطيني قبل هزيمة ١٩٤٨ . وتحاول « العراء » نقل الصدمة المباشرة التي أحدثتها الهزيمة . الجو مثقل بالحمى وبعدم القدرة على الرؤية الواضحة وخط التوازي بين حياة المثقف وحياة المقاتل يرسم الاطار العام لهذه التجربة . ثم ننتقل في « شيخ الكرامة » و« العبور » الى لوحتين من نضال المقاومة الفلسطينية . الاثر الثوري لمعركة الكرامة والاصرار على القتال بعد مذابح ايلول . ينقطع هذا الخط في القصتين

---

* سهيل ادريس : **العراء** ، دار الاداب ، بيروت، الطبعة الاولى ، كانون الثاني ١٩٧٤ .

الاخيرتين « القراءة في العيون المغمضة » و« نكهة خاصة » لنعود الى اجواء قريبة جدا من اجـواء السيرة الذاتية الموضوعة في قالب قصصي التي عودنا عليها سهيل ادريس في رواياته الثلاث .

تنظر هذه المجموعة الى النضال الفلسطيني في تتابعه التاريخي . فالخط الذي يربط القصة الاولى بالقصة الخامسة هو خط مستقيم لا تعرجات فيه . وقصة « العراء » حين تتعـرج وتحمل التواءات عنيفة في هذا الخط فانها تحافظ على السمة العامة. فالتعرج هنا ليس وليد ارادة ذاتية او فنية ، انه انعكاس مباشر للواقع ، للضياع والمهانة والذل بعد هزيمة مفاجئة « صاعقة » سقطت فجأة « ولم يقل لها شيئا ، بل قال لنفسه ان المرء اعجز من ان ينفي الصاعقة حين تنقض عليه » . ثم يتابع الخط حركته الاولى في القصتين الاخيرتين . ان مصدر هذا الخط هو موقف فني واقعي . لكـن الواقعية تؤخذ هنا في اكثر معانيها كلاسيكية . فالقصة هي تعبير عن الواقع . تتعامل معه بشكل مباشر وتقوم بتصويره مـن منظور ايديولوجـي تقدمي . هنا علامة التشديد هي لهذا المنظور مع محاولة لتجاوز الاطار التتابعي التاريخي عبـر اللجوء الى سيكولوجية ابطال القصص ووضعها ضمن شريط الذكريات . فيقوم هذا الشريط بعملية مزدوجة : ــ يضع القصة في اطار واقعي حياتي، فنحن هنا امام شخصيات حقيقية تتصدى لمهمات تاريخية ، ولسنا أمام مهمات تاريخية فقط ــ كما يستحسن الخط القصصي بقدرة على الحركة غير المتوقعة . فتجربة بطلة « الليل والاسلاك » مـع ابرهيم لا تتوقف عند حدود التجربة النضالية ، بل تمتد لتشمل بعدا انسانيا يعطي هذه التجربة قدرتها على الاستمرار ضمن توتر انساني عميق يفرضه منطق العلاقات الانسانية .

تعطي علامة التشديد الواقعية لهذه القصص مذاقا خاصا . فهي لا تستطيع الانفجار ، والتوتر فيها يبقى خافتا ، لذلك فانها حين تلجأ الى البناء الواقعي فانما تنقل موقفا فنيا متكاملا ، لا يلغي التجربة الابداعية ولكنه يضعها في حيز ايديولوجي ظاهر . ينقل الينا البناء القصصي تجربة واحدة . نحن دائما في مستويين فنيين : **السرد** الذي يضم البناء القصصي اليه ، راسما اطاراته الاساسية. انه الخلفية والمساحة التي تتحرك فيها الشخصيات لذلك يحمل السرد نبرة تقديرية ، يجمد الموقف للحظات قليلة ثم يترك الحدث يتشكل ببطء ضمن حوار هو جزء من المقدمـة السردية لانه يأتي ليؤكدها وليعطيها بعدا واقعيا . ثم يأتي **شريط الذكريات** ليشكل زمنا آخر يتداخل مع زمن القصة. انه ماضي الماضي الذي تحمله الحركة القصصية . يؤدي هذا الماضي دورا هاما ، لانه يقوم بالكشف السيكولوجـي أي يتصـدى لاستنطـاق هـذه الشخصيات في تاريخها وفي نوازعها الاساسية . فيتحول العمل القصصي مع تشابك هذين المستويين الى صفحة مستوية ، الى تراكم حدثي يقوم بكل أمانة بنقل الاختيار الايديولوجي على بساط واقعي.

يقود هذا الاستعراض الاولي للبنية القصصية في هذه المجموعة الى طرح مجموعة من الاسئلة :ــ

البناء الفني والانعكاس : تلخص قصة «العراء» البناء الفني عند سهيل ادريس بشكل مكثف . فهي تنطلق من شريط غير واقعي ــ الجندي ــ يلعب هذا المشهد الدور الكلاسيكي الذي تلعبه المقدمة السينمائية . أي انه يضعنا في الجو العام . القمع ــ الذل . ثم ننتقل الى جو واقعي يومي . يدخل بطل القصة الى مكتبه تعطيه سلوى الصحف الاجنبية التي تحمل صورا ذليلة عن حرب حزيران يحس بالضيق ويقرر الذهاب الى شاطىء البحر . هنا يدخل العامل السردي الممزوج بالحوار ليرسم لنا الاطار الذي تدور القصة في ظلاله . بعد ذلك يبدأ الكابوس البطل وحيدا في الصحراء ، يرمي الترانزسـتور ، رمز الاعـلام العربي . هنا نبدأ بالسرد المشحون المتوتر وننتقل الى شريط الذكريات الى غسان المقاتل الذي انقطعت اخباره . اما القسم الاخير فيحمل لنا عودة الى الواقع ، لنكتشف ان هذه الرحلة الى الصحراء كانت حمى أصيب بها البطل لتسمح له ان يكفر عن ذنوبه « فأغمض عينيه من جديد ، فرحا ، حزينا . أحزنه الا يحفظ الفارق في التشبيه ، مرة أخرى . ان يقرن بغسان ، ان تشبه رحلته التافهة برحلته الكبيرة العظيمة . ولكنه مع ذلك ، لم يتمالك الا ان يستشعر بعض العزاء : أن يكون قادرا الان على ان يتصور تلك الرحلة ولو تصورا » . يقود هذا البناء الفني الى النظر الى موضوع انعكاس الواقع على الادب انعكاسا غير مباشر ، انه يتر هنا بتجربة وبرسالة ايديولوجية . والقضيتان أي التجربة والرسالة ، هما وحدة فنية تقود الى

التأكيد على اولوية الواقع من جهة وقدرة الادب على رسم هذا الواقع ضمن مفهوم اعادة انتاجه بأدوات من داخله . لذلك تبقى « العـــراء » على مستوى الصدمة المباشرة وهي حين تحاول ان تتجاوز واقع الهزيمة بالثورة عليه — الخـــروج الى الصحراء — فانها تعود لتكتشف الواقـــع اليومي ، المرأة والاولاد وغسان وتفرض استحالة التجاوز عن منطق الانعكاس المباشر .

الواقع النضالي : في « شيخ الكرامـــــة » و « العبور » محاولة لتجاوز هذه الاستحالة من داخل الممارسة النضالية. ترسم لنا هاتان القصتان خط تطور المقاومة . في الاولى نكتشف عمق تغلغل الروح القتالية في الجماهير من خلال شيخ الكرامة الذي التحق بالمقاتلين . وفي الثانية نعيش مع الاصرار على القتال بعد مذابح الاردن . فالفدائي وسط النهر يرفض تسليم نفسه الى العدو ويقرر العودة الى القتال . وقال في نفسه فجأة « المعذرة ايها الرفاق بيأخونكم هذه المرة . ثم استدرك قائلا : بل الان فقط لا اخونكم . ان قدري هو ان اقاتل ابدا ، حتى وحيدا . ثم ذكر ابنه فقال له : اكبر بسرعة يا وليد . واستدار على نفسه ، وعاد الى ارض الاخوة ، الاعداء ». البناء الذي رأيناه في قصة « العراء » يعود هنا مع بعض التعديلات ومع غياب كامل للجانب اللاواعي الذي فرضـــته الهزيمة ساخنة . غير ان شخصية الشيخ عطا في « شيخ الكرامة » تستحق وقفة خاصة لانهـــــا استطاعت ان تحمل كثافة ايحائية . فالقصة تنطلق هنا من شخصية جامحة . انها الشخصية الشعبية بامتياز . فالشيخ عطا حين يعطي نفسه للمقاومة فانه يعطي بغير حساب . تتكون ردات فعله من داخل احساس شعبي بالغ الحساسية الثورية . لذلك استطاعت هذه القصة ان تتجاوز الاطار المرسوم في المجموعة سامحة لافق من نوع آخر بالبروز . انه الصوت الشعبي الذي ينتصب صادقا وقادرا على الاقناع . وهو واقعي بمقدار ما هو الواقع سيرورة ديناميكية لا تجمد عند لحظة .

تنقل لنا هذه التجربة الفلسطينية اطارا تاريخيا محدد الملامح . فهي شهادة على ولادة مرحلة جديدة . لكن هذه الشهادة حين تحصر نفسها في هذه الاشكالية البنائية فانها تجد نفسها مجبرة على ملاحقة التطور الزمني ولا تستطيع ان تشارك في تأسيس زمن فني جديد هو التعبير الفني عن مسار جديد يطمح عمليا الى تدمير الزمن القديم . هذا لا ينفي حقيقة خط التطور . لكنه يخضع هذا الخط لعملية نقدية هي جزء لا يتجزأ من الانتاج الادبي بشكل عام .

العيون المغمضة والتجربة الشخصيـــة : في القصتين الاخيرتين ، نكتشف الزمن الشخـصي الحميم . ننتقل بالتجربة الى اطار آخر . شخصي في ملمحه الاولي وقادر في التحليل الاخير علـى الوصول الى اعتقال لحظة انسانية كاملة . واذا كانت « نكهة خاصة » تغرق في الجو العائلي ويقودها هذا الغرق الى رومانسية مباشرة ، فان « القراءة في العيون المغمضة » تؤكد على قدرة هذا الادب الى الوصول الى ومضة انسانية تلخص واقعا كاملا . نبـدأ القصة بعودة الى الماضي القريب (فلاش باك) . وتنتهي بالواقع الكامـل « حين قبل زوجته ، تلك الليلة ، ظل مغمض العينين . وفي تلك الليلة لم تطلب منـــــه ان يفتحهما » . وبين هذين الحدين ننتقل بين السرد والحوار والذكريات . لنصل الى استحالة المغامرة التي ارادها البطل . وهو حين يعود هنا الى استعمال ضيغة الغائب ، فانه يفسح مجالا امام الحركة كي تصبح اكثر التصاقا بالموضوع . ويأتي خيط التأملات الذي يمنع الخيالات من الاسترسال جاعلا لها حدا واقعيا. هنا تصل التجربة القصصية الى ذروتها . فعالم الاشياء يصبح عالم علاقات « وفي الغرفة ، لم يقل انها غرفة جميلة ، فأومأت برأسها، وطلبت منه سيكارة ، فأشعل لها واحدة، واخرى له »... يبقى العالم الذي تفتحه هذه القصة عالما يتحرك ببطء وحذر على ارض ثابتة . أي انه حين يصر على التجربة « الذاتية » ويؤكد على التركيب البسيط لهذه التجربة ، فانه لا يستطيع ان يواكب حركة البحث عن الواقع من داخل علاقته البسيطة التي تفتح افاقا واسعة كما في قصص كنفـــاني القصيرة . أو مذاق الحلم الذي افتتحه زكريا تامر ليقود الواقع الى مستقبله .

اللغة — الايصال : في لغة هذه القصص بساطة وتشدد . أي ان البساطة تحاول هنا ان تغلق الحوار وتجعله الاكثر قربا من اللغة المحكية . أما لماذا عدم استعمال اللغة المحكية ؟ فان الجواب يأتي من سياق القصص نفسها التي تحافظ على تبعيد خاص يأتي من حركتها نفسها ، التي تأتي

ببطء شديد لتدعم السرد والذكريات . ان قصص ادريس حين تؤكد على اولوية السرد والتأملات وتعطيها البعد الاولي في بناء القصة اللغوي ، فانها تكون بذلك قد قللت فاعلية الحوار الى الدرجة التي يصبح فيها بغير حاجة الى استعمال الحرارة المباشرة التي تعطيها اللغة العامية . لذلك لا نفتقد هذه اللغة ، واذا افتقدناها نكون لم ندخل بعد في عالم سهيل ادريس ولا نزال في تشريط استعمال اللغة المحكية على نطاق واسع لا سيما على يد الادباء المصريين . اما التشدد اللغوي فهو في الاصرار على استعمال كلمات بعيدة عن اللغة المحكية في السرد . لذلك تستوقفنا بعض هذه الكلمات لانها تحدث نتوءا في السياق . « رأيته يغض » او « على جاري عادته » غير ان هذه التعابير لا تفرض نفسها على الكتاب . تبقى هامشية . ومن جهة اخرى نكتشف محاولات جادة للوصول الى لغة بسيطة قدر الامكان تستطيع ان تحمل التجربة الفنية وتداخل فيها . اللغة هنا تريد الايصال . تؤخذ كما هي لتنقل تجربة موضوعة على شكل قصة . أي ان العمل على اللغة لا يستغرق جهد المؤلف الذي ينصرف لدراسة الحركة في العلاقات الاجتماعية . من هنا تأتي اللغة منبسطة ولا تحمل تعرجات التجربة وهمومها الا بهدف ايصالها كاملة . اذا اخذنا قصة « العبور » على سبيل المثال فاننا نجد الدور الكبير الذي يلعبه حرف « الواو » فاتصال المقاطع ببعضها يتم بواسطة حرف العطف الذي يحمل هنا معنى تتابعيا . أي ان الاستمرار على نفس الشحنة يؤدي الى اللجوء هنا الى استمرارية كاملة . رغم ان التجربة في القصة تستطيع كسر هذا التتابع . فهي أكثر تجاربنا النضالية مأساوية ودلالات . لكن المحافظة على سياق واحد يؤدي الى خاتمة محددة سلفا بشكل ايديولوجي . من هنا تفتقد اللغة تعرجها لتصبح اداة ، مجرد أداة . وبهذا المعنى تكون « العراء » استمرارا للخط الذي انتهجه سهيل ادريس في حياته الادبية . التزام قومي مباشر وانغراس داخل المسألة الوطنية في سبيل الوصول الى ادب يعبر مباشرة عن مشاكلنا المباشرة .

الياس خوري

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب

« الضمير »

قصة الشهيد كمال ناصر

بقلم

هالة سلام

وسلوى الخالدي

٣٢ صفحة باللغة الانجليزية مقرونة بالصور عن الشهيد كمال ناصر : الانسان ، المناضل ، الشاعر .

سعر النسخة ٢ ل.ل.

يضاف اليها أجور البريد الجوي : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١ ل.ل. في اوروبة ، ٢١/٢ ل.ل. في سائر الدول .

اطلبه من مركز الابحاث — قسم التوزيع .

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

تشهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

نقاط التقاء في الحوار الفلسطيني : لم تشهد الساحة الفلسطينية في تاريخها حوارا اكثر ديموقراطية ومسؤولية مما شهدته في المرحلة التي اعقبت حرب تشرين الاول . وبالتأكيد فان ديموقراطية الحوار قد اخصبت الافكار من خلال التعارض والمحصلة وصولا الى الافضل ، كما ان مسؤولية الحوار نبعت من حيث ان موضوعاته لم تعد تمس هامش القضية وانما هي في الصميم منها ، فقد تراجع الى الخلف ترف النقاش واصبح الجدل في المصير والمستقبل حرصا من الاطراف جميعها وبلا استثناء على المصير والمستقبل . ونقتبس الاخ ابو عمار (في القاهرة ٣ اذار) : « ان الثورة الفلسطينية التزمت منذ البداية مبدأ الحوار الديموقراطي في اتخاذ القرارات وسنواصل الحوار حتى نصل الى قرار بالاجماع » . غير أن السؤال الذي يطرح بعد هذه الفسحة الواسعة من الحوار الى اي مدى تمكنت الاراء به أن تصل الى نقاط التقاء . وبطبيعة الحال لا يفترض هذا السؤال أن تكون الاراء قد تطابقت ، ولكن يفترض تأكيدا ان تكون قد توصلت الى **نقاط تماس** فيما بينها والا فان أي حوار يكون ضربا من العبث الترفي ما دامت الاطراف المتحاورة فيه غير قادرة على أن تجعل الخطوط المتوازية تتماس في مفاصل رئيسية يشكل تراكمها الكمي تطورا في نوعية المواقف تقود من خلال عملية الوعي الفاعل لمعطيات المرحلة الى حالة ارقى في الفهم والممارسة معا . ويمكن التأكيد هنا أن الحوار الفلسطيني قد ادى حتى الان مهمته الرئيسية ، او الجزء الاكبر منها ، في ايجاد بقع مشتركة تماست فيها الاراء بل اكثر من ذلك التقت عليها . واي نظرة موضوعية تسقط من حسابها التشنج الذي بدا أحيانا ، ستتوصل الى التعرف على نقاط التماس بل نقاط الالتقاء .

وسنحاول هنا ان نلتقط من الحوار الدائر الان هذه النقاط . وقبل ان نفعل ذلك نشير الى ان الاطر التنظيمية التي تم فيها الحوار الفلسطيني في الشهر الفائت كانت اللجنة التنفيذية والمجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية . فقد عقدت اللجنة التنفيذية اجتماعين لها (١٢ و١٥ شباط) والمجلس المركزي عقد اجتماعا (١٦ شباط) . وذكرت « وفا » انه كان من المقرر ان يتم في هذا الاجتماع مناقشة مسودة ورقة العمل التي تم الاتفاق عليها بين عدد من المنظمات الفلسطينية [فتح والصاعقة والجبهة الديموقراطية] ، غير ان اللجنة التنفيذية قررت في الاجتماع الذي عقدته يوم ٢/١٥ في بيروت تأجيل بحث ورقة العمل بناء على طلب جبهة التحرير العربية والجبهة الشعبية لاعطائهما الفرصة لدراسة ورقة العمل . وأوردت « وفا » في وقت لاحق (٢/١٧) تصريحا للاخ خالد الفاهوم ، رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ، قال فيه ان مناقشة مسودة ورقة العمل قد تأجلت لاتاحة المزيد من الوقت للحوار الديموقراطي للوصول الى موقف موحد من جميع فصائل المقاومة. وذكرت « وفا » ان المجلس المركزي سيواصل اجتماعاته خلال العشرة ايام القادمة . وقد علقت « فلسطين الثورة » (٢/٢٠) على تأجيل اجتماعات المجلس المركزي بأن هذا التأجيل كان « عملا بالاصول الديموقراطية المتبعة في الساحة الفلسطينية من اجل ان يصدر القرار الفلسطيني بالاجماع وليس فقط بالاغلبية المطلقة » . وقد تقدمت الجبهة الشعبية فيما بعد بورقة عمل اخرى .

بعد هذه الاشارة نحاول التقاط نقاط التماس :

١ ــ الهدف الاستراتيجي للنضال الفلسطيني : هناك اجماع على أن الهدف الاستراتيجي للنضال

الفلسطيني هو اقامة دولة ديموقراطية على كامل التراب الفلسطيني . أكد ذلك — في الشهر الماضي — الاخ ابو عمار اكثر من مرة (في الكويت — « وفا » ٢/٢٠ وفي القاهرة — « وفا » ٢/١٨) : « ان الثورة الفلسطينية لن تتخلى عن اهدافها المعلنة الثابتة بوجوب التحرير الكامل واقامة الدولة الديموقراطية على ارض فلسطين » . وقد تضمنت هذه الحقيقة ورقة العمل التي طرحتها فتح والصاعقة والديموقراطية : « الهدف الاستراتيجي العام : تحرير فلسطين من الاستعمار الاستيطاني الصهيوني واقامة الدولة الديموقراطية الفلسطينية على كامل التراب الفلسطيني وعودة جميع المواطنين الفلسطينيين الى وطنهم وممارسة حق تقرير المصير والسيادة الوطنية الكاملة » . كذلك فأن ورقة العمل التي قدمتها الجبهة الشعبية اعتبرت محورا استراتيجيا « مواصلة تعبئة وتنظيم كل طاقات شعبنا داخل الوطن وخارجه في حرب شعبية طويلة المدى من أجل التحرير الشامل واقامة المجتمع والدولة الديموقراطيتين ضمن اطار مطامح الامة العربية في التحرير القومي والوحدة الشاملة » .

٢ — السلطة الوطنية على الاراضي الفلسطينية المستعادة : على الرغم من ان هذه المسألة شغلت الحيز الاوسع في الحوار الا انه يبدو ان هناك تماسا في الاراء ازاءها فـ « كل ارض فلسطينية ينسحب منها الاسرائيليون سنقيم فوقها دولة فلسطينية » (الاخ ابو أياد في تونس ٣/٥) ، كذلك تؤيد الجبهة الشعبية «اقامة السلطة الوطنية على اي جزء محرر من ارض فلسطين بل أننا نناضل من أجل ذلك » (الاخ بسام ابو شريف لصحيفة « النهار » ٢/١٢) . وقد جاءت ورقتا العمل لتؤكدا ذلك . ففتح والصاعقة والديموقراطية تجعل احد الاهداف الآنية والمباشرة للنضال الفلسطيني «انتزاع حق الشعب الفلسطيني العادل والمشروع بقيادة منظمة التحرير في تقرير مصيره بنفسه وحقه في الاستقلال الوطني والسيادة التامة في الارض الفلسطينية التي يتم تحريرها » وورقة عمل الجبهة الشعبية تعتبر ان احدى المهام المرحلية « فرض سيادة الشعب العربي الفلسطيني على أي ارض فلسطينية يتم تحريرها ليتابع شعبنا من خلالها القتال والكفاح المسلح والنضال السياسي الجماهيري المرتبط به لتحرير الاجزاء الاخرى » .

ويتعلق بهذا الشأن ان اقامة هذه السلطة الوطنية على الارض الفلسطينية المحررة هي حصيلة نضال ، او بتعبير الاخ ابو عمار (وفا ٢/٢٠) « ان استعادة الضفة الغربية هي ثمار النضال الفلسطيني الطويل وليس نتيجة تنازل العدو عنها » . وقد كتبت « فلسطين الثورة » (٢/٢٧) بهذا المعنى « ان تصوير ممارسة شعبنا لسيادته الوطنية واقامة كيان وطني مستقل فوق ارض فلسطين على أنها هبة ومنحة من الامبريالية وليس ثمرة نضال الشعب الفلسطيني هو جهل فاضح بحقائق الوضع الجديد بعد حرب تشرين » . وقد قرنت ورقة العمل الثلاثية في الاهداف الآنية والمباشرة **للنضال الفلسطيني** بين « **طرد الاحتلال واجبار العدو** على الانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة » وبين « **انتزاع** حق الشعب الفلسطيني ... في السيادة التامة في الارض الفلسطينية التي يتم تحريرها » . اما ورقة عمل الجبهة الشعبية فقد نظرت الى هذا الشأن من زاوية أخرى تلتقي في محصلتها مع الزاوية الاولى ، فقد أكدت الورقة « ان اي سلطة فلسطينية تقوم على أي قطعة ارض فلسطينية نتيجة التسوية السياسية القائمة على قرار مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨ لا يمكن الا أن تكون سلطة رجعية ومستسلمة وعلى منظمة التحرير الفلسطينية الا تعترف بها كسلطة ممثلة للنضال الفلسطيني ». واوضحت « الهدف » (٣/٩) هذه الزاوية بقولها « أن تحقيق هذا الشعار المرحلي [اقامة السلطة الثورية على اي جزء محرر من أرض فلسطين] لا يمكن ان يكون في ردهات جنيف ولا يمكن ان يكون في ظل ميزان القوى القائمة الان ولا يمكن ان يتم في ظل مجرى التسوية الحالي ، بل أن هذا الشعار المرحلي يتطلب نضالا سياسيا جماهيريا ونضالا عسكريا يضمن لنا اقامة مثل هذه السلطة دون المساس بحقوقنا في متابعة النضال من اجل تحرير ارضنا الفلسطينية » . ويتطابق هذا الى حد بعيد مع ما ذكره الاخ ابو لطف (في الكويت — « وفا » ٢/١٨) : « نحن نعارض أية تسوية على اساس القرار ٢٤٢ ولسنا في اطار مؤتمر جنيف طالما انه يقوم على منطق ومنطوق هذا القرار وسوف نسعى فعلا للحيلولة دون وقوع تسوية على هذا الاساس الذي ينتقص من حقوق شعبنا ». ويتعلق بهذا الشأن كذلك مسألة رفض التنازلات

مقابل السلطة الوطنية فوق الارض الفلسطينية المحررة . وقد حدد ابو عمار (القاهرة ٣ اذار) ما يلي : « ١ ــ لا تنازل عن الحق التاريخي لشعبنا في ارضه ووطنه . ٢ ــ لا تفريط بحقوق الشعب الفلسطيني . ٣ ــ لا صلح مع اسرائيل . ٤ ــ لا اعتراف باسرائيل . ٥ ــ استمرار البندقية الفلسطينية مشرعة في وجه العدو لانها الاساس ». وكتبت « فلسطين الثورة » (٢/٢٧) « ان الثورة ترفض وبشكل قاطع الربط بين ممارسة شعبنا لسيادته الوطنية فوق ارضه وبين الاعتراف بالعدو » . وكتبت « الهدف » (٣/٩) « ان النضال لتحقيق شعار مرحلي مثل اقامة السلطة الثورية على جزء من ترابنا لا يمكن ان يتم بتسليم بنادقنا وتوقيعنا على اتفاقية جنيف » .

٣ ــ الحكومة الفلسطينية في المنفى : حتى الان هناك اتفاق على استبعاد فكرة حكومة المنفى الفلسطينية . رفض الاخ ابو اياد هذه الفكرة (في الكويت « النهار » ٢/١٢) كما اوضح الاخ ابو لطف (« وفا » ٢/٢٨) انه « لا داعي لمثل هذه الحكومة في الوقت الحاضر . فنحن لدينا كمنظمة تحرير وثيقة رسمية بكوننا الممثلين الشرعيين للشعب الفلسطيني من الدول العربية والحلقة تتسع دوليا . وصرح الاخ بسام ابو شريف (« النهار » ٢/١٢) بأن الجبهة تعارض تأليف مثل هذه الحكومة في الوقت الراهن .

٤ ــ قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ : تجمع فصائل الثورة على رفض هذا القرار . ورقة العمل الثلاثية أكدت على « الاستمرار في رفض قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ الذي لا يلبي الحد الادنى لمطالب الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة والذي يتنكر لوجود الشعب الفلسطيني وحقوقه السياسية وينظر الى قضية شعبنا على أنها مشكلة لاجئين بينما هي قضية شعب وارضه التي شرد منها » . كذلك رفضت ورقة عمل الجبهة الشعبية هذا القرار ، وكتبت « الهدف » (٣/٩) « ان وحدة الموقف الفلسطيني يجب ان تقوم على أساس الرفض القاطع لقرار ٢٤٢ الذي يعالج الوضع الناشىء بعد هزيمة حزيران ، وعلى أساس الرفض القاطع لمؤتمر جنيف التصفوي على أساس القرار ٢٤٢ » .

٥ ــ عودة النظام الهاشمي : هذه المسألة هي نقيض اقامة السلطة الوطنية على الارض الفلسطينية المستعادة ، ومن هنا فأن الاتفاق على اقامة السلطة الوطنية في الضفة الغربية بعد استعادتها تستتبع ضمنا رفض عودة الحكم الهاشمي اليها . لخص الاخ ابو اياد هذا الموقف بقوله « لا نقبل ان يحكم الملك حسين اي قطعة من ترابنا حتى ولو كانت صغيرة » . كذلك أكدت ورقة العمل التي قدمتها المنظمات الثلاث « رفض عودة السلطة الهاشمية الى أية ارض فلسطينية يزول عنها الاحتلال » . ويرتبط بهذه المسألة الموقف من النظام نفسه وتتفق ورقتا العمل بالنسبة لهذا الموقف، فالورقة الاولى تؤكد «مواصلة النضال مع الجماهير والقوى الوطنية في الاردن لتصفية النظام الهاشمي العميل وتجديد الوحدة الفلسطينية الاردنية على اسس وطنية ديموقراطية » والورقة الثانية تقول « المباشرة بالعمل الجاد والمدروس لاقامة الجبهة الوطنية الاردنية ــ الفلسطينية ، ومواصلة النضال ضد النظام الهاشمي العميل لاسقاطه واقامة الحكم الوطني الديموقراطي الذي يسهل متابعة القتال لتحرير فلسطين » .

وبجانب ذلك ، فأن هناك اجماعا تاما على ضرورة الوحدة الوطنية الفلسطينية وحتميتها . وبالتأكيد فان ثمة نقاط التقاء اخرى غير ما ذكر ، الا ان ابرز هذه النقاط التي ذكرت تشير بوضوح الى امكانية القرار الفلسطيني الموحد الذي يلتقي عليه الجميع ضمن الحوار الديموقراطي المسؤول .

محادثات ابو عمار ــ غروميكو : جاءت زيارة وزير الخارجية السوفياتي الى المنطقة في الشهر الماضي وسط تكهنات دارت حول ان القصد من الزيارة كان في الاساس ارساء معادل لمسعى الوزير كيسنجر الهادف الى الخروج بتسوية شرق اوسطية تحمل ملامحها البصمات الاميركية ، فقد ظهر حتى الان ان كيسنجر هو فارس الحلبة الحريص على طبع حوافر حصانه على وجه التسوية . ومن المؤكد ان مثل هذا المعادل يستوجب تصليب مواقف اطراف النزاع العربية التي لم تنجرف في مضمار الشكل الاميركي من التسوية، كي تكون هذه الاطراف ــ حتى في وجود تسوية ــ قادرة على فرض ارادتها بما يمنع اصطباغ التسوية باللون الاميركي الفاضح . من هنا كان الاهتمام بزيارة غروميكو الى دمشق بتحديد،

فسوريا استطاعت ان تقاوم حتى الان الرضوخ لشكل التسوية الاميركي. وتكتسب محادثات الوزير غروميكو مع الاخ ابو عمار (تم ذلك في اجتماعين الاول في القاهرة ٣/٣ والثاني في دمشق ٣/٧) اهمية خاصة اذا نظر اليها من واقع ان الثورة الفلسطينية هي الاقدر على القيام بدور هذا المعادل الذي يضع حدا للانحراف نحو وهدة الطأطأة لاتجاهات التسوية الاميركية السمات والوقوف في وجهها من اجل الخروج بحل يضمن « الممكن الاقصى » ضمن موازين القوى العربية والدولية ومعطيات مرحلة ما بعد تشرين . وكان واضحا ان ابلاغ مصر باعتراف الاتحاد السوفياتي بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني (جاء ذلك في أثناء محادثات غروميكو واسماعيل فهمي في القاهرة ، واعلن عنها الوزير فهمي نفسه يوم ٣/٥) خطوة متقدمة من الجانب السوفياتي لتدعيم هذا المعادل الذي تعزز كذلك بمحادثات ابو عمار — غروميكو . ولكي لا تغمط الثورة حقها ينبغي التأكيد هنا ان الاعتراف السوفياتي بالمنظمة — وهو شكل من الاعتراف الواقعي — ما كان ليحدث لو لم تكن المنظمة بقادرة على المحافظة على احتيتها في تمثيل الشعب الفلسطيني، كما ان محادثات ابو عمار — غروميكو كانت اشارة واضحة الى ان الثورة مؤهلة لان تقف في وجه الشكل الاميركي من التسوية ، ولان تمثل الثقل الاساسي في كفة ميزان القوى المرجحة لتحقيق « الممكن الاقصى » لمصلحة قوى التحرر العربية والعالمية كذلك .

وعلى الرغم من أن المصادر الفلسطينية لم تكشف تفاصيل ما تم في محادثات ابو عمار — غروميكو الا ان الانباء الصحافية ذكرت ان محادثات دمشق تناولت الاعتراف الدولي بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني وقد أكد غروميكو للاخ ابو عمار ان موسكو تعترف بالمنظمة ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني ، كذلك تناولت زيارة الاخ ابو عمار لموسكو وقد كرر غروميكو الدعوة التي وجهها الى ابو عمار في القاهرة وان الزيارة هذه المرة ستكون زيارة رسمية — اى بدعوة من الحكومة السوفياتية — وليس شبه رسمية اي بدعوة من لجنة التضامن الافرو — اسيوي كما في السابق ، وايضا ضرورة اتخاذ موقف محدد خصوصا في ما يتعلق بمصير الضفة الغربية وغزة .

العلاقات الفلسطينية — اللبنانية : مرت العلاقات الفلسطينية — اللبنانية في الاشهر التي اعقبت حرب تشرين الاول في واحدة من أدق مراحلها واكثرها مدعاة للمعالجة بمنتهى الحرص والمسؤولية من جانب الثورة . وقد تأتت دقة المرحلة من واقع ان الثورة كانت حريصة على تجنب أي افتعال لاي معركة جانبية تقعد بها من مواصلة نضالها السياسي الذي شمل العالم كله تقريبا من أجل اثبات حقها في تمثيل الشعب الفلسطيني واهليتها لذلك ، وكذلك من اجل ان يكون لها الوجود السياسي الفاعل في ما يطرح عليها ومن حولها ما قضايا تمس صميم القضية الفلسطينية ومستقبل الشعب الفلسطيني . مقابل حرص الثورة هذا كان هناك تعمد مخطط له من جانب اسرائيل على دفع الامور في لبنان باتجاه توتير العلاقات الفلسطينية — اللبنانية بالضرب على اكثر اوتارها حساسية نعني تشديد العمليات العدوانية الانتقامية والاستفزازية على قرى منطقة الجنوب اللبناني اذ أصبحت هذه العمليات في الاونة الاخيرة الخبز اليومي لسكان الجنوب . وكان القصد واضحا من وراء تلك العمليات التي اصبحت تشكل ركيزة أساسية في الاستراتيجية الاسرائيلية في مواجهتها الثورة الفلسطينية تتمثل في تحريض السلطة على الثورة وكهدف ابعد تعريب تصفية الثورة . وخلال الشهر الماضي قامت القيادة السياسية للثورة بجهود كبيرة لتطويق هذه الركيزة في الاستراتيجية الاسرائيلية وشل مفعولها ومنع تأثيراتها. وقد قاد الاخ ابو عمار نفسه هذه الجهود اعلانا منه عن ادراك الثورة لخطورة هذه الركيزة . وقد عقد الاخ ابو عمار اجتماعا في منزل وزير الداخلية اللبناني حضره عدد من المسؤولين عن شؤون الامن في لبنان لبحث الوضع على الحدود . وعلى الرغم من حرص القيادة السياسية للثورة على تطويق اي مضاعفات تؤثر في العلاقة الفلسطينية — اللبنانية ، فيبدو أن ثمة جهات في السلطة كان حرصها على ذلك أقل من حرص الطرف الفلسطيني . وقد تمثل ذلك في حملة على « العناصر غير المنضبطة » في المقاومة التي حملت مسؤولية الاعتداءات الاسرائيلية ، وقد اتخذت هذه الحملة ذريعة لها عمليات نادرة قامت بها احدى الفصائل الفلسطينية على مقربة من الحدود اللبنانية ، غير انه كان

واضحا ان هذه العمليات النادرة لم تكن تستحق الضجة التي قامت بها اسرائيل التي لم يكن ينقصها الحجة والذريعة لشن اعتداءاتها على الجنوب . كذلك فقد اعيد العزف من جديد على نغمة الغاء اتفاق القاهرة الذي يحكم العلاقة الفلسطينية ــ اللبنانية (جرى ذلك في اقتراحات اثارها بعض النواب في جلسة النواب يوم ٢/١٢) ، كذلك ترددت انباء كثيرة عن حملة اعتقالات تقوم بها السلطة ومداهمات واسعة النطاق ضد انصار الثورة الفلسطينية شملت قرى علما الشعب والخيام والمجيدية وكفر كلا وكفر حمام وراشيا الوادي (صحيفة « اللواء » ٢/٢٦) كما اعتقلت قوات الامن ثلاثة من انصار الشورة في منطقة عين عنوب بجبل لبنان وداهمت مجموعة من البيوت (« وفا » ٢/٢٥) . وفي الوقت نفسه حشدت السلطات الاسرائيلية قوات كثيفة على طول الحدود الجنوبية من لبنان (« المحرر » ٢/٢٦) . غير ان قيادة المقاومة استطاعت بكثير من ضبط النفس ان تتجاوز الاستفزاز فتم عدد من اللقاءات بين المسؤولين الفلسطينيين واللبنانيين لتطويق كل ذلك . ومن ابرز هذه اللقاءات الاجتماع الذي عقد بين اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين في لبنان ومسؤولي الامن اللبناني يوم ٢/٢٨ حيث جرى في الاجتماع « بحث حالة الامن وضرورة التعاون بين السلطة وحركة المقاومة . كما طرح موضوع المداهمات والملاحقات التي قامت بها السلطة وعلى نطاق واسع في الاونة الاخيرة والتي تناولت بعض عناصر المقاومة واعضاء الثورة الفلسطينية » (« وفا » ٢/٢٨) كذلك عقد رئيس الحكومة اللبنانية ووزراء منطقة الجنوب الدكتور نزيه البزري والدكتور علي الخليل والسيد فهمي شاهين اجتماعا في يوم ٣/٩ في فندق الكارلتون مع ممثلي المقاومة الاخوة زهير محسن وفاروق القدومي وتوفيق الصفدي وابو الزعيم وكمال البقاعي وقد ذكرت « النهار » (٣/١٠) أن من جملة ما بحث في الاجتماع ان المجتمعين عادوا الى نصوص الاتفاقات المعقودة بين السلطة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية والتي تحدد اماكن وجود الفدائيين في منطقة الجنوب وضرورة التقيد بهذه الاتفاقات . وقد ادلى الرئيس الصلح بتصريح عقب الاجتماع قال فيه « تأكد لنا مرة اخرى تشدد المقاومة في منع العمل من داخل الاراضي اللبنانية خصوصا ان الظروف السياسية الداخلية والخارجية والعربية تتطلب هذا الموقف » .

النضال المطلبي : في الاشهر الاخيرة شهدت المخيمات الفلسطينية في لبنان حركة ناشطة باتجاه تحسين اوضاعها والزام وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين بتقديم خدمات اوفى واكثر انسانية . وقد تجسمت هذه الحركة الناشطة بالاضرابات التي قام بها السكان وبحركات الاعتصام التي شاركت فيها قطاعات مهنية فلسطينية اسفرت دائما عن وعود بعد مماطلة ، واحيانا نادرة عن تحقيق بعض هذه الوعود تحقيقا جزئيا . وضمن المسار نفسه كانت الحركة التي قامت بها نقابة المهن الطبية الفلسطينية ــ عمال وكالة الغوث ، في الشهر الفائت والتي ابتدأت باصدار بيان شخصت فيه النقابة الاوضاع الصحية للاجئين الفلسطينيين وخدمات الوكالة التي تقدمها في هذا الصدد من جهة والاوضاع المهنية لعمال المهن الطبية في الوكالة من جهة اخرى . وقد ذكر البيان ان ميزانية القسم الطبي في الوكالة لا تتجاوز نسبة ١٥ ٪ من ميزانية الوكالة العامة ، بينما تذهب بقية الميزانية هدراً والقسم الاكبر منها « يدفع رواتب للموظفين الاجانب وسفريات ومصروفات مزاجية » . وقال البيان ان خدمات الوكالة الطبية التي تقدمها لـ ٣٥٠ ٠٠٠ فلسطيني في لبنان لا تكفي لاكثر من ٥٠ ٠٠٠ نقط ، اذ أن ٢٠ ٠٠٠ انسان لهم طبيب واحد فقط ، ونوعية الادوية السيئة لا تتعدى الدولار الواحد كل ثلاثة أشهر للشخص الواحد ، وميزانية الاشعة لا تتعدى ٥٠ ليرة لبنانية لكل ١٠ ٠٠٠ شخص في الشهر . اما اوضاع المستخدمين المهنية فقد ذكر البيان عنها ان معظم العاملين في القسم لا يزالون يتقاضون رواتب أقل من الحد الادنى للاجور المقررة في وزارة العمل منذ اكثر من عشر سنوات ، مع أن بعض العاملين في هذا القسم قد أتموا دورات تدريبية بناء على توصية من الوكالة ولكنهم لم ينالوا الزيادة التي ينالها متممو هذه الدورات ، كما ان بعض العاملين يحملون مؤهلات علمية ومهنية تعترف بها الوكالة والدولة الا انهم يتقاضون اقل بكثير مما يتقاضى حملة المؤهلات نفسها في الاقسام الاخرى ، وهناك أيضا بعض الدرجات التشجيعية التي تأتي دوريا والتي يستفيد القسم بجزء قليل منها توزع حسب الوساطة والمحسوبية والرشوة .

وهذه الصورة المعتمة دفعت العاملين في قطاع الخدمات الصحية الى مطالبة استمرت شهرين بتحسين الاوضاع ، غير أن المفاوضات والاتصالات مع مسؤولي الوكالة اسفرت عن مماطلة بلا نتائج . وقد ذكر بيان اخر للنقابة نفسها ان الوكالة ما زالت « تمعن في سياستها المعهودة بتجاهل الاحتياجات الصحية البديهية لجماهير شعبنا في المخيمات ، وما زالت تضرب عرض الحائط بكافة الطلبات المحقة التي وجهت اليها من جماهيرنا ومن العاملين فيما يسمى خدماتها الطبية على حد سواء » . وحدد البيان مطاليب النقابة بما يلي : « ● طبيب يومي ثابت في كل مخيم ● فتح عيادات في اماكن تواجد ابناء شعبنا التي لا يوجد فيها عيادات ● مضاعفة الميزانية للادوية وتحسين نوعيتها ● مضاعفة الميزانية لتصوير الاشعة ● التعاقد مع مستشفيات الولادة في كل منطقة ● تغيير بعض المستشفيات المتعامل معها حاليا نظرا لمعاملتها السيئة للمرضى ● الاجر العادل والمحق لعمل مستخدمي الخدمات الطبية » . والملاحظ ، وهو ما يجب ان يقدر عاليا ، ان النقابة قرنت مطاليب منتسبيها المهنية بالارتقاء بالخدمات المقدمة الى جماهير الشعب الفلسطيني ، وهذا الاقتران الذي هو خطوة متقدمة في النضال المطلبي يجعل المطاليب تتعدى نطاقها الفئوي لتصبح مطاليب شعبية عامة واهدافا للنضال للجماهير المعنية بها كافة . وقد تحقق ذلك عندما مثلت المفاوضات بين النقابة والوكالة فبدأ موظفو وعمال الخدمات الطبية في الوكالة الاضراب والاعتصام منذ ٣/٤ في مكاتب الوكالة في عين الحلوة وطرابلس وبعلبك وبيروت . وقد كان لهذه الخطوة صدى ووقع في اوساط جماهير المخيمات فقد التقى المضربون مع مجموعات من اللجان الشعبية الفلسطينية في المخيمات التي اكدت تأييدها للاضراب ، كذلك بدأت حملة شعبية في المخيمات لتوضيح عدالة القضية التي يدافع عنها العاملون في الخدمات الطبية (« وفا » ٣/٧) وقد أكدت اللجان الشعبية تضامنها مع موظفي الخدمات الطبية واجتمعت وفود عنها مع مسؤولي الوكالة واكدوا لهم مساندتهم للمطاليب المشروعة لهؤلاء الموظفين واعلنت هذه الوفود عن استعدادها لمشاركة المضربين في اعتصامهم كخطوة تصعيدية في وجه ممارسات مسؤولي الوكالة (وفا ٣/٩) . بجانب ذلك نهجت الاتحادات الفلسطينية النهج نفسه الذي نهجته اللجان الشعبية فقد انضم الى المضربين في الشمال موظفو الخدمات العامة واتحادا المعلمين والعمال الفلسطينيين . واكثر من ذلك فقد حفز الاضراب والمطاليب التي توحد فيها « الخاص والعام » الى تشديد النضال المطلبي على اصعدة اخرى تتكامل مع صعيد الخدمات الطبية . ففي ٣/٩ وزعت الاتحادات الشعبية الفلسطينية في صور بيانا استنكرت فيه « المؤامرة التصفوية التي تستهدف الشعب الفلسطيني » كما نددت « باعمال وكالة الغوث في المجالات التربوية والتي تهدف الى حرمان الطلاب من الكتب والمناهج الوطنية » .

هذا وقد استمر الاضراب والاعتصام حتى كتابة هذا التقرير ١٥ اذار دون ان يتمكن المضربون من نيل حقوقهم على الرغم من انهم هددوا بتصعيد الاضراب ليشمل قطاعات اوسع من سكان المخيمات .

عصام سخنيني

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

النظام الاردني في مواجهة رياح التسوية

استحوذت احداث التمرد العسكري في الجيش الاردني التي وقعت في بداية الشهر الماضي على اهتمام المراقبين السياسيين ، وذلك لما اثارته من تساؤلات حول الدوافع الحقيقية لحركة الجيش ، وما يمكن ان تحمله من مدلولات سياسية ضمن اطار التسوية المطروح . وكان من الواضح منذ البداية ان السلطات الاردنية لم توفق في اخراج ما جرى على انه « تحرك عفوي مطلبي » قام به عدد محدود من الجنود لتحسين اوضاعهم المعيشية ، ففي الوقت الذي حاولت فيه مصادر السلطة حصر القضية ضمن هذا الاطار فانها لم تنف بشكل قاطع احتمال وجود دوافع اخرى لحالة العصيان وترك وزير الاعلام الاردني عدنان ابوعوده — في حديثه لمجلة الصياد اللبنانية — الباب مفتوحا أمام مزيد من التكهنات « في انتظار ما يمكن ان تسفر عنه نتائج التحقيق » (مجلة الصياد ١٤ شباط ١٩٧٤) .

ان تصريحات الملك حسين التي جاءت بعد اضطراره لقطع زيارته المتوقعة الى الولايات المتحدة وعودته الى عمان ازالت كثيرا من الاوهام حول هذه المسألة فقد أعلن في اليوم الاول لوصوله « ان ما حدث استهدف بالحقيقة أكثر مما أعلن عنه وانه استغل من قبل بعض الاطراف للقيام بتغييرات في البلد » (النهار ٧٤/٢/١٢) . ولم يكن من قبيل المصادفة بالطبع تركيز الملك في احاديثه خلال تلك اللقاءات المكثفة واليومية مع أجهزة الحكم المدنية والعسكرية على مستقبل الضفة الغربية وتمثيل الفلسطينيين ووحدة الشعب الاردني التي غدت على حد تعبيره « حقيقة وطنية خارقة » (الدستور الاردنية ٧٤/٢/١٥) . الى ان اتهم الملك حركة المقاومة بالتدبير لتلك الاحداث تمهيدا لتدخل مسلح وذلك في خطابه الذي القاه أمام مجلس الامة في ١٤ شباط (فبراير) . واوردت وكالة الاسوشيتدبرس نبأ من عمان نسبته الى مصادر مطلعة جاء فيه ان الملك اتهم منظمة فتح بوضع خطط لاغتياله واغتيال عدد من كبار الضباط بحيث تعم الفوضى الجيش وتشله بعد عملية الاغتيال وتقوم خلايا فتح السرية بتنظيم التظاهرات في الشوارع (انترناشنال هيرالد تريبيون ٧٤/٢/١٥) . ويبدو ان هذا النبأ قد سربته مصادر النظام تسريبا فقد ذكره الملك في لقاء خاص مع عدد من النواب والمسؤولين المدنيين ولم ينشر عنه شيء في التلفزيون او في الصحف الاردنية . وبغض النظر عن صحة ادعاءات النظام هنا وما يمكن ان يكون قد رمى اليه ، فان ذلك الموقف يكشف بجلاء الهوية « السياسية » لتحرك الجيش واستبعاد ان تكون تلك المطالب المعيشية هي الدافع الاساسي والمحرك لحالة التمرد وان اتخذت هذا الطابع ظاهريا في محاولة لاستمالة العدد الاكبر من الجنود وضباط الصف ولتوفير التغطية الكافية في تسريب مطالب سياسية محددة هدف اليها محركو التمرد .

ليس ذلك جديدا فقد سيق الجيش في الاردن على الدوام في العمل تحت عناوين مضللة وغير صحيحة — كمحاربة الشيوعية وانهاء التسلط الفلسطيني — وكان من السهل هنا ايضا ان يستخدم الجيش لخدمة اغراض غير مرئية من قبل الجنود وضباط الصف والقطاع الاكبر من الضباط، وبالطبع كان بامكان مدبري التمرد العسكري ان يضعوا ما يشاؤون من الطلبات بعد خروج الجيش من الثكنات وكانت المصادر الصحفية قد تناقلت العديد من تلك الطلبات الا انه يمكن استكشاف الاتجاهات الحقيقية لحركة التمرد بالنظر الى مطالب أساسية ذات مدلول سياسي معين توضح ماهية الصراع القائم بين أجنحة النظام وعلاقته بالتسوية المطروحة وبمصير الفلسطينيين .

بعد ايلول ١٩٧٠ اتضحت معالم اتجاه جديد داخل السلطة يتزعمه الامير حسن شقيق الملك ووضع فلسفته الاولى وصفي التل الذي كان يدعو الى شعار عبر عنه فيما بعد بضرورة « أردنة الاردن » والترجمة العملية لهذا الشعار تعني :

اولا : رفض الاقليات غير الشرق اردنية وابعادها عن المسرح السياسي بعد ان لعب بعضها ولا يزال ادوارا هامة في تاريخ النظام وذلك كنتيجة لتلك الاحساسات الشوفينية والاقليمية

الحادة التي تمخضت عنها مذابح ايلول ٧٠ .

ثانيا : استتبع ذلك طرح فكرة التخلي عن مناطحة الفلسطينيين في تقرير مصير الضفة الغربية بعد ان جرى الحديث عن تسوية وشبكة غير مأمونة قد تطيح برأس النظام .

ثالثا : احكام قبضة النظام على السلطة وقيامه بتحسين الاوضاع الاقتصادية بانتهاج خط التنمية القائم على فرض مزيد من هيمنة الدولة وتدخلها في الحياة الاقتصادية وهو ما اصطلحت مصادر السلطة على تسميته « بالاختيار الثالث » أي الاختيار الواقع بين النظام الرأسمالي الحر والاختيار الاشتراكي .

رابعا : الارتباط بالامبريالية وفق مفاهيم وصيغ اكثر صلابة وذلك على النمط الكاوكي في جنوب فيتنام حيث تعدو مصادر القوة الذاتية « للنظام العميل » وقدرته على ان يلعب دورا حيويا في المنطقة من شأنها ان تعيد التوازن في علاقته بالدوائر الامبريالية وتطغي عليها شيء من الندية والحاجة المتبادلة .

ان تلك المطالب التي انصبت على ضرورة اجراء بعض التعديلات في القيادة السياسية والعسكرية وتشكيل حكومة عسكرية هي الاكثر دلالة على الاتجاه السالف الذي حاول اصحابه بحركة التمرد تشكيل ضاغط قوي على الملك للرضوخ لتلك الطلبات ، وهذا ما يفسر عدم وقوع صدامات مسلحة بين الوحدات العسكرية وعدم اختيار الملك اسلوب العنف بالسيطرة على التمرد بل آثر الفصل بين المطالب المعيشية للجنود والاهداف السياسية للتمرد ، فتحرك بسرعة باتجاه تلك المطالب المعيشية محاولا تلبيتها ليكسب ورقة رابحة من يد خصومه ، بعد ان جرى استخدام تلك المطالب بحذق نتيجة الازمة الاقتصادية الخانقة واوضاع الفساد ، وارتفاع تكاليف المعيشة في البلد ، فقام الملك بعدة خطوات على هذا الصعيد منها :

١ ــ عقد الاجتماعات اليومية مع كبار مسؤولي الدولة والجيش وزيارته لكافة الوحدات والاسلحة والتحدث الى افرادها .

٢ ــ اقرار الزيادة الفورية لكافة مراتب القوات المسلحة في الجيش والامن العام وقد حمل هذا الخزينة مبلغ مليون و٨٠٠ الف دينار في ميزانية سنة ٧٤ .

٣ ــ الاعلان عن انشاء وزارة تموين عهدت مسؤوليتها الى صادق الشرع ــ الضابط السابق ــ واتخذت بعض الاجراءات لتأمين وجود المواد الغذائية الاساسية في الاسواق كالسكر ، الرز ، الطحين ، واللحم باسعار معقولة .

٤ ــ الاتفاق مع الحكومة الرومانية لاجراء البحث عن البترول في الاردن بعد ان ذكر الملك بأن « جميع التقارير تبشر بوجود البترول وان كافة الطاقات والموارد الطبيعية من الواجب استخدامها لرفاهية المواطنين » ! (الدستور الاردنية ٢٢ شباط ٧٤) .

من جهة اخرى فقد كان أمام الملك لمواجهة حركة التمرد القيام بجملة تعديلات في القيادة العسكرية تستهدف تعزيز وضعه . ومن الواضح انه مهد الى ذلك بالادعاء بان حركة المقاومة كانت وراء احداث الزرقاء وذلك ليعطي لنفسه التغطية الكافية لضرب خصومه السياسيين فجرى تسريح عدد من كبار الضباط واحالتهم على التقاعد شملت مساعدي رئيس هيئة الاركان للعمليات والادارة اللواء سليمان قندح واللواء محمد الحاج حسن وأعلن الملك عن تعيينات جديدة في ضوء تنظيم جديد للقيادة العامة للقوات المسلحة منها : تعيين اللواء الركن محمد ادريس مساعدا لرئيس هيئة الاركان العامة للعمليات ، اللواء الركن ابراهيم ايوب مساعدا للادارة، الزعيم الركن راكان عناد الجازي مساعدا للقوى البشرية ، والزعيم الركن عبد الهادي المجالي مساعدا للتخطيط (الدستور الاردنية ٧٤/٢/٢٦). هذا في الوقت الذي جرى فيه دعم لكل من رئيس هيئة الاركان الشريف زيد ورئيس الوزراء زيد الرفاعي اللذين طالب المتمردون باقصائهما ، فمنح الملك وساما رفيعا للشريف زيد « تقديرا لجهوده في تحديث الجيش » ، وتراجع الحديث عن احتمال اجراء تعديل وزاري برئاسة حمد الفرحان او بهجت التلهوني .

*

في ظل تلك الاحداث التي شهدتها الاردن صدرت الارادة الملكية بالموافقة على قانون ميزانية الدولة لعام ٧٤ في ١٢ شباط (فبراير) بعد ان جرى اقرارها من قبل مجلس الاعيان والنواب وقد بلغت الواردات المقدرة في الميزانية ١٥٣ مليونا و٦٧ الف دينار والنفقات ١٦٥ مليون و٦٦٧ الف دينار أي

بعجز ظاهر قدره ١٢ مليون و٦٠٠ الف دينار . وثمة ملاحظات يمكن تسجيلها والوقوف عند مؤشراتها السياسية في الميزانية الاردنية الجديدة :

١ — زيادة الاعتماد على مصادر التمويل الخارجي . فمن مجموع الواردات كانت حصة المساعدات المالية والفنية الخارجية والقروض والمساعدات الاقتصادية ما يوازي ٩٧٤٠٦٧٤٠٠٠ أي ما يقارب ثلثي مواردها العامة (الحرية ٦٦١ ٧٤/٣/١١) وتبلغ حصة الموارد الاتية من مصادر عربية ٢٦٤٥ مليون بما فيها قيمة المساعدة الكويتية التي أعيدت خلال حرب تشرين (اكتوبر) والبالغة ١٢٤٥ مليون دينار .

وتغطي الدوائر الامبريالية والرجعية في المنطقة مصادر التمويل الاخرى كالولايات المتحدة التي تقدر مساهمتها بـ ٢١ مليون دينار علاوة على بعض انواع المساعدات الاميركية التي يصعب ادخالها ضمن بنود الميزانية كالمساعدات العسكرية، وكذا قروض وكالة الانماء الدولي ومؤسسة الانماء التي توازي ١٢ مليون دينار وقروض المانيا الغربية وايران التي وقعت هي الاخرى اتفاقا بقرض الى الاردن بمبلغ ثمانية ملايين دولار في نهاية العام الماضي (العمل اللبنانية ١٩٧٤/١٢/١٨) .

٢ — ان الميزانية لا تستند على مصادر دخل مؤكدة ومن المتوقع لذلك ان يزيد العجز عن ١٢٤٦٠٠٤٠٠٠ الواردة فيها ، وبالطبع سيجري تغطية هذا العجز بمزيد من القروض والتمويل الخارجي كما صرح بذلك ذوقان الهنداوي وزير المالية الاردني (سكتش لبانون ٧٤/٢/١).

٣ — ان الضرائب غير المباشرة لا زالت تمثل النصيب الاكبر من الواردات المحلية وهذا يعني الحاق مزيد من الضرر بذوي الدخل المحدود من سواد الشعب .

٤ — اما اتجاهات الانفاق فتوضح الى حد بعيد المرامي السياسية التي تحكم حركة النظام في هذه المرحلة فهو من جهة قد أعاد دفع المبالغ المخصصة كرواتب للموظفين في الضفة الغربية (١٨ مليون دينار) عدا عن تقديمه تسهيلات اضافية اخرى بالعبور على الجسور والضرائب وذلك في محاولة للسعي لشراء ولاءات الفلسطينيين وتمشيا مع تلك السياسة الجديدة للنظام بعد حرب تشرين (اكتوبر) التي سمتها صحيفة هآرتس الاسرائيلية سياسة « ابتسم للضفة الغربية » .

ثم ان جانبا من تلك النفقات ستخصص لمشاريع التوطين المقترحة للفلسطينيين في مناطق الاغوار ، وكان شمعون بيريس — وزير المواصلات الاسرائيلي — قد صرح في ايلول (سبتمبر) الماضي ان حكومته تسعى لتنفيذ مشروع لاعادة توطين اللاجئين يكون بديلا لخدمات وكالة الغوث وينفذ برعاية اسرائيلية. واقترح بيريس تحويل ميزانية الوكالة المخصصة للضفة الغربية وقطاع غزة الى الاردن وقال ان الاقتراح قدم الى الاردن عن طريق نيويورك ولاقى استحسان الاوساط الاردنية (جيروزاليم بوست ٧٣/٩/٢٢) وصرح يورغن فيشنابسكي الامين العام للحزب الاشتراكي الديمقراطي في المانيا الغربية اثناء زيارة له في الاراضي المحتلة الشهر الماضي بأن الملك حسين مستعد لتوطين اللاجئين الفلسطينيين (الثورة العراقية ٧٤/٢/١٤).

من جهة ثانية فقد اوضحت اوجه الانفاق الحكومي زيادة ملحوظة في ميزانية الدفاع على حساب الرفاهية العام للشعب ورغم سعي النظام الحثيث للصلح مع اسرائيل فبلغت النفقات الجارية للجيش بـ ٤٣٤٦٠٠٤٠٠٠ دينار والامن العام بـ ٦٤٥٥٠٤٠٠٠ دينار علما بأن الميزانية جاءت خلوا من اشكال المساعدة العسكرية غير المنظورة والمسجلة . وكان رئيس الاركان الاردني قد زار الولايات المتحدة قبيل عيد الميلاد على رأس وفد عسكري بغرض توسيع الجيش وتعزيز أسلحته وكشف الملك النقاب عن ان الحكومة الاردنية قد وضعت برنامجا للتسلح قيمته مليار و٧٥ مليون دولار موزعا على اربع سنوات يشمل تزويد القوات المسلحة بالصواريخ المضادة للدبابات والطائرات المقاتلة والقواعد الجوية ومحطات الرادار (النهار ٧٤/٢/١٤) بينما تحدثت صحيفة سكتش لبانون عن برنامج آخر بلغت قيمته ٤٥٠ مليون دولار يرمي الى زيادة الجيش الاردني بحجم فرقتين مدرعتين وثلاث فرق آلية محمولة . وتطوير سلاحه الجوي بتزويده بسربين من الطائرات المقاتلة طراز FSE المقاتلة وطائرات هيلوكبتر مسلحة من طراز HUYE ورغم عدم تأكيد استجابة الولايات المتحدة للطلبات الاردنية فان تلك الارقام تعكس طموح النظام واصراره على لعب دور الاداة الامبريالية في المنطقة . ومن الملاحظ ان قيمة المساعدة المقررة لكل من اسرائيل والاردن قد استثنيت من المبدأ

العام في التخفيض من قيمة المساعدات الاجنبية الذي أقره مجلس الشيوخ الامريكي في نهاية العام الماضي (سكتش لبانون ٧٤/٢/٢٢). وعلق المراقبون في حينه بأن الاردن لا يزال يعتبر عاملا مهما جدا للاستقرار في الشرق الاوسط (المحرر ٧٤/١/١١) . لقد استخدمت تلك المساعدات الاميركية للاردن على الدوام لتغطية المساعدات الهائلة المقدمة الى اسرائيل ونالت اسرائيل لوحدها ٢،٥ مليار دولار بين الخمسة المليارات المقررة للمساعدات الخارجية ولم يمنع ذلك عددا من اعضاء الكنيست الاسرائيلي عن التقدم باقتراح للاحتجاج على الولايات المتحدة في نهاية الشهر الماضي لورود انباء عن تزويدها الاردن بصواريخ تاو TOW المضادة للدبابات (نشرة الرصد ٧٤/٢/٢٠) .

*

جاءت احتمالات التسوية السياسية اخيرا لتدفع النظام الاردني الى تحرك سياسي نشيط في محاولة لاستثمار وتوظيف كافة النتائج التي يمكن ان تتمخض عنها التسوية . وبادر النظام الى تقديم مشروع « لفك الارتباط » مع الاسرائيليين في محاولة لقطع الطريق على الثورة الفلسطينية وتناقلت الانباء في بداية شباط (فبراير) الماضي انباء مشروع اردني قدم الى الحكومة الاسرائيلية بواسطة وزير الخارجية الاميركي هنري كيسنجر ويقضي المشروع باخلاء الاسرائيليين لمواقعهم في الضفة الغربية لمسافة ١٢ — ١٥ ميلا غرب النهر بحيث توضع الاراضي التي ينسحبمنها الاسرائيليون تحت الادارة المدنية الاردنية (النهار ٧٤/٢/٢). لكن الحديث عن مصير الضفة الغربية لم يكن ليستقبل بالحماس على ما يبدو من طرف الاسرائيليين او الاميركيين قبل الوصول الى صيغة اتفاق على الجبهة السورية . حيث يمكن ذلك الملك من دخول التسوية بصورة أقوى ويمنحه المبرر الكافي للاعلان عن مشاريعه .

على صعيد آخر فان تلك النجاحات السياسية التي حققتها منظمة التحرير الفلسطينية باعتبار انها الممثل الشرعي الوحيد للفلسطينيين والتي جاء آخرها في قرارات مؤتمر القمة الرباعي في الجزائر ومؤتمر القمة الاسلامي في لاهور خلال الشهر الماضي لم تغير بعد من الموقف الرسمي الاردني تجاه قضية تمثيل الفلسطينيين التي لا زال يعتبر نفسه شريكا فيها ولم يغير من ذلك موقف الوفد الاردني الى لاهور وعدم اعتراضه على الفقرات الخاصة باعتبار منظمة التحرير هي الممثل الشرعي الوحيد للفلسطينيين اذ اعلن عدنان ابو عوده — وزير الاعلام الاردني — في اليوم التالي « ان ليس هناك ثمة جديد في موقف الاردن » (الديلي ستار ٧٤/٢/٢٢) . بينما تجاهلت الصحف الاردنية القرار المتعلق بمنظمة التحرير الفلسطينية في عرضها للبيان الختامي للمؤتمر .

ان النظام الاردني في سعيه لدعم مواقعه والالتفاف حول قضية تمثيل الفلسطينيين يحاول جاهدا الاختفاء وراء شعارات « العمل العربي الواحد » و« ضرورات تنسيق الموقف العربي » وقام الملك لهذا الغرض بجملة جولات عربية في الاونة الاخيرة او اوفد مبعوثين خاصين كانت آخرها زيارة بهجت التلهوني — رئيس الديوان الملكي — وعبد المنعم الرفاعي — مستشار الملك للشؤون الدولية — هذا الشهر الى كل من سوريا ولبنان ، بينما يزمع الملك القيام بجولة جديدة بعد عودته من وشنطن .

ان ذلك الحديث الذي اجراه الرئيس السوري حافظ الاسد مع مجلة الصياد اللبنانية في بداية هذا الشهر يوضح خيبة الامل الاردنية رغم ذلك التحرك الواسع فقد اوضح الرئيس الاسد في اول اشارة رسمية سورية لموقف الاردن خلال الحرب الى ان الاردن رفض باصرار الاشتراك في الحرب بفتح جبهته مع اسرائيل رغم الظروف المؤاتية الى ذلك « وانه قام بارسال تلك القوات الى الاراضي السورية من قبيل رفع العتب ليس الا » (مجلة الصياد ٧٤/٣/٥) .

الملك من ناحية اخرى يرى ان التفاهم مع قيادة العمل الفلسطيني انهاء لمشاكله في هذه المرحلة وقد ذكرت مصادر المقاومة الفلسطينية والسلطة الاردنية كلاهما انه قد جرت عدة محاولات من طرف النظام بهذا الاتجاه بايفاد عدد من المبعوثين الخاصين والعرب وقد يكون الرئيس الروماني تشاوشيسكو قد ساهم في تلك المحاولات اثناء زيارته الى المنطقة في الشهر الماضي الا ان تلك المحاولات قد ووجهت بالرفض من طرف المقاومة على ما يبدو . وقد انصبت تخمينات المراقبين

السياسيين الى احتمال اتخاذ الملك موقفا جديدا بعد زيارته الحالية الى واشنطن ، وكانت وكالة اسوشيتدبرس قد ذكرت في رسالة لها من عمان في ٢٧ شباط (فبراير) الماضي ان الملك حسين قد يتخلى عن محاولته لفرض سيطرته على الضفة الغربية وقدرت ان نقطة التحول الجديد في السياسة الاردنية ستأتي مع زيارة كيسنجر الاخيرة الى الاردن التي جاءت في الثالث من هذا الشهر ، الا ان ذلك لم يتم ونفى رئيس الوزراء الاردني زيد الرفاعي نفيا قاطعا تلك الانباء (النهار ٢/٢٨/ ٧٤) ومن الجدير بالذكر ان العلاقات الاردنية — الاميركية كانت مثارا لنقاش طويل طيلة الفترة الاخيرة بعد ان اثار تقرير لصحيفة النهار اللبنانية من عمان في الثامن عشر من الشهر الماضي الشكوك حول تلك العلاقة . وصدرت في عمان في الوقت نفسه بعض الايحاءات في اعتبار ما جرى داخل الجيش من اضطرابات في الزرقاء انه قد جاء بتأثير من الولايات المتحدة لاضعاف موقف الملك حسين في محادثاته مع نيكسون . وان الولايات المتحدة تمارس ضغطا على الملك لاقامة الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية المحتلة بعد انسحاب الاسرائيليين ورغم النفي الرسمي لتلك الانباء والتصريحات التي أطلقت عقب زيارة كيسنجر عن « العلاقات الممتازة » وعن التقاء وجهات النظر الاردنية — الاميركية (الدستور الاردنية ٢/١٩ ، ٧٤/٣/٤) الا انه سيظل من الواضح ان تسوية ما ستأخذ بعين الاعتبار حقوق الفلسطينيين ومن الامور الاكثر قبولا ان يتم ذلك على حساب نظام الملك وليس على حساب اسرائيل كما أفصح بذلك كيسنجر نفسه في الخريف الماضي امام المصمودي وزير الخارجية التونسي آنذاك (البلاغ ٢/٢٥/ ٧٤) .

سيظل ذلك بالطبع مرهونا في التصور الشامل للتسوية وصيغتها النهائية التي هي بالتالي محصلة لحسابات القوى والتوازنات في المنطقة وقد جاءت انباء واشنطن الاخيرة لتؤكد عزم الدوائر الامبريالية على استمرار الدفع بالنظام الاردني للاضطلاع بدوره الخاص في المنطقة ، فنقلت وكالة « اليونايتدبرس » عن مصادر عسكرية في وشنطن « ان الملك حسين تلقى تأكيدات من مستويات رفيعة بأن المساعدات العسكرية الاميركية لبلاده ستستمر » ويأمل الملك في الحصول على قاذفات مطاردة من طراز ف — ٥ ودبابات مزودة بمحرك ديزل وأكدت المصادر الاميركية ان تكاليف هذه العملية تبلغ ٤٠٠ مليون دولار .

وذكر الملك بوضوح كاف — في حديث خاص مع صحيفة النيويورك تايمس — « ان تلك المساعدة ضرورية كي يصبح في امكانه مواجهة تطورات الوضع ، وانه في ذلك لا يفكر في اسرائيل فحسب، بل في سوريا والعراق ايضا » (النهار ٧٤/٣/١٦)، هذا بينما كشف مراسل الشؤون العسكرية في صحيفة « ستار نيوز » المسائية الصادرة في واشنطن المزيد من التفاصيل حول حجم المساعدة الاميركية العسكرية الى الاردن وأبعادها السياسية (نشرة الرصد ٧٤/٣/١٤) .

قد يكون من شأن تلك الانباء الاخيرة ان تردنا في التحليل الى الفحص بعناية في ملامح ذلك الدور المطروح على النظام القائم في الاردن في ظل التسوية السياسية . والى ربط ذلك ميكانيكيا بحدود دائرة الفعل والتأثير للثورة الفلسطينية في هذه المرحلة الدقيقة .

عباس مراد

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

كان أهم تطور دولي على صعيد القضية الفلسطينية في الشهر الماضي استمرار المساعي الامريكية لتحقيق اتفاق فك الارتباط العسكري على جبهة الجولان . ويذكر القارىء انه عند اتمام المفاوضات حول اتفاقية فك الارتباط العسكري على جبهة قناة السويس صرح كل من الرئيس السادات والدكتور كيسنجر بأن سياسة بلاده ملتزمة التزاما قويا بتحقيق اتفاق مشابه على الجبهة السورية . وبعد البدء بعملية تنفيذ فك الارتباط في مصر توجت الجهود الامريكية (والمصرية معها) نحو العمل على الوصول الى نتائج مشابهة في سوريا . ودخلت هذه المساعي مرحلتها الجدية في الاسبوع الثاني من شهر شباط حيث انعقد مؤتمر قمة عربي مصغر في الجزائر (٧٤/٢/١٢) ضم الملك فيصل والرؤساء أنور السادات وحافظ الاسد وهواري بومدين . بحث اجتماع القمة ثلاثة مواضيع رئيسية هي : ١ — قضية رفع الحظر العربي على شحن النفط الى الولايات المتحدة وهو مطلب كان الرئيس السادات يضغط باتجاه تحقيقه منذ أن تم التوصل الى اتفاق فك الارتباط المصري الاسرائيلي . كذلك كانت الولايات المتحدة تلح باستمرار على الزعماء العرب المعنيين كي يعملوا على رفع الحظر . وكما هو معروف أخذت السعودية تميل الى موقف مصر بينما وقفت دول عربية اخرى (ليبيا والجزائر بصورة رئيسية) موقف المعارض لرفع الحظر قبل تحقيق نتائج ملموسة في جبهة الجولان . ٢ — قضية فصل القوات في جبهة الجولان . ٣ — قضية تمثيل الشعب الفلسطيني في مؤتمر جنيف للسلام . وتمخضت القمة العربية المصغرة عن خطوتين هامتين : اولا صدور بيان مشترك أكد الاجماع التام بين الرؤساء حول القضايا التي بحثت ودعا الى الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة والى ضمان حقوق الشعب الفلسطيني في ارضه ووطنه . ثانيا اتخاذ قرار بايفاد وزير خارجية مصر (اسماعيل فهمي) ووزير الدولة السعودي للشؤون الخارجية (عمر السقاف) الى واشنطن في مهمة مشتركة . وبالفعل غادر الوزيران الجزائر باتجاه العاصمة الامريكية فور انتهاء المؤتمر وهما يحملان رسالة من الزعماء العرب الاربعة الى الرئيس نيكسون . وقد ترددت انباء تقول ان الوزيرين العربيين حملا معهما مشروعا سوريا لفصل القوات، وفي واشنطن أجرى الوزيران محادثات مطولة مع كيسنجر والرئيس نيكسون تناولت موضوع فصل القوات في جبهة الجولان واحتمالات رفع الحظر عن شحن النفط العربي الى امريكا او تخفيفه . وعلى اثر انتهاء المقابلة مع الرئيس الامريكي صرح نيكسون بأن وزير خارجيته سيقوم بجولة جديدة في عواصم الشرق الاوسط لاجراء محادثات مع المسؤولين المعنيين بهدف الوصول الى اتفاق حول فصل القوات العسكرية الاسرائيلية — السورية . كما وصف مباحثاته مع الوزيرين العربيين بانها كانت « بناءة جدا » . وشدد نيكسون في تصريحه على ان هدف كل الحكومات المعنية بأزمة الشرق الاوسط ليس مجرد تحقيق تسوية مؤقتة بل ايجاد سلام دائم مع عودة العلاقات الطبيعية الدبلوماسية والاقتصادية بين البلدان المعنية . كذلك أعلن فهمي بأنه « مسرور جدا لاستمرار الولايات المتحدة في العمل من أجل سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط » وشكر امريكا على جهودها ومساهماتها الفعالة في تحقيق فك الارتباط على جبهة السويس كما رحب بقرار نيكسون بارسال وزير خارجيته الى المنطقة من جديد لاجراء اتصالات بين سوريا واسرائيل . وترددت انباء تقول بان من أهداف رحلة كيسنجر التمهيد لزيارة سيقوم بها نيكسون نفسه الى بعض عواصم دول الشرق الاوسط وكانت مصادر مسؤولة في البيت الابيض قد أعلنت ان الرئيس نيكسون يرغب في القيام بجولة في المنطقة بعد جولته الاوروبية المقررة في شهر نيسان . وأضافت هذه المصادر ان الرئيس الامريكي يريد من الذهاب الى الشرق الاوسط ابراز الدور الذي قام به في مساعي التسوية السلمية . وبالنسبة لاهمية النتائج التي أسفرت عنها هذه الزيارة لواشنطن ذكرت مراجع امريكية مطلعة ان الولايات المتحدة كانت قد قررت تجميد مساعيها لحل ازمة الشرق الاوسط بسبب استمرار الحظر النفطي عنها ، الا ان مبعوثي القمة العربية المصغرة قد « نجحا » في اقناع الرئيس نيكسون بالعودة عن قرار التجميد . كما ترددت انباء ان القمة

العربية قررت رفع حظر النفط قريبا على ان يعاد فرضه طبقا لنوعية التسوية التي تبذلها امريكا في تحقيق التسوية في المنطقة . وكان من نتائج الزيارة ايضا ، على ما يبدو ، عدم لجوء نيكسون الى « لهجة التهديد والتحذير » في كلامه عن أزمة الشرق الاوسط وذلك في المؤتمر الصحفي الذي عقده على اثر انتهاء زيارة الوزيرين العربيين اذ أبدى الرئيس الامريكي شيئا من الليونة في لهجته قياسا الى التهديدات التي كان يطلقها هو ووزير خارجيته في السابق . الا انه عاد الى تأكيد الموقف الامريكي الداعي الى الفصل بين ما يجري على جبهة المفاوضات العربية الاسرائيلية من ناحية وبين مسألة رفع الحظر النفطي العربي . وألمح نيكسون الى ان استمرار الحظر لا بد وان يبطىء الجهود الامريكية المبذولة لتحقيق التسوية .

في ٢٦ شباط بدأ كيسنجر زيارته للمنطقة التي شملت دمشق والقاهرة والرياض وعمان وتل ابيب، كانت اول محطة له هي دمشق حيث اجرى محادثات مطولة مع الرئيس الاسد ثم انتقل بعدها الى تل ابيب ثم عاد الى دمشق مرة ثانية . وقد أسفرت هذه التنقلات والمحادثات عن النتائج الهامة التالية : ١ ــ نقل كيسنجر لقائمة بأسماء الاسرى الاسرائيليين في سوريا الى تل ابيب وسماح السلطات السورية لممثلي الصليب الاحمر الدولي بزيارة الاسرى . وقد ذكرت مصادر سورية ان الرئيس الاسد تلقى بالمقابل وعودا خازمة من الوزير الامريكي بالعمل على اقناع اسرائيل بضرورة الانسحاب من الجولان المحتلة . ٢ ــ أخذ كيسنجر علما بوجهة النظر السورية حول موضوع فصل القوات ونقلها الى الحكومة الاسرائيلية . وذكرت مصادر مطلعة ان سوريا تصر على ان يشمل الانسحاب الاسرائيلي في عملية فصل القوات مدينة القنيطرة . ٣ ــ نقل كيسنجر الى الرئيس الاسد مقترحات اسرائيلية حول فصل القوات رفضتها سوريا لانها لا تدعو الى انسحاب القوات الاسرائيلية الا من المناطق المحتلة في حرب اكتوبر ١٩٧٣ . ٤ ــ موافقة كل من سوريا واسرائيل على ارسال مندوبين عسكريين ودبلوماسيين الى واشنطن في المستقبل القريب للتفاوض من خلال كيسنجر حول المرحلة الاولى من فصل القوات في مرتفعات الجولان . وقد أعلن نيكسون في مؤتمر صحفي عقده في ٧ آذار قبول اسرائيل وسوريا ارسال ممثلين عن كل منهما الى واشنطن للبحث في الموضوع المذكور وأكد بهذه المناسبة التزام بلاده باستخدام أقصى ما عندها من نفوذ لدى سوريا واسرائيل لتحقيق فصل القوات في الجولان في أسرع وقت ممكن على اساس عادل ومنصف لكلا الطرفين على حد تعبير نيكسون . وقد ترددت انباء صحفية منسوبة الى مصادر دبلوماسية في القاهرة ان الاتحاد السوفياتي اقترح اجراء محادثات فصل القوات السورية الاسرائيلية في اطار لجنة عسكرية تابعة لمؤتمر السلام في جنيف حيث سيكون من الممكن للاتحاد السوفييتي مشاركة امريكا في الاشراف على المحادثات . الا انه يبدو ان كيسنجر نجح في اقناع المسؤولين السوريين بأفضلية عقد هذه المحادثات في واشنطن وتحت اشرافه هو فقط . فاذا نجحت هذه المحادثات ستنقل عندئذ الى مؤتمر السلام في جنيف .

وفي القاهرة أجرى الوزير الامريكي محادثات مع الرئيس السادات ادت الى اعلان استئناف العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة. وأعلن السادات بهذه المناسبة دعوته الرئيس نيكسون لزيارة مصر . وجاءت الدعوة في مؤتمر صحفي امتدح فيه السادات جهود كيسنجر التي « لا تكل في البحث عن السلام » ووجه عبره نصيحة الى الرئيس حافظ الاسد « بأن يعطي فرصة للدكتور كيسنجر كي يستطيع العمل على تحقيق في سوريا ما حققه في الجبهة المصرية » ، كما أشاد بالموقف الايجابي الجديد للولايات المتحدة من ازمة الشرق الاوسط معتبرا اعادة العلاقات الدبلوماسية فاتحة عهد من الصداقة المتينة بين البلدين . وأشار الى ان المرحلة الثانية من مؤتمر جنيف تتوقف على نجاح فك الارتباط على الجبهة السورية وانه لا يمكن الحديث عن السلام في جنيف بدون الفلسطينيين . وقد حضر كيسنجر ، برفقة وزير خارجية مصر الاحتفال برفع العلم على السفارة الامريكية . وصرح كيسنجر بهذه المناسبة بأن بلاده ستعمل مع مصر من أجل اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط ومن اجل تحقيق التقدم والاستقرار في المنطقة . كما أكد رغبة بلاده « في ان يعلم اصدقاؤنا المصريون على ان حكومة الولايات المتحدة ملتزمة بالعمل على تحسين العلاقات بين البلدين بصورة مطردة ، وعلى تدعيم اواصر الصداقة بينهما » . واختتم الوزير الامريكي

رحلته في المنطقة بزيارة للاردن حيث قابل الملك حسين وبحث معه في موضوعين رئيسيين: العلاقات الامريكية الاردنية وجهود امريكا للوصول الى تسوية سلمية في المنطقة . وذكرت مصادر مطلعة ان كيسنجر أكد للملك بأنه لن يتم اتخاذ ايسة قرارات تتعلق بالاردن بدون الرجوع سلفا الى السلطات الاردنية ، ووصف كيسنجر محادثاته في الاردن بأنها «ودية كالعادة وتعكس الصداقة القائمة بين البلدين » كما اشار الى ان الاتفاق كان كاملا في وجهات النظر حول الموضوعات التي تناولتها المحادثات . وأكد ان العلاقات بين البلدين ممتازة. كذلك اشار رئيس الوزراء الاردني (زيد الرفاعي) الى الاتفاق التام الذي توصل اليه الجانبان في المباحثات .

وعلى اثر انتهاء جولة كيسنجر صرح مسؤول امريكي ومقرب جدا من وزير الخارجية بأنه لم يعد هناك مبرر لاستمرار حظر النفط العربي على الولايات المتحدة بعد دخول سوريا في المساعي الرامية الى تحقيق السلام في المنطقة . أي ان الحكومة الامريكية تعتبر ان تقدما ملموسا قد تم احرازه باتجاه فك الارتباط العسكري في جبهة الجولان وذلك بجهودها ، مما يعني ضرورة مقابلة العرب لهذه الجهود بالمثل .

أما بالنسبة للنشاط الدبلوماسي السوفياتي حول ازمة الشرق الاوسط هذا الشهر فقد اتخذ شكل عدة زيارات قام بها وزير خارجيته — اندريه غروميكو — هدفها اجراء مباحثات مع كبار المسؤولين المعنيين حول التطورات التي طرأت على الوضع في المنطقة . كانت زيارته الاولى لفرنسا في النصف الثاني من شهر شباط حيث أكد من جديد الموقف السوفياتي ازاء النزاع العربي الاسرائيلي ، مشددا على انه لا بديل لجلاء القوات الاسرائيلية عن كل الاراضي العربية المحتلة من أجل احلال السلام في المنطقة . كما دعا الى الفصل بين القوات السورية والاسرائيلية وجلاء الاخيرة عن كل الاراضي السورية المحتلة . وأكد ان بلاده تؤيد اشتراك سوريا في مؤتمر جنيف للسلام . وفي اواخر شهر شباط قام غروميكو بزيارة مزدوجة الى دمشق على رأس وفد رسمي حيث أجرى محادثات مطولة مع الرئيس حافظ الاسد تناولت اخر التطورات في الشرق الاوسط وموضوع فصل القوات على جبهة الجولان . وفي اول آذار سافر الوزير السوفياتي الى القاهرة حيث قابل الرئيس السادات ثم عاد مباشرة الى سوريا . وفي دمشق تناولت محادثاته قضايا تدعيم علاقات التعاون بين البلدين والتأكيد على ان مصلحة البلاد العربية تتمثل في تسوية يضمنها الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة معا لا امريكا لوحدها . وترددت انباء تفيد ان الرئيس السادات طلب من غروميكو اقناع السلطات السورية بالتحلي بمزيد من الواقعية والصبر فيما يتعلق بمسألة فك الارتباط على جبهة الجولان . وعلى اثر انتهاء زيارته الثانية لدمشق صدر بيان مشترك أعرب عن الارتياح لتطوير العلاقات الثنائية بين البلدين . وأكد موقفهما الثابت بأنه لا يمكن احلال سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط الا على اساس الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من كل الاراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق القومية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني . كما شدد البيان على ان اي اتفاق حول سحب القوات يجب ان يعتبر الخطوة الاولى على طريق سحب القوات الاسرائيلية سحبا كاملا من كل الاراضي العربية المحتلة على اساس مواعيد محددة سلفا (جدول زمني للانسحاب) باعتبار ان مثل هذا الاجراء هو جزء لا يتجزأ من التسوية العامة اللازمة في المنطقة . كذلك أكد البيان حق سوريا الشرعي في استخدام كافة الاساليب الفعالة لتحرير اراضيها المحتلة واهمية اشتراك الاتحاد السوفياتي في الجهود الرامية الى اقامة السلام في المنطقة وفي كل المراحل التي ستمر فيها عملية التسوية .

أما في القاهرة فقد أعلن الرئيس السادات بمناسبة استقباله لغروميكو انه جدد الدعوة الى الزعيم السوفياتي بريجنيف لزيارة مصر ، وانه تلقى رسالة من القيادة السوفياتية سيرد عليها حالا . ووصف غروميكو محادثاته في مصر بأنها كانت مفيدة جدا . وأكد ما قاله الرئيس السادات بأن الاتفاق بينهما كان تاما حول كل نقطة تطرق اليها البحث . وبهذه المناسبة أعلن وزير الخارجية المصري انه كان واضحا خلال المحادثات مع غروميكو بأن الاتحاد السوفياتي يعتبر منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني وان المحادثات تناولت الضمانات الضرورية لحقوق الشعب الفلسطيني . وعلى اثر

انتهاء الزيارة صدر بيان مشترك أكد ان البلدين يعتبران اتفاق فصل القوات على جبهة السويس خطوة اولى في طريق التسوية الشاملة لازمة الشرق الاوسط . وشدد على ضرورة اشتراك الاتحاد السوفياتي في كل مراحل تسوية الازمة وفي لجان العمل التي أنشأها مؤتمر جنيف . كما أشار الى ضرورة الاشتراك الفلسطيني في محادثات السلام في جنيف . وجدير بالملاحظة انه على الرغم من اشارة البيان المشترك الى تطوير روابط الصداقة والتعاون بين البلدين يبدو ان الاتحاد السوفياتي غير مرتاح على الاطلاق للسيطرة التي حصلت عليها الولايات المتحدة في تسيير جهود التسوية السلمية حتى الان . كما ان الاتحاد السوفياتي قلق ازاء التقارب المصري الامريكي السريع والشديد. وقد ظهر هذا واضحا في الخطاب الذي ألقاه غروميكو في القاهرة حيث حذر العرب من نوايا الولايات المتحدة قائلا ان « خصوم السلام العادل في الشرق الاوسط يريدون استبدال التسوية الحقيقية للنزاع بمختلف أشكال ما يسمى بالحلول الجزئية لو استطاعوا الى ذلك سبيلا ». وبين الوزير السوفياتي في كلامه ان هؤلاء يريدون فصل الدول العربية عن حلفائها وبث الشقاق بينهما ، ولذلك دعا مصر الى تحسين علاقاتها بالاتحاد السوفياتي وترسيخ التلاحم بين البلدين بدون ان يؤثر ذلك بصورة سلبية على أي طرف ثالث (أي الولايات المتحدة) . وفي كلامه عن العلاقات المصرية السوفياتية حذر بأنه لا يجوز التحرك الى الوراء بل يجب استخدام كل الامكانات المتاحة للتقدم الى الامام . وتعهد بان تسير بلاده بهذا الاتجاه قائلا انه « اذا فعلت مصر كذلك فان صداقتنا لن تكون أقل صلابة من قاعدة الاهرام المصرية المشهورة » . وجاء تعبير آخر عن هذا القلق السوفياتي في تعليق وزعته وكالة انباء نوفوستي (٥ آذار ١٩٧٤) تحت عنوان يفسر نفسه بنفسه وهو « يجب على الدول العربية ان تبقى حذرة . الولايات المتحدة لا تهتم مطلقا بالسلم في الشرق الادنى بل همها الوحيد هو تأمين الاستقرار على خطوط فك ارتباط القوات ورفع حظر النفط العربي » . وبين المقال ان السياسة السوفياتية ستكون أكثر تحركا في المنطقة بعد اتمام عملية فك الارتباط على الجبهة السورية لانها ترى ان السياسة الامريكية لا تهدف الى أكثر من تحقيق فك الارتباط هذا . وعلى الجانب المصري فقد نشرت صحيفة « أخبار اليوم » مقالا لرئيس تحريرها (٣ آذار) انتقد فيه معاهدة الصداقة والتعاون المصرية السوفياتية قائلا « ان الكثيرين يعتبرون ان هذه المعاهدة لم تعد مفيدة خصوصا بعد التفاهم بين واشنطن وموسكو » . وشدد على ان مصر تتبع سياسة توازن بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . وذكرت مصادر دبلوماسية مطلعة ان غروميكو عرض على الزعيمين مساعدات طويلة الاجل ودعما سياسيا كاملا بهدف التخفيف من الاتجاه الموالي للولايات المتحدة الذي يتصاعد في المنطقة .

*

قام الزعيم الروماني تشاوشسكو بجولة على بعض البلدان العربية في ١٣ شباط شملت ليبيا ولبنان وسوريا والعراق . وكانت أول عاصمة زارها الرئيس الروماني هي طرابلس حيث تباحث مع الرئيس القذافي في العلاقات الثنائية بين البلدين وقضايا النفط وتطورات الوضع في الشرق الاوسط. وقد اغتنم القذافي هذه الفرصة لتوجيه النقد الى السياسة الرومانية بسبب عدم قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل، ولكونها الدولة الشيوعية الوحيدة التي ما زالت تقيم مثل هذه العلاقات . وشدد تشاوشسكو في خطابه على التعاون بين البلدين ومطالبة بلاده بضرورة احلال السلام العادل في المنطقة العربية مما يعني الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة وحل مشكلة الشعب الفلسطيني باعطائه حق تقرير مصيره بنفسه . كما اجتمع الرئيس الروماني الى ممثل الثورة الفلسطينية في ليبيا . وفي لبنان أعلن الرئيس الروماني انه من الضروري اقامة دولة فلسطينية في المنطقة كجزء من التسوية السلمية للنزاع وأكد ان سياسة رومانيا لا يمكن ان تتفق ابدا مع السيطرة على اراضي الاخرين بالقوة مشددا على ضرورة انسحاب اسرائيل من كافة الاراضي العربية المحتلة . كما بين ان بلده ترحب باتفاق فصل القوات على جبهة السويس باعتباره خطوة اولى على طريق الانسحاب الاسرائيلي المذكور . واثناء وجوده في بيروت قابل تشاوشسكو ياسر عرفات على رأس وفد يمثل المقاومة الفلسطينية . وقد أكد تشاوشسكو للوفد ان بلاده تدعو الى الانسحاب الاسرائيلي الكامل

وتطالب بتأمين الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومنحه حق تقرير المصير .

بعد لبنان زار الزعيم الروماني دمشق حيث اجرى محادثات مع الرئيس حافظ الاسد وقد وصف مصدر سوري مأذون هذه الزيارة بأنها تمثل « حدثا ذا اهمية خاصة بالنسبة الى مستقبل العلاقات المتنامية بين سوريا ورومانيا وبالنسبة الى مساهمة رومانيا في المساعي المبذولة من اجل التفاهم والتعاون الدوليين لمصلحة قضية السلام في الشرق الاوسط والامن في العالم . » وتناولت المحادثات في دمشق العلاقات الثنائية بين البلدين وقضية فصل القوات في جبهة الجولان . وصدر بيان مشترك اكد على اتفاق البلدين على أنه لا يمكن تحقيق سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط الا بانسحاب القوات الاسرائيلية الشامل من كل الاراضي العربية المحتلة وبحل عادل لمشكلة الشعب الفلسطيني . كما أشار البيان الى انه يجب اعتبار اتفاق الفصل بين القوات في جبهة قناة السويس خطوة اولية على طريق السلام العادل والدائم . كما دعا الى تدعيم الجهود وتنسيقها بين كل الدول والقوى التقدمية من أجل تشكيل جبهة عريضة متحدة للتصدي لضغوط الامبريالية وتحقيق الحرية والسلام في العالم .

أنهى تشاوتشسكو جولته العربية في بغداد حيث جدد الدعوة للرئيس العراقي لزيارة رومانيا وتناولت المحادثات مع الرئيس البكر وجهات نظر البلدين في القضايا التي تهمهما . وجرى ذلك « في جو من الصراحة والاخلاص » . ولم يصدر اي بيان مشترك عن الزيارة .

*

على صعيد دول اوروبا الغربية كان اهم تطور هذا الشهر الموقف الذي اتخذته فرنسا في مؤتمر الطاقة المنعقد في واشنطن في اواخر الاسبوع الثاني من شباط بدعوة من حكومة الولايات المتحدة . وقد اشتركت في هذا المؤتمر ١٣ دولة رئيسية من الدول المستهلكة للنفط ضمت بينها كندا واليابان. وحضر ممثلون عن الاسرة الاقتصادية الاوروبية ومنظمة التعاون الاقتصادي والانماء . ومن المعروف ان الولايات المتحدة ضغطت بشدة على عدد كبير من الدول الصناعية من اجل تشكيل كتلة مجابهة لمواجهة الدول المصدرة للنفط وخاصة الدول العربية . وكان هدف عقد هذا المؤتمر وضع استراتيجية تضمن للدول الصناعية القدرة على مواجهة طاقة الدول المصدرة المتزايدة على التحكم بنفطها وبأسعاره . لذلك هاجم كيسنجر في خطابه الافتتاحي رفع اسعار النفط الخام والاتفاقات الثنائية بين عدد من الدول الاوروبية المستهلكة والدول المنتجة لتأمين حاجات الدول من النفط . وقد عمل الموقف الفرنسي المعارض والمستقل الى امثال المؤتمر والسياسة الامريكية الكامنة خلفه. فقد بين وزير الخارجية الفرنسي جوبير ان هدف كيسنجر هو الاعداد لمجابهة كبرى مع الدول المنتجة باشراف الولايات المتحدة . وقد تضمن خطاب جوبير المؤتمر النقاط الهامة التالية :

(١) النقد الشديد لفكرة انشاء تكتل عالمي يضم الدول المستهلكة للطاقة لانه سيؤدي الى مواجهة شاملة مع الدول المنتجة .

(٢) رفض فكرة انشاء نظام استشاري يعمل بين اوروبا الغربية والدول المستهلكة الكبرى الاخرى والمقصود هنا الولايات المتحدة وكندا واليابان .

(٣) التأكيد على أن التعاون بين المستهلكين الاوروبيين والدول المنتجة وخاصة العربية سيحل المشاكل المطروحة .

(٤) تبني الاقتراح الجزائري الداعي الى عقد دورة للجمعية العمومية للامم المتحدة لمعالجة مشاكل الطاقة .

(٥) الدفاع عن الاتصالات والاتفاقات الثنائية بين الدول الاوروبية المستهلكة والدول النفطية المنتجة في الشرق الاوسط مع رفض الحجج القائلة بأن مثل هذه الخطوات تستدعي اللوم او تعرض التماسك الدولي للخطر .

(٦) وصف المؤتمر بأنه « تجمع غير شرعي » باعتباره يضم الولايات المتحدة وكندا وهما من اكبر الدول المنتجة للنفط بينما يفترض في المؤتمر ان يكون للدول المستهلكة في الاساس .

وقد لفت خطاب المندوب الايطالي الانظار لدعوته الى التعاون المخلص بين الدول المستهلكة للنفط والمنتجة له وتحذيره من أية مجابهة بينهما .

وعلى أثر انتهاء المؤتمر صدر بيان مشترك كان اهم ما فيه الاعلان عن انشاء مجموعة للتنسيق وظيفتها الاعداد لمؤتمر مقبل يضم الدول المستهلكة والمنتجة . وتضمن البيان تحفظات رسمية فرنسية دعاها جوبير بأنها معارضة رسمية فرنسية لخط المؤتمر .

صادق جلال العظم

تقرير خاص :

مؤتمر القمة الاسلامي الثاني والقضية الفلسطينية

انهى مؤتمر القمة الاسلامي الثاني المنعقد في لاهور اعماله في الرابع والعشرين من فبراير الماضي على المستوى المطلوب في مجال تدعيم القضية الفلسطينية وتعزيز كفاح الشعب الفلسطيني ، والاعتراف الفعلي بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ونضاله المشروع .

واذا كان المؤتمر الرابع لدول عدم الانحياز الذي عقد في الجزائر قد اعتبر تجاوزا نوعيا للمؤتمرات السابقة ازاء القضية الفلسطينية ، فان مؤتمر لاهور الاسلامي لا يقل عنه اهمية او خطورة بالنظر لموضوع ومستوى وشمول المقررات الصادرة عنه من جهة، والتأييد الدولي العام الذي حظي به المؤتمر ولا سيما من الصين الشعبية والصحافة السوفياتية الرسمية من جهة اخرى ، فضلا عن محاولات الولايات المتحدة الامريكية في الحيلولة دون التعرض لها في القرارات او الاعلان السياسي بالادانة او الشجب بسبب مساندتها ودعمها المستمر للكيان الصهيوني وعدائها للقضية الفلسطينية والعربية .

ومما لا شك فيه ان ما وصل اليه المؤتمر كان نتيجة للجهود الكبيرة التي بذلتها الوفود العربية والصديقة مع الوفد الفلسطيني ، خلال جلسات المؤتمر وخارجها .

الدور الفلسطيني في المؤتمر

دعيت منظمة التحرير الفلسطينية لحضور المؤتمر ممارسة بذلك حقها كاملا في تمثيل الشعب الفلسطيني كغيرها من الدول الاعضاء ، وذلك على غير ما كانت تتمتع به في المؤتمرات الاسلامية السابقة من عضوية محدودة . ففي المؤتمر الاسلامي الاول الذي انعقد بالرباط عام ١٩٦٩ دعي الاخ رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية لحضور المؤتمر كضيف بمبادرة من الملك الحسن الثاني رئيس المؤتمر .

كما حضرت المنظمة جميع مؤتمرات وزراء الخارجية ما بين مؤتمر الرباط ومؤتمر لاهور بصفتها عضوا مراقبا ، الا ان الصفة التمثيلية في المؤتمر الاخير قد اختلفت بحيث منح وفد المنظمة حقوق العضو الكامل دون الاشارة الى ذلك في نص معين وبذلك فقد وضعت (فلسطين) ضمن الدول المشاركة في المؤتمر بينما افرد الاعلان السياسي فقرة خاصة للاعضاء المراقبين واخرى للضيوف لم تكن المنظمة من بينهم . وعلى هذا الاساس شارك الوفد باعمال المؤتمر مشاركة فعالة في مختلف اللجان والهيئات بدءا بلجنة الصياغة المصغرة وحتى مؤتمر القمة، واللقاءات الهامة التي اجراها الاخ ابو عمار رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة ورئيس الوفد مع رؤساء الدول مما كان له الاثر البالغ في صياغة القرارات النهائية ، مرورا بلجنة الصياغة العربية ، ولجنة الصياغة الكبرى ، ولجنة كبار المسؤولين التي اضطلعت بالتحضير لمؤتمر وزراء الخارجية ، ومؤتمر وزراء الخارجية ، فضلا عن مشاركته ضمن لجنة المساعي الحميدة التي حملت قرار المؤتمر الى بنجلاديش بدعوتها لحضور المؤتمر .

ففي لجنة كبار المسؤولين التحضيرية لعب الوفد دورا هاما في تعديل تسمية الموضوع الرئيسي الذي سيعرض على الملوك والرؤساء ، فلقد جاء في ورقة العمل الباكستانية المقدمة الى هذه اللجنة : « ان رؤساء الدول والحكومات سيتناولون في المقام الاول ، الوضع في الشرق الاوسط واستعادة حقوق المسلمين في القدس » الامر الذي حمل وفدنا على طلب تعديل هذه التسمية بحيث تصبح (الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية) ، وقد أيد هذا التعديل كل من الجزائر وليبيا والباكستان وموريتانيا والصومال وتركيا ، باعتبار ان القضية الفلسطينية هي جوهر مشكلة الشرق الاوسط ، ولقد اثار هذا التعديل بعضا من النقاش بحيث استقر الرأي في النهاية على أن تكون التسمية « الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية وتمسك المسلمين القسوي بمدينة القدس وعزم حكوماتهم الاكيد على العمل من أجل تحريرها » . كما اثارت ورقة العمل الباكستانية امام وفدنا قضية اخرى تتعلق بتمثيل المنظمة في المؤتمر حيث ورد تحت موضوع تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية ما يلي : ـ (طلب رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الاشتراك في

مؤتمر القمة، وعلى وزراء الخارجية طبقا للقواعد السابقة البت في هذا الطلب) .

ولقد اعترض وفدنا على هذا النص وطلب تعديله لكونه بجانب الحقيقة ، فتمثيل المنظمة في المؤتمرات السابقة كان أمرا تلقائيا بصفتها عضو في هذه المؤتمرات ، ولم يطلب رئيس المنظمة الاشتراك في هذا المؤتمر . وبناء على ذلك جرى تعديل الفترة المذكورة بحيث اصبحت (وجهت الدعوة الى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك في مؤتمر القمة الاسلامي الثاني) .

في اطار لجنة الصياغة : حمل الوفد الفلسطيني معه الى المؤتمر مشروع قرار خاص بالقضية الفلسطينية كان من أبرز عناصره ، الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ونضاله المشروع ، والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره على أرضه ، وحقه في الكفاح المسلح من اجل تحريرها، وقطع علاقات الدول الاسلامية بالكيان الصهيوني على جميع المستويات ، وادانة الولايات المتحدة الامريكية لمواقفها العدائية ازاء القضية الفلسطينية وتدعيمها لاسرائيل . كما كان الوفد السوري قد تقدم للمؤتمر بمشروع قرار شامل للموقف في الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية ، مما جعل لجنة الصياغة تعتبر المشروعين أساسا للبحث بهدف الخروج بمشروع موحد ، الامر الذي استدعى تشكيل لجنة صياغة مصغرة كان لاشتراك وفدنا فيها الاثر البالغ في تأكيد العناصر الاساسية الواردة بمشروعه الخاص ضمن المشروع الموحد .

الكواليس بين لجنة الصياغة ومؤتمر وزراء الخارجية : اتضح من خلال الاتصالات التي جرت بين الوفود وكان محورها الوفد الباكستاني ان هناك عدة دول تعترض على بعض فقرات مشروع القرار الذي فرغت منه لجنة الصياغة المصغرة ، وبالتحديد ما يتعلق بقطع العلاقات مع اسرائيل وتوقيف شحنات النفط الى كل من البرتغال وروديسيا وجنوب افريقيا ، وادانة الولايات المتحدة الامريكية ولقد جرت محاولات عدة لاسقاط هذه الفقرات من مشروع القرار قبل عرضه على لجنة الصياغة الكبرى ومؤتمر وزراء الخارجية ، الا ان وفدنا الذي لعب ادوارا هامة في الجلسات الرسمية في مختلف مستويات المؤتمر قد قام بدور لا يقل اهمية عن ذلك في الكواليس والاتصالات الخاصة من أجل تثبيت وعدم اسقاط اي فقرة أساسية من الفقرات المذكورة او حتى مجرد التغيير في الاسلوب بحيث يبدو اكثر ليونة .

ونتيجة لذلك فقد وصل مشروع القرار الى مؤتمر وزراء الخارجية مكتملا كما وضعته لجنة الصياغة المصغرة .

مواقف الدول تجاه القرار

اتخذت بعض الدول مواقف منفعلة بادىء الامر تجاه الفقرات المتعلقة بقطع العلاقات مع العدو الصهيوني وايقاف شحنات النفط الى البرتغال وروديسيا وجنوب افريقيا ، وأبرز هذه الدول هي ايران التي أعلنت في اجتماع خاص عقد للبحث بهذا الموضوع حضرته اندونيسيا ، انها ترفض ان يتضمن القرار الصادر عن المؤتمر فقرات تعتبر تدخلا في الشؤون الداخلية للدول الاعضاء الامر الذي يتعارض مع الميثاق الاسلامي للمؤتمر ، وان قضية العلاقات بين ايران واسرائيل هي من صميم السياسة الايرانية العليا الخاصة . اما بالنسبة لايقاف شحنات النفط عن بعض الدول العنصرية والاستعمارية ، فان ذلك لا يخضع للسياسة الايرانية بل انه من طبيعة عمل الشركات التي تتسلم النفط الايراني وتتولى توزيعه ، ولهذا فان ايران تتحفظ الان على هذه الفقرات وستجد نفسها مضطرة لتعليق عضويتها في المؤتمر الاسلامي اذا ما كان هناك اصرار على ابقاء هذه الفقرات في مشروع القرار ، ومن هنا جاء موقف اندونيسيا المتضامن مع ايران ، والذي عبر عنه مندوبها في نفس الاجتماع حيث أعلن انه قدم الى المؤتمر ومعه تعليمات من حكومته بأن يعاضد أي قرار من شأنه تعزيز وحدة المسلمين وترابطهم والحيلولة دون أي قرار ينال من هذه الاهداف ولهذا فان اندونيسيا سترفض اي قرار يعرض المؤتمر او وحدة المسلمين الى الاهتزاز .

ولقد خلقت هذه المواقف اجواء متعارضة في المؤتمر حرصت الباكستان كدولة مضيفة على تطويقها وحصرها بكل جهد أملا في انجاح المؤتمر.

واذا كان الاعتراض على قطع العلاقات مع الكيان الصهيوني وايقاف شحنات النفط جاء من بعض الدول غير العربية فان الاعتراض على ادانة الولايات المتحدة الامريكية كان من بعض الدول

العربية والباكستان . فلقد أعلن وزير خارجية باكستان وهو رئيس مؤتمر وزراء الخارجية في جلسة المؤتمر المخصصة لدراسة مشروع القرار المرفوع من لجنة الصياغة له ان بعضا من الدول العربية والباكستان قد عقدوا اجتماعا يوم أمس وقرروا حذف كلمة الولايات المتحدة الامريكية من معرض الادانة بحيث تصبح الفقرة عامة دون أي تحديد . وهنا أعلن عن ذلك الاجتماع وعن الوفود التي حضرته ، وهي السعودية ، مصر ، سوريا، الجزائر ، الباكستان . وهنا اخذ الكلمة الاخ ابو اللطف رئيس الدائرة السياسية ورئيس وفدنا لمؤتمر وزراء الخارجية ، حيث وضح معنى ضرورة النص على ادانة الولايات المتحدة الامريكية ، وسبب اصرار الوفد الفلسطيني على بقائها بكلمة شديدة وقوية ،مطالبا المؤتمر بالموافقة على ذلك، مما حمل وزير خارجية المملكة العربية السعودية على الاستغراب من طرح الموضوع بهذه الطريقة، اذ أن قرارا لم يتخذ بالامس حول هذا الموضوع، كما استغرب ممثل الجزائر ذلك أيضا حيث أعلن ان الجزائر هي الوحيدة التي أصرت على بقاء ادانة الولايات المتحدة الامريكية بالتحديد في الاجتماع المذكور .

هذا ولقد وضع موقف الاخ ابو اللطف المدعم من الجزائر وموريتانيا والصومال واليمن الديمقراطية وبعض الدول الاخرى المؤتمر امام خيار وحيد ، هو قبول النص كما ورد في مشروع القرار .

ويبدو ان جهود الباكستان قد أفلحت في اقناع كل من ايران وتركيا واندونيسيا باللجوء الى اسلوب اخر في مجابهة الفقرات المعترض عليها يختلف عن ذلك الاسلوب الذي اشيع في الاجتماع الخاص . وبهذا كان تعقيب كل من ايران وتركيا على القرار بعد اقراره في مؤتمر وزراء الخارجية انهما يتحفظان على الفقرات المذكورة وسوف يوضحان موقف بلديهما الصريح برسائل خاصة ومنفردة الى الامانة العامة وهكذا قبل القرار في مؤتمر وزراء الخارجية متضمنا النصوص الاساسية التي وضعها الوفد الفلسطيني .

القرارات

قرار حول الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية

ان مؤتمر القمة الاسلامي الثاني المنعقد في لاهور في الفترة ما بين ٢٢ — ٢٤ فبراير ١٩٧٤ (٢٩ محرم الى صفر ١٣٩٤) ، **اذ يذكر** بالاعلان الصادر عن مؤتمر رؤساء دول وحكومات البلدان الاسلامية المنعقد في الرباط بين ٩ — ١٢ رجب ١٣٨٩ الموافق في ٢٢ — ٢٥ ايلول ١٩٦٩ والقرارات السابقة للمؤتمرات الاسلامية لوزراء الخارجية الخاصة بقضية فلسطين وازمة الشرق الاوسط **ومنطلقا** من مبادىء واحكام ميثاق المؤتمر الاسلامي وميثاق الامم المتحدة مسجلا بالتقدير والاعتزاز التضحيات البطولية التي قدمها الشعب الفلسطيني ودول المواجهة العربية في مواجهة المعتدي الصهيوني ، **وبعد** ان بحث التطورات الاخيرة في الشرق الاوسط والموقف الخطير الناجم عن استمرار اسرائيل في احتلالها لاراضي تابعة لثلاث دول عربية شقيقة اعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي واستمرار اغتصاب اراضي فلسطين وتشريد شعبها ،

واذ يعتبر ان هذا الموقف يشكل انتهاكا لميثاق الامم المتحدة وخرقا لقراراتها وللاعلان العالمي لحقوق الانسان ويهدد السلام والامن الدوليين اكبر تهديد ،

ومؤكدا ان استيلاء اسرائيل على الاراضي العربية عن طريق الحرب واستخدام القوة امر لا يمكن قبوله على الاطلاق ويشكل انتهاكا صارخا لاهداف ومبادىء الامم المتحدة وتهديدا بالغا للسلام العالمي كما يشكل تهديدا خطيرا لامن وسلامة وسيادة الدول العربية ،

ومؤكدا من جديد شرعة كفاح شعب فلسطين ضد الاستعمار الصهيوني العنصري ومن أجل استرداد حقوقه الوطنية الكاملة وفي مقدمتها حقه في العودة الى ديارة وتقرير مصيره بنفسه ،

اذ يعبر عن عميق قلقه لاستمرار اسرائيل في تهويد مدينة القدس وتغيير معالمها البشرية والدينية والتاريخية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية انتهاكا لقرارات الامم المتحدة الصادرة بهذا الشان واحكام اتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩ ،

واذ يعتبر ان مساندة الدول الاعضاء في المؤتمر الاسلامي شقيقاتها الدول العربية في نضالها من اجل استعادة جميع اراضيها المحتلة والحقوق الوطنية المشروعة لشعب فلسطين هو واجب يحتمه التضامن الاسلامي . وان هذا التضامن يجب ان يعبر عنه بطرق عملية فعالة ،

واذ يعرب عن يقينه ان الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي والادبي الذي تقدمه بعض الدول وبالاخص الولايات المتحدة الامريكية لاسرائيل يمكنها من مواصلة تنفيذ سياستها العدوانية وترسيخ احتلالها للاراضي العربية ،

واذ يعتبر ان الاحتفاظ بعلاقات مع اسرائيل في المجالات السياسية والاقتصادية والتجارية والمواصلات وغيرها يساعد على ترسيخ احتلالها والامعان في تنفيذ سياستها التوسعية ،

١ ــ يقرر ما يلي :

أ ــ المساندة الكاملة والفعالة لمصر وسوريا والاردن والشعب الفلسطيني في نضالهم المشروع لاسترجاع جميع اراضيهم المحتلة بكافة الوسائل ،

ب ــ العمل في كافة المجالات لحمل اسرائيل على الانسحاب الفوري غير المشروط من جميع الاراضي العربية التي تم احتلالها منذ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . كما تتعهد الدول الاعضاء باتخاذ كافة الاجراءات المناسبة من اجل تحقيق هذا الانسحاب ،

٢ ــ يطالب جميع الدول مساندة شعب فلسطين بكافة الوسائل في نضاله ضد الاستعمار الصهيوني العنصري الاستيطاني لاستعادة حقوقه الوطنية كاملة ويؤكد ان استعادة هذه الحقوق يشكل شرطا اساسيا لاقامة سلام عادل ودائم ،

٣ ــ يؤكد مجددا ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ونضاله المشروع .

٤ ــ **يطلب** الى الدول الاعضاء التي لم يتم فتح مكاتب للمنظمة فيها بعد تيسير ذلك تنفيذا لمقررات المؤتمرات الاسلامية السابقة .

٥ ــ يعلن صلة المسلمين القوية بمدينة القدس الشريفة وعزم حكوماتهم الاكيد على العمل من اجل تحريرها واعادة السيادة العربية اليها واصرارهم على ان لا تكون القدس موضع مساومة او تنازلات .

٦ ــ **يدين** انتهاكات اسرائيل لحقوق الانسان في الاراضي العربية المحتلة ورفضها تطبيق اتفاقية جنيف لسنة ١٩٤٩ الخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب ، وسياستها في تهويد طبيعة الاراضي المحتلة ذاتها وشخصيتها الثقافية ويعتبر أن مثل هذه الاعمال والممارسات جرائم حرب وتحد للانسانية جمعاء .

٧ ــ **يعتبر** ان جميع التدابير التي اتخذتها اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة لتغيير معالمها البشرية والجغرافية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية بما في ذلك التدابير التي استهدفت ضم وتهويد مدينة القدس الشريفة هي لاغية وباطلة ولا يمكن الاعتراف بها او بنتائجها ،

٨ ــ **يدين** جميع الدول التي تقدم الدعم العسكري والاقتصادي والبشري لاسرائيل ويطالبها بالكف عن ذلك في الحال ،

٩ ــ **يحيي** المبادرات البناءة التي قامت بها الدول الافريقية الشقيقة اعضاء منظمة الوحدة الافريقية وغيرها من الدول الصديقة من حيث تأييد الحق العربي وقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل .

١٠ ــ **يدعو** الدول الاعضاء في المؤتمر الاسلامي الى مواصلة تأييدها للقضايا الافريقية ومعاضدتها في كفاحها ضد الاستعمار والنظم العنصرية خاصة في روديسيا وجنوب افريقيا والمستعمرات البرتغالية وانهاء جميع اشكال التعاون والتعامل مع هذه النظم وعلى وجه الخصوص حظر كافة شحنات النفط ومنع اي خروج على تلك القاعدة ،

١١ ــ **يطالب** الدول الاعضاء التي لا تزال لها علاقات مع اسرائيل بأن تقطع هذه العلاقات فورا في كافة المجالات تدعيما للتضامن الاسلامي .

١٢ ــ **يطالب** ممثلي سائر الدول الاعضاء بتنسيق انشطتها في المحافل الدولية بما يكفل تنفيذ هذه القرارات .

١٣ ــ **يطلب** الى الامين العام للمؤتمر الاسلامي متابعة تنفيذ هذه القرارات ورفع تقرير عنها الى المؤتمر ..

ونظرا للمكانة الخاصة لمدينة القدس الشريفة في نفوس الشعوب الاسلامية وشعب باكستان بشكل خاص فقد طلب وفد باكستان ان ينفرد المؤتمر بقرار خاص بمدينة القدس مراعاة لذلك ، وعلى هذا الاساس فقد اقر المؤتمر القرار التالي بخصوص مدينة القدس الشريفة .

قرار بخصوص القدس :

ان مؤتمر القمة الاسلامي الثاني :

ــ **اذ يؤكد من جديد** التزامه بالقرارات الصادرة عن مؤتمر القمة الاول والقرارات الصادرة عن المؤتمرات الاسلامية السابقة لوزراء الخارجية بشأن مدينة القدس الشريفة .

— **واذ يذكر** مرة اخرى بالصلة العميقة الجذور التي تربط المسلمين بالقدس اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

— **واذ يعتبر** ان استمرار احتلال اسرائيل للقدس ومحاولاتها ضمها وتهويدها متحدية بذلك قرارات مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة فضلا عما حدث في ظل احتلالها من اعمال تخريب وتدنيس للاماكن المقدسة — أدى الى تفاقم التوترات في الشرق الاوسط وأثار استياء الشعوب في كافة ارجاء العالم .

— **واذ يدرك** ضرورة حماية القيم الروحية والمعنوية التي تمثلها الاماكن المقدسة في مدينة القدس الشريفة .

— **واذ يسجل** القرارات الصادرة عن الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ٢٢٥٣ (ES-V) ورقم ٢٢٥٤ (ES-V) ومن مجلس الامن رقم ٢٥٠ (١٩٦٨) ، ٢٥١ (١٩٦٨) ، ٢٦٧ (١٩٦٩) ، ٢٧١ (١٩٦٩) ، ٢٩٨ (١٩٧١) بشأن القدس وخاصة بالقرار رقم ٢٥٢ (١٩٦٨) التي تنص صراحة على مبدأ عدم جواز اكتساب الارض باستخدام القوة .

١ — **يدين** التدابير التي تتخذها اسرائيل لتهويد مدينة القدس الشريفة ورفضها الامتثال لقرارات الجمعية العامة ومجلس الامن التي تطالب بالغاء كافة الاجراءات المؤدية الى ضم مدينة القدس الشريفة لاسرائيل او تغيير الطابع الديني والتاريخي للقدس واعتبار هذه التدابير والاجراءات لاغية وكأنها لم تكن .

٢ — **يطالب** بانسحاب اسرائيل الفوري من مدينة القدس الشريفة .

٣ — **يعلن** ان اعادة السيادة العربية الى القدس يعد شرطا رئيسيا ولازما لاي حل في الشرق الاوسط وان اي حل لا يعيد هذا الوضع الى سابق عهده لن تقبله البلدان الاسلامية كما أنه يرفض أية محاولة لتدويلها .

٤ — **يقرر** مواصلة الجهاد في سبيل تحرير مدينة القدس الشريفة وصيانة مقدساتها ، ويصر على الا تكون موضعا لاية مساومة او تنازلات كما يرحب بأية جهود ودية تخدم ذلك .

موقف الاردن والتحفظ المزمن

اعلن احمد طوقان رئيس وفد الاردن لدى مؤتمر وزراء الخارجية تحفظه على الفقرة الثالثة من القرار الخاص بالشرق الاوسط والقضية الفلسطينية ، وهي الفقرة المتعلقة بتمثيل منظمة التحرير الفلسطينية للشعب الفلسطيني ونضاله المشروع . الا ان تحفظه هذا جاء بعد اعلان قبول القرار فقرة فقرة ككل من قبل رئيس المؤتمر حيث اعتبر اي حديث حول القرار او احدى فقراته خرقا للنظام في المؤتمر ، وهكذا سقط التحفظ الاردني عندما تمكن الوفد الاردني من اعلانه في هذا المؤتمر بينما بقي حبرا على ورق عندما لم يتمكن الوفد نفسه من اعلانه في مؤتمر عدم الانحياز الذي عقد في الجزائر .

ملاحظة اخيرة

تعتبر القرارات التي اقرتها الدول الاسلامية في مؤتمرها الثاني للقمة هي الاولى من نوعها على مستوى هذا التجمع الدولي ، اذ أن مؤتمر القمة الاول الذي عقد عام ١٩٦٩ بالرباط لم تصدر عنه قرارات خلافا للاعلان السياسي . وبهذا يعتبر مؤتمر القمة الاخير هو مؤتمر القمة الاول الذي اصدر قرارات الى جانب الاعلان السياسي العام.

أظهرت قرارات المؤتمر الاخير تماسك مواقف الدول الاسلامية شبه الموحدة ازاء القضية الفلسطينية والعربية لدرجة انها تعتبر نقلة نوعية هامة اذا ما قورنت بقرارات مؤتمرات وزراء الخارجية الاربعة السابقة لهذا المؤتمر . يضاف الى هذا ان القيمة العملية لهذه القرارات ستبقى محدودة الفعالية ما لم تسع كافة الاطراف المعنية على حد سواء الى تطبيقها والخروج بها من دائرة التعهد الى تنفيذ التعهد بعينه . وهو الامر الذي يحتاج الى متابعة ومثابرة تحت أي شكل من أشكال الاتصال سواء من خلال علاقات الدول الاسلامية بالامانة العامة او من خلال الاتصالات الثنائية بين الدول وبعضها البعض .

كما يتطلب ذلك من منظمة التحرير الفلسطينية ان تسعى باستمرار الى تذكير وحث وزراء الخارجية للدول الاسلامية كلما التقوا في مؤتمراتهم وعند اجتماعهم القادم قريبا بضرورة وضع جميع المقررات السابقة والمقررات الاخيرة موضع التنفيذ.

الدكتور نبيل الرملاوي

(٤) المناطق المحتلة

. اعادة صرف رواتب الموظفين

بعد حرب تشرين الاول ، وفي غمرة التحرك الواسع للنظام الاردني لاعادة سيطرته على الضفة الغربية المحتلة ، قوي الاتجاه المؤيد لاعادة صرف رواتب موظفي الادارة الاردنية في الضفة المحتلة، في محاولة من النظام لخلق تيار مؤيد لعودته الى الضفة مسلحا بمصالح مادية ثابتة . ففي ١٩٧٤/٢/٧ نشرت جريدة الدستور الاردنية ان « اللجنة العليا لشؤون الارض المحتلة » قررت اعادة صرف رواتب الموظفين الذين عادوا الى الضفة الغربية بموجب جمع شمل العائلات واوقفت رواتبهم بعد تاريخ ١٩٧١/٨/١٠ والذين عادوا بعد هذا التاريخ اعتبارا من تاريخ اعادة صرف رواتب موظفي الضفة الغربية .

وخطت الحكومة الاردنية بعد ذلك خطوة اخرى في مجال توسيع دائرة من يشملهم قرار اعادة صرف الرواتب . فنشرت جريدة الشعب التي تصدر في الضفة المحتلة انه بناء على التوصية المرفوعة من وزير الداخلية الاردني للشؤون البلدية والقروية ، حول رواتب موظفي امانة القدس التي جرى تجميدها بعد شهر آب ١٩٦٧ ، وافق رئيس الوزراء الاردني على اعادة صرف رواتب موظفي امانة القدس ممن ظلوا في عملهم لاداء خدمات عامة للسكان العرب (الشعب ٧٣/٢/١١) .

وكانت فكرة اعادة الرواتب لموظفي البلديات في الضفة الغربية قد بدأت في نهاية العام الماضي — خاصة بعد حرب تشرين — غير ان « المكتب التنفيذي لشؤون الارض المحتلة » والتابع لرئاسة الوزراء الاردنية ، رفض ذلك استنادا الى قرار « اللجنة العليا لشؤون الارض المحتلة » رقم ٧٣ الصادر بتاريخ ١٩٧٣/١/١٠ . وكان قد جاء في هذا القرار — وفيما يتعلق باوضاع موظفي امانة القدس — النص التالي : « بغض النظر عن أي قرار او قانون سابق يعتبر جميع موظفي امانة القدس الذين عملوا لدى بلدية القدس الاسرائيلية معزولين عن عملهم لدى تلك البلدية وبأثر رجعي ولا يستحق اي منهم أي مبلغ كراتب او اجر او تقاعد » .

وكان موظفو الامانة قد زاولوا عملهم بناء على طلب من أمين القدس واعضاء الامانة بعد حرب حزيران مباشرة وذلك بناء على تعليمات خطية من رئيس الوزراء الاردني في ذلك الوقت سعد جمعة. وقد جاء في هذه التعليمات المؤرخة في شهر آب ١٩٦٧ — حول الموظفين العرب بما فيهم موظفي البلديات وامانة القدس — انهم جزء من الجهاز الاداري الاردني . وقد اذيع هذا الامر من اذاعة عمان عدة مرات في حينه . وقالت صحيفة الشعب التي اوردت تلك التفاصيل ان راديو عمان كان قد اذاع تعليمات سعد جمعة على النحو التالي : « كافة الموظفين الذين يتولون العمل في توفير الخدمات العامة للموظفين الاردنيين في الضفة الغربية ، لا بأس من تعاونهم .. شرط ان لا يسيء ذلك الى وحدة الكيان الاردني او الى خدمة اي غرض سياسي لاسرائيل » .

غير أن قرار الحكومة الاردنية الاخير القاضي بصرف رواتب موظفي امانة القدس جاء على أساس ان الحكومة لم تتخذ اجراءات ضد « موظفيها » العاملين في اجهزة مختلفة بالقدس . ولذلك فليس هناك فرق من حيث المبدأ بين هؤلاء وبين موظفي الامانة ، فكلهم يخضع لقوانين وانظمة وضعتها الحكومة الاردنية نفسها . (الشعب ٧٤/٢/١١) .

ومرة اخرى ذكرت « الشعب » في عددها الصادر بتاريخ ٢/٢٦ ، ان الحكومة الاردنية اصدرت تعليمات لمواطني الضفة الغربية الذين يعملون في الدوائر الحكومية في الاردن بأنه سيجري صرف راتب اي موظف يتم جمع شمله بواسطة اهله او اقاربه من اجل العودة الى الضفة الغربية . وقالت « الشعب » ان صرف راتب الموظف الذي يجمع شمله سيستمر سواء عاد لمزاولة عمله في الضفة الشرقية او الضفة الغربية (الشعب ٧٤/٢/٢٦) .

بعد ذلك أصدرت « اللجنة العليا لشؤون الارض المحتلة » عدة قرارات تتعلق برواتب موظفي الضفة الغربية تحت القرار رقم ١٠٩ ومؤرخ في ١٩٧٤/١/٣١ . ومن بينها :

١ — صرف علاوة غلاء معيشة بمعدل ٥٠ بالمئة

من الراتب الاساسي لكل موظف مصنف او غير مصنف ، او موظف بعقد او مؤقت قبل ١/٦/ ١٩٦٧ ، ويتقاضى راتبا من الحكومة الاردنية ولا يتقاضى راتبا من سلطات الاحتلال . وشمل هذا القرار كافة الموظفين ممن اعتقلوا من قبل الاحتلال او انهيت خدماتهم لاسباب امنية بعد ١٩٦٧/٦/١.

٢ — عدم صرف العلاوة لاي موظف مصنف ، بعقد او بغيره ، اذا ما استقال من عمله او انقطع عنه بعد ١٩٧٤/١/١ ما لم تكن الاستقالة او الانقطاع ناشئين عن حالة تقتضيها « المصلحة العامة ». والمكتب التنفيذي لشؤون الارض المحتلة هو الجهة التي تحدد معنى المصلحة العامة لدى نشوئها .

٣ — صرف الراتب التعاقدي للموظفين الذين يعملون مع سلطات الاحتلال في الضفة الغربية[؟!] (الشعب ١٩٧٤/٢/٢٧) .

الا ان صدور مثل تلك القرارات — كانت الصحف الاردنية قد نشرتها من قبل — لم يعن ان الحكومة الاردنية قد باشرت بالفعل صرف رواتب موظفي الضفة الغربية . فقد نشرت جريدة القدس يوم ٢/٢٨ ، ان الاشخاص الذين فوضهم عدد من موظفي الضفة قبض رواتبهم قد ذهبوا الى عمان وعادوا منها دون أن يتمكنوا من الحصول على الرواتب . وقال هؤلاء لدى عودتهم الى الضفة انهم ابلغوا ان اوامر الصرف لم تصل الى الوزارات المختصة ، في حين ان زيد الرفاعي رئيس الحكومة كان قد ابلغهم انه قد وقع اذونات الصرف وحولها الى الوزارات ذات العلاقة . وقالت « القدس » ان الوفد الذي توجه الى عمان ، وهو يتألف من بعض اعضاء المجالس البلدية في الضفة ، ما زال يدرس في عمان صرف راتب اضافي لموظفي المجالس البلدية (القدس ٧٤/٢/٢٨) .

اثارت هذه التوجهات من قبل الحكومة الاردنية تحركا بين قطاعات الموظفين الذين كانوا يتقاضون رواتبهم من عمان حتى شهر اب ١٩٧١ . فقالت « الشعب » ان وفدا يمثل مختلف قطاعات الموظفين سيقابل رئيس بلدية نابلس الحاج معزوز المصري ويسلمه مذكرة لايصالها الى عمان ، تتعلق بالرواتب وعلاوات المعيشة (الشعب ٧٤/٢/٢٨) .

أما وفد البلديات الذي توجه الى عمان فقد عاد منها يوم ٧٤/٣/٣ ، بعد أن وعده طاهر المصري (وزير الارض المحتلة) بدرس موضوع ادراج موظفي بلديات الضفة في سجلات الحكومة اسوة بغيرهم من الموظفين الذين يتقاضون رواتبهم من الاردن . وقال أحد اعضاء الوفد — تحسين الفارس — ان الصرف سيبدأ اعتبارا من ٣/١٥/ ٧٤ ، وسيصرف الراتب الاساسي دون علاوات او غلاء معيشة (الشعب ٧٤/٣/٥) .

تحرك النظام الاردني ازاء الضفة الغربية

لم تكن اعادة صرف رواتب موظفي المؤسسة الاردنية السابقة في الضفة الغربية هدفا بحد ذاته . فمن المعروف ان اجراءات الحكومة الاردنية وممارستها السياسة كافة — سواء على صعيد العلاقة مع الضفة الغربية او غيرها — محكومة منذ العام ١٩٦٧ بمسألة اعادة فرض هيمنة النظام الاردني مجددا على الضفة المحتلة والحاق الشعب الفلسطيني وتبديده مرة اخرى . غير أن النظام الاردني ذاته يدرك الى اي مدى تصطدم رغبته هذه برفض الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وخارجها لكافة أشكال عودته السياسية الى الارض الفلسطينية . لذلك فقد حاول عن طريق اعادة صرف الرواتب شراء الولاء السياسي لسكان الضفة الغربية . وعلى هامش هذا الاجراء قام وما يزال بعدة مناورات سياسية ، ودفع بالعديد من المتعاونين معه لجس نبض سكان الضفة حول توجهات النظام الاردني تلك . فذكرت صحيفة الشعب في عددها الصادر يوم ٢/٢٧ ، ان مصدرا مطلعا صرح لدى عودته من عمان مؤخرا بأن الحكومة الاردنية ، أعدت مسودة بطاقة «استفتاء» لجميع الفلسطينيين داخل الاراضي العربية المحتلة في الضفة والقطاع « وجميع الاماكن التي يتواجد فيها فلسطينيون لمعرفة رأيهم بالنسبة لمصير الاراضي العربية الفلسطينية المحتلة » . وقالت « الشعب » ان بطاقة الاستفتاء تتضمن السؤالين التاليين وان الاجابة عليهما هي بنعم او لا ، كما يلي :

١ — الانضمام الى الاردن ، اي العودة الى المملكة الاردنية الهاشمية .

٢ — أ — اقامة دولة فلسطينية مستقلة ومنفردة .

ب — اقامة دولة فلسطينية تتحد فدراليا مع الاردن .

واضافت الصحيفة ان الحكومة الاردنية قامت باستدعاء عدد من الاشخاص من الضفة والقطاع الى عمان للبحث معها في هذا الصدد . وقالت الصحيفة ان الغاية من هذا « الاستفتاء » مجابهة دول الجامعة العربية والرأي العام العربي ، بالقول ان نسبة الذين يريدون العودة الى الاردن هم كذا بالمائة من السكان ، في محاولة غير مباشرة للرد على مؤتمر القمة العربي ومؤتمر القمة الاسلامي « وتطويق التحرك الفلسطيني في ممثليه الشرعيين المعترف بهم فلسطينيا وعربيا واسلاميا ودوليا وهم منظمة التحرير الفلسطينية » (الشعب ٧٤/٢/٢٧) .

من جهة اخرى ذكرت « الشعب » ان الحكومة الاردنية قامت مؤخرا باستدعاء الاعضاء القدامى في المجلس الوطني الفلسطيني واللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية المتواجدين في عمان ، الى مكتب رئيس الحكومة زيد الرفاعي حيث ابلغوا عدم موافقة الحكومة على سفر اي منهم لحضور جلسات المجلس الوطني الفلسطيني . وهددوا بانه اذا خالف احدهم هذا الخط « فانه يعتبر خارجا على المواطنية الاردنية وعليه ان يتحمل النتائج المترتبة على عمله هذا » (الشعب ٧٤/٣/٦) .

وتحت عنوان بارز في صدر صفحتها الاولى قالت « الشعب » انها علمت استنادا الى مصادر خاصة ، ان الحكومة الاردنية سوف تتخذ ثلاثة قرارات هامة هي :

١ ــ الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلة شرعية ووحيدة للشعب الفلسطيني وفقا لما جاء في قراري مؤتمر قمة الجزائر وقمة لاهور .

٢ ــ حل ما يسمى بالاتحاد الوطني الاردني .

٣ ــ اعلان سحب مشروع المملكة العربية المتحدة الذي ينص على اقامة قطرين احدهما فلسطيني والاخر أردني .

وقالت « الشعب » انه عقب اعلان هذه القرارات ستتم « تغييرات هامة في بنية الدولة (الاردن) واجهزتها وقيام تنسيق عربي يخرج الاردن من عزلته ، وقد تستتبعه مصالحة بشكل ما مع منظمة التحرير ، على ان يكون قرار الاعتراف هذا سابقا للجلسة القادمة للمجلس الوطني الفلسطيني ، حيث سيبحث في موضوع (ورقة العمل) التي باتت في حكم التجاوب الاخوي في كثير من بنودها والتي تنطوي على الشخصية الفلسطينية المستقلة ممثلة في منظمة التحرير الفلسطينية » (الشعب ١٩٧٤/٣/٧) .

وكانت « الشعب » قد نشرت في عدد سابق لها عدة اخبار وملاحظات حول التحرك الاردني ازاء الضفة الغربية ، من ابرزها :

١ ــ ملاحظة ان الاذاعة الاردنية قد درجت على تسمية القضية الفلسطينية باسم القضية العربية ، بعد صدور قراري مؤتمري القمة العربي والاسلامي .

٢ ــ اوكل الى احد المتعاونين مع الحكم الاردني في الضفة الغربية توزيع مبلغ خمسة آلاف دينار اردني لشراء الضمائر والولاء السياسي . فكانت النتيجة ان احتفظ بمبلغ ألفي دينار ووزع الباقي على ١٢ شخصا (الشعب ٧٤/٣/١) .

اضراب المعتقلين في سجون الاحتلال :

في الاول من اذار (مارس) ١٩٧٤ ، اضرب سجناء سجن نابلس عن مقابلة ذويهم او التحدث اليهم ، احتجاجا على معاملة سلطات الاحتلال لهم في السجون . ولم يكن هذا الاضراب هو الاول من نوعه من قبل السجناء الفلسطينيين في سجون الاحتلال . وكانت اضراباتهم تحدث دائما ردود فعل واسعة وتثير تحركات شعبية لدى جماهير المناطق العربية المحتلة . وكانت المجالس البلدية في الضفة الغربية تتحمل قسطا كبيرا في الدفاع عن حقوق ومطالب السجناء ، عن طريق المذكرات والعرائض الاحتجاجية الى سلطات الاحتلال .

عقب اعلان سجناء سجن نابلس عن اضرابهم هذه المرة ، قام الحاج معزوز المصري بتقديم طلب الى الحاكم العسكري العام للضفة الغربية لتحديد موعد لمقابلة السجناء والتعرف على مطالبهم . وبعد ذلك قدمت الهيئات النسائية وعدد من امهات المعتقلين في سجون نابلس وعسقلان وبيت ليد وبئر السبع ، مذكرة احتجاج الى موشيه ديان والحاكم العسكري العام جاء فيها : « نطالب نحن الموقعين على هذه المذكرة بالامور التالية :

١ ــ الكف عن ممارسة تلك الاجراءات والاساليب المتبعة في التحقيق مع المعتقلين ، بموجب المادة ٣٧ من وثيقة جنيف التي تحظر ايقاع الاذى

في روح او جسد السجين السياسي، واطلاق سراح الشباب الذين لم تثبت اية بينات ضدهم ليعودوا الى اتمام دراساتهم واعمالهم .

٢ — تحقيق مطالب السجناء الاساسية بتحسين الاوضاع والمعاملة الانسانية وخاصة في سجن بئر السبع الذي مضى على اضرابهم فيه حوالي سبعة شهور ولم يروا اهلهم ، احتجاجا على المعاملة التي تتنافى مع مبادىء حقوق الانسان والمعاملة الخاصة بالسجناء السياسيين .

٣ — تخفيض الاحكام بصورة عامة ممن قضوا مددا طويلة في السجون واطلاق سراح المرضى والمصابين بعلل دائمة .

٤ — يطالب الموقعون على المذكرة باصرار ، الحكومة الاسرائيلية بالموافقة على السماح للجنة دولية للتحقيق عما يجري داخل السجون في الاراضي المحتلة .. والكف عما يمس الانسان وشرائع الحق والعدل في العالم » (الشعب ٧٤/٣/٣) .

وفي ٣/٥ نشرت « الشعب » نص مذكرة موقعة من عدد كبير من المهندسين والاطباء والصيادلة والشخصيات الوطنية ، تطالب الحاكم العسكري العام ولجنة حقوق الانسان والصليب الاحمر الدولي وهيئة الامم المتحدة ، بالعمل على اطلاق سراح المعتقلين الموجودين الان بالسجون الاسرائيلية . وجاء في المذكرة « نحن الموقعون ادناه مواطنو الارض المحتلة نرفع صوتنا مطالبين باطلاق سراح المعتقلين من ابنائنا في السجون الاسرائيلية ، ونهيب بالضمير العالمي ولجنة حقوق الانسان وجميع المؤسسات الانسانية العمل على اطلاق سراحهم لما يعانون من سوء معاملة » .

من جهة اخرى ذكرت بعض الصحف الاسرائيلية يوم ٣/٦ ، ان المعتقلين العرب في سجن « شطة » وعددهم ٦٠ شخصا بعثوا بمذكرة جماعية الى يوسف تامير رئيس اللجنة البرلمانية للشؤون الداخلية يطالبون فيها توجيه الامر الى ادارة السجن ، بفصل المساجين اليهود عن العرب . وتقول تلك الصحف ان المذكرة قد هربت من السجن بواسطة ذوي المعتقلين وأرسلت بالبريد المسجل من مدينة الناصرة . ومما يذكر ان تعليمات ادارة السجن تقضي بمنع المساجين من ارسال رسائل جماعية (الشعب ٧٤/٣/٧) .

ومن الجدير بالذكر ان اضراب سجناء سجن نابلس امتد في وقت قصير الى معظم السجون في الارض المحتلة وخاصة في بئر السبع وعسقلان ، احتجاجا على سوء المعاملة وعدم العناية الطبية. وقد جاءت هذه الاضرابات بعد ان تقدم ٤ آلاف سجين في نابلس بمذكرة الى ادارة السجن في منتصف شهر شباط (فبراير) الماضي . الا ان مماطلة الادارة دفعتهم الى اعلان الاضراب في الاول من آذار (مارس) ، ثم تتالت اضرابات المساجين العرب في السجون الاسرائيلية. وتقول « الشعب » ان اضراب السجناء قد تقرر تنفيذه على مراحل ، فيمتنعون خلال المرحلة الاولى عن العمل ، وفي المرحلة الثانية عن الحلاقة وفي الثالثة عن « الفورة » ، أما المرحلة الرابعة فتكون الاضراب عن الطعام . اما الموقوفون وعددهم ١٥٠ موقوفا فلم يشتركوا في الاضراب لانهم لا يعملون ، الا انهم قرروا التضامن مع السجناء بالامتناع عن مقابلة ذويهم (الشعب ٧٤/٣/٦) .

وقد خصصت « الشعب » افتتاحية عددها الصادر يوم ٣/٤ ، للتعليق على اضراب السجناء والمذكرات المرفوعة الى سلطات الاحتلال من قبل الهيئات النسائية وغيرها للمطالبة بلجنة دولية تقوم بالتحقيق فيما يجري داخل السجون في الاراضي المحتلة. فتقول الصحيفة ان اسرائيل لم تقم بخطوة واحدة فيما يتعلق بالاوضاع داخل المناطق المحتلة ، تشير الى نواياها « السلمية » . ثم تتساءل « الشعب » : ماذا يمنع السلطات من اعادة من شردتهم الحرب عام ١٩٦٧ ، واولئك الذين أبعدتهم قسرا بعد حزيران وتشرين ، والافراج عن الذين أنهوا مدة حكمهم ، او الذين لم تثبت ضدهم اية تهمة ، وبتحسين اوضاع السجون والمساجين ، والغاء الاعتقال الاداري والاحتفاظ بالناس على ذمة التحقيق ، او تلك الاحكام الغريبة التي تؤبد الانسان اكثر من حياة واحدة !

الغموض ما زال يحيط باختفاء صاحب « الفجر »

بعد شهر كامل على اختفاء الصحفي الفلسطيني يوسف نصر، وجهت شقيقته السيدة عفاف العجلوني رسالة مفتوحة عبر جريدة الفجر الى النظام الاردني . وقالت الرسالة التي نشرت يوم ٣/٦ : « لا تزال الاردن — ملكا وحكومة ومخابرات — تلتزم الصمت ازاء حادث اختفاء شقيقي صاحب — الفجر — رغم كل الاتهامات التي وجهت لنظام

عمان في الداخل والخارج ، وكونه متواطئا هو وعملاؤه في الضفة الغربية في حادث اختفاء شقيقي يوسف » .

وظلت الشرطة الاسرائيلية حتى منتصف شهر آذار (مارس) تواصل التحقيق في قضية اختفاء صاحب « الفجر » ، رغم انها لم تفصح عن نتائج التحقيقات الواسعة التي أجرتها حتى الان في قضية صاحب الفجر .

ومن جهة اخرى ظلت السلطات الاردنية ملتزمة الصمت ازاء ما وجه اليها من اتهامات بخصوص تورطها في قضية اختفاء السيد يوسف نصر . ومن بين الجهات التي أشارت باصبع الاتهام الى عمان، اذاعة صوت الثورة الفلسطينية من القاهرة ، واذاعة بغداد ودمشق وبعض الصحف العربية الاخرى .

وكان آخر اتهام لحكومة عمان ما نشرته مجلة الصياد اللبنانية في عددها الصادر يوم ٢/٢٨ والذي جاء فيه ان صاحب جريدة الفجر الاسبوعية التي تصدر في شرقي القدس قد ظهر في عمان . ونسبت « الصياد » الى مصادر فلسطينية عليمة قولها ان الاستخبارات الاسرائيلية هي التي ابعدت السيد نصر الى الاردن بتسهيل من الشيخ الجعبري رئيس بلدية الخليل .

ومن أجل التوصل الى حقيقة مصير يوسف نصر، بعد أن عجزت الشرطة الاسرائيلية عن الكشف عن مصيره ، ظلت اسرة السيد نصر تعلن طوال شهر شباط (فبراير) الماضي عن مكافأة مقدارها ٢٥ الف ليرة اسرائيلية لمن يدلي بمعلومات تساعد في الكشف عن مصير يوسف . وفي شهر آذار (مارس) رفعت المكافأة الى مئة ألف ليرة اسرائيلية .

والى جانب حملة الاستنكار والغضب التي شملت اوساطا واسعة في الاراضي العربية المحتلة، طلبت السيدة عفاف العجلوني مقابلة القنصل الاميركي العام في القدس وذلك لمقابلة وزير الخارجية الاميركية كيسنجر لدى وصوله القدس ، وتشرح له قضية اختفاء شقيقها . وقد وعد القنصل الاميركي السيدة عجلوني بأن ينقل رغبتها الى كيسنجر لدى وصوله القدس (الشعب ، الفجر ٧٤/٢/٢٧) .

وفي الاول من آذار ادلت شقيقة نصر بتصريحات الى مراسلين اذاعيين ، احدهما اميركي والاخر هولندي طالبت فيها مختطفي يوسف بالافراج عنه (الفجر ٧٤/٣/٢) .

وعلقت جريدة الفجر في عددها الصادر يوم ٢/٢٧ ، على اختفاء يوسف نصر ، فوصفت حادث الاختفاء بأنه « جزء من المخطط الهاشمي الذي يستهدف النيل من صلابة وعزم شعبنا في معركته ضد سفاحي عمان ، اعداء القضية الفلسطينية ، وليس من شك ايضا بأن أعوان عمان التقليديين ، هم الادوات التي خطط النظام الهاشمي لتحقيق ايلول اسود في المناطق المحتلة ، على أيديهم . وليس من شك ايضا ان تغاضي السلطات الاسرائيلية عن زلم عمان ، هو الذي شجعهم وسيشجعهم على التمادي في العمل بحرية تامة لتنفذ أوامر اسيادهم في عمان » .

وفي كلمة اخرى وجهتها السيدة عجلوني الى السلطات الاسرائيلية عبر جريدة الفجر يوم ٣/٦ ، تساءلت عمن هو المسؤول عن حياة الناس في المناطق المحتلة وقالت : « هل هم الاسرائيليون الذين يتحملون مسؤولية المحافظة على سلامة الناس ؟ أم هو ملك عمان بطريقته غير المباشرة ؟ أم لعلهم الوجهاء التقليديون في المناطق المحتلة الذين يرتشون من مليكهم في عمان ويقدمون له ما يطلبه منهم من خدمات ومهمات ؟ هل هم زعماء « البلطجية » الذين يتحملون مسؤولية ما يجري في المناطق المحتلة ويقررون مصائر الناس ؟.. ».

وكانت آخر التطورات في حادث اختفاء يوسف نصر هو الخبر الذي نقلته وكالة رويتر من القدس ونشرته جريدة النهار اللبنانية يوم ٣/١٤ ، وجاء فيه ان احدى محاكم الصلح في القدس أمرت بتوقيف السيد جميل حمد رئيس تحرير صحيفة الفجر لمدة تسعة أيام ، والسيد باسم حنانيا وهو كيميائي لمدة سبعة ايام ، لاستجوابهما حول حادث اختفاء السيد يوسف نصر صاحب « الفجر » . وقالت رويتر ان الرجلين ابلغا المحكمة انهما لا يعرفان اي شيء عن اختفاء يوسف نصر . واستندت الشرطة في توقيفها للسيد حمد بأن علاقاته مع صاحب الفجر كانت متوترة في الفترة الاخيرة بسبب من مطالبة نصر ان يعرض عليه حمد كل شيء يكتبه قبل نشره . غير ان حمد نفى ذلك وقال انه عرض على نصر مكاتب اضافية في مبنى يملكه قبل ايام

قليلة من اختفائه . واعترف حمد بأنه كان قرب منزل صاحبه الفجر ليلة اختطافه ، بعد ساعات قليلة من مرافقته له الى البيت ولكنه نفى ان يكون حاول الدخول الى بيته . وقال انه لاحظ سيارة تتبعه وخشي ان يضرب ، اذ كان قد تلقى تهديدا بأن ذلك قد يحدث ، لذلك اضطر الى الهرب .

تهديدات نيكسون تسبق كيسنجر الى المنطقة

عشية الجولة الرابعة لوزير الخارجية الاميركية على عواصم دول المنطقة ، في أواخر شهر شباط (فبراير) الماضي ، أعلن الرئيس الاميركي نيكسون ان مسعى الولايات المتحدة لاقرار تسوية سياسية لازمة الشرق الاوسط قد يتأثر باستمرار حظر النفط العربي الى الولايات المتحدة .

أثار هذا الاعلان الاميركي المبطن بالتهديد والابتزاز ردود فعل واضحة في صحف الضفة الغربية تمثلت بالهجوم على السياسات الاميركية ازاء الشعوب العربية والتشكيك بأهداف زيارة الوزير الاميركي كيسنجر .

فقالت صحيفة القدس تحت عنوان « تهديدات نيكسون » ان تصريحات الرئيس الاميركي تلك « تثير الريبة في النفس العربية وتدعو الى القلق». ثم تتساءل الصحيفة باستغراب عن بواعث تلك التهديدات قائلة : « ان اميركا تملك الى حد ما مفتاح الحل لازمة الشرق الاوسط انطلاقا من كونها الدولة الوحيدة في العالم التي تستطيع اقناع اسرائيل بالسير قدما نحو اتفاقية لفصل القوات على الجبهة السورية » . وتختتم « القدس » تعليقها بالقول ان التباطؤ في اجراء محادثات السلام الذي يهدد به نيكسون « يدعم المخاوف التي تبديها بعض الدول العربية ، والقائمة على أساس ان اميركا لم ولن تغير من سياستها المعهودة ازاء هذه المنطقة » (٧٤/٢/٢٧) .

وحول تهديدات نيكسون تلك قالت صحيفة « الشعب » : « والغريب ان يأتي تصريح الرئيس الاميركي هذا عشية قيام وزير خارجيته لسوريا بالذات للبحث فيما يسمى بالفصل بين القوات ، وفي اعقاب اختتام المؤتمر الاسلامي الثاني اجتماعه في لاهور » . ثم تقول ان من شأن ذلك التهديد نسف مهمة كيسنجر من أساسها ، « او الايحاء لاطراف عربية ان عليهم أن يسعفوا كيسنجر بالضغط بشكل ما ، على القطر العربي السوري ليكون سلسا لينا ، وبالتالي الايحاء من جديد بأن المنطقة العربية اصبحت من شؤون (الامبراطورية الاميركية) في عهد اضعف امبراطور في الولايات المتحدة وفي العالم » . (الشعب ٧٤/٢/٢٧) .

اما صحيفة الفجر فقد تناولت مهمة الوزير الاميركي قائلة : « وبعدم الثقة بنوايا الولايات المتحدة ، فاننا نرى في هذا التركيز الاميركي المكثف على قضية فصل القوات ، اشارة واضحة من جانب السياسة الاميركية ، لتحقيق اتفاقيات لفصل القوات ، تحمل في طبيعتها صفات التسوية الجزئية التي تعيد أزمة الشرق الاوسط الى المرحلة التي أعقبت حرب السويس في سنة ١٩٥٦ » . وتضيف ان محاولات كيسنجر تلك « لن تنطلي على احد طالما ان الجماهير العربية وجميع القوى المحبة للسلام والمعادية للاستعمار تدرك هذه الايام اكثر من أي وقت مضى ، بأن ازمة الشرق الاوسط ... هي نتيجة حتمية لما حل للشعب الفلسطيني من تشريد وحرمان له من ممارسة حقه في تقرير مصيره فوق تراب وطنه » (الفجر ٧٤/٢/٢٧) .

وكانت « الشعب » قد تناولت زيارة كيسنجر الرابعة لعواصم المنطقة متسائلة « هل نيكسون مهما يتلبس به من مسوح السلام العالمي والوفاق الدولي ، يختلف في شيء عن سيىء الذكر سلفه جونسون ، او سلف آخر كان اسمه ترومان ؟ ثم ، أيختلف كيسنجر عن سابقه روجرز الا في اتباع الاسلوب الاكثر نعومة لمصلحة اسرائيل ، وكلاهما فارس من فرسانها ، وداعية من دعاتها ؟ » . وأضافت ان اعطاء الشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره هو « المفتاح الوحيد لاي حل يقوم على الحق والعدل حتى يفهمه الاخرون فيعملون به ويلجأون اليه ، ولا بد انه آت ، واقرب مما يتصورون » (الشعب ٧٤/٢/٢٦) .

اما صحيفة « القدس » فقد طرحت على هامش زيارة كيسنجر مسألة مستقبل الشعب الفلسطيني ودوره في جنيف وقالت : « لقد لوحظ ان بعض المنظمات الفلسطينية بدأت تنتهج الواقعية وتلمح الى أنها ستشترك في مؤتمر السلام الدولي ، وذلك بعد ان توصلت الى قناعة بأن الوقت قد حان ليحتل الشعب الفلسطيني مكانه الطبيعي وليؤكد ان له صوتا بل حقا أساسيا ولا شك ان السلبية لن تفيد ... وهذا ما علمتنا اياه مراحل وتطورات القضية الفلسطينية عبر تاريخها المشحون بالالام

التي عانى منها الفلسطينيون الذيـن لا يزالون يعيشون في ضياع » (القدس ٧٤/٢/٢٨) .

وعادت « القدس » لتقييم زيارة كيسنجر بعد مغادرته عواصم المنطقة قائلة انه حقق هدفين هما:

الاول تمثل في « كسر الجمود الذي ساد الموقف في الشرق الاوسط » واخراج الازمة من « الطريق المسدود الذي كانت تقف فيه » .

والثاني تمثل في تسليم اسرائيل قائمة بأسماء الاسرى الاسرائيليين الموجودين في سوريا « الامر الذي وضع حدا لهذه المشكلة التي كانت في رأي اسرائيل عقبة رئيسيـة تعترض امكانية اجـراء مفاوضات بين البلدين للفصـل بين القوات » . وتضيف الصحيفة الى ذلك بأن كيسنجر سعى خلال زيارته الى تحقيق هدف ثالث هو رفع حظر البترول العربي عن الولايات المتحدة « ومن المنتظـر ان يحصل كيسنجر على نتائج مشجعة بهذا الخصوص» (القدس ٧٤/٣/٣) .

وكانت « القدس » نفسها قد أشادت بانجاز آخر حققه كيسنجر خلال زيارته ، وهو استئناف العلاقات الدبلوماسيـة بين بلاده والقاهـرة . وقالت « ان هذه الخطوة ستعجل في استئناف مؤتمر السلام الدولي ... وتمكين هذا المؤتمر من تحقيق تسوية سلمية شاملة لازمة الشرق الاوسط » . وفي ختام تعليقها حيثت الصحيفة اعادة العلاقات العربية مع الولايات المتحدة دفعة واحدة (القدس ٧٤/٣/١) .

اما صحيفة « الشعب » فقد علقت على زيارة كيسنجر باجراء مقارنـة بين سياسات اميركـا وسـياسات الاتحاد السوفيـاتي بمناسبة زيـارة غروميكو الى المنطقة في الفترة نفسها . وقالت ان « اختبار النوايا كشعار جديد تطرحه الامبريالية الاميركية ، شعار ابتزازي لا يقوم على اي اساس من حسن النوايا ... وفي هـذا الخضم المليء بالشكوك تحدث زيارة غروميكو ... زيارة الصديق الذي لا يريد لاصدقائه عدم الانزلاق او (الاندلاق) وراء السراب الاميركي ، وليثبت لكـل المشككين والمرجفين ان اميركا ليست وحدها في الميدان » . (الشعب ٧٤/٣/١) .

وعقب اختتام غروميكو زيارته للعواصم العربية، وصدور البيان السوري ـ السوفياتي المشترك ، لم يفت « الشعب » الاشادة بدور الصداقـة العربية ـ السوفياتيـة ، وفضـح السياسات الاميركية تجاه الشعوب العربية بالمقابل . فقالت ان الصداقة العربية ـ السوفياتية التي مضى عليها عشرون عاما « تزداد رسوخا وتتصاعد دعما وبنيـانا بـل اثبتت الاحداث خلالها ، بكل ما انطوت عليه عبرها ، انها علاقات النضال المشترك والخندق الواحد ضـد الاستعمار والامبرياليـة والعدوان ... ان الصداقة العربية السوفياتية صداقة عمر ، وصداقة نضال مشترك ، بل هي صداقة وضعها العرب (استراتيجية) لمستقبل العلاقات والتعامل ، بعد ان اثبتت فاعليتها في ميادين سياسية وعسكرية واقتصاديـة ... وان قياسا عادلا واحدا فيما فعلته روسيا من اجلنا ، وما فعلته اميركا ضدنا ، لا يمكن لاي منصف في الدنيا الا ان يتبين الخيـط الاسود من الخيـط الابيض ، والصادق من المخادع ، والصديق من العدو ». وأشادت « الشعب » بالموقف السوفياتي من الشعب الفلسطيني الذي تمثل في « البـادرة الحكيمة التي قام بها غروميكو في القاهرة تجـاه الشعب الفلسطيني مـن حيث اعتبار الاتحـاد السوفياتي منظمة التحرير الفلسطينية الممثـل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني » (الشعب ٧٤/٣/٦) .

الازمة الوزارية الاسرائيلية

عكست صحف الضفة الغربية وجهة نظر خاصة ازاء تعقد مفاوضات الاحزاب والكتل الاسرائيلية لتشكيل الحكومة الجديدة . وخصت بالتعليق ما اسفرت عنه المفاوضات من تخلي غولدا مائير عن تكليفها القيام بمهمة تأليف الحكومة ثم عودتها عن ذلك . فطرحت صحيفة « الشعب » تساؤلا خاصا بالعرب الذين يعيشون تحت الاحتلال وهو : « هل هذا الذي يجري تحت ستارة الحكم في اسرائيل حقيقة اسمها أزمة ام انه نوع من التمثيل اسمه مسرحية ؟ » . وتجيب « الشعب » على ذلك بأن ما يجري في اسرائيل هو مسرحية مكشوفة (٢٨/ ٧٤/٢) .

اما صحيفة « القدس » فقد طرحت على هامش الازمة الوزارية الاسرائيلية سؤالا عن « مصير السلام » الذي لا يزال ينتظر اشارة العودة الى هذه المنطقة المضطربة من العالم » . وفي معرض ذلك تتوصل « القدس » الى استنتاج يقول بأنه

لا يوجد زعيم اسرائيلي يقبل على خطوة الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ولا توجد حكومة تقبل حتى الاعلان عن نيتها التخلي عن هذه الاراضي او الدخول في مفاوضات سلام مع الدول العربية على أساس الالتزام بالانسحاب (القدس ٧٤/٣/٥) .

وعادت صحيفة « الشعب » في تعليق آخر لها لتصف الازمة الوزارية في اسرائيل بأنها « أزمة في العقلية » قائلة « ان الحزب الحاكم في اسرائيل بكل ما يحفل به من تناقضات لن يستطيع مجابهة التحديات المفروضة والتي لن يقدر رأي تآلف على مواجهتها ، لانها تعني نسف كل المفاهيم السابقة وبالتالي نسف البنية ذات الجذور المتأصلة في ايديولوجية كل حزب وهي المزيد من التوسع ، لا المزيد من التراجع او الانسحاب » . وفي هذا الصدد تقول الصحيفة : « ونعتقد ان لا الانتخابات الجديدة ، ولا القديمة ، ولا التجمع وحده ، او كل الاطراف الاخرى معه ، قادرة على فعل شيء ايجابي ما لم تكن لدى هذه السلطات او الحكام الجرأة على الجهر بالحقيقة وتوعية الشعب الاسرائيلي واقناعه بأن ما فات من الامال مات ، وان عليهم قبول المتغيرات الجديدة على أسس من عدالة حقوق الاخرين ، والاعتراف بها ، والقبول او الاتصياع لها » (الشعب ٧٤/٣/٥) .

وبعد اعلان التشكيل الوزاري في اسرائيل عادت « الشعب » للتعليق على الموضوع نفسه قائلة ان « اسرائيل تتخبط منذ زلزال تشرين في ورطة داخلية » . وربطت بين ما ادعته اسرائيل من انتشار الجيش السوري على الجبهة الشمالية وبين الاستفزازات الايرانية على حدود العراق من جهة وبين الضغط على اطراف التشكيل الحكومي لانهاء مفاوضاتهم وتشكيل الحكومة تحت ستار « الحاجة الامنية » . وفي هذا الصدد اشادت الصحيفة بالموقف الوطني والقومي للقطر السوري ، والموقف السعودي « المتصلب » في مسألة حظر النفط الى الولايات المتحدة والموقف المصري الذي بات هو الاخر يهدد اهداف اسرائيل البعيدة رغم « اللين والمسايرة » التي اتسم بهما (الشعب ٧٤/٣/٧) .

عيسى الشعيبي

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب

التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني

١٩٠٠ — ١٩٧٠

بقلم

عنان العامري

١٦٠ صفحة من القطع الكبير بست ليرات لبنانية ،
يضاف اليها أجور البريد الجوي : ١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢٥٠ ق.ل. في اوروبة ، ٥ ل.ل. في سائر الدول .

اطلبه من مركز الابحاث — قسم التوزيع .

ص.ب ١٦٩١ — بيروت .

(٥) اسرائيليات

من اعلان افلاس مشروع الدولة الى بدء .. الفصل الثاني

في زاويته الاسبوعية الساخرة « عندنا ... »، كتب الصحافي الاسرائيلي ، وعضو هيئة تحرير جريدة « معاريف » شالوم روزنفلد يقول : « ان من اخطر نتائج الحرب الاخيرة ، ان جميع مقالات الصحف عندنا تبدأ بكلمات : ان من اخطر نتائج الحرب الاخيرة ... » .

ولعل في قول روزنفلد هذا ، ما يصور بدقة ، الى حد بعيد ، اكتظاظ صحف العدو بمقالات لوم وانتقاد ومهاجمة سلطات اسرائيل العسكرية والسياسية ، بل وانتقاد الاتجاهات العامة للرأي العام الاسرائيلي ، وللاسرائيليين عموما ، وبشكل خاص في مرحلة ما بين الحربين : حرب حزيران ١٩٦٧ وحرب تشرين ١٩٧٣ ، وامتداد ذلك الى نقد الذات ، وتعمقه الى درجة تشبيههم له بالمازوشية — تعذيب النفس .

وما حفلت به صحف العدو ، يتطابق الى حد بعيد مع مشاعر وقناعات الاسرائيليين . فقد كتب الياهو سلفطر (هآرتس ٧٤/٢/٦) في عرض له لنتائج استفتاء للرأي العام ، اجراه احد معاهد الابحاث هناك ، انه « كلما ابتعدنا عن الحرب تزايد احساس الجمهور بأن العرب حققوا فعلا مكاسب مهمة ، خاصة في المجال السياسي . اذ بعد وقف اطلاق النار مباشرة ، اعتقد نحو ٢٠ ٪ فقط ان العرب حققوا « مكاسب كبيرة » ، اما الان فتصل نسبة هؤلاء الى ٤٤ ٪ » .

وزاد افرايم كيشون في معاريف يوم ٧٤/٢/٢٢ على ما قاله سلفطر حين اكد « ان خطأ قيادتنا العسكرية والسياسية ، كان كبيرا الى درجة ان الجمهور ، وحتى الان ، لم يستوعب ابعاده . ان هذه القيادة لم تفاجأ ، وكانت عمليا واثقة من انه حتى في حال حدوث مفاجأة كاملة ، نستطيع ابادة الجيوش العربية الغازية خلال بضعة ايام . هذه هي الحقيقة . وليس هناك اية دولة ديموقراطية في العالم ما كان — على ضوء هذا الخطأ المرعب — ليستقيل فيها على الاقل وزير الدفاع ، ورئيس هيئة الاركان العامة ، ورئيس فرع الاستخبارات العسكرية ، تاركين الخيار للجمهور في قبول استقالاتهم او رفضها . ولكن الجمهور المرهق لدينا على ما يبدو هو الذي سيستقيل ويحال على المعاش ، وهذا هو الخطر الاكبر الذي تواجهه الدولة » .

وبرغم العنف الذي اتسمت به غالبية مقالات الصحف الاسرائيلية في الاشهر الثلاثة الاولى التي تلت شهر الحرب ، فان هذه تبدو مقالات معتدلة اذا ما قورنت بمقالات شهر شباط (فبراير) الماضي .

والتفسير الاقرب الى العقل لهذه الظاهرة ، هو ان صحافيي العدو — او غالبيتهم المطلقة على الاقل — كانوا يكتبون خلال شهر تشرين الثاني تحت تأثير اعتبارين : الاول — حرصهم على معنويات الاسرائيليين التي انهارت الى اسفل الدركات من جراء هول الصدمة التي واجهتهم وعرت جيشهم وقادتهم ، والثاني — ما قاموا به من تضخيم ونفخ لعملية الخرق عند منطقة الدفرسوار و« التمركز في افريقيا » وظلوا يرددونها الى درجة انهم صدقوها على ما يبدو .

ثم ، وقبل ان يكتشف هؤلاء عدم فائدة وعدم صلاحية اي غطاء في حجب الحقيقة عن النفس وعن القراء ، كانت حكومة العدو قد أعلنت عن تشكيل لجنة التحقيق (لجنة اغرنات) للتحقيق في التقصيرات ، وارتفع ضجيج معركة الانتخابات التي تمت في اليوم الاخير من السنة الماضية .

ولقد ساعد الاعلان عن تشكيل « لجنة اغرنات » وبدء هذه عملها ، في كم افواه العديد من الناقمين، تحت شعار ان اللجنة تبحث وتحقق ، ولا مجال لتوزيع التهم قبل الاطلاع على نتائج التحقيق . وكذلك فان معركة الانتخابات، وما رافقها — بشكل خاص — من مصلحة متبادلة بين دايان والتكتل اليميني « ليكود » في « عدم الاعتداء » ، واقتصار توجيه ليكود للاتهامات الى « القيادة » بشكل عام وتسمية بعض الضباط مثل العازار وغونين — غير المرشحين في الانتخابات — وسكوت دايان في

المقابل عن مخالفات وتجاوزات الجنرال اريك شارون ، قد أثرت هي الاخرى في الاتهامات والنقد ضمن دائرة ضيقة القطر قدر الامكان .

وبمجيء وزير الخارجية الاميركي كيسنجر — في جولته الاولى بين اسوان وتل ابيب — و« قبول » اسرائيل « الانسحاب من افريقيا » ، بل وبدئها الانسحاب قبل يوم من الموعد الذي حدد له ، تبين للاسرائيليين حقيقة تفاهة « الخرق » الذي قاده شارون ، وشكل — تجاوزا ، وعبر حملة دعائية واسعة — شيئا ما موازيا لعملية العبور المصري لقناة السويس بطولها واختراق الجيش السوري خط دفاع جيش الاحتلال على هضبة الجولان وتوغله داخل هذا الخط في ايام الحرب الاولى الى بعد راوح بين ١٠ و١٥ كيلومترا على حد قول دايان لرؤساء تحرير الصحف الاسرائيلية يوم ١٠/٩/ ١٩٧٣ ، وكما نشر في تلك الصحف يوم ١٥/٢/ ١٩٧٤ .

وقبل ان تبدأ « قنابل » دايان وكتلة رافي ، والحزب الديني الوطني « مفدال » في التفجر على طريق غولدا مئير لتشكيل حكومتها الجديدة ، ازداد عنف الحملة التي قادها المراسلون العسكريون لصحف العدو ، ضد الناطق العسكري الاسرائيلي، والسياسة الاعلامية عموما — لم تكن قد استحدثت بعد وزارة اعلام — وضد وزارة ووزير الدفاع والرقابة العسكرية على الصحف الاسرائيلية — المفروضة منذ اغتصاب فلسطين سنة ١٩٤٨ —، ولم تخفف من حدة هذه الحملة الاجتماعات المتعددة التي عقدت لهذا الغرض ، وشارك دايان وغيره فيها .

ولقد وصل تضايق الناطق الرسمي بلسان جيش الاحتلال ذروته ، عندما طلب الى الصحف عدم نشر رسائل الجنود ، وهدد الجنود الذين يكتبون الى الصحف ، الامر الذي كشفته هآرتس ، وهاجمته في افتتاحية خصصتها له (يوم ١٢/٢/٧٤)، قالت فيها « ان الناطق الجديد بلسان جيش الدفاع الاسرائيلي العميد ثاني افرايم فورن استدعى اليه هذا الاسبوع المسؤولين عن زوايا رسائل الجنود الذين يكتبون حول مواضيع مختلفة الى هيئات تحرير الصحف . ولم يكن فورن ينوي بحث كيفية توجيه مطالب الجنود الى العنوان العسكري الملائم لازالة المصاعب وحل الاشكالات التي يشكو منها الجنود . ويبدو ان فورن يقصد عمليا الغاء زوايا رسائل الجنود . بل ان حديثه تضمن أكثر من تهديد موجه الى اولئك الجنود الذين يعربون عن مشاعرهم عبر الصحف . ومن اجل ذلك استند فورن الى امر عسكري قديم يمنع العسكريون بموجبه من نشر أي شيء كان في الصحف دون أخذ اذن مسبق بذلك من قادتهم » .

وتابعت هآرتس : « ان من يطلب من الناطق بلسان جيش الدفاع الاسرائيلي التصرف بناء على هذا الامر ، انما يعمل بموجب اوامر قديمة لا تتلاءم مع الواقع الجديد الذي اصبح قائما بعد حرب يوم الغفران . ان شيئا ما حدث في جيش الدفاع الاسرائيلي وفي اسرائيل ، ومن يحاول اعادة العجلة الى الوراء مصيره الفشل . وان احدى عبر الحرب هي ان جيش الدفاع الاسرائيلي لم يكن مكشوفا للنقد بما فيه الكفاية ، ولو ان هذه الرسائل كانت قد نشرت قبل الحرب ، ربما كانت القيادة العليا اكثر تنبها لما يحدث ازاء بعض هذه المواضيع » .

وردا على الزعم بأن نشر مثل هذه الرسائل يعرض « أمن الدولة » للخطر ، أنهت هآرتس افتتاحيتها بالقول : « ان الصحافة لا تنوي عبر هذه الرسائل تعريض أمن الدولة للخطر . وان كل واحدة من هذه الرسائل تراقب من قبل الرقابة العسكرية ، وتمحى منها الاسرار العسكرية . وهؤلاء الذين يخشون رسائل الجنود يثيرون شكا بانهم ينوون معالجة مشاكل الجنود دون ان يكون ذلك تحت انظار الجمهور . وان كم أفواه الجنود والصحافة تزيد من الشائعات ، الاخذة في الازدياد حتى بدون هذه الواسطة ... » .

أما الذروة الاعلى التي وصلتها — حتى الان — المواجهة بين الصحف والجهات العسكرية الرسمية ذات العلاقة بالاعلام ، فقد كانت يوم ١٥/٢/٧٤ ، حين نشرت هآرتس في اطار بعنوان « الرقابة العسكرية شطبت » ، داخل مقال لمراسلها العسكري زئيف شيف : « ان مقاطع كثيرة من هذا المقال ، تتطرق الى مسألة نظرة جنود ووحدات الى العهدة ، ومسألة النقص في العهدة الشخصية — نشرت اشياء شبيهة بها من قبل — قد شطبتها الرقابة العسكرية لاسباب لم تقتنع بها هيئة التحرير » ، وازدادت في هذه الفترة ايضا

المساحات البيضاء داخل المقالات ، وهي المساحات التي تتضمن المقاطع المحذوفة بأمر الرقـــابة العسكرية .

وازاء هذه الحملة العنيفة ، وعرض القيـــادة الاسرائيلية في صورة رجل مترهل عاجز ، والمجتمع ككل في حالة انحلال وانحطاط ، بدأت تنتشر في الصحف الاسرائيلية مقالات تهاجم تلك الصحف ، كما تهاجم الصحافيين ، وكان أبرز تلك المقالات ، مقالا ليأير بورلا في معاريف يوم ٧٤/٢/٤ ، تحت عنوان « بيع بالمزاد العلني — اوكازيون » دعا فيه الى اغلاق « مشروع الدولة » وبيعها او الامتناع عن قراءة الصحف الاسرائيلية ، وقال فيه : « لقد قرأت صحيفتين صباحيتين وصحيفتين مسائيتين ، ولم أر فيها أية نقطة ضوء ، كل تعليقاتها سـوداوية ... وما دام الامر كذلك فلنبع الدولة ، ما الغرابة في ذلك ؟ كل مشروع يفشل يعلن عن افلاسه ، ومن ثم بيعه ، ولقد فشل مشروعنا فهيا بنا نغلقه ونبيعه ، لمن ؟ لجورج حبش !.. اذا كان ذلك لا يعجبكم فاننا نبيعه الى الامم المتحدة ... » وبعد استمرار كتابته في هذا الاتجاه ، يستشهد ببعض ما قاله الصحافيـــون والمعلقون الاسرائيليون ، وعندما يتساءل عما اذا كان اقتراحه هذا مقبولا او مرفوضا يتوصل الى نتيجة ان الخيار الاخر غير البيع ، هو عدم قراءة الصحف الاسرائيلية .

ولقد كان هذا الجدل والنقد والرد عبر صفحات الصحف الاسرائيلية ، واحدا من ثلاثة مواضيع رئيسية شغلت تلك الصحف . والموضوعان الاخران هما : تعثر محاولات مئير تشكيل حكومة جديدة (انظر حول هذا الموضوع مقالا في مكان آخر من هذا الباب ، ومسألة الفصل بين القوات على جبهة الجولان .

على صعيد تشكيل الحكومة — باختصـــار شديد — يمكن ملاحظة التجمع حول قطبين ، يطالب اولهما — وهو الذي تتزعمه مئير ويضم اعضاء مباي سابقا و « المعتدلون » في حزب العمل وحزب مبام والحزب الشيوعي « راكاح » (بتحفظ واضح عبر عنه في اعلان للحزب نشره في يديعوت احرونوت يوم ٧٤/٣/١) وموكيد — بتشكيل حكومة ائتلافية لا تضم اليمين المتطرف المتمثل في « ليكود » ، ويطالب الثاني — الذي يتزعمه تكتل « ليكود » ويضم المفدال وراقي سابقا — بتشكيل حكومـــة « تكتل وطني » على غرار الحكومة الـــتي تم تشكيلها عشية حرب حزيران ١٩٦٧ . ومن اوضح من عرض الاحتمالات ازاء تشكيل أي من الحكومتين — قبل تشكيل الحكومة الجديدة — المعلق الاسرائيلي بولس في مقال بعنوان « مطلوب ائتلاف مقلص » في هآرتس عدد يوم ٧٤/٢/١٥ ، قال فيـــه : « ... وفي حال تشكيل حكومة تكتل وطني ، فانه اذا كان مندوبو الليكود هم الذين سيحددون النغمة داخلها ، فانها — أي الحكومة — ستقود الدولة نحو تعقيدات لا يكون مخرج منها الا عن طريق حرب او استسلام تام لما تفرضه الدولتان العظميان . واذا كان « التجمع العمالي » هو الذي سيحدد الاتجاه ، فان الليكود سيخرج من الحكومة كما خرج منها في تموز (يوليو) ١٩٧٠ » — يقصد في آب (اغسطس) حين خرج « غاحال » ، الكتلة الكبرى في الليكود ، من حكومة التكتل الوطني أحتجاجا على قبول الحكومة لمشروع روجرز الذي انهى حرب الاستنزاف على جبهة القناة — .

على عتبة الفصل الثاني !

نصل بعد هذا الى مسألة الفصل بين القوات السورية وقوات الاحتلال وما رافق هذه المناقشة من تطرق الى مسألة الصراع العالمي ، والعلاقات مع اميركا ، والمصاعب الخاصة على طريـــق التسوية .

جميع الرسميين الاسرائيليين — من غولدا مئير الى ابا ايبن الى موشي دايان وغيرهم — والغالبية العظمى من المعلقين والصحافيين الاسرائيليـــين ينطلقون من قاعدة التأكيد على ان اسرائيل لن تنسحب من هضبة الجولان ، وانها اذا ما ساومت فانها قد ترضى بالانسحاب في القطاع الشمالي من جبهة الجولان الى خط ما داخل الثغرة التي فتحها جيش الاحتلال في ذلك القطاع .

ولقد اوضحت مئير هذا الموقف خلال شـــهر شباط أكثر من مرة منها مثلا خطابها في اجتماع للمشتركين في دورة خاصة للجنة التنفيذيـــة الصهيونية في القدس يوم ١٩٧٤/٢/١٩ . واوضح دايان الموقف ذاته قبل مئير (هآرتس ٧٤/٢/١٥).

وربط بعض المعلقين الاسرائيليين بين الموقف الذي يجب على اسرائيل اتخاذه ازاء مسألة الفصل بين القوات في الجولان والذي تستطيع اتخاذه مـــن

ناحية ، وبين انعكاسات الوضع العالمي والصراع العالمي على الوضع في الشرق الاوسط وعلى اسرائيل بوجه خاص من ناحية ثانية .

وبعد عرض ومعالجة قضية النفط ورفع اسعاره وحظره ودور الاتحاد السوفياتي في تشجيع الدول المنتجة للنفط ودعم مواقفها ومطالبها وسياستها ، يقول المعلق الاسرائيلي شفايتسر في مقال بعنوان « ميدان صراع الدول العظمى » (هآرتس ١٥/ ٧٤/٢) : « ان اسرائيل مثل أية دولة اخرى تستورد النفط ، معنية بتخفيض اسعاره . الا انه ليس هناك شك في ان كل تسوية يتفق عليها بين الاميركيين (والغرب عموما) وبين الدول العربية المنتجة للنفط ستكون منطوية على الدفع بعملية اسرائيلية : ان اعلان الرئيس نيكسون حول مسألة رفع حظر النفط عن الولايات المتحدة، وربط ذلك بالتصريح بأن بلاده تعمل من أجل تنفيذ « كامل » لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، يشير الى الفهم الاميركي بالنسبة للعلاقة بين الصراع الاسرائيلي العربي وبين ازمة النفط ، كما ان استمرار الوضع على ما هو عليه في هذا المجال ، وفي ظل تأكيد التواجد السوفياتي في المنطقة ، وازدياد خطر الحرب فيها ، ان كل ذلك لا يبشر بالخير » .

ويتابع شفايتسر : « والنصيحة الوحيدة التي نستطيع ان نسديها لانفسنا في هذه الظروف ، تنطلق من حقيقة ان المنطقة قد أصبحت ، واكثر مما كانت عليه في أية مرحلة سابقة ، ميدان صراع الدول العظمى . **انهذهالحقيقة تلزمنا بالالتصاق بالولايات المتحدة ، الى أقصى حد ممكن ، ورغم الثمن الذي سيطلب منا دفعه . ان التواجد في العقد المقبل في الشرق الاوسط (وربما في مناطق اخرى من العالم) سيكون أصعب مما كان يمكن توقعه من قبل ، وقد يكون التواجد من دون سند أصعب مما يمكن تحمله .**

وقد أعرب المعلق الاسرائيلي موشي جاك ، عن اعتراضه على « استعداد اسرائيل للتنازل » لان ذلك سيزيد من قوة الضغط على اسرائيل ، وتحت عنوان « المسيرة الى دمشق » (معاريف ٢٢/٢/ ٧٤) ، منتقدا سياسة الحكومة ، اذ « بينما كنا خلال الاسابيع الماضية ، ومع الاسف ، منشغلين في البحث عن معادلات لـ « من هو اليهودي ؟ » تداخل لدينا تحديد « ما هي السياسة» والنقاشات المنهكة للقوى التي دارت حول تشكيل الحكومة مكنت المندوبين العرب من جعل موضوع الفصل بين القوات علما يوحد الدول العربية ، دول النفط ، الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة...» وبعد ان يقول جاك ان مرحلة البحث عن صيغة لفصل القوات مع سوريا، أصعب من تلك السابقة، فصل القوات مع مصر ، يصل جاك الى القول : « المسألة لا تختزل فقط في حقيقة ان معادلة الفصل بين القوات ليست الا اسما مرادفا للانسحاب . لا الارض ولا الكيلومترات التي سنضطر الى الانسحاب منها هي التي ستقرر الامور ، بل ان ما يقرر هو حقيقة ان المباحثات مع الدول العربية ستتم داخل اناء ضغط يسخن على لهيب النفط ، واناء الضغط هذا هو الذي أدى ، والان بالذات، حيث تتخذ اسرائيل موقفا أكثر اعتدالا بكثير من الماضي ، الى ان دولا أكثر تتنكر لها وتبتعد عنها : ايطاليا واليابان ، دول افريقيا وبريطانيا ، هذه الدول التي رفضت في السابق قبول التفسير العربي للقرار ٢٤٢ الصادر من مجلس الامن ، حين كانت تبدو المباحثات بين اسرائيل والدول العربية بعيدا جدا ، تستسلم الان بالذات ، وفي أوج المباحثات ، الى الضغط العربي وتقبل تفسير الدول العربية لمسألة الانسحاب الاسرائيلي » .

ويستخلص جاك من ذلك « أن اللين ليس علاجا سحريا لمنع الضغط ، ويجب أن نضع هذا الامر نصب أعيننا ونحن ندخل المرحلة الثانية ».

وقد عاد الكاتب نفسه الى موضوع الفصل بين القوات السورية وقوات الاحتلال بعد بدء كيسنجر جولته الثانية ، وتسليمه لاسرائيل قائمة باسماء أسراها لدى السوريين ، واعرب جاك عن اعتقاده في احتمال ان تكون مرحلة المباحثات الاولى لفصل القوات مع سوريا هي الاخيرة ، وقال « ... ان سوريا تريد ان تصل الى القنيطرة قبل ان تبدأ المباحثات مع اسرائيل ، حيث انها تريد احراز الحد الاقصى من المباحثات التي تريد ان تعطي فيها الحد الادنى . الا ان اسرائيل تعرف ان من الصعب رؤية مرحلة ثانية من المباحثات مع سوريا في المستقبل القريب ، ولهذا فان اسرائيل ملزمة بالاهتمام في ان تحصل في هذه المباحثات ، أي في المرحلة الاولى — التي يمكن أن تكون الاخيرة أيضا — على الحد الاقصى من الضمانات للابتعاد

عن الحرب ولضمان أمنها » (معاريف ٧٤/٣/١).

وفي اليوم ذاته (٧٤/٣/١) كتب اريئيل غيناي في يديعوت احرونوت ، مقالا عن « المصاعب على طريق الاتفاق مع سوريا » ، حذر فيه من الوقوع في خطأ الاعتقاد بسهولة « تخطي العقبات الكثيرة التي ستتراكم في المباحثات مع دمشق » استنادا الى ما أحرزه كيسنجر في مسألة قائمة الاسرى الاسرائيليين .

وقال غيناي : « ان مجرد حقيقة النظر الى تسليم قائمة الاسرى وموافقة دمشق على التباحث مع اسرائيل حول الفصل بين القوات على انها نجاح على طريق تحسين الوضع في المنطقة ، وعلى انها نجاح جديد وهام للدكتور كيسنجر ، تشير الى حجم المصاعب المتراكمة على طريق المباحثات مع دمشق » .

وفي استعراضه « للمصاعب الاساسية التي قد تنتصب في الطريق المؤدي الى السلام » يعدد غيناي ثلاث نقاط :

« في أي اطار اقليمي يتوجب ان يتم الفصل بين القوات ؟ في اعتقاد اسرائيل يجب ان يتم الفصل في اطار المناطق التي احتلت في حرب يوم الغفران ، ويتوجب ان يمر الخط الجديد الذي يفصل بين القوات في القطاع الشمالي داخل الثغرة التي احتلت في اكتوبر ٧٣ .

ويرى السوريون الامر بصورة مختلفة تماما . وهم يعتقدون انهم بموافقتهم على التباحث مع اسرائيل ، فانهم يكونون قد قاموا بتنازل هام للغاية. ودمشق غير مستعدة اطلاقا للقبول بامكانية عدم عودة كل منطقة الثغرة اليها . واضافة لذلك، فانها تريد ان يعاد اليها في اطار اتفاقية الفصل بين القوات جزء ما من هضبة الجولان التي احتلت في حرب الايام الستة ، وبشكل خاص ان يعاد اليها ما تبقى من مدينة القنيطرة ... ».

« ان مسألة جبل الشيخ ستثير مشاكل خطيرة . وليس هناك شك في ان السوريين سيتشددون في المطالبة باعادة الموقعين على جبل الشيخ — الموقعين اللذين احتلهما جيش الدفاع الاسرائيلي في الايام الاخيرة من الحرب . وحول هذا الموضوع، يصعب الاعتقاد ان تتنازل اسرائيل ، في حين انها قد تكون مستعدة للنظر في اخلاء احد الموقعين شريطة ان لا يتمركز السوريون فيها ، وانما رجال قوات الطوارىء الدولية التابعة للامم المتحدة » .

« بشكل عام ، فان منطقة الجولان ، حتى تلك التي احتلت في حرب يوم الغفران لا تلائمها قرارات بسيطة مثل الانسحاب المحدود على طول الخط الى مواقع جديدة . بدل ذلك يجب ان تجرى مساومة : تلة مقابل تلة ، تلة مقابل تلة ، موقع استراتيجي مقابل موقع استراتيجي ، على اساس مبدأ التبادل، هذا المبدأ الذي لا يتحمس السوريون له . ومع ذلك فان هذا هو المبدأ القادر ربما على ارضاء — الى حد ما — اسرائيل وسوريا . وربما كان بالامكان التنازل عن موقع ما في الجبهة ، وخاصة في الجنوب ، حيث لم تتحرك الخطوط هناك عمليا منذ حرب الايام الستة، مقابل فوائد لاسرائيل في قطاع آخر من الجبهة ... » .

وعن مسألة عودة سكان هضبة الجولان البالغ عددهم حوالي ١٧٠ الف نسمة والذين لجأوا منذ حرب حزيران الى مناطق داخل سوريا ، يقول غيناي انه « في حين يمكن بحث في اعادة لاجئي الحرب الاخيرة الى المناطق التي نستولي عليها ، فانه لا تجوز الموافقة على عودة لاجئي حرب الايام الستة ، لان عودتهم هي أشبه ما تكون بتنازل من قبلنا عن الهضبة » .

يبقى ان نقول ، ونحن على عتبة بدء المفاوضات من أجل الفصل بين القوات السورية وقوات الاحتلال ، ان حرب تشرين قد ادخلت الى القاموس السياسي لاسرائيل كلمات عديدة أبرزها «التقصير»، واعادت الروح الى كلمات عديدة أبرزها « الانسحاب » .

عماد شقور

وطني او اعادة الانتخابات . وبالفعل فبعد مقابلتها لرئيس الدولة في ٧٤/٢/٢٠ لاطلاعه على نتيجة الاستشارات الائتلافية ، اعلنت في بيان لها أمام الصحفيين انها أبلغت الرئيس ان بامكانها تأليف حكومة تعتمد على ائتلاف بين المعراخ وكتلتي الاحرار المستقلين والنواب العرب ، بعد أن استبعدت حركة حقوق المواطن . وجاء في بيان مئير ايضا أنها ستبقي الحقائب الوزارية التي خصصتها للمفدال شاغرة ريثما تحل مشكلة من هو اليهودي ، واكدت مئير ان حكومتها ستعتمد على أصوات ٥٨ نائبا . واعلنت مئير انها طلبت امهالها اسبوعا لكي تسمي الوزراء وتوزع الحقائب الوزارية ، وقد وافق رئيس الدولة على طلبها هذا .

لقد كان باستطاعة مئير أن تطلب منحها ثلاثة اسابيع اخرى للاستمرار في مهمتها لتشكيل حكومة او ان تتخلى عنها وتعيد التكليف الى رئيس الدولة ، الذي يحق له ان يلقي على عاتق مرشح آخر سواء من المعارضة او من المعراخ مهمة تشكيل الحكومة . لكن جولدا مئير ارادت بقرارها هذا ، فرض الامر الواقع على شركائها الائتلافيين المحتملين ، وبالذات المفدال ، ومن ناحية ثانية قطع الطريق على مطلب اقامة حكومة تكتل وطني، ذلك المطلب الذي اخذ يطرح كمخرج للازمة ، ليس من المفدال فقط ، بل أيضا من كتلة « رافي » في حزب العمل .

ردود الفعل

لم يكن اعلان جولدا مئير تشكيل حكومة اقلية مفاجأة للمراقبين لتطورات الاحداث السياسية والمفاوضات الائتلافية ، وقد تضاربت الاراء حول صلاحية وامكانية مثل هذه الحكومة بالقيام بمتطلبات المرحلة الراهنة . وكانت المواقف تتوزع بين مؤيد لها بتحفظ وبين معارض . وقد عبر عن الرأي الاول بروفيسور شلومو افينيري حيث قال : « يبدو لي أن حكومة أقلية كهذه تستطيع ان تحظى بثقة الشعب ، لكن الامر يتعلق بتركيب الحكومة ، فاذا ظهرت اكبر كتلة في الكنيست اي كتلة المعراخ، في الصورة نفسها التي ظهرت فيها الحكومة السابقة ، فان الثقة بين الجمهور كما يتراءى لي ستكون ضئيلة ، ولذا فعلى المعراخ ان يضع في الاماكن الاساسية وجوها جديدة ، واعني بذلك أشخاصا مثل رابين وايبن والون .. » « راجع ٧٠/٢/٢٣ ملحق ٤٧٠) . وافينيري هنا لا يتحدث كما هو واضح من كلامه عن الثقة البرلمانية . بالحكومة وعن امكانيات عملها وقدرتها على اتخاذ قرارات ، بل عن الثقة الشعبية كما يراها هو . وهو في نظرته هذه التي نادى بها يشكل استمرارا لبعض اتجاهات الرأي العام الاسرائيلي التي طالبت في اعقاب حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ بتغييرات في القيادة السياسية للمعراخ وبالرجال صانعي القرار في المرحلة المقبلة . ولكن على الرغم من ذلك ، يصعب القول ، ان هذا الاتجاه ، رغم انه لاقى دعما وتأييدا داخل حزب العمل نفسه ، قد أصبح من القوة بحيث يفرض التغيير ، وذلك بسبب بنية حزب العمل « الائتلافية » ، حيث ان اخطار الانشقاق قائمة في مثل هذه الحالة ، هذا اذا افترضنا جدلا ان القوى المطالبة بالتغيير داخل حزب العمل ، هي اصلا موحدة الرأي حول هذه الضرورة وقادرة عليه فعلا .

اما بروفيسور رؤبين يارون فقد عبر عن وجهة نظر معارضة لوجهة نظر بروفيسور افينيري حيث قال : « ... السؤال الاساسي هو هذا : هل ستكون لهذا الشعب الذي يعيش في هذه الدولة، ثقة بهذه الحكومة ؟ ليس لدي ادنى شك في أن الجواب على هذا السؤال سلبي ، واعتقد ان عدم اشتراك المفدال في الحكومة كان نقطة تحول. فبعد حرب يوم الغفران بدأ الحديث عن فقدان الثقة بالحكومة . وعندما لا تكون ثقة في الداخل فلا يمكن ان تكون ثقة في الخارج . لقد قال زميلي شلومو افينيري ان الون وايبن جديدان لكونهما لم يشتركا في اتخاذ القرارات، ولا اريد ان ادخل هنا بالتفاصيل ، ولكنني اعتقد أن هذا تقدير خاطىء فاحدهما كان نائب رئيسة الحكومة ووضع مشروعا يتعلق بالضفة الغربية واجتمع مع الملك حسين ولذا لا يمكن ان نقول انه شخصية جديدة في الحكومة » واضاف يارون : « السؤال هو : ما هو خط الحكومة الذي يتوجب اتباعه ؟ اذا كان المطلوب هو اتخاذ قرارات دون أن نسأل عن مدى سلامة هذه القرارات ، فان حكومة الاقلية باستطاعتها اتخاذ قرارات كهذه ، ولكن هذا ليس الاساس، كما ان تأليف الحكومة ليس هو الموضوع، بل الامر الاساسي هو — في رأينا — انه ينبغي التمعن جيدا في اتخاذ القرارات في الظروف الحالية . وهكذا فان من المؤكد ان تحظى حكومة

التكتل الوطني بثقة اكبر من جانب الجمهور » (راأ — ٧٤/٢/٢٣ ملحق ٤٧٠) .

أما المؤيدون لحكومة الاقلية كمخرج للوضع الذي وصلت اليه المفاوضات الائتلافية ، فانهم لا يخفون شكهم في امكانية استمرار مثل هذه الحكومة ، وقد عبرت جولدا مئير نفسها عن ذلك في اجتماع للجنة المركزية لحزب العمل حيث قالت: « لا استطيع ان اضمن كم ستصمد حكومة الاقلية. من المحتمل ان تنتهي بسرعة ، وعندئذ ستجري انتخابات ومن المحتمل ان تصمد فترة طويلة » (دافار ٧٤/٢/٢٥ نشرة م. د. ف. العدد الخامس اذار ١٩٧٤) .

أما المعارضة اليمينية فان غالبية الناطقين باسمها قد أعربت عن شكها في امكان حكومة الاقلية من اكمال عامها الاول . وصرح احدهم بقوله « سوف نكمن للحكومة وراء كل زاوية ، وسنبذل كل ما في وسعنا لاسقاطها » .

لكن الذي حال دون تشكيل حكومة الاقلية ، لم يكن في الواقع المعارضة اليمينية ، بل اليمين داخل حزب العمل المتمثل بشكل اساسي في كتلة «رافي». وموقف كتلة « رافي » والوزيرين دايان وبيرس من تشكيل حكومة اقلية ، رغم انهما وكتلتهما اعلنا اكثر من مرة عن استمرارهما في دعم جولدا مئير اذا ما شكلت حكومة اقلية ، هو الذي حال بالفعل دون مجرد اعلان التشكيلة الوزارية لحكومة الاقلية . فرفض دايان وبيرس المشاركة في الوزارة ، وضع جولدا مئير امام مأزق حرج ووضع علامة استفهام كبيرة على وحدة الحزب وعلى السلطة العمالية . واذا كان لدى جولدا مئير شك في استمرارية حكومة الاقلية حتى لو شارك دايان فيها ، فانها بالطبع متأكدة أن لا قيام لمثل هذه الحكومة دون دايان وكتلته . ومن ناحية اخرى فان ذهاب دايان ، الذي ربما كان سيلاقي ترحيبا لدى المابام وبعض فئات حزب العمل ، لم يكن يعني بالنسبة لجولدا نهاية المطاف ، فالانتقادات وان كانت تركزت بشكل اساسي على دايان وسياسته ،فان جولدا مئير ، لم تكن لتجرؤ على التضحية بدايان . لعلمها ان الامر لن يتوقف عند حد اقالة او استقالة دايان . وكان واضحا منذ توقف القتال ان جولدا قررت دعم دايان حتى النهاية عندما اعلنت عندما طالب شابيرا وزير العدل السابق باقالة دايان ، انها ما زالت تضع ثقتها به كوزير للدفاع ، ودفاعها عن دايان هو في حقيقته دفاع عن النفس ، الى جانب الاعتبارات الاخرى الفئوية .

وهكذا فان موقف دايان وبيرس كان بمثابة دق اول مسمار في نعش حكومة الاقلية . والسؤال الذي يطرح نفسه ، بعد كل المناقشات التي جرت داخل حزب العمل والمحاولات التي بذلت لثني دايان وبيرس عن موقفهما هو هل كان دايان بموقفه هذا يسعى الى اجبار حزب العمل على تشكيل حكومة تكتل وطني او اجراء انتخابات جديدة كما كان يبدو من تصريحاته ؟ وما مدى علاقة ذلك بالصراع الذي كان يخوضه ضد مناوئيه داخل الحزب .

تكتيك ناجح

في الحقيقة ان موقف دايان الرافض للمشاركة في حكومة اقلية واقتراحه تشكيل حكومة تكتل وطني او اجراء انتخابات جديدة ، كان ردا على الحملات التي شنت ضده داخل حزب العمل والتجمع العمالي وخارجه بتشجيع من خصومه (حملة اشكنازي) . وكان هذا الموقف في مجمله عبارة عن تكتيك ناجح واستغلال ذكي للاوضاع السياسية والحزبية . واذا كان السبيل امام دايان لاستعادة هيبته الشعبية بواسطة اثبات نفسه عسكريا ليس في اطار الممكن الان ، فان تعزيز مواقعه داخل الحزب واخماده لاصوات مناوئيه سيساعده في قطف ثمار « الحرب الدبلوماسية » الدائرة الان بعد أن عجز في الحرب الفعلية ، ومن ثم استعادة شعبيته كمنقذ للدولة ومحافظ على مصالح اسرائيل الحيوية في الصراع السياسي الحالي . وقد عبر حجاي ايشد عن اخطار خروج دايان من الحكومة فقال : « ... كما يمكن أن يتسبب خروج دايان [من الحكومة] في اضعاف مركزها دوليا ، والاضرار ضررا بالغا بقدرتها على المساومة ومصداقيتها تجاه الخارج ، لانه سيكون اسهل كثيرا على الاميركيين، او على جهات دولية معادية، ان تدعي من الان فصاعدا بأن الحكومة الاسرائيلية لا تمتلك القدرة على الحسم، والقاعدة الجماهيرية والبرلمانية ، الكافية ، وبالتالي لا مبرر لانتظارها بينما هي تتخبط في وزنها للامور » (دافار ٧٤/٢/٢٤/ نشرة م. د. ف ، العدد الخامس ١٩٧٤/٣/١) .

وقد وجد دايان في نتائج الانتخابات وما آلت اليه المفاوضات الائتلافية فرصته السانحة لبدء الهجوم لاستعادة مواقعه وتعزيزها ، وللرد على خصومه. وبالنسبة لدايان فان المخرجين اللذين طرحهما للخروج من الازمة كانا يصبان في طاحونة هدفه الرئيسي والاولي وهو اجبار الحزب مجددا على التأكيد على الثقة به وبالتالي تنفيذ بعض المطالب التي تقدم بها ، مثل الغاء الكتل داخل الحزب ، اعداد نظام داخلي لمناسبة الانتخابات لمؤتمر الحزب ومؤسساته في اواخر هذا العام ، تشكيل قيادة جماعية ، والبحث في سياسة وسائط الاعلام التابعة للحزب . ومن الجدير بالذكر ، ان نشير الى ان دايان في جميع خطواته وتصريحاته كان حريصا جدا على عدم المساس بجولدا مئير ، ولذلك من الخطأ الظن ان دايان قد بدأ معركة الوراثة الان . وكتب يوئيل ماركوس (هآرتس ٧٤/٢/٢٠) عن قرار دايان ودوافعه : « لا أنصح أحدا بأن يقبل بيان دايان كخطوة نهائية . فهذا القاء قفاز من جانب وزير الدفاع . اي ، بداية معركة سياسية معقدة قد تتحول ، خلال الاشهر المقبلة الى كرة من الثلج . فقد اوضح دايان ... انه لا يعتزم اعتزال الحياة السياسية » . واضاف ماركوس : ماذا يريد دايان أن يحقق ؟

« اولا ، من الجائز الجزم ان خطوة دايان ليست موجهة ضد جولدا مئير . فقد ذكر ، في المدة الاخيرة ، انه يحترم السيدة مئير اكثر من أية شخصية اسرائيلية منذ بن جوريون ... وهي بالمقابل ، تعتبر دايان الرجل الوحيد في حزبها القادر على مواجهة الولايات المتحدة خلال الاشهر القريبة المقبلة ...

« ان الدافع الاساسي ، بحسب تقديري ، ينبع من حقيقة ان النقد الفتاك ضده في حزبه اوصله الى حيرة بالنسبة الى السؤال حول ما اذا كان حزبه يقف وراءه ... ولم يعد واضحا لدايان ما اذا كان فعلا يمثل المعراخ ... وهذه هي ، كما يبدو ، الخلفية لخطوته » . واختتم ماركوس مقاله بالقول : « لا شك في أن وزير الدفاع اقدم على مجازفة محسوبة . ولكن هذه لا تتلاءم مع المشكلة التي سيواجهها المعراخ : هل يستطيع المعراخ ان يقدم على مجازفة محسوبة [بالمقابل] بالتخلي عن دايان وانصاره ؟ » (نشرة م. د. ف ، العدد الخامس ١٩٧٤/٣/١) .

تطورات مثيرة

جاء اعلان جولدا مئير عن قرارها بالتخلي عن مهمة تشكيل الحكومة تتويجا لتطورات الاحداث السياسية والحزبية داخل اسرائيل . وبينما وجد اليمين في ذلك ضالته ، نحو المشاركة في الحكم ، معتبرا قرار مئير ازالة للعقبة التي كانت تقف امام تشكيل حكومة تكتل وطني ، فان قادة حزب العمل والتجمع العمالي باستثناء كتلة « رافي » اصيبوا بما يمكن تسميته « هستيريا استرضاء جولدا » فالشخصيات والوفود لم تنفك عن التوجه اليها منذ اعلانها عن تخليها في ٧٤/٣/٥ وحتى عدولها عن قرارها . والى جانب ذلك فقد سارعت اللجنة المركزية للحزب بعقد اجتماع طارىء لبحث الاوضاع المتردية التي وصل اليها الحزب بقراري دايان وجولدا . وقد استمر الاجتماع مدة سبع ساعات متواصلة . وعلى الرغم من التوتر الذي ساد الجلسة فقد حاول جميع المتحدثين الحفاظ على هدوئهم لتحاشي الصدام مع اعضاء الكتل الاخرى. واوضح سكرتير الحزب ان الامر مصيري بالنسبة للدولة والحزب . وقد كان واضحا للجميع ان امكانية عدول جولدا عن قرارها ترتبط الى حد ما بتغيير اعضاء « رافي » لمواقفهم التي اكثروا من التحدث حولها ، وبشكل أساسي حول الدعوة الى اقامة حكومة تكتل وطني او اعادة الانتخابات. وقد جرى التصويت في اللجنة على ثلاثة أمور :

١ ـ دعوة جولدا للعدول عن قرارها ، وقد أيدت اللجنة المركزية هذا المطلب باغلبية ساحقة وامتناع اربعة أعضاء ليسوا من اعضاء رافي .

٢ ـ كما وأيدت الاغلبية في اللجنة المركزية ، وبامتناع ٤٥ عضوا ومعارضة سبعة اعضاء تأليف حكومة اقلية .

٣ ـ اما البند الذي يدعو دايان وبيرس للعودة عن قرارها فقد اقر بالاجماع .

وفي كلمته امام اللجنة المركزية عاد دايان واعلن تأييده لفكرة اقامة حكومة طوارىء وطنية ، لكنه قال انه لن يقدم اقتراحا كهذا الى اللجنة المركزية، في الوقت الذي تعارض فيه جولدا مئير هذا الامر ، ولكونه يعتقد انه يتوجب على جولدا مئير ان ترئس الحكومة ، فانه يؤثر بقاء جولدا على تشكيل حكومة طوارىء . لكنه أكد انه لن يشارك في حكومة اقلية . وفي مساء نفس اليوم (٧٤/٣/٥)

الذي صدرت فيه قرارات اللجنة المركزية لحزب العمل ، عقدت الحكومة المنتهية جلسة خاصة لمعالجة شؤون الامن ، صدر على أثرها بيانان عن مكتب رئيسة الحكومة ، يفيد الاول منهما ان مئير استجابت لطلب لجنة الحزب المركزية، وقررت استكمال مساعيها لتأليف الحكومة ، وان الوزيرين دايان وبيرس قد استجابا لطلب مئير بالانضمام للحكومة المقبلة .

الامن أو « البقرة المقدسة »

وما عجزت عنه كافة محاولات الاقناع والتفاهم والقرارات الحزبية التي تتطلب نوعا من الانضباط الحزبي ، قدرت عليه تلك العصا السحرية ، التي طالما استغلت في السياسة الاسرائيلية على كافة الاصعدة . واكتشاف حالة التوتر «المفاجيء» على جبهة الجولان من قبل وزير الدفاع وغيره من المسؤولين ما هو الا محاولة للحفاظ على ماء الوجه ، بعد ان وصلت الاوضاع الى نقطة اللاعودة واصبح من شبه المؤكد ان مئير ستستجيب لدعوة اللجنة المركزية وتشكل حكومة اقلية اذا ما اصر المفدال على موقفه . وهناك مراقبون يرون احتمال دخول عنصر او قوة من خارج المنطقة في عملية التعجيل بتشكيل الحكومة الاسرائيلية ، وهذه القوة (الولايات المتحدة) ، هي بذاتها المصدر الذي استقيت منه المعلومات حول التوتر « المفاجيء » على الحدود السورية .

أما وزير المواصلات شمعون بيرس (رافي) فقد شرح تطورات الاحداث التي ادت الى استجابته والوزير دايان بقوله : « في الواقع اننا كنا نعتقد مساء أمس (٧٤/٣/٥) ولغاية الساعة العاشرة ليلا ، اننا لن نشترك في الحكومة ، ولكن خلال جلسة الحكومة اتضحت لنا امور لم نكن ندركها من قبل ، وكذلك وصلت معلومات خلال الجلسة لم نكن ندركها في السابق ، وهكذا اتخذنا قرارا في تلك اللحظة بالذات على ضوء الوضع الجديد ، وبعد انتهاء الجلسة ذهبنا الى جولدا مئير وقلنا لها اننا سنشترك في الحكومة المقبلة » (راأ — ١٩٧٤/٣/٦ عدد ٤٧٩ ص ١٣٨) .

وتماشيا مع هذا الجو قام دايان بزيارة وتفقد المواقع الاسرائيلية في الجولان للوقوف على مدى الاستعدادات الاسرائيلية ، ولاضفاء مزيد من الجدية على المخرج الذي تم التوصل اليه لايجاد حل للازمة الائتلافية والوزارية .

وعلى أثر صدور البيانين الانفين عن مكتب رئيسة الوزراء مساء ٧٤/٣/٥ تقرر عقد جلسة مشتركة ظهر يوم الاربعاء ١٩٧٤/٣/٦ بين مئير وممثلي المفدال في نطاق استكمال مئير لجهودها لتشكيل حكومة جديدة. وقد تبين في تصريحات زعماء المفدال ان النية تتجه نحو ايجاد مخرج ايضا لمسألة انضمامهم للائتلاف ، ائتلافا لمصلحة البلد العليا!!

وفي جلسة ادارة المفدال التي عقدت يوم ١٩٧٤/٣/٦ . والتي استمرت قرابة الخمس ساعات ، حسم الموضوع الامني كافة التحفظات على انضمام المفدال للحكومة وكانت نتيجة الاقتراع رغم « الحمى الامنية » غير مشجعة فقد أيد الانضمام ٣٠ عضوا وعارضه سبعة عشر وامتنع اربعة عن التصويت . وعلى اثر ذلك ابلغ الوزير حزاني جولدا مئير بقرار المفدال .

وفي مساء نفس اليوم (١٩٧٤/٣/٦) الذي اتخذت فيه ادارة المفدال قرارها بالانضمام للحكومة، ذهبت جولدا مئير الى مقر رئيس الدولة لتعلمه بأنها اتمت عملية اقامة الائتلاف وتشكيل الوزارة ، وبأنها ستتقدم الى الكنيست لطرح الثقة على ضوء بيانها السياسي الذي ستعلن فيه عن خطوط سياستها الاساسية .

وفي ١٩٧٤/٣/٧ اقرت اللجنة المركزية للمفدال قرار ادارة الحزب بالانضمام للحكومة بأغلبية ٩٣ مقابل ٦٩ عضوا وامتناع تسعة اعضاء عن التصويت . ومن المعلوم ان عدد اعضاء اللجنة المركزية للمفدال يبلغ مئتي عضو . وقد اثارت نتائج الاقتراع تساؤلا حول احتمالات انشقاق الحزب على نفسه نتيجة لموقف كتلة الشبيبة المتطرفة وممثلي المستوطنات التابعة للمفدال ، او على الاقل احتمال امتناع ممثلي الاتجاه الرافض للانضمام عن التصويت الى جانب الحكومة عن طرح الثقة ، وهذا ما حدث بالفعل ، حيث امتنع عضوا الكنيست زفولون هامر وبن مئير عن التصويت اثناء طرح الثقة بالحكومة .

تشكيل الحكومة ... وفوزها بالثقة

تشكلت الحكومة الحالية من اثنين وعشرين وزيرا (منهم ثلاثة وزراء دولة) بالاضافة الى رئيسة الوزراء . وقد جاء هذا العدد الكبير من الوزراء خلافا للرغبة السابقة في دمج بعض

الوزارات ذات الاختصاصات المتقاربة ، ونتيجة للضغوط الائتلافية الناجمة عن رغبة كل حزب في زيادة عدد ممثليه في الوزارة استجابة للصراعات الداخلية فيه حول المناصب الوزارية . وبعد مداولات ومباحثات مضنية تم التوصل الى تشكيل الحكومة على النحو التالي : ١٧ وزيرا للتجمع العمالي بما فيهم رئيسة الوزراء ومنصب وزير بلا وزارة ، وتتوزع بين الكتل المؤلفة للتجمع العمالي وحزب العمل على النحو التالي : ١١ وزيرا لكتلة المباي في حزب العمل ، بما فيهم رئيسة الوزراء، وزيران لكتلة رافي ووزيران لاحدوت هعفودا (أحدهما وزير بلا وزارة) . ومن أصل السبعة عشر وزيرا للتجمع العمالي هناك وزيران للمبام فقط ، وما زال المبام يطالب بحقيبة ثالثة .

أما على صعيد الاحزاب المشتركة في الائتلاف، فقد حصل الاحرار المستقلون على وزارتين (احداهما لوزير بلا وزارة) ، والمفدال على اربعة وزارات احداهما لوزير بلا وزارة . ومن الجدير بالذكر ان نشير هنا الى بعض الملاحظات التي وردت في نشرة رصد اذاعة اسرائيل في مقابلة مع دكتور شيفاح فايس المحاضر في جامعة حيفا حول التركيبة الحكومية ، اعمار اعضائها ، الوظائف التي اشغلوها في السابق ، خبراتهم وغيرها من الامور . يقول فايس : « بالمقارنة مع الحكومات في الغرب ، تتميز الحكومة في اسرائيل بسن الوزراء المرتفع نسبيا فنحو ١٨ ٪ من الوزراء قد عبروا سن السبعين وهو سن مرتفع ، ونحو ٢٨ ٪ من الوزراء قد عبروا سن الستين، وفقط ١٨ ٪ من بينهم هم اقل من سن الخمسين سنة . وسائر الوزراء بين الخمسين والستين عاما . وتجدر الاشارة هنا الى أن هذا معدل مرتفع نسبيا . ويضيف دكتور فايس حول اهتمامات واختصاصات اعضاء الحكومة فيقول : « ثمة مجموعة بارزة جدا وهي مجموعة الوزراء ذوي الماضي العسكري ، فنحو ٥٠ ٪ من الوزراء اي ١٢ وزيرا ذوو ماض عسكري ، منهم ثلاثة برتبة لواء وعميدان ، واثنان عملا في منصب مدير عام وزارة الدفاع ، وواحد كان رئيسا للجنة الخارجية والامن . وباختصار فان هذه مجموعة بارزة جدا. كذلك ثمة مجموعة الخبراء في الزراعة ، فعلى الاقل ثلاثة وزراء هم ليس فقط يمثلون قطاعات زراعية، بل هم زراعيون ، وعلى هذا الاساس يظهر ضعف المجموعة الادارية والاقتصادية . ومن المعلوم ان احد المواضيع الاكثر اهمية التي ستواجه هذه الحكومة في المستقبل القريب هي تنمية الاقتصاد الاسرائيلي ، واعتقد ان هذا طاقم ضعيف جدا . (رأا — ١٩٧٤/٣/١٠ — عدد ٤٨٢ ص ٢٢٣) .

وفي معرض تقديمها للحكومة امام الكنيست يوم ١٩٧٤/٣/١٠ اشارت جولدا مئير الى خطوط حكومتها السياسية بالنسبة لبعض القضايا .وقالت مئير ان حكومتها قامت على اساس سياسة محددة ترى هدفها الرئيسي ، العمل من اجل السلام مع كل دولة من الدول المجاورة ، وان السلام مهمته ان يضمن لاسرائيل حدودا قابلة للدفاع ، وتطور دون أية مضايقات ، ذلك السلام الذي يضع حدا للحروب ، ويمكن جميع الدول في المنطقة من توجيه مواردها وطاقاتها الى مجالات البناء والانتاج والرفاهية . ومن اجل تحقيق هذا الهدف ، ستكون جهود الحكومة موجهة لايجاد الفرص والاحتمالات الممكنة في مؤتمر السلام الذي افتتح في جنيف .

اما بالنسبة للمفاوضات مع الاردن فقالت مئير : « ان الحكومة ستجري مفاوضات مع الاردن ، وستتخذ قرارات في كل مرحلة من مراحل المفاوضات، ولكن لن يكون هناك اتفاق سلام مع الاردن ، اذا كان يقتضي التنازل الاقليمي عن اجزاء الضفة الغربية قبل ان نسأل الشعب رأيه في انتخابات جديدة ، اذا ما طلب احد الاحزاب المشتركة في الائتلاف هذا الطلب » (المقصود المفدال) .

أما بالنسبة لهضبة الجولان فعادت مئير وكررت نفس المواقف الاسرائيلية السابقة الرافضة للانسحاب من الهضبة ، مؤكدة ان اسرائيل على استعداد لعقد اتفاق لفك التحام القوات مع سوريا على أساس الانسحاب من المنطقة المحتلة في حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ فقط .

ومن موضوع الامن انتقلت مئير الى الشؤون الداخلية ، فقالت : « سيكون مقلقا جدا اذا وافقنا على العودة الى الحياة الاعتيادية التي كنا نحياها بالامس . يجب ان تتجسد في جميع مؤسسات الدولة وقطاعاتها الدروس والعبر التي استخلصناها من التجربة والاسباب ونتائج الحرب » .

وفي رد بيجن زعيم المعارضة على بيان جولدا

مئير وجه كلامه اليها مباشرة منتقدا الاسلوب الذي تم فيه تشكيل هذه الحكومة ، من اعتذار مئير الى عودتها بعد اقل من ٢٤ ساعة . ومشيرا الى ان مئير جعلت بتصرفاتها موضوع رئيس حكومة اسرائيل مثارا للسخرية والمهزلة . ثم تساءل بيجن: « ان السؤال الكبير يطرح في كل بيت في اسرائيل. الى أين نحن نسير ؟ والى أين سنصل ؟ لقد وعدتم ان تأتوا بالسلام ، واليوم تعلنون ان الحرب قد تنشب في أية لحظة ، حرب في الشمال . وانتم انفسكم تضيفون انه اذا وقع اطلاق نار في الشمال ، فان هناك أساسا لتوقع تجدد النيران في الجنوب ، ولربما في الشرق ايضا . هذه ظاهرة طبيعية ، بعد كل حرب تعدوننا بالسلام ، وبعد كل وعد كهذا من قبلكم نواجه حربا جديدة » (رأ ا — ٧٤/٣/١٠ عدد ٤٨٢ ص ٢٢٦ — ٢٢٧) .

وبعد انتهاء كلمات اعضاء الكنيست الممثلين للكتل المختلفة جرى التصويت على الثقة بالحكومة فازت بها بأغلبية ٦٢ صوتا ضد ٤٦ صوتا (مجموع اصوات اليمين بالاضافة الى اصوات راكاح وحركة شولميت الوني) . بينما امتنع تسعة اعضاء عن التصويت : اثنان من حزب العمل واثنان من المفدال والاعضاء الخمسة للجبهة التوراتية . ويبدو أن ثلاثة من اعضاء الكنيست لم يكونوا حاضرين للجلسة .

هاني عبدالله

صدر مؤخرا عن مركز الابحاث

كتاب

الدور السياسي للجيش الاردني

١٩٢١ — ١٩٧٣

بقلم

عباس مراد

١٦٦ صفحة من القطع الكبير بخمس ليرات لبنانية ، تضاف اليها اجور البريد الجوي :

١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢٥٠ ق.ل. في اوروبه ، ٥ ل.ل. في سائر الدول .

اطلبه من مركز الابحاث — قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

(٦) القضية الفلسطينية عسكريا

فصل القوات في الجولان

في الرابع من آذار ١٩٧٤ انتهت عملية فصل القوات على الجبهة المصرية ، وأخذت القوات المصرية والاسرائيلية مواقعها المحددة في الاتفاق الموقع عند الكيلو ١٠١ في يوم ١٩٧٤/١/١٨ ، واحتلت قوات الطوارىء الدولية مواقعها في المنطقة المحايدة الفاصلة بين الطرفين ، وبدأت تمارس مراقبة المناطق التي ينطبق عليها شرط خفض القوات . ولم يبق من آثار حرب تشرين الاول سوى مسألتي فصل القوات على الجبهة السورية، ورفع حظر النفط عن الولايات المتحدة وهولندة والدول التي تقدم المساعدة لاسرائيل .

وعندما كانت عملية فصل القوات تجري بانتظام ودون حوادث على الجبهة المصرية، كانت المحاولات تبذل لفصل القوات على الجبهة السورية تمهيدا لرفع حظر النفط ، والبدء بمباحثات جنيف . وكان الشرط الاسرائيلي واضحا جازما : وهو الشرط الذي كرره المسؤولون الاسرائيليون اكثر من مرة، وعاد وزير خارجية العدو ابا ايبان ليذكره في الكنيست في جلسة يوم الثلاثاء ٢/١٩ عندما اكد « ان الحكومة الاسرائيلية لم تجر حتى الان مفاوضات مباشرة او غير مباشرة مع سورية حول موضوع فصل القوات ، وانها لم تنقل اية مقترحات او مشاريع او افكار بهذا الصدد الى أية حكومة ، لا في الشرق الاوسط ولا خارجه ، ... وان موقفها لا يقبل التأويل وهو عدم اجراء اتصالات مع سورية في الوقت الذي لم يقدم فيه السوريون لوائح باسماء الاسرى ، ولم يسمحوا لممثلي الصليب الاحمر بزيارتهم » (رصد اذاعة اسرائيل ر.ا.ا. ١٩٧٤/٢/٢٠) .

وكانت الولايات المتحدة الراغبة في تحقيق انجاز على الجبهة السورية مماثل لانجازها على الجبهة المصرية تضغط على اسرائيل بشكل مباشر ، وتضغط على سوريا — عن طريق مصر والاتحاد السوفياتي والسعودية . ويعتبر عدد كبير من المراقبين العالميين أن رفض الولايات المتحدة « في الوقت الحاضر » تزويد اسرائيل بعشرين طائرة هليكوبتر متطورة من طراز « كوبرا » وبقاذفات صواريخ بعيدة المدى ، وبصواريخ « لانس » نوعا من هذا الضغط . ولقد أشار موشي دايان في جلسة اعضاء كتلة رافي الى هذا الضغط ، بشكل خفي ، في ليلة ٢/٢٠ عندما قال : « انه يتوجب على الحكومة الجديدة ان تهتم بالقضايا الملحة وهي تزايد قوة العرب، والاحتمالات لايجاد تسوية سلمية مع جيراننا بقوة الولايات المتحدة السياسية » . (ر.ا.ا. ٧٤/٢/٢١) .

وكان من الواضح خلال فترة الضغوط ان اسرائيل مرتاحة لما يجري على الجبهة المصرية . فلقد سمحت لها عملية فصل القوات وانتهاء حرب الاستنزاف بتسريح ٥٠ ٪ من المجندين ، وأعلن وزير الدفاع امام اعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية المجتمعين في القدس (٧٤/٢/٢٠) انه سيتم تسريح ٢٥ ٪ غيرهم بعد شهرين . وان فتح قناة السويس واعادة بناء مدن القناة بعد عدة اشهر ستعطي اسرائيل « فرصة تاريخية للتوصل الى تسوية مع مصر » .

واتجهت الانظار خلال هذه الفترة نحو واشنطن التي قررت ارسال كيسنجر ليقوم بمحاولة لفصل القوات . ولكن كيسنجر نفسه كان غير متفائل هذه المرة . ولقد نقلت الاوساط السياسية الاميركية ان كيسنجر يفضل ان يرسل بدلا عنه جوزيف سيسكو او السفير بانكر المكلف بتمثيل الولايات المتحدة في مباحثات جنيف ، لاعتقاده بأن الجو لم يصبح بعد ملائما لفصل القوات ، بيد ان ضغط الرئيس نيكسون الراغب في تحقيق انجاز يدعم مركزه سيجعل كيسنجر مضطرا الى تنفيذ المهمة بنفسه . ولقد ذكرت صحيفة **المونيتور** الاميركية « ان السوريين غير مستعدين لفصل القوات ، اي الانسحاب الى خطوط عشية يوم الغفران ، وهم يؤكدون ان هذا الانسحاب سيكون مجرد خطوة اولى » (المونيتور ١٩٧٤/٢/٢١) . ولقد لاحظ المراقبون قبل وصول كيسنجر ان الموقف السوري ازداد تصلبا بعد صدور قرارات المؤتمر الاسلامي في لاهور بتاريخ ٢/٢٤ التي تندد باسرائيل والدول التي تؤيدها ، وتدعو الى انسحاب اسرائيل غير المشروط من جميع المناطق العربية المحتلة في حرب ١٩٦٧ ، واعادة السيادة العربية على القدس .

ولم يكن هناك من يعتقد بأن المباحثات مع سورية ستكون سهلة ، فلقد ذكرت صحيفة **معاريف**

(٧٤/٢/٢٥) انه « حتى لو سلمت سورية لائحة بأسماء الاسرى ، وسمحت لممثلي الصليب الاحمر بزيارتهم ، فان الطريق لفصل القوات معها لن تكون سهلة » . وكان وزير الدفاع موشي دايان قد صرح في جامعة بارايلان بتاريخ ٢/١٤ انه لا يتوقع ان يتم الاتفاق مع سورية كما تم مع مصر ، وان من المحتمل التوصل الى اعادة النظر بشكل عميق في العلاقات المصرية ــ الاسرائيلية ، ولكنه لا يتوقع مثل هذا الامر مع سورية « التي لن تقبل بالسلام مع اسرائيل الا اذ سلمتها اسرائيل ميناء حيفا . لذا فان الوجود الاسرائيلي في الجولان ضرورة استراتيجية بالنسبة الى اسرائيل » (**فيغارو** ١٩٧٤/٢/١٥) .

واخيرا وصل كيسنجر الى سورية في يوم ٢/٢٦ واجتمع بالمسؤولين السوريين فور وصوله ، وكان قد صرح في مطار لندن قبيل سفره الى سورية « انه يأمل ان يتم التوصل الى بدء محادثات سلمية واستئناف مؤتمر جنيف » . ولكن غولدا مائير قطعت عليه سبيل تفاؤله عندما صرحت بأن اسرائيل مصممة على ضم الجولان . الامر الذي دفع الدبلوماسي الاميركي سكوتس الى التأكيد في دمشق بأن الولايات المتحدة لا تشارك رئيسة الحكومة الاسرائيلية في موقفها بأن تكون الجولان جزءا لا يتجزأ من اسرائيل ، و« ان هذا التصريح قد احرج الولايات المتحدة » . وبدلا من ان تتراجع اسرائيل عن موقفها المتعنت هذا « حتى لا تحرج الولايات المتحدة !! » قال سفير اسرائيل في اميركا سيمحا دينيتس فور وصوله الى مطار اللد في ٢/٢٦ « لا اعتقد ان التصريح قد احرج الولايات المتحدة ، فان الولايات المتحدة تعد اكثر من ٢٠٠ مليون نسمة ، واعتقد ان البعض قد احرج . ولكن لا يمكن القول ان التصريح قد احرج الولايات المتحدة، واعتقد ان موقف اسرائيل من هضبة الجولان معلوم جيدا في الولايات المتحدة منذ مدة طويلة . **ويتوجب** على العالم ان يعتاد على الامر » (ر. ا. ٧٤/٢/٢٧) . وكان استقبال صحيفة يديعوت احرونوت لوزير الخارجية الاميركية غير ودي تماما. فلقد اتهمته بأن له دورا في الازمة التي تجتازها اسرائيل « اذ انه يمارس علينا ضغطا شديدا . وعلى الرغم من ان هذا الضغط يمارس برقة ، فان الشعب يحس به في اسرائيل ... وينبغي على الدكتور كيسنجر ان يتوقف قليلا ، وينظر الى اين يدفع دولتنا » (**يديعوت احرونوت** ٧٤/٢/٢٦).

واستمرت محادثات كيسنجر مع القادة السوريين طوال ليلة ٢٦ شباط وصباح ٢٧ ، ثم توجه في اليوم نفسه الى اسرائيل حاملا معه قائمة بأسماء ٦٥ اسيرا ، ووعدا بامكانية زيارتهم من قبل الصليب الاحمر في مطلع آذار . ولقد صرح وزير الخارجية الاميركية فور وصوله الى مطار اللد « انه لمس في دمشق تقدما حسنا في بعض المواضيع التي تهم اسرائيل كثيرا » وان محادثاته في اسرائيل « ستجري بروح الصداقة وبدافع الاخلاص كما جرت محادثات فصل القوات مع مصر » وانه يأمل ان تكون هذه المحادثات ناجحة .

وبدأت جولة مباحثات كيسنجر مع الاسرائيليين بغية بلورة مشروع لفصل القوات مقابل حصولهم على قائمة الاسرى . وفي يوم ٢/٢٨ توجه كيسنجر الى القاهرة بزيارة قصيرة ، ثم عاد الى اسرائيل في يوم الجمعة ٣/١ ليحمل الى السوريين المشروع الاسرائيلي لفصل القوات . وفي يوم ٣/٢ غادر كيسنجر دمشق متوجها الى الرياض وعمان . ولقد ذكرت الصحافة الاميركية ، التي كانت تستقي معلوماتها من مراسليها الذين رافقوا وزير الخارجية الاميركي ، ان المشروع الاسرائيلي تضمن النقاط التالية (حسبما ذكر في نيويورك تايمز) :

ــ تنسحب اسرائيل من المنطقة التي احتلتها في حرب ١٩٧٣ .

ــ ترابط في هذه المنطقة قوات الطوارىء الدولية .

ــ تستلم قوات الطوارىء الدولية موقعين احتلتهما اسرائيل على جبل الشيخ في حرب تشرين الاول .

ــ يتم تبادل الاسرى .

ــ يسمح الاسرائيليون بعودة ١٨ الف شخص من سكان القرى المحتلة في حرب ١٩٧٣ الى اراضيهم .

ورفض الجانب السوري المقترحات التي حملها كيسنجر . وكان قد اعلم وزير الخارجية الاميركي مسبقا ان الذهاب الى جنيف ، مرهون بالنقاط التالية (حسبما ذكر في فيغارو ١٩٧٤/٢/٢٨) :

ــ ان تنسحب اسرائيل الى ما وراء الخط البنفسجي بعدة كيلومترات .

ـ ان يتم اخلاء القنيطرة ، حتى لو بقيت مؤقتا في المنطقة الفاصلة التي ستحتلها قوات الطوارىء الدولية .

ـ ان تعيد اسرائيل الى الجولان ٧٠ الف شخص من نازحي ١٩٦٧ .

ـ ان تعتبر مسألة تبادل الاسرى من ضمن الامور التي سيتم التباحث عليها خلال مؤتمر السلام .

ـ ان يسبق جميع التدابير السابقة تعهد اسرائيلي باخلاء الجولان واعطاء الشعب الفلسطيني حقه المشروع .

ولقد كان سفر كيسنجر من المنطقة ، والاعلان عن اجراء مباحثات سورية ـ اسرائيلية غير مباشرة في واشنطن بعد اسبوعين ، دليلا واضحا على تباعد وجهات النظر ، وصعوبة التقريب بينها، خاصة وان السوريين متشددون بالنسبة الى مسألة القنيطرة ، والزعماء الاسرائيليين متورطون اكثر مما ينبغي بتصريحات حول عدم التنازل عن الجولان وخاصة بعد بناء ١٨ مستوطنة في الهضبة المحتلة . بالاضافة الى ان زيارة كيسنجر جاءت في وقت كانت الحكومة الاسرائيلية تعيش خلاله ازمة حادة ، تجلت في فشل مائير في تشكيل الوزارة (بسبب موقف « المفدال » من مسألة « من هو اليهودي » واعتذار دايان وبيريز عن الاشتراك في الحكم باسم « رافي » بعد تعرضهما لانتقادات حزبهما التي انصبت على أخطائهما ومسؤوليتهما في حرب تشرين الاول ١٩٧٣) .

وفي ٤ آذار ، وبعد هدوء دام ١٢ يوما (منذ ٢٠ شباط) جرى اشتباك عنيف في مرتفعات الجولان ، عندما دفع العدو بوحدة هندسية لتحسين مواقعه الامامية في القطاع الجنوبي (منطقتي تل فرس والرفيد) فتصدت له المدفعية السورية ، وألحقت به عددا من الخسائر . (النهار ٥/٣/ ٧٤) . ويبدو ان التوتر على الجبهة السورية أفاد الحكومة الاسرائيلية وساعد على حل الازمة الوزارية ، فلقد عاد دايان وبيريز عن موقفهما وقررا المشاركة في الوزارة ، ووافق « المفدال » على المشاركة بأربعة وزراء ، وتم كل ذلك باسم « الوضع الامني الجديد » و« التوتر على الحدود السورية » .

ولقد فسر الاسرائيليون الاستعدادات السورية لشن هجوم يحرر المناطق المحتلة في حرب ١٩٧٣ بأنها ناجمة عن الضغط الحزبي والشعبي والعسكري في سورية باتجاه القتال ، ورغبة السوريين في دفع مصر الى القتال وايقاف التوجه المصري السريع نحو الولايات المتحدة . بالاضافة الى الدعم الذي قدمه غروميكو خلال زيارته الاخيرة لدمشق .

ويدعي الاسرائيليون ان مصدر المعلومات التي جاءتهم عن استعدادات سورية الهجومية هو الولايات المتحدة ومصادر الاستخبارات الاسرائيلية. ولكن المعارضة في اسرائيل نظرت الى الامر من زاوية اخرى ، ورأت ان « المفدال » و« المعراخ » وجدا الحل لمعضلاتهما وللتخلص من تعهداتهما ، وذلك عن طريق الاختفاء وراء اخبار الحشود السورية والوضع الامني ، وان الحشود السورية موجودة منذ حرب تشرين الاول ١٩٧٣ ، وهي مستنفرة بشكل دائم ، ومستعدة للقيام بالهجوم في كل لحظة . وانه بالرغم من ضرورة الحذر واليقظة، وخاصة بعد مفاجأة تشرين الاول ، فانه ليس هناك ما يبرر هذه الضجة المفتعلة حول الوضع الامني الجديد . ومن اطرف التعليقات الساخرة بالحكومة قول **معاريف** (٧٤/٣/٧) بأنه « يسود انطباع بأن السيدة مائير ليست هي التي ألفت الحكومة ، بل الرئيس السوري بمساعدة وزير الخارجية السوفياتي ! » .

ولقد كذبت سورية ادعاءات اسرائيل ، واعلنت في ٣/٦ ان الاسرائيليين « يخلقون حجة لغزو سورية » ... و« ان سورية مقتنعة بأن اسرائيل لم تتخل عن سياستها التوسعية تجاه الدول العربية » (١٩٧٤/٣/٧) . وقالت وكالة **تاس** (٣/٧) ان الانباء الاسرائيلية عن تصعيد جدة التوتر في الجولان « ليست الا استفزازا من جانب اسرائيل » .

وأكد هذا التكذيب مراسل الاذاعة الاسرائيلية روني دان الذي نقل عن احد المستوطنين في هضبة الجولان قوله في ٧ آذار « ان الوضع متوتر في تل ابيب والقدس اكثر مما هو متوتر هنا اليوم في هضبة الجولان » (ر. ا. ا. عدد ٤٨٠) .

وبالرغم من كل هذه التأكيدات فان في اسرائيل انطباعا بأن من الضروري تعلم درس تشرين الاول، وأخذ كل اشارات الانذار مأخذ الجد . كما ان الرأي السائد (خارج المعارضة) يؤكد بأن زيارة

غروميكو لدمشق والبيان المشترك السوفياتي ـ السوري ، الذي يحذر من انفجار قريب في الشرق الاوسط ، قد دعما موقف سورية ودفعاها الى التشدد وتطبيق الاسلوب الفيتنامي في المفاوضات « وهو التفاوض في الوقت الذي تكون فيه الاشتباكات مستمرة على الجبهة » (**جيروزليم بوست** ١٩٧٤/٣/٨) .

ولقد جرى بالفعل اشتباك في يوم ٨ آذار اشتركت فيه المدفعية والدبابات ووحدات الصواريخ المضادة للدبابات . وأعلن الناطق باسم وزارة الخارجية الاميركية في واشنطن ان الوضع في الجولان«دقيق وغير مستقر، واننا نراقبه عن كثب».

والحقيقة ان الولايات المتحدة راغبة في تهدئة الوضع في الجولان لان رفع حظر النفط مرتبط على ما يبدو بفصل القوات في الجولان ، وان كانت هناك دول عربية تضغط لرفع الحظر قبل فصل القوات ، وتكرر هذه الدول حجة كيسنجر ، التي نقلها مسؤول اميركي كبير ومقرب جدا من وزير الخارجية عندما قال « بأنه لم يعد هناك مبرر لاستمرار حظر الدول العربية تصدير النفط الى الولايات المتحدة نظرا لدخول سورية الان في المساعي الرامية الى تحقيق السلام في الشرق الاوسط » (**نيويورك تايمز** ٧٤/٣/٥) .

والان ، وبعد هذا العرض للوضع على جبهة الجولان والمساعي التي بذلت حتى الان لفصل القوات لا بد من القاء نظرة تحليلية على الموقف . لقد ذكرت مائير في بيانها الوزاري الذي القته امام الكنيست في يوم ٣/١٠ « لقد ابلغنا دمشق عن طريق كيسنجر اننا سنتقدم بخطة تفصيلية للفصل بين القوات بعد تشكيل الحكومة الجديدة بأسبوعين ونحن على استعداد لان نبعث بمندوب مأذون الى واشنطن لهذا الغرض » (**رويتر** ٣/١٠) . فماذا يمكن ان يتضمن هذا المشروع الجديد التي ستتقدم به الحكومة الاسرائيلية بعد أن انتهت ازمتها وتثبتت اقدامها على الارض بشكل أفضل ؟ ان من المحتمل ان يتضمن بعض التنازلات . ولكن سورية حازمة بالنسبة الى مسألة الانسحاب ، ولقد عبر الرئيس الاسد عن ذلك في خطابه الذي ألقاه في ٨ آذار بمناسبة الذكرى الحادية عشرة لقيام ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣ عندما قال بأن الحرب مع اسرائيل لم تنته ، ولن تنتهي بالنسبة الى سورية ما لم تتحرر الارض العربية بكاملها ، ثم قال مذكرا المسؤولين الاسرائيليين « الذين يدعون ان مرتفعات الجولان السورية جزء من اسرائيل بأن فلسطين ليست جزءا من الوطن العربي فحسب ، بل هي الجزء الاساسي من جنوب سورية » (**المحرر** ٣/٩) فهل ستعرض اسرائيل انسحابا جزئيا ؟ ان خطوة كهذه يمكن ان تؤدي الى تخفيف حدة التوتر والسير بالازمة خطوة الى أمام ، ولكن حتى يتم ذلك ـ ولا يحتمل ان يتم قبل مطلع شهر نيسان ـ فان الوضع يبقى متوترا .

وينجم توتر الوضع الى حد بعيد عن شكوك الطرفين المتجابهين ، وتداخل الجبهات ، وقوة الضغوط الداخلية المناوئة للتساهل في سورية واسرائيل ، ورغبة الطرفين في الذهاب الى المفاوضات **تحت ظلال الحراب** . وبالرغم من كل محاولات التهدئة فان من المحتمل اندلاع القتال على الجبهة السورية . ان المسؤولين الاسرائيليين يدعون بأن قواتهم مستعدة لهذا القتال . ولكنهم لا يحددون فيما اذا كانوا ينوون القتال هجوميا ام دفاعيا ، ولا يذكرون كيف تنسجم اقوالهم حول القتال مع قيامهم في الوقت نفسه بتسريح الاحتياط. ويذكر المراقبون ان القتال سيكون في حالة اندلاعه شرسا وصعبا ، فلقد اعاد السوريون تسليح جيشهم الذي غدا اقوى مما كان عليه في تشرين الاول . وهم متحصنون في مواقع جيدة على حين يقف الاسرائيليون مكشوفين داخل جيب ضيق . ويقول المعلق العسكري الاسرائيلي يعقوب ايريز عند الحديث عن منطقة الجيب « لا تتمتع هذه المنطقة بعمق استراتيجي ، لذا يستطيع السوريون استخدامها في حرب استنزاف « بقطرات » من قذائف المدافع والهاونات» (ملحق**معاريف**٧٤/٢/٨).

والاسرائيليون حساسون ازاء حرب الاستنزاف، وحساسون اكثر ازاء الخسائر البشرية التي تسببها . ويدخل قادة العدو في حساباتهم معنويات قواتهم التي ستكون في هذا القتال منخفضة ، لان جنودهم سيتساءلون : لماذا نقاتل في هذا الجيب الذي سنتخلى عنه كما صرحت رئيسة الوزراء ؟ ولماذا نموت في ربع الساعة الاخير طالما ان مباحثات فصل القوات ستجري خلال اسابيع في واشنطن ؟ على حين ستكون معنويات القطعات السورية مرتفعة ، لانها ستشارك في حرب تحريرية لجزء من تراب الوطن .

ويراهن الاسرائيليون على أن الضغط الاميركي سيخف الى حد ما ويغدو أقل الحاحا بعد رفع حظر البترول العربي في اذار، وعلى ان سورية ستبقى وحدها في الميدان ، لان تحرشات ايران المتكررة (في النصف الاول من آذار) ، والتي لا يستبعد ان تكون مخططة ومرسومة في واشنطن ستمنع الجيش العراقي من الانتقال من العمق الاستراتيجي الى العمق العملياتي للمشاركة في القتال ، كما فعل في حرب ١٩٧٣ . كما ان القوات المصرية البرية ستجد نفسها عاجزة عن المشاركة في القتال نظرا لوجود قوات الطوارىء الدولية أمامها . ومن المعروف ان قوات الطوارىء ستمارس مهمتها (وفق قرار انشائها) حتى ٢٤ نيسان الا اذا قرر مجلس الامن تمديد هذه المهمة . وهذا يعني ان كل تقدم بري مصري قبل ٢٤ نيسان سيصطدم بقوات الطوارىء التي صرح قائدها الجنرال انسيو سيلاسفو في ٧ آذار « ان قواته في صحراء سيناء، والمرابطة بين الجيشين المصري والاسرائيلي مستعدة للقتل للمحافظة على وقف اطلاق النار » (**النهار** ٣/٩) . وبالرغم من ان قوة الطوارىء المسلحة بالرشاشات والاسلحة الخفيفة ، والمحرومة من اية اسلحة ثقيلة لا تشكل قوة قتالية فعلية ، فان قوتها نابعة من وضعها الدولي ، ومن قوة الدول التي بعثت بها (ايرلندة ، بيرو ، السويد ، اندونيسيا ، السنغال ، فنلندة) ، ومن قوة مجلس الامن الذي حدد لها مهمتها ، والمضاعفات الخطيرة التي يمكن ان تنجم عن الاعتداء عليها . لذا فان القتال المصري الوحيد الممكن في حالة اندلاع الحرب على الجبهة السورية هو القصف بالصواريخ بعيدة المدى ، والقتال الجوي والقتال البحري .

وهناك عامل جديد لا يمكن لاسرائيل ان تنساه قبل الاندفاع في اية مغامرة جديدة ، وهو وجود صواريخ ارض — ارض « فروغ » في مصر وسورية ، ووجود صواريخ ارض — ارض بعيدة المدى « سكود » في مصر واحتمال وجود عدد منها في سورية ، وقدرة هذه الصواريخ على ابطال تأثير الردع الجوي الاسرائيلي بسلاح الطيران المتفوق . ويذكر المعلق الاسرائيلي زئيف شيف بأن « ادخال هذه الصواريخ [الى المنطقة] ادى الى اختلال التوازن الاستراتيجي بين الاطراف [المتنازعة] واحدى النتائج ، هي ان اسرائيل فقدت قدرة الردع التي حققها ، في الاساس ، سلاحها الجوي المتفوق ، وان الردع الاسرائيلي توازن مع الردع العربي المضاد » ... « ان قرار عدم استخدام هذا الاسلوب [الغارات الجوية في عمق الاراضي المصرية] لم يكن نابعا من رادع أخلاقي ، والبرهان على ذلك هو اننا استخدمنا هذا الاسلوب ضد الشريك الاصغر — سورية . وبكلمات اخرى ، ان الذراع الاستراتيجية الاسرائيلية [سلاح الجو] كانت مقيدة في عملياتها ضد العدو الاساسي [مصر] » (**هآرتس** ٤/ ٧/٧٤ — نشرة م. د. ف. ١/٣/٧٤) . وكتب مئير كوهن عن وسائل مقاومة صواريخ سكود وقال انه لا توجد وسيلة لاسقاط الصاروخ او التشويش عليه بعد انطلاقه من قاعدته . ولا توجد وسيلة للحصول على انذار مسبق عن اطلاقه (**هآرتس** ١٧/١/٧٤ — نشرة م. د. ف ١/٣/٧٤) .

لقد كان هذا في حرب تشرين الاول ١٩٧٣ . اما الان ، وقد امتلك الشريك الاصغر — على ما يبدو — عددا من صواريخ « سكود » بالاضافة الى صواريخ « فروغ » ، فان القيادة الاسرائيلية ستفكر مليا قبل استخدام سلاحها الجوي لضرب اهداف حيوية او مدنية في عمق الاراضي السورية ، خاصة وان تجربتها مع صواريخ « فروغ » كانت أليمة جدا . ولقد عبر وزير الاسكان زئيف شيف عن هذه التجربة عندما أعلن « ان ٧٦٠ منزلا في مجدال هاعيمك قد تضررت نتيجة لانفجار صواريخ « فروغ » التي اطلقت على المستوطنة في السادس من تشرين الاول » . (ر.ا.ا. عدد ٤٧٩ ، ١٩٧٤/٣/٧) .

ان « المفاوضات المسلحة » اسلوب متبع وممكن، ويستطيع السوريون تطبيقه بنجاح (على غرار ضربة ١٣ آذار التي دمرت كمينا اسرائيليا وعددا من المعدات والاسلحة ، والضربات المتعاقبة التي استمرت طوال النصف الثاني من شهر آذار وشملت قطاعات جبهة الجولان كلها) طالما ان قوات السوريين البرية متحصنة دفاعيا بشكل جيد ، وطالما ان شبكة صواريخهم الموجهة ارض — جو قادرة على حماية اجوائهم ، وطالما ان بطاريات صواريخ ارض — ارض قادرة على ابطال تأثير الردع الجوي المعادي ، وطالما ان عدوهم حساس للخسائر البشرية التي تتراكم يوما بعد يوم ، لتشكل في النهاية رقما كبيرا لا قبل له به .

المقدم الهيثم الايوبي

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٢/١٦ ــ ١٩٧٤/٣/١٥

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة جرحى	قتلى	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري تاريخه
١	٢/١٦ ــ	٧٤٠٠	اسدود(١)	تفجير	عبوات ناسفة	ــ ــ	تدمير المختبر الرئيسي تدميرا تامـا في مصفاة البترول وتدمير عدد من الخزانات وجزء كبير من معمل التكرير واشـعال النـيران في المصفاة	ــ	ــ	ــ	رقم ٧٤/٣٢ ٢/١٦
٢	٢/ ٤ ــ		بين طولكرم ــ ارتاح	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل	غيرمحدد	تدمير احدى آليات العدو	ــ	ــ	ــ	رقم ٧٤/٣٣ ٢/١٦
٣	٢/ ٨ ــ	١٩٤٣٠	طولكرم ــ ارتاح	قصف	صواريخ	غيرمحدد	اصابة مستعمرة ستعوز غربي قرية ارتاح	ــ	ــ	ــ	رقم ٧٤/٣٤ ٢/١٧
٤	٢/١٨ ــ	٣٤٤٠	نهاريا	تفجير	عبوات ناسفة	ــ ــ	تدمير جزء من مطعم هانتوم واصابة المباني المجاورة باضرار	ــ	ــ	ــ	رقم ٧٤/٣٥ ٢/١٨
٥	٢/١٨ ــ	٢٤٠٠	تنيفوت/بيت ليد	تفجير	عبوات ناسفة	ــ ــ	تدمير قسطل مياه	ــ	ــ	ــ	رقم ٧٤/٣٦ ٢/١٩
٦	٢/١٨ ــ	١٨٤٠٠	بيت جبرين	تفجير	عبوات ناسفة	ــ ــ	تدمير مضخة مياه الواقعة شرق البلدة	ــ	ــ	ــ	رقم ٧٤/٣٧ ٢/١٩
٧	٢/٢٣ ــ	٢٤٣٠	حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء من مقهى براك واصابة المباني المجـاورة باضرار	ــ	ــ	ــ	رقم ٧٤/٣٨ ٢/٢٣
٨	٢/٢١ ــ	ــ	القدس	اقتحام	ــ	١ ــ	اقتحام منزل الضابط يساخر بن دافيد وقتله	ــ	ــ	ــ	رقم ٧٤/٣٩ ٢/٢٦

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
٩	٢/٢٦	١٥٤٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة مدرج حائط المبكى بأضرار	—	—	—	رقم ٧٤/٤٠	٢/٢٧
١٠	٢/٢٦	١٨٤٠٠	يافا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء كبير من سوق الخضار المركزي	—	—	—	رقم ٧٤/٤١	٢/٢٧
١١	٢/٢٧	١٢٤٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة باص بأضرار واصابة عدد من افراد العدو	—	—	—	رقم ٧٤/٤٢	٢/٢٨
١٢	٢/٢٨	١٩٤٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء من مبنى يسكنه يعقوب مدير خزينة الدخل	—	—	—	رقم ٧٤/٤٣	٣/١
١٣	٣/ ٣	—	غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد	اصابة احد المصارف بشارع عمر المختار بأضرار	—	—	—	رقم ٧٤/٤٤	٣/٤
١٤	٣/ ٣	—	غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد	اصابة احد الباصات في ساحة فلسطين بأضرار	—	—	—	رقم ٧٤/٤٥	٣/٤
١٥	٣/ ٣	٣٤٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء من مبنى واصابة المباني المجاورة بأضرار	—	—	—	رقم ٧٤/٤٦	٣/٥
١٦	٢/٢٨	—	بين عنبتا ونابلس	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية وقتل طاقمها	—	—	—	رقم ٧٤/٤٧	٣/٥
١٧	٢/ ٥	٢١٤٠٠	مستعمرة ماعوز هاتيكار/وادي عربة	قصف	قذائف صاروخية ومدافع الهاون	غيرمحدد	اصابة المستعمرة بأضرار	—	—	—	رقم ٧٤/٤٨	٣/٦
١٨	٢/١٤	—	مستعمرة عين ياهاف	تفجير	حقل الغام	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية وقتل من فيها	—	—	—	رقم ٧٤/٤٨	٣/٦
١٩	١/ ٨	—	وادي الجيب المشيشن	تفجير	الغـــام	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية وقتل من فيها	—	—	—	رقم ٧٤/٤٨	٣/٦
٢٠	٢/ ٤	—	محطة سكة الحديد — سنافور/غزة	القاءقنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد	تدمير سيارة اتوبيس عسكرية وقتل من فيها	—	—	—	رقم ٧٤/٤٩	٣/٧

٢١	٢/١٥	—	شارع عمر المختار/غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد	تدمير سيارة جيب عسكرية وقتل من فيها	—	—	—	رقم ٧٤/٤٩ ٣/٧
٢٢	٤ /٣	—	مزلقان الصايغ/ خان يونس	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد	تدمير سيارة فولكس فاجن تابعة لرجال المخابرات	—	—	—	رقم ٧٤/٤٩ ٣/٧
٢٣	٢/٢٨	—	ظهرة الشيخ محمد/خان يونس	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	١	اعطاب سيارة جيب عسكرية وقتل سائقها	—	—	—	رقم ٧٤/٥٠ ٣/٨
٢٤	٣/١٣	٢٢٤٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	تدمير مكتب العمل في شارع الزهراء واشعال النيران فيسه	—	—	—	رقم ٧٤/٥٢ ٣/١٤

١ — إعترف العدو بنشوب حريق في المصبغة ادى الى تدمير المختبر . راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل عدد ٤٦٣ ص٣٣٦٣ - بتاريخ ١٩٧٤/٢/١٦ .

— تصدر البلاغات العسكرية عن القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٢/١٦ ــ ١٩٧٤/٣/١٥

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة مفقود	أسير	جريح	المصدر	تاريخه
١	٢/١٥	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	١	تفجير عبوة في سيارة اتوبيس	—	—	—	ن٠ عدد٤٦٢ ص٣٣٤٩	٢/١٥
٢	٢/١٨	—	نهاريا	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	اصابة مطعم « فانتوم » بأضرار	—	—	—	ن٠ عدد٤٦٤ ص٣٣٨٦	٢/١٨
٣	٢/١٨	٢٤٠٠	تلوفوت/بيت ليد	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	اصابة مشروع المياه القطري بأضرار	—	—	—	ن٠ عدد٤٦٥ ص٣٤٠٨	٢/١٩
٤	٢/١٨	—	الخليل	تفجير	ألغـــام	—	—	—	٢	—	—	ن٠ عدد٤٦٦ ص٣٤٤٠	٢/٢٠
٥	١٩٧٣/١٢/٢١		نابلس	—	—	١	—	تصفية الجندي ايلي لوبو	—	—	—	ن٠ عدد٤٦٧ ص٣٤٧٥	٢/٢١
٦	٢/٢٥	—	حرفا/المنطقة الشمالية	قصف	أسلحة رشاشة	—	—	—	—	—	—	ن٠ عدد٤٧١ ص٣٥٧٧	٢/٢٦
٧	٢/٢٧	١٣٤٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	١	اصابة باص بأضرار	—	—	—	ن٠ عدد٤٧٣ ص٣٦٣٥	٢/٢٨

ن ــ نشرة رصد اذاعة اسرائيل التي تصدر يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

صدر حديثا عن مركز الابحاث الكتب

الانجليزية الثلاثة التالية

1 — **Jerusalem at the United Nations,** by Dr. George J. Tomeh (79 pages, 2 L.L.)

2 — **Palestine and Israel, The Civil Rights Configuration,** by Ray L. Cleveland (22 pages, 1 L.L.)

3 — **P. L. O. The Representative of the Palestinians,** by Isam Sakhnini, (31 pages, 1 L.L.)

يضاف الى ثمن كل نسخة بدل أجور البريد الجوي : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١ ل.ل. في اوروبا ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول

اطلبها من مركز الابحاث — قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

صدر حديثاً

٦ تشرين بين التسوية والتحرير

الدكتور الياس فرح

هذا الكتاب ، الذي هو اول كتاب يصدر بالعربية عن نتائج حرب ٦ تشرين ، يضع هذه الاخيرة ضمن اطارها الحي كحلقة في سلسلة مراحل الثورة العربية ، رابطا المواقف الظرفية التي رافقت المعركة بالخط الاستراتيجي العام للنضال العربي ، كاشفا الفواصل الرئيسية بين طريق التحرير وطريق التسوية السلمية .

دار الطليعة للطباعة والنشر ش.م.ل.

بيروت — ص.ب : ١٨١٣

صدرت حديثا
عن المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

الموسوعة السياسية

إشراف:
د. عبدالوهّاب الكيالي
كامل زهيري

تشتمل هذه الموسوعة على:

* ١٨٧٥ بندا .
* ٨٠٠ اصطلاح سياسي.
* ٥٤٠ شخصية .
* ٢٠٠ دولة ووحدة سياسية .
* ١٥٠ حزبا ومنظمة .
* ٤٠ جدولا احصائيا .
* ٢٠ وثيقة سياسية .

* فهرس انكليزي — عربي وفرنسي — عربي يشتمل على كل المصطلحات السياسية مع ترجمتها الى العربية .

العـــدد الاول من :

قضايا عربية

نيســـــان ١٩٧٤

هيئة التحرير : د. عبد العزيز الاهواني ، د. عبدالله عبدالدايم د. محمد عطاالله ، د. منيف الرزاز ، د. احسان عباس ، محمد عماره ، رجاء النقاش ، د. وليد خـــوري ، د. انور عبد الملك .

رئيس التحرير : د. عبد الوهاب الكيالي .

شهرية فكرية مفتوحة لمختلف الاتجاهات العربية التقدمية تعالج الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية والعلمية في الوطن العربي من خلال نظرة مستقبلية وبروح البحث العلمي .

صدر المجلد السنوى السابع من

السياسة الدولية

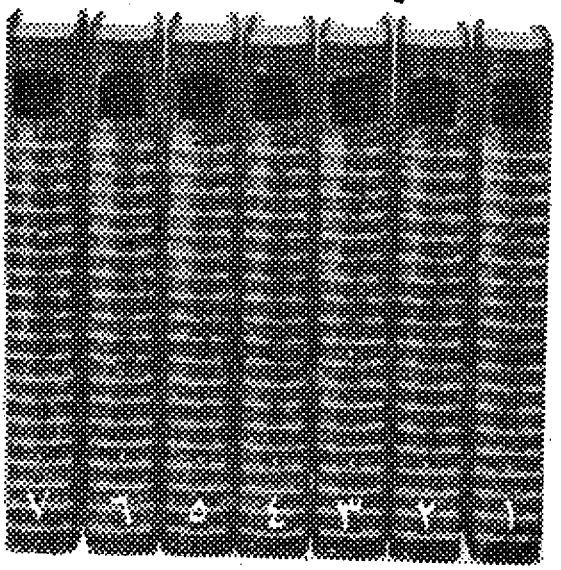

- مرجع عالمى للعاملين فى الحقل السياسى والدبلوماسى والإعلامى .
- المجلد مزود بفهرس تحليلى وفهرس للمعاهدات والاتفاقات الدولية .
- ١٠٠٠ صفحة ... الثمن ١٠٠ قرش
- يطلب من قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام ومكتبة الأهرام بشارع محمد فريد والمكتبات الكبرى فى الوطن العربى
- يضم الأعداد ٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ الصادرة خلال عام ١٩٧١

رئيس التحرير
د. بطرس بطرس غالى

مدير التحرير
د. عبد الملك عودة

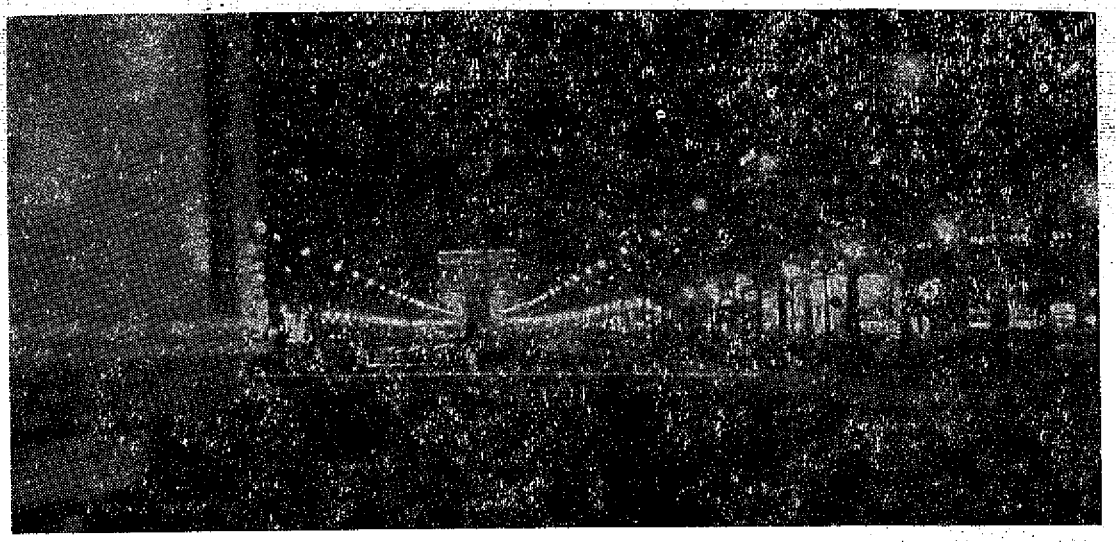

رحلات يوميّة من الكويت والخليج العربي إلى عواصم أوروبا الرئيسيّة

الثلاثاء: الكويت - اثينا - جنيف - لندن الساعة ١١,٣٠
الأربعاء: الكويت - لندن بدون توقف الساعة ١٥,٠٠
الخميس: الكويت - روما - فرنكفورت - لندن الساعة ١١,٣٠
الجمعة: الكويت - روما - باريس - لندن الساعة ١١,٣٠
السبت: الكويت - اثينا - فرنكفورت - لندن الساعة ١١,٣٠
الأحد: الكويت - روما - باريس - لندن الساعة ١١,٣٠

سافروا بطائرات الخطوط الجوية الكويتية واجعلوا رحلاتكم سهلة ممتعة بمشاهدة العروض السينمائية التي أصبحت تقدم خلال جميع الرحلات، وذلك علاوة على الموسيقى المنوعة التي يمكنكم الاستماع إليها على ٦ أقنية مختلفة.

الخطوط الجوية الكويتية